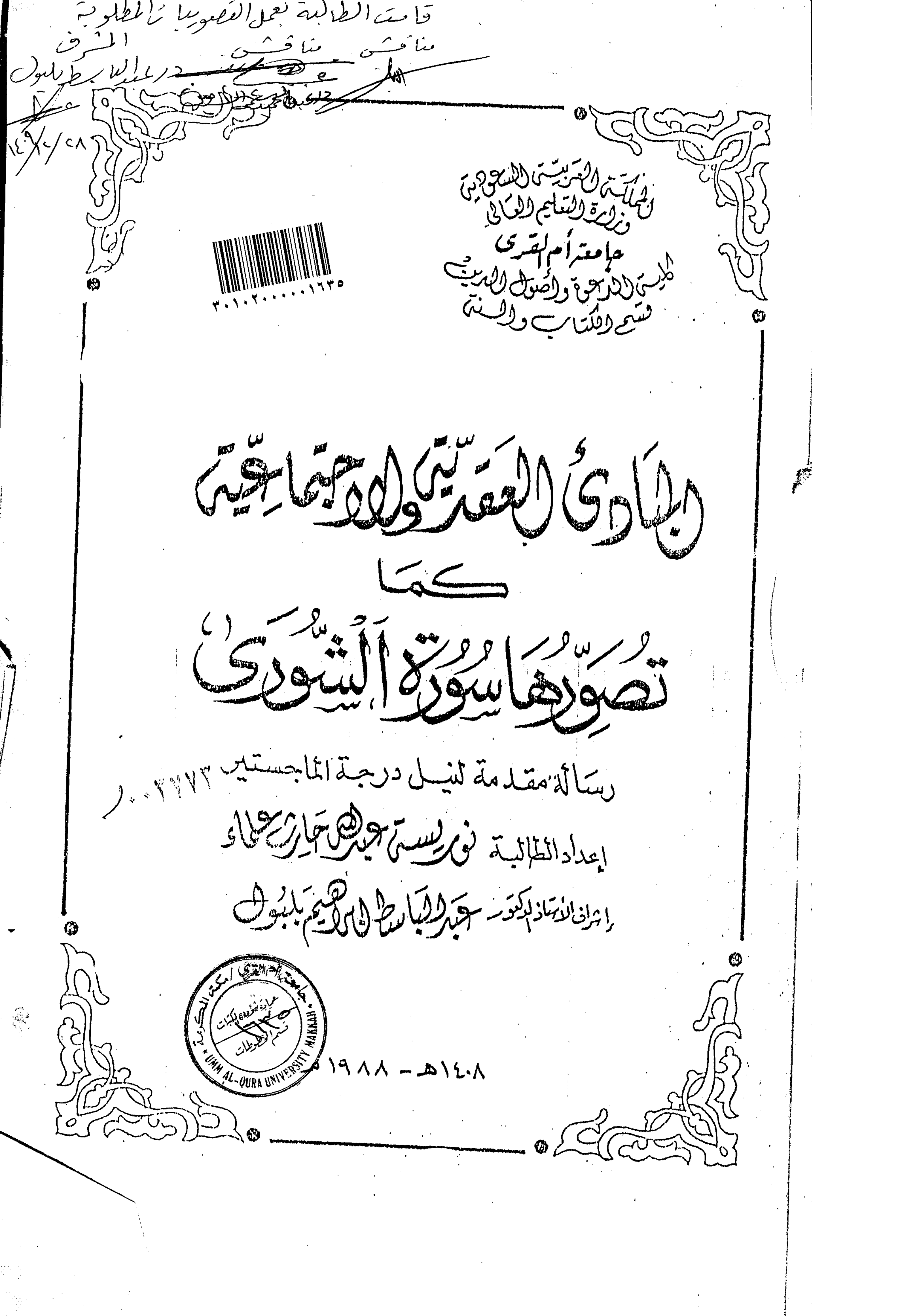


قامت الطالبة بعمل التصويبات المطلوبة
مناقش مناقش المشرف
د/ عبد الباسط بلبول
١٤٠٩/٢/٢٨

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة

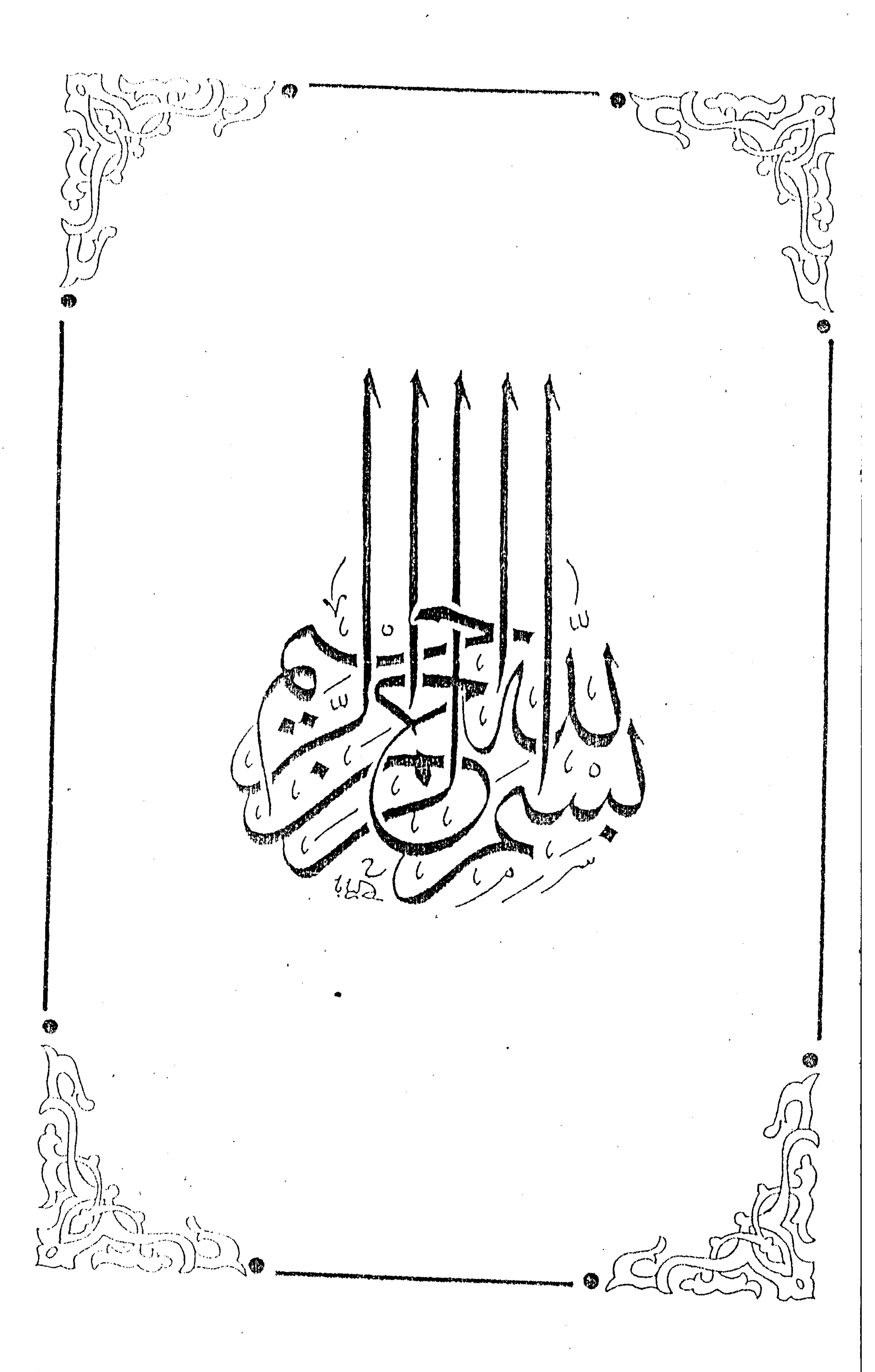
المبادئ العقدية والاجتماعية كما تصورها سورة الشورى

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ٠٠٢٢٧٣

إعداد الطالبة نورية عبد الله جار علماء

إشراف الأستاذ الدكتور عبد الباسط إبراهيم بلبول

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه

رواه البخاري في صحيحه ٦ / ٢٣٦
كتاب فضائل القرآن . باب خيركم من
تعلم القرآن وعلمه .

الإهداء

إلى نبع الحنان ونهر العطاء والحب . الى من يعجز القلم والكلمات عن شكر فضلها « والدتي الغالية » .

إلى من أنار لي الدرب بنور الإيمان . وملأ نفسي بحب العلم والإخلاص «والدي العزيز» .

إلى أخي وأختي الحبيبين خاصة والى إخواني وأخواتي من أبناء الأمة الإسلاميه عامة .. أهدي اليهم جميعًا ثمرة جهدي المتواضع راجية من المولى الكريم أن يجعلها نبراسًا يضيئ دروب حياتهم في الحاضر والمستقبل .

الباحثه

نورلينـــــه

شكر وتقدير

يارب العزة والجلالة . لك الحمد ، ولك الثناء ، ولك الشكر على ما أنعمت به علي من النعم الكثيرة ، وعلى ما منحتني من توفيق في إخراج هذا البحث .

كما أتقدم بشكري وتقديري إلى والدي العزيزين . فقد .. تحملا المشاق والصعاب من أجلي وما يزالان يشجعاني على تحصيل أكبر قدر ممكن من العلم والمعرفة .

كما أتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني وعميق تقديري لأستاذي الفاضل . الدكتور/ عبد الباسط إبراهيم بلبول . الذي بذل جهدًا كبيرًا في سبيل إرشادي طيلة مراحل الرسالة .. فألفيته معلمًا مخلصًا ومرشدًا وموجهًا أمينًا وأبا عطوفًا ، وأحاطني برحابة صدره وحلمه وعطفه وتشجيعه . وأعطاني الشيء الكثير من علمه الغزير وتوجيهاته القيمة التي أنارت لي الطريق من غير ملل ولا كلل ولا ضجر ، والحق إن الفضل في إنجاز هذا البحث على هذه الصورة يرجع إليه ، بعد فضل الله تعالى .

ولن أنسى معروفه الكثير الكثير ما حييت ، فجزاه الله عني وعن طلبة العلم أحسن الجزاء ، وأطال الله عمره ، وأعطاه خيري الدنيا والآخرة . كما يسعدني أن أتقدم بالشكر لجامعة أم القرى ولجميع القائمين عليها على ما يبذلونه من جهد كبير لتوفير الراحة لجميع طلبة العلم . واهتمامهم الشديد لمنح الفرصة للطلاب الذين يريدون مواصلة دراستهم الجامعية ..

كما لا يفوتني أن أقدم شكري وتقديري إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة (ماديا ومعنويا) وإلى كل من دعا لي بظهر الغيب بالتوفيق والنجاح .

وأسأل المولى القدير أن ينفعني والمسلمين بالقرآن الكريم وسنة سيد المرسلين ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذي نور قلوب المؤمنين بنور اليقين والإيمان وشرفهم بكتاب عزيز فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. والصلاة والسلام على من ارسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ... فإن أفضل ما يشتغل به المؤمن من العلوم علم الدين وأفضل العبادات الإقبال على كتاب الله الذي "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه" فليستزيد المؤمن بتلاوته وبتدبير آياته، يتعمق في معانيه وأهدافه وبذلك يزداد خوفاً وخشوعاً لله عز وجل وتزداد حلاوة الإيمان في قلبه. ولا غرو في ذلك فإن القرآن الكريم هو دستور الحياة ومصدر التشريع ومنبع الأحكام وضياء الطريق في دنيانا وآخرتنا حتى نستمد زادنا للمعاد وعدتنا ليوم التناد ...

سبب اختيار الموضوع

أولا :

نظرا لأنني من بلد عدد المسلمين فيه قليل ، ويعاني ما تعانيه الأقلية المسلمة ، في كل مكان من اختناق وحصار ، فقد رأيت أن يكون موضوع بحثي يمس العقيدة الإسلامية خاصة ، ثم نظام الحياة الاجتماعية عامة ، حتى أساهم في ترسيخ هذه العقيدة في نفوس المسلمين هناك ، وفي نشر الإسلام ، لتتسع رقعته في كل أنحاء هذا البلد - إن شاء الله - وبذلك يزيد عدد الداخلين فيه .

وقد رأيت أن سورة الشورى تشتمل على كثير من هذه المبادئ .

ثانيا :

ربما يتبادر إلى الذهن أنّ سورة الشورى تتحدث عن الشورى في آيات كثيرة ، كما نرى ذلك في سورة النساء وسورة الكهف وأمثالهما لكنها ليست كذلك ، وإنما وردت فيها آية واحدة في الشورى ، ضمن صفات كثيرة يصف الله تعالى بها عباده المؤمنين ومنها قوله تعالى :
﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ، وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ، وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ (١) لذا رغبت في كتابة هذا البحث لأرفع عن بعض الأفهام ما يتبادر حول هذا المفهوم وأجلي هذا المعنى .

---

(١) سورة الشورى ، الآيات من ٣٦ إلى ٣٩ .

وقد بينت أهمية الشورى ، وذكرت أنها صفة لازمة للمؤمنيــــــن
تشتمل كل نواحي الحياة .

.. ..

ثالثا :

نشاهد في عصرنا هذا أن أكثر المسلمين يتسابقون الى المزيد من الثقافة الدينية ، ولاسيما في الكتاب الكريم والسنة النبوية ولهذا أردت أن أشترك في دراسة القرآن الكريم دراسة تحليلية وموضوعية .

رابعا :

قد رأيت جيل اليوم في أمس الحاجة إلى مثل هذه الدراسة التي تمكن في نفوسهم العقيدة والمنهج ، وتزيد من رصيد الايمان في قلوبهم ، وتدعو الراغبين إلى الدخول فيه .

خامسا :

ان أكثر الناس اليوم يتخلقون بأخلاق اجتماعية منحرفة عن الدين كالغضب لحمية جاهلية والظلم والتجاوز في الانتقام ، وبهذه الأخلاق أعادوا الجاهلية الأولى ، وهذه السورى قد وضعت حدا لكل خلق ، بما يناسب الشريعة والفطرة الانسانية الصافية .

وعلى ضوء هذه الأسباب اخترت هذه السورة وجعلت عنوانها (المبادئ العقدية والاجتماعية كما تصورها سورة الشورى)

خطة البحث

ولقد اشتمل هذا البحث على :

١- مقدمة ، تضمنت أسباب اختيار الموضوع ، ومنهج البحث فيه ،

٢- تمهيد ، ضمنته :

أ - سر التسمية بسورة الشورى ، وبيان ما ورد فيها من أسماء متعددة .

ب - المناسبة بينها وبين السورة السابقة .

جـ - علاقة أول السورة بآخرها .

ثم قسمين : القسم الأول :

دراسة موضوعية ،وتشتمل على ثمانية مباحث

المبحث الأول : إثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالأدلة العقلية والنقلية .

ويتكون من المطالب التالية :

المطلب الأول : حاجة البشر إلى رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثاني : علو شأن الموحى إليه .

المطلب الثالث : علو شأن الموحى به .

المبحث الثاني : الوحدانية :

ويتكون من المطالب التالية :

المطلب الأول : أدلة الوحدانية القطعية العقلية والنقلية منها :

الدليل الأول : إبداع السموات والأرض على غير مثال سابق .

الدليل الثاني : سلطان الله سبحانه على الكون .

الدليل الثالث : تنوع الخلق إلى أمم متعددة .

المبحث السادس : من أمهات الفضائل :

ويتكون من المطالب التالية :

المطلب الأول : الشورى وأثرها في المجتمع الاسلامي .

المطلب الثاني : الغضب يجب أن يكون لله لا لحمية جاهلية .

المطلب الثالث : العفو عن العاجز المعترف بجرمه محمود .

المطلب الرابع : الانتصار من الظالم المصر على ظلمه محمود .

المطلب الخامس : التجاوز في الانتقام مذموم .

المبحث السابع : استجيبوا لربكم .

ويتكون من المطالب التالية :

المطلب الأول : الهداية والانابة إلى الله قبل يوم القيامة .

المطلب الثاني : الرسول مبلغ والملحد يتحمل مسؤولية إلحاده .

المطلب الثالث : الله لا تصدر أفعاله من غير حكمة جلية أو خفية .

المبحث الثامن : أنواع الوحى الالهى :

ويتكون من المطالب التالية :

المطلب الأول : الوحى في اللغة وفي الشرع .

المطلب الثاني : أقسام الوحى

القسم الثاني : تفسير تحليلى للسورة الكريمة .

خاتمة ، ضمنتها أهم النتائج التى توصلت إليها والوصايا والمقترحات ثم تراجم الأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة ثم المراجع والفهارس التفصيلية .

المنهج الذى اتبعته في هذه الرسالة على النحو التالي

أولا : قسمت الرسالة إلى قسمين حسب الخطة التى اعتمدها مجلس الكلية .

القسم الأول : دراسة موضوعية

القسم الثاني : دراسة تحليلية للسورة الكريمة

ثانيا : وضعت النص القرآني الذى تضمنه المبحث في أول الصفحة

ثالثا : استشهدت بالآيات الأخرى التى لها علاقة بالسورة الكريمة كما استشهدت بالأحاديث النبوية التى تؤيد ما ذهب إليه العلماء سلفا وخلفا .

رابعا : ذكرت الآراء المتعددة وبينت أصحها أو أرجحها حسب فهمي وجهدى .

خامسا : خرجت الأحاديث النبوية من مصادرها المعتمدة وبينت درجة كل حديث بما قاله العلماء من حيث الصحة أو الحسن ، أو الضعف .

سادسا : بينت معاني الكلمات الغريبة من المعاجم اللغوية .

سابعا : تناولت معنى كل عنوان في اللغة والاصطلاح إذا رأيت أنه يلزم بيان معناه .

ثامنا : وضعت نصب عيني المبادئ العقدية والاجتماعية ونبهت عليها في نهاية كل مبحث .

تاسعا : قمت بتراجم الأعلام الذين ورد ذكرهم في هذا المبحث وأعددت فهرسا في نهاية الرسالة وقد رتبتها على حسب الحروف الهجائية وبدون اعتبار (ال) التى للتعريف

عاشرا : قمت بفهارس تفصيلية في نهاية الرسالة على النحو التالي :

* * *

تمهيد

لما كان عنوان رسالتي

((المبادئ العقدية والاجتماعية))

رأيت لزاما على أن ألقي الضوء على هذا العنوان ، حتى يكون القارئ على بينة من أمره .

المبادئ : (مفردها مبدأ الشيء أوله ومادته التي يتكون منها ، كالنواة مبدأ الرطب ، أو يتركب منها كالحروف ، مبدأ الكلام ومبادئ العلم أو القانون : قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها) . (١)

---

(١) انظر المعجم الوسيط ، ٤٢/١



(والمبادئ في اصطلاح العلماء تطلق على ما يتوقف عليه مسائل العلم) . (١)

العقيدة : تقول (عقد الحبل والبيع والعهد ، يعقده عقدا ، فانعقد والذى صرح به أئمة الاشتقاق أن أصل العقد نقيض الحل ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات وغيرها ، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم)(٢)

يقول الراغب : العقد (الجمع بين أطراف الشئ ، ويستعمل في الأجسام الصلبة كعقد الحبل ، وعقد البناء ، ثم يستعار ذلك للمعاني ، كعقد البيع) ويضيف قائلا : وأصله من العزيمة ، وذلك يقال لها عزيمة ، كما يقال لها عقده) (٣) ، والنسبة اليها عقدى ، كمدنى في مدينة .

قال أئمة اللغه : من معاني عقد (العزم والرأى والنظر في مصالح النفس والملازمة) (٤) ، وتقول : (عقد ، يعقد كضرب يضرب ، وفرح يفرح).(٥)

والعقيدة شرعا : (الحكم الذى لا يقبل الشك فيه لدى معتقده ، و (العقيدة في الدين) ما يقصد به الاعتقاد دون العمل ، كعقيدة وجود الله وبعثة الرسل) . (٦)

والاجتماع : من كلمة جمع ،(والجمع ضم الشئ بتقريب بعضه من بعض ، يقال جمعته فاجتمع) (٧)

وعلم الاجتماع : (علم يبحث في نشوء الجماعات الانسانية ونموها وطبيعتها وقوانينها ونظمها ، ويقال رجل اجتماعى ، اى مزاول للحياة الاجتماعية كثير المخالطة للناس) (٨)

والمقصود بالمبادئ العقدية والاجتماعية : الأسس التى يجب أن يلتزم بها الناس ، ويعقدوا عليها العزم ، وتنطوى عليها قلوبهم اعتقادا ومنهجا لا يحيدون عنه في حياتهم ، وذلك كالاعتقاد بوحدانية الله والايمان بما جاء عنه ، والتمسك بالقيم الفاضلة كالشكر والصبر .

---

(١) قطر المحيط ، ٧٨/١ ، ٧٩
(٢) تاج العروس ، ٤٣٦/٢
(٣) المفردات ، ص ٣٤١
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر مادة : عقد ٢٧٠/٣ ، ٢٧١
(٥) القاموس المحيط مادة ع . ق . د .
(٦) المعجم الوسيط ، ٦١٤/٢
(٧) تاج العروس ٣٠٤/٥
(٨) المعجم الوسيط ١٣٥/١

وتبتدئ السورة الكريمة بالحديث عن الوحي المنزل من عند الله عز وجل ، ثم تختم به وأنواعه ، لتقرر أن الوحي كله من عند الله ، فهو واحد في مصدره وجوهره ، على اختلاف الرسل ، واختلاف الزمان ، وإن الرسالة السماوية التى تقوم عليها كل قضايا الإنسان في جميع العصور والأجيال واحدة .

هذه السورة كغيرها من السور المكية التى تعالج قضية العقيدة من جوانبها المتعددة ، فهي تتناول حقيقة الوحدانية وحقيقة يوم القيامة والإيمان بكل منهما ، وما يتعلق بذلك من صفات المؤمنين وأخلاقهم التى يمتازون بها ، كما تتناول قضية الرزق من بسطه وقبضه وصفة الإنسان في السراء والضراء وغيرها من لوازم الإيمان ، لكن حقيقة الوحي والرسالة هي الحقيقة البارزة ، والمحور الرئيسى في هذه السورة ، وسائر الموضوعات الأخرى مسوقة لتقوية تلك الحقيقة . (١)

فالكلام عن الوحي - كما أريد به هنا - هو كلام عن التزام المسلمين بكتاب الله ، الذى أوحاه إلى رسوله عليه الصلاة والسلام ، وجعله إماما لهم ، وذلك بقوله ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ وقوله ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾ فإذا انتقلنا إلى الآيات (٣٦) وما بعدها نجد أن حال الإنسان يتردد بين اتصاله بالله وتأثره بنوازع الحياة ، لأن هذا التردد هو الذى أوجد الشرائع ، وأوجد دفع الناس بعضهم ببعض ومزاحمتهم في الأسباب وأوجد الطاعة والعصيان والعدل والظلم والحسن والقبيح والخير والشر ،

---

(١) انظر ظلال القرآن ، ٥/٣١٣٧ الى ٣١٣٩
(سيد قطب) الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ دار الشروق

فقد ذكرت الآية (٣٦) ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. ثم ذكرت الآية (٣٧) الكبائر والفواحش والغضب ، لأنهـا من الآفات التى يجب على الإنسان مقاومتها ، ثم ذكرت بعدها الصلاة والإنفاق ، ووضعت بينهما الشورى لأهميتها ثم ذكرت بعدها الظلم والانتصار منه لأنّ هذا هو شأن التصارع في الحياة ، وهو الذى يستوجب الرجوع إلى الشرائع والإلتجاء إلى الشورى ، وهكذا تختلف أمور الدين والدنيا ونوازع العبادة والنفس في هذه الآيات . وهذه هى نظرتي العامة لهذه السورة الكريمة .

○○ ○○

أولا : سر التسمية بسورة الشورى

مما لا شك فيه أن أسماء السور توقيفية ، ولكن بعد امعان ونظر لهذه السورة الكريمة وجدت أنها قد أطلق عليها اسم الشورى بما يلى :

أولا : هى السورة الوحيدة التى جعلت الشورى عنصرا من عناصر الايمان بدليل وضعها بين ركنين أساسيين فى الاسلام هما اقام الصلاة وايتاء الزكاة . (١)

ثانيا : تنويها برفع مكانة الشورى فى الاسلام وأهميتها فى حياة المجتمع المسلم ، فردا أو جماعة .

ثالثا : ارشادا للمؤمنين الى السير فى تصريف أمور حياتهم ومجتمعهم على هذا المنهج الأمثل الأكمل - أى الشورى - احقاقا للحق وتقريرا للعدل . (٢)

رابعا : (لاشعار آياتها بذلة الدنيا ، وعزة الآخرة ، وأهل طالبى الآخرة) (٣) .

خامسا : انما سميت بالشورى لورود آية الشورى فيها وكما سميت بسورة الشورى سميت بسورة حم عسق ، وسميت بذلك ، لأن هاتين الآيتين فى صدر السورة الكريمة .

---

(١) انظر كتاب فى فصول الدين والادب ١٤٨/١ (ابراهيم السليمانى الطامى) مكتبة التراث الاسلامى .

(٢) انظر صفوة التفاسير ١٣٢/٣ (محمد على الصابونى) المكتبة الفيصلية بمكه المكرمة .

(٣) تفسير القاسمى ٥٣١٩/١٤ (محمد جمال الدين القاسمى) الطبعة الثانية ، دار الفكر ، بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

ثانيا : أسماء السورة الكريمة

من خلال اطلاعي على كتب التفاسير المختلفة وجدت لهذه السورة خمسة أسماء هي :[1]

أولا : (سورة الشورى بالتعريف .

ثانيا : سورة شورى من غير تعريف .

ثالثا : سورة حم عسق .

رابعا : سورة عسق .

خامسا : حم سق)

---

(١) حاشية الصاوى ٣١/٤ (احمد الصاوى المالكى) دار الفكر بيروت وفتح البيان ٣٥٥/٨ (صديق حسن خان) مطبعة العاصمة القاهرة ونظم الدرر ٢٣٠/١٧ برهان الدين أبى الحسن ابراهيم بن عمر البقاعى ، الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية

ثالثا : مناسبة هذه السورة لما قبلها

تعرض المفسرون لعلاقة هذه السورة بما قبلها وألخص ذلك فيما يلي :

أولا : أن السورتين بدئتا على النحو الذي ترى ، بوصف الكتاب العزيز ، وأنه منزل من عند الله عز وجل ، ودفع مطاعن الكفار فيه ، وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم (١) ، قال في مطلع سورة فصلت (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) كما قال في أول سورة الشورى ﴿ حم عسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ .

ثانيا : اشتملتا على بيان كبر المشركين ، وإعراضهم عن الله عز وجل وعدم استجابتهم لدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وريبهم في البعث والجزاء والحساب ، وهاتان السورتان تبينان إبطال حججهم ، وأن الله عز وجل أجل لهم العذاب إلى يوم القيامة . (٢)

ثالثا : سورة الشورى بينت خلقا من أعظم أخلاق المؤمنين في قوله تعالى : ﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ (٣) وبينت نتيجة هذا الصبر والعفو ، ودفع السيئة بالحسنة ، بأن يصبح العدو صديقا حميما ، وسورة فصلت تناولت هذا الخلق الكريم في قوله تعالى ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ . (٤)

---

(١) انظر روح المعاني ٢٥/١٠ للامام أبي الفضل شهاب الدين الالوسي البغدادي ط دار الفكر بيروت
ومجمع البيان في تفسير القرآن ٢٥/٣٦ لأبي الفضل بن الحسن الطبرسي الطبعة الأولى ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

(٢) انظر نظم الدرر ١٧/٢٤٠ - ٢٤١ ، وتفسير القرآن للقرآن ٢٥/ ١٤ ، عبد الكريم الخطيب دار الفكر العربي .

(٣) آية (٣٧)

(٤) آية (٣٤)

رابعا : اشتملتا على بيان جحود الإنسان بنعم ربه ، الذى أعطاه إياها ، فترى الإنسان إذا غمره الله بالنعم والخير يفرح وينسى خالقه الذى كان صاحب الفضل عليه ، وإذا أصابه البلاء والشر يحزن وييأس ، ويدعو ربه ليلا ونهارا ، ليكشف عنه هذا البلاء ، قال تعالى في سورة فصلت ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾ إلى قوله ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾(١) وقال في سورة الشورى ، ﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ، وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ، فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾(٢)

خامسا : اشتمال كل منهما على بيان انقسام الناس يوم القيامة ، إلى فريقين - فريق من أهل الجنة ، وفريق من أهل النار - فقال في سورة فصلت ﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾(٣) وفي سورة الشورى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وفريق في السعير ﴾(٤)

سادسا : اشتملتا على بيان وجود الإله القادر ، وبيان نعمه على عباده ، وإذا كانت المناسبة بين السورتين على هذا النحو ، ففي ذلك دلالة على سمو أسلوب القرآن ، وسمو قضاياه التى عالجها في جانب العقيدة والتشريع والاجتماع من أجل إسعاد المجتمع في الدنيا والآخرة

---

(١) سورة فصلت ، آية (٤٩ - ٥٠ - ٥١)
(٢) آية (٤٨)
(٣) آية (١٨ - ١٩)
(٤) آية (٧)

وبعد أن ذكرت سبب تسمية السورة بالشورى وأسمائها المتعددة، وعلاقة السورة بسورة فصلت التي سبقتها، أبدأ في بيان شرح الآيات وأسباب نزولها، مع بيان اختلاف أقوال العلماء في بعض معانيها واختلاف القراء في قراءة بعض الآيات، وبيان بعض معنى الكلمات فيها قدر الإمكان (وتلاحظ أن الله سبحانه في أول سورة الشورى قطع حم عسق ولم يقطع غيرها مثل (الر) (١) و (كهيعص) (٢) وأمثالهما لأسباب كثيرة منها:

١- أنها تعتبر آيتين، وغيرهما من الحروف المقطعة تعتبر آية واحدة.

٢- أن جميع الحروف المقطعة يذكر اسم الكتاب بعدها كقوله تعالى (حمٓ وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ) (٣) وقوله (حمٓ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (٤) وغيرهما من الآيات، إلا هذه السورة، فإنها لم تصرح بذكر اسم الكتاب بعده، وإنما صرحت بالوحي في قوله (كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ) (٥) والوحي ينزل بالكتاب وغيره (٦)، بمعنى أنه لما خالف بعدها في النسق خالف في هذه الحروف)

---

(١) سورة الحجر : آية (١)
(٢) سورة مريم : آية (١)
(٣) سورة الزخرف : آية (١-٢)
(٤) سورة الاحقاف : آية (١ ، ٢)
(٥) آية (١١٠)
(٦) تفسير التبيان ٢٥/ ١٤٠ للطوسي

رابعـا : (علاقة أول السورة بآخرها)

عندما نقرأ هذه السورة نلاحظ أنّ الله تعالى قد قال في أول السورة (حم ،عسق ،كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) وأعاد الكلام في آخرها ، عن نفس الموضوع في الوحي فقال : " وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا ، فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ، إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ" ومن هنا كان الارتباط بين أول السورة وآخرها قويا ، فكأنّ السورة وحدة واحدة تناولت موضوعات تتعلق بالوحي من حيث ثبات الوحي ومانزل به الوحى ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما نصت عليه السورة الكريمة وبهذا يعلم أن موضوع الوحي هو علاقة السورة بأولها وآخرها لشرفه ومكانته العظيمة عند الله عز وجل .

القسم الأول

الدراسة الموضوعيّة

المبحث الأول :

إثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالأدلة العقلية والنقلية .

ويتكون من المطالب الآتية :

المطلب الأول : حاجة البشر إلى رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني : علو شأن الموحى إليه .

المطلب الثالث : علو شأن الموحى به .

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ
وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

سورة الشورى : الآيات من (١) الى (٥)

"إثبات رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأدلة العقلية والنقلية"

تمهيد :

ليس كل إنسان يدّعي النبوة أو الرسالة ، يصدّقه الناس ويؤمنون به ، بل عليه أن يثبت رسالته ونبوته بالأدلة العقلية والنقلية ليتبين بتلك الأدلة والبراهين ، صدقه أو كذبه ، لذلك اقتضت حكمة الله عز وجل أن يختص كل رسول بالأدلة التي تبين صدق دعواه فيما يبلغه عن ربه .

ويجدر في هذا المقام أن أبين الفرق بين النبوة والرسالة وبين النبي والرسول " (فالنبوة في اللغة : مشتقة من النبأ ، وهو الخبر ، الذي يتضمن فائدة عظيمة يحصل بها علم ، أو غلبة الظن ومنه قوله تعالى : " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ " (١) وقيل مشتقة من النبوة وهي الرفعة " (٢) وفي الاصطلاح : " اصطفاء الله عبدا من عباده بالوحي إليه " ، والمناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي هو أن النبي صلى الله عليه وسلم ذو رفعة عظيمة وقدر كبير في الدنيا ، والآخرة ، والأنبياء أشرف الخلق ، والأعلام التي يهتدى بها الناس ، فتصلح دنياهم وأخراهم هذا عن النبوة ..

أما الرسالة ، في اللغة : فهي التوجيه بأمر ما ، والرسول هو الذي يتابع الأخبار التي بعثه الله بها ، وسمي الرسول رسولا لأنه ذو رسالة .. ومعناها في الاصطلاح : تكليف الله نبيا من أنبيائه بتبليغ شريعته .. فالنبي أوحي إليه بالوحي ولم يؤمر بتبليغه بينما الرسول أوحى الله إليه وأمره بالتبليغ (٣) ، والنبوة طريق الرسالة ،

---

(١) سورة النبأ : آية (١)

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٤٨٠ ، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة بيروت .

(٣) انظر الرسل والرسالات ص ١٣ - ١٤ (د. عمر سليمان الأشقر) الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م مكتبة الفلاح .

ولا رسالة بدونها لأنه لا يرسل الا اذا أنباه الله وأخبره بأنه اصطفاه لوحيه ثم يوحى اليه بأنه جعله رسولا الى أقوام معينين لهدايتهم وارشادهم (١) وعلى ذلك فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا ، وفى كتاب النبوات فى بيان الفرق بين النبى والرسول قال (النبى هو الذى ينبئه الله تعالى بما أنبأ الله به ، فإنْ أرسل مع ذلك إلى من خالق أمر الله ليبلغه رسالة من الله تعالى فهو رسول) (٢)

ومن هذا الفرق بين النبى والرسول يتبين أن النبى هو الذى يخبره الله بما يريد أن يخبره به ، والرسول هو الذى يخبره الله بما يريد أن يخبره به ويأمره بتبليغه للناس .

ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة بالأدلة العقلية والنقلية ، وهذه الأدلة والبراهين ، تبطل رأى المنكرين من الفرق المتعددة .

الأدلة النقليه على اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم :

١ - " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى المغانم ولم تحل لأحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة (٣)

وقوله تعالى : قل يا أيها الناس ، إنى رسول الله إليكم جميعا " (٤)

وقوله : وما أرسلنك الا كافة للناس ، بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (٥)

٢ - الدليل الثانى من الأدلة النقليه على اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم ، المعجزة : (وهى أمر) يظهره الله على يد مدعى

---

(١) انظر الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد ص ١٣٦ للبيهقى الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

(٢) النبوات ، ص ١٧٢ لابن تيميه ط بيروت

(٣) صحيح البخارى : ١/ ٧٠ : كتاب التيمم .

(٤) سورة الاعراف : الآيه (١٥٨)

(٥) سورة سبأ : الآيه (٢٨)

النبوة والرسالة لتدل على صدقه وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الاتيان بمثلها (١) . ولا يطلب المعجزة إلا إنسان ناقص الإدراك عن الفرق بين الكلام الإلهى ، وكلام البشر ، فيحتاج إلى ما يدركه حسه ، لقصوره عن إدراك ذلك ، والإنسان الناقص والمعاند يطلبها لغرض المعاندة والمكابرة فقط (٢) ، ولا يلزم من كونها " مقرونة بالتحدى (أن يكون ذلك في كل الأحيان ، لأنّ كثيرا من المعجزات ، جرت على يديه صلى الله عليه وسلم ، دون ذلك التحدى ، عن جابر رضى الله عنه قال : " عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة (٣) ، فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه ، وقالوا ليس عندنا ماء إلا في ركوتك ، فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه ، كأمثال العيون ، وكان الناس حينئذ ألفا وأربعمائة)(٤) وهذه المعجزة أعظم من تفجر الماء من الحجر ، كما وقع لموسى عليه السلام وذلك أن الماء يأتى من الأرض . . وأما كونه يأتى من بين الأصابع ، فذلك أمر فوق عقول سائر البشر ، وهذه معجز عظيمة ، لم يأت بها أحد من الرسل والأنبياء سواه والمعجزات التي ظهرت على يديه كثيرة جدا ، وصلت حد التواتر وإن كان تفاصيلها آحادا ، والغرض منها تأييد الرسول واظهار صدقه فيما يبلغ عن ربه بعجز خصوم دعوته المكذبين لرسالته ، وهي تكون دائما من النوع الذى تفوق فيه أهل زمانه على غيرهم ، لذلك كان القرآن الكريم وهو من النوع الذى اشتهر به قومه ، وهو الفصاحة والبلاغة ، وأنواع البيان وفنون الخطاب ، وغير ذلك . ومع براعتهم ،

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٦٩/١ .
مطبعة حسان بالقاهرة .

(٢) انظر الذريعة الى مكارم الشريعة ص٩٨ للراغب الأصفهانى ط١ ١٢٩٩هـ

(٣) اناء صغير من جلد ، يشرب فيه الماء ، النهاية : ٢٦١/٢ .

(٤) صحيح البخارى ٤ / ١٥٢٦ ، كتاب المغازى باب غزوة الحديبية .

وتفوقهم في جميع فنون الفصاحة والبلاغة وغيرهما عجزوا عن معارضته بأقصر آية من آياته ، مع تهالكهم على ذلك ، وحرصهم غاية الحرص على الاتيان بمثله (١) ولما عجزوا عن الاتيان بمثله أو بأقصر سورة منه ، لجأوا إلى الأسلحة والسيوف عنادا وغيظا منهم ، ولم ينقل أن أحدا منهم استطاع الاتيان بشيء مما يدانيه فدل ذلك دلالة قاطعة على أنه من عند الله تعالى . (٢)

ومن العلماء من قال إنّ رسالته هي الأساس والمعجزات فرعها لذلك لم يعتمد على اثباتها بالمعجزات بل اعتمد على المعجزة الكبرى ، وهي القرآن الكريم ، وممن قال بذلك عبدالجبار الأسدي في كتابه المغني في أبواب التوحيد (٣) .. وهذا القول بعيد الاحتمال جدا لعدم وجود نص واحد ، يبين فيه اعتماد إثبات رسالته على القرآن الكريم ، دون غيره من المعجزات ، بل جميع معجزاته الباهرة ، تدل على إثبات رسالته كانشقاق القمر شقين على مشهد من قريش ، وكلما أتي بمعجزة يزداد إيمان المؤمنين ، ويقتنع قلب المتشكك فيه .

والقرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الوحيد الذى نقل بالتواتر عمن جاء به بطريقتي الحفظ والكتابة ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الرسول الوحيد الذى نقلت عنه سيرته بالروايات المتصلة بالأسانيد حفظا وكتابة ، ولذلك لا تثبت رسالات الرسل السابقين ، إلا بثبوت رسالته صلى الله عليه وسلم ، لكون كتبهم

---

(١) انظر رسال العدل والتوحيد : ١/ ٢٣٨

(٢) أنظر حواشي العقائد : ١/ ١٨٩ للتفتازاني

(٣) ١ / ٢٣٨ .

غير متواترة ، ولا يثبت ما نقلوه لاختلاف ما كتبوه ، وتناقضه وتعارضه (١) والمقصود من كتبهم الكتب المحرفة التي بين أيدينا ، أما الكتب الصحيحة ، فقد نزلت من السماء ، ولا ينكرها مسلم أبدا ، ولكن أين هي ؟ والقرآن الكريم أفضل المعجزات جميعا بأمرين :-

(١) بقاؤه وخلوده بعد وفاته صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة، بينما معجزات غيره من الرسل اندثرت ولم يوجد لها أثر بعد وفاتهم .

(٢) اشتماله على جميع أحكام الشريعة ، وأمور الحياة ، فلا توجد مشكلة من مشكلات الحياة إلا وله فيها حل وعلاج .

والرسول صلى الله عليه وسلم يبلغ عن ربه قرآنا كان أو سنة بقوله تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٢) فسنته المطهرة تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن ، لأنها الشارح ، لما غمض من نصوص القرآن ، والمفصل لما أجمل فيه .

٣- الدليل الثالث : شهادة الكتب السابقة له ، وتبشير الأنبياء السابقين بنبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم ، لذلك أذعن له جماعة من أحبار أهل الكتاب ، مثل كعب الأحبار ، وبحيرى الراهب والنجاشي ، وغيرهم (٣) . وقد أخبر الله تعالى عن عيسى عليه السلام ، حيث بشر برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي

---

(١) انظر الوحي المحمدي : ص ٨٣ - ٨٤ لرشيد رضا الطبعة التاسعة بيروت
(٢) سورة النجم : آيه (٤)
(٣) انظر الاربعين في اصول الدين : للفخر الرازي ط ١ / ١٣٥٣ دائرة المعارف العثمانية .

مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١)

وأحمد من أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لي أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذى يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذى ليس بعده أحد) . (٢)

وجاء في كتاب اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هذا النص : " جاء من سينا وأشرف من ساعير واستعلن من جبال فاران " . وهذه شهادة صريحة من التوراة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالته ، إذ المعنى أن الله سبحانه وتعالى ناجي موسى عليه السلام ، وأوحى إليه بساعير وهي أرض الجبل بالقدس ، وبعث محمدا رسولا في مكة وهي تسمى في التوراة فاران) (٣) وقد عميت أبصارهم من هذا النص فتركوه ليكون حجة عليهم .

٤- الدليل الرابع : من الأدلة النقلية على اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم) شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلاقه التى تتسم بسمات الكمال الإنساني ، فأخلاقه فذة غير عادية ، لا يوجد نظيرها إلا في الرسل والأنبياء ، كصدقه وأمانته ، وغيرها من الصفات الخلقية وقد وصف الله عز وجل بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . (٤)

---

(١) سورة الصف : آية (٦)

(٢) صحيح البخارى : ٤ / ٢٢٥ : كتاب المناقب ، باب ماجاء في اسماء الرسول صلى الله عليه وسلم . . وصحيح مسلم ، بشرح النووى : ١٥ / ١٠٤ ، كتاب الفضائل باب ماجاء في اسمائه صلى الله عليه وسلم واللفظ لمسلم

(٣) اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم : ص ١٥٧ لهارون الحسينى الزبيدى

(٤) سورة القلم : آية (٤)

وقالت خديجة رضي الله عنهما قولتها المشهورة (كلا والله مايخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق)(١) ، " فذكرت له أن الله لا يخزيه وذلك لما تعرف بأن الله قد جبله بالأخلاق المحمودة ونزهه عن الأخلاق المذمومة . ويشهد على ذلك قول عائشة رضى الله عنها ، حين سئلت عن أخلاقه فقالت : (فإن خلق نبى الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن)(٢) .

٥ - الدليل الخامس : ظهوره صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل ، وانتشار الضلال ، والانحراف عن الحق في العالم ، فالعرب على عبادة الأوثان وغيرها والفرس على عبادة النار وعلى الإباحية ، والهنود على عبادة البقر ، واليهود على الحقد والأنانية والشرك ، والنصارى على الإشراك بالله ، فبعث الله إليهم رسوله صلى الله عليه وسلم ليزيل الشرك والوثنية والتثليث والتشبيه والمقالات الفاسدة (٣) يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ، فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤)

قال الفخر الرازى في تفسيره : إن الغرض من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بعد فترة من الرسل هي أن التغيير والتحريف ، قد تطرق إلى الشرائع السابقة لقدم عهدها وطول زمانها ، ولذلك اختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب وذلك عذر لهم فبعث الله

---

(١) صحيح البخارى : ١ / ٧ باب كيف بدء الوحي الى رسول الله .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : ٦ / ٢٦ كتاب صلاة المسافرين ، باب صلاة الليل .
(٣) أنظر اصول الدين : ص ٣٠٨ الطبعة الأولى د/ رشدى عليان .
(٤) سورة المائدة : آية (١٩) .

تعالى في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لهداية البشر.[1]

٦- الدليل السادس : إنه صلى الله عليه وسلم أعقل الناس وأعلمهم جميعا لأنه أعلن على الملأ أنهم لا يأتون بمثل ما تحداهم به ، ويشهد على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا ﴾[2] ولن يستطيعوا الاتيان بمثله أبدا.

وهو مبلغ عن ربه هذا التحدي وليس له من الأمر شيء في هذا التحدي[3]

٧- الدليل السابع : شهادة الله عز وجل وملائكته له بالنبوة والرسالة في قوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾[4]

فإن كذبك يا محمد هؤلاء اليهود ، فلا تبال بهم فإن الله يشهد لك بالنبوة ، بهذا القرآن الذى أنزله عليك ومن صدقه الله وملائكته أجمعون ، لم يبال بأقوالهم الباطلة.

الأدلة العقلية على إثبات رسالته صلى الله عليه وسلم :

إنّ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، لا تثبت بالعجائب الكونية . وإنما تثبت بالبراهين العلمية والعقلية[5] ، وذلك أن الله أن الله تفضل على الناس بالعقل وبإرسال الرسول فيجب الانتفاع بالعقل أولا ،

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازى : ١١/ ١٩٩ ط بيروت ١٤٠١ هـ .
(٢) سورة البقرة : آية (٢٤)
(٣) انظر الاعتقاد : ص ١٣٦ بتصرف.
(٤) سورة النساء : آية (١٦٦)
(٥) أنظر الوحي المحمدى : ص ٨٣ .

ثم بالرسول ثانيا ، لأن العقل يعرف صحة دعوى الرسول وبطلانها ، فلولاه لما وجدت ولم يكن الدين باقيا ، ولو لم يكن الدين لأصبح العقل حائرا .

١- الدليل الأول من الأدلة العقلية على إثبات رسالته صلى الله عليه وسلم - إثبات الرسالات السابقة وهي دليل أكبر على إثبات الرسالة المحمدية ، وذلك أن الرسالات ، قد ثبتت وتحققت في الجنس البشرى ، منذ أن خلق الله الناس إلى عيسى عليه السلام ، فمن باب أولى أن تثبت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهى لم تكن بدعا حتى تنكر ، أو فريدة حتى تستحق السخرية لأنها سبقتها رسالات السابقين .. (١)

٢- الدليل الثانى من الأدلة العقلية :

الظروف التى اكتنفت بعثته صلى الله عليه وسلم تتطلب رسالة سماوية جديدة ، ورسولا جديدا ، يجدد للبشرية عهد معرفتها بخالقها عز وجل ..

٣- الدليل الثالث :

ما تواتر من أحواله قبل النبوة ، فهو صلى الله عليه وسلم قد عرف بالأخلاق العالية والمحاسن الرفيعة ، كأمانته ، وصدقه وغيرهما التى من أجلها اختارته السيدة خديجة رضى الله عنها في تجارة مالها ثم زوجا لها ، كما عرف برجاحة عقله ، وسلامة فكره ، وحسن منطقه وعدالة حكمه ، كما فعل في وضع الحجر الأسود ، من حيث قطع النزاع بين قريش ، بحكمه وعقله .. (٢)

٤- الدليل الرابع :

عدم رغبته في المنافع الذاتية ، والمطامع الخاصة ،

---

(١) أنظر منهاج المسلم : ص ٤١ لأبى بكر الجزائرى ط دار الشروق ١٤٠٢هـ
(٢) أنظر أصول الدين : ص ٣٠٤

مهما ضاق عليه الأمر وهذا الأمر يجلب عليه الشدائد ، وأكبر دليل على ذلك حين عرض عليه قومه المال والجاه وغيرهما ، على أن يترك دعوته ويرجع عن دينه ، رفض رفضا باتا ، وأصر على الاستمرار في أمره ، وقال لعمه أبي طالب قولته الخالدة . " ياعماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته (١) " وقد استمر على دعوته مع كثرة مالقي من قومه وغيرهم من أنواع الاذى ، وألوان المتاعب والمشقات ..

٥ - الدليل الخامس :

إقبال الناس على دعوته صلى الله عليه وسلم ، بإخلاص وطاعة دون منفعة دنيوية ، مع فقره وقلة أنصاره وضعفهم المادى ، في أول الدعوة ولا يملك أى وسيلة من وسائل الأمراء والملوك وهذا من أقوى الأدلة ، وأكثرها إقناعا على صدق رسالته صلى الله عليه وسلم :

٦ - الدليل السادس :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يعرف العلوم بأقسامها ، وبأنواع تخصصها ومع كونه أميا فإنه

---

(١) هذا الحديث ضعيف فقد رواه محمد بن اسحاق في المغازى وقد هذبها ابن هشام " سيرة ابن هشام " عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس وهو من ثقات التابعين توفي سنة ١٢٨ هـ وابن اسحاق متوفي سنة ١٥١ هـ فبين الراوى ومن روى عنه ثلاث وعشرون سنه "فالحديث معضل . انظر سيرة ابن هشام ١ / ٢٨٤ وتقريب التهذيب ٢ / ٣٧٦ والاعلام للزركلي ٦ / ٢٨ . وله شاهد باسناد حسن ونصه (ما أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك على أن تستشعلوا لى فيها شعلة) يعنى الشمس ، انظر سلسلة الاحاديث الصحيحة ١ / ١٣١ . وانظر الضعيفة والموضوعة للألباني / ٣١١ .

أتى بأشرف العلوم والحكمة الباهرة ، وعلم أمته جميع الأحكام الشرعية ، وأمور دنياهم وآخرتهم ، وأتم مكارم الأخلاق والفضائل العلمية والعملية ، ونور العالم بهدايته ودعوته إلى الإيمان والعمل الصالح. (١)

ولو ثبت أنه يعلم القراءة والكتابة لأشتهر ذلك بين قومه ، ولدونه أصحابه الذين لم يتركوا من أفعاله وأقواله شيئا إلا وقد كتبوه ، ولأذاعه أعداؤه ، ليكون ذلك طعنا في رسالته وقد حاولوا محاولات شديدة ، إطفاء رسالته مع كثرة عددهم وعدتهم ، وشدة شوكتهم فلم يقدروا على ذلك .. وذلك بعون إلهي ، وتأييد سماوى ، وآية كبيرة في إثبات رسالته صلى الله عليه وسلم. (٢)

٧- الدليل السابع :

تحقيقه الأمور التى لا تتحقق ولا تتم إلا في خلال سنين عديدة وبعوامل كثيرة ، لكنه حققها ، وأتمها على يديه في فترة محدودة ،كتوحيد الأمة العربية وجعلها كأسرة واحدة بعد أن كانوا متفرقين ، وتأليف قلوبهم ، كقلب رجل واحد ، بعد أن كانت العداوة بينهم مستمرة ، كحرب الأوس والخزرج ، وكقضائه على أديانهم المتوارثة منذ عدة قرون من آبائهم ، وأجدادهم وعلى أخلاقهم الجاهلية ، وعاداتهم القبيحة من النهب والسلب ، ووأد البنات ، والانغماس في اللذات والشهوات ، وما إلى ذلك . (٣) .

٨- الدليل الثامن :

إنّ العرب مشهورون بالعزة والكبر والحمية ، وغير ذلك من

---

(١) انظر حواشي العقائد : ١٨٩/١ .

(٢) انظر اظهار الحق : ٢١٣/٢ للشيخ رحمه الله الهندى تحقيق عمر الدسوقى

(٣) أنظر روح الدين الاسلامي : ص ٤٤٩ لعفيف طبارة ط ١٥ بيروت .

الأمور ، التي تمنعهم أن ينقاد بعضهم لبعض ،لقوة قلوبهم ومع ذلك كله أطاعوا الرسول صلى الله عليه وسلم . كل الطاعة حتى فضلوه على آبائهم وأبنائهم ،وخضعوا لأحكامه ،وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه . (١)

٩- الدليل التاسع :

جوهر الرسالة التي يحملها : من أمعن النظر في جوهر الرسالة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، بفهم ،وانصاف لعلم أنها اشتملت على الاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والآداب والأخلاق والحكم ،وعلى العدل والمرونة ، مما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان وموافقة للحق بلا مرية ولصالح الناس وسعادتهم في شتى مطالب حياتهم ، وأن صاحب هذه الرسالة رسول من عند الله الحكيم العليم . (٢)

---

(١) أنظر اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم : ص ١٧٠

(٢) انظر العقيدة الاسلامية وأسسها : ٢ / ٤٠ للشيخ عبد الرحمن الميداني الطبعة الأولى ١٢٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

المطلب الأول

" حاجة البشر إلى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم "

لو ترك الناس بلا عقيدة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، لكانوا يعيشون كالأنعام التى ليس لها هدف معين ، ولا غرض مطلوب إلا الأكل والشرب ، وتكون حياتهم حياة الفوضى والعبث .. وعلى ذلك ، فهم بحاجة شديدة إلى هداية الرسل ، لأن هدايتهم من هداية الله عز وجل الذى خلقهم ،وعلى لسان رسله ، يشرع لهم ماينفعهم في الدنيا والآخرة .. والعقل الذى وهبه الله للإنسان لا يستطيع أن يصل إلى العقيدة الصحيحة ،ولا إلى النواحي الاجتماعية الصحيحة إلا بالوحى الإلهى ، وكذلك الإنسان لا يستطيع أن يرتبط بغيره بعيدا عن الإنانية والجشع ،والطمع وغير ذلك إلا إذا سلك هذه التوجيهات التى جاء بها الرسل عليهم الصلاة والسلام ،وإذا ترك الناس وأهوائهم ، فإن النواحي الاجتماعية ستكون حسب الأهواء والمطامع ،كل يعمل في دائرة منفعته ومصلحته ،أما في غير ذلك ، فإنه لا يمكن أن يعمل ،ومن هنا فإنه يجب عليه أن يخضع لتعاليم الرسل الذين يبعدونه عن الأنانية ، وحب الذات ويدفعونه إلى محبة غيره ،ليعيش في حياة اجتماعية كريمة ، والمسلمون قد اهتدوا بهداية الله عز وجل عن طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذلك فالواجب عليهم الايمان بكل ماجاءوا به في العقيدة ، والتشريع والاجتماع وغير المسلمين يجب عليهم أن يهتدوا بمثل ما اهتدى به المسلمون .. ورسالة الرسل ،وبعثة الأنبياء ضرورية للعباد ، لاغنى لهم عنها وحاجاتهم إليها فوق حاجاتهم إلى كل شيء ،لأنهما روح العالم ونوره (١) ، وحياته .. وأى صلاح للعالم ،إذا فقد

---

(١) أنظر مختصر لوامع الانوار ص ٤٥٠ لابن سلوم ط ١٣٨٦ تحقيق محمد زهدى النجار .

الروح والحياة والنور[١].

ويجب العلم أن الشرائع السماوية قد حرفت ، واندرست قبل بعثة النبى عليه الصلاة والسلام ، لقدم عهدها وطول زمانها [٢] .. ونتيجة ذلك انحلت الأخلاق ، وكثرت المعبودات غيرالله عز وجل ، وانتشرت عوامل الشر والفساد والطغيان والجهل والانحراف ، ولم تكن حينئذ أمة صالحة ، ولا مجتمع قائم على الأخلاق والفضائل ، ولا حاكم قائم على العدل والرحمة ، ولا دين صحيح مأثور ، عن الأنبياء على وجه الأرض إلا قليل من المتمسكين ببقايا دين إبراهيم عليه السلام .

وكان من الضرورى ازاء هذه الفوضى والانحلال والانحطاط الدينى والخلقى أن يرسل الله رسولا ، ليخلص البشرية من الضلالات الفاسدة ، فبعث إليهم محمد رسول الله رحمة وانقاذا لهم ليرشدهم إلى أمور دينهم وآخرتهم وما ينفعهم وما يضرهم ، فرسالته صلى الله عليه وسلم أخرجت الناس من الظلمات إلى النور ، ومن شقائهم إلى سعادتهم ، وهذه سنة الله في خلقه ، كلما ضلت الأقوام ، وانحرفت الأمم ، يبعث الله اليهم الرسل ليجددوا ما اندرس من دينهم ، ويصلحوا ما فسد من أحوالهم[٣] ، حتى تقوم عليهم الحجة بالبينات وتنقطع عنهم سائر التعللات[٤] ، كما يقول الله تعالى : ﴿ رسلا مُبَشِّرِينَ ومُنذِرِينَ ، لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ[٥] ﴾ وأن لا يعذبهم حتى يرسل إليهم الرسل ، كما في قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا

---

(١) انظر مختصر لوامع الانوار ، ص ٤٠٥
(٢) انظر منحة القريب المجيب فى الرد على عباد الصليب ص ٤١ للشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر
(٣) انظر تذكرة المسلم ، ص ٩
(٤) مختصر لوامع الأنوار ، ص ٤٤٩
(٥) سورة النساء آيه (١٦٥)

مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (١) ولولا هؤلاء الرسل لما تحققت حكمة الله في خلقه إذ أنه خلقهم للعبادة والطاعة، وتحمل أمانة التكليف والابتلاء في هذه الحياة، وقد ختمت الرسالات الإلهية برسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سورة الاسراء : آية (١٥)

المطلب الثاني

" علو شأن الموحى اليه "

إنّ محمدا صلى الله عليه وسلم بعثه الله هدى ورحمة للعالمين وأرسل إليهم بالإحسان والرحمة لهم بلا عوض ، وهو أفضل الخلق وصاحب المقام المحمود ، واللواء المعقود ، وأول من يستفتح باب الجنة فيقول الخازن من أنت ؟ فيقول : أنا محمد ، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك) وأسعد الخلق وأعظمهم نعيما وأعلاهم درجة ، وبلغ الرسالة وأدى الامانة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد الله حق عبادته حتى أتاه اليقين) (١)

ونلاحظ أن بعض الناس جعلوا البطولة والعبقرية والرسالة من قبيل واحد فجعلوا محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا وبطلا ، وهؤلاء أبعد الناس عن تعاليم الدين الحنيف ، لأن هناك فرقا كبيرا بين البطولة والعبقرية والرسالة، فالبطولة والعبقرية باختيار الإنسان نفسه ، يستطيع أن يكون بطلا أو عبقريا ، حسب مقوماته الجسدية ومقدراته الذهنية أما الرسالة فلا اختيار للانسان فيها ، لأنها من الله عز وجل ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته هذا من جانب ، وجانب آخر ، أن البطل والعبقرى غير معصومين، بخلاف الرسول ، فانه معصوم ، لأن الله عز وجل خلصه من الشوائب السيئة ، وطهره من كل الآثام ، وجعله إنسانا كاملا ، معدا للهداية البشرية ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) الفتاوى لابن تيميه: ٢٧ / ٣٢٠ والحديث رواه الترمذى بنحوه - كتاب المناقب باب فضل النبى صلى الله عليه وسلم وقال هذا حديث غريب ولكن له شواهد .

وحده الذى تلقى الرسالة العامة الكاملة ، وحمل أعباءها التى تعجز عنها البشرية (١) ، والإنسان لا يستطيع الوصول إلى سعادته واستقامة أموره إلا باقتدائه برسول الله صلى الله عليه وسلم قدر الإمكان ، فهو صلى الله عليه وسلم المثل الكامل في الإنسانية ، ولا يستطيع غيره قط ، أن يصل إلى ماوصل اليه من الدرجة العالية ، لكن الإنسان يستطيع أن يتأسى به ، وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢) .

فرسول الله هو القدوة الحسنة الطيبة الصالحة الكاملة ، والناس يتأسون به في أخلاقه وفي أحواله وفي معاملته ، وفي عبادته وفي أكله وفي شربه وفي كل شيء يصدر عنه صغيرا كان أو كبيرا ، إلا في بعض الأمور الخاصة به كتعدد الزوجات أكثر من أربعة .

وإليك بعض الأدلة على علو شأنه صلى الله عليه وسلم على غيره من الرسل :

١- الدليل الأول: فهو كما له صلى الله عليه وسلم أصح الأنبياء والرسل مزاجا ، وأكملهم عقلا وجسدا ، وأصفاهم قلبا ، لأن الله اصطفاه بالوحي من خيرة خلقه للرسالة العامة ، والله عز وجل لا يصطفي بالوحي إلا أكمل الخلق ، حتى يمكن أن يلتقى الملك بالبشر وهو في أعلى مستوى من الكمال البشرى ، لذلك قدمه في الذكر في القرآن الكريم على غيره في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ (٣) ﴾ تنويها بشرفه ورفعة

---

(١) أنظر الإسلام في عصر العلم : ص ٩٠ - ٩١ محمد احمد الغمراوى ط السعادة بمصر ١٣٩٣ هـ .

(٢) سورة الاحزاب : آيه (٢١) .

(٣) سورة النساء : آيه (١٦٣) .

مكانته عند الله عز وجل وقد روى الترمزى بسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد ولدآدم يوم القيامة ، ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ، ولا فخر ، وما من نبى يومئذ ، آدم فمن سواه الا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، ولا فخر) (١) .

٢ - الدليل الثانى : الله لم يخاطبه باسمه الصريح: ففى القرآن لم يخاطبه الله باسمه الصريح الا اذا قرنه بذكر الرسالة (٢) فى قوله تعالى : " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل " (٣) وقوله " محمد رسول الله (٤) ".

وغالبا يخاطبه بكتابة النبوة والرسالة كما فى قوله تعالى : " يأيها النبى انا أرسلناك شهدا ومبشرا ونذيرا " (٥) .وقوله : يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك " (٦) . وغيرها من الآيات الكثيرة ، وهذه الكتابة تدل على رفعة مكانته صلى الله عليه وسلم وعلو شأنه وشرفه عند ربه عز وجل بينما غيره من الأنبياء يخاطبهم بأسمائهم ، كما فى قوله تعالى : " ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة " (٧) وقوله : " قال يموسى انى اصطفيتك على الناس برسلتى وبكلمى " (٨)وقوله " يعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك"(٩) وغيرهم من الأنبياء المذكورين فى القرآن الكريم .

٣ - الدليل الثالث : تحريم ندائه ومخاطبته باسمه الصريح على الناس : وذلك فى قوله تعالى : " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا " (١٠) قال ابن عباس فى هذه الآيه : " لا تقولوا يا محمد قولوا يارسول الله بينما الأمم السابقة يخاطبون أنبياءهم بأسمائهم الصريحة

---

(١) سنن الترمذى : ٢٤٧/٥ : أبواب المناقب باب ما جاء فى فضل النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : وهذا حديث حسن ط دار الفكر العربى .

(٢) انظر الوفا بأحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم : ٣٥٦/١ لابن الجوزى ط الحلبى

(٣) سورة آل عمران آيه ١٤٤ .

(٤) سورة الفتح آية ٢٩ .

(٥) سورة الأحزاب آية ٤٥ .

(٦) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٧) سورة الأعراف آية ١٩ .

(٨) سورة الأعراف آية ١٤٤.

(٩) سورة المائدة آية ١١٠.

(١٠) سورة النور آية ٦٣ .

فى قوله تعالى " يهود ما جئتنا ببينة " (١) قوله " قالوا يموسى أجعل لنا الها كما لهم آلهة "(٢) وقوله " يعسى ابن مريم هل يستطيع ربك " (٣) وغيرهم من الأنبياء المذكورين فى القرآن الكريم (٤) ·

الدليل الرابع : ... دفاع الله عنه سبحانه وتعالى:هو الذى يتولى الدفاع عنه حين اتهمه قومه بالجنون والسحر والشعر ، فقال عز وجل (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) (٥) وقوله : (وما علمنه الشعر وما ينبغى له) (٦) وغيرهما من الآيات ، بينما سائر الأنبياء هم الذين دافعوا عن أنفسهم ، فقال قوم نوح (انا لنرنك فى ضلل مبين) · فقال مدافعا عن نفسه (يقوم ليس بى ضلله (٧) وقال قوم هود (انا لنرنك فى سفاهة) فقال هود مدافعا عن نفسه : " ليس بى سفاهة " · (٨)

---

(١) سورة هود آية ٥٣

(٢) سورة الأعراف آية ١٣٨ ·

(٣) سورة المائدة آية ١١٢ ·

(٤) انظر دلائل النبوة ٧٦/١ للبيهقى الناشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة ·

(٥) سورة القلم : آية (٢) ·

(٦) سورة يس : آية (٦٩) ·

(٧) سورة الاعراف : آية (٦٠، ٦١)

(٨) سورة الاعراف : آية (٦٦، ٦٧)

٥ - الدليل الخامس : من علو شأنه صلى الله عليه وسلم أن الله غفر له ذنبه :فقد غفر الله عز وجل له بدون أن يكون له ذنب محدد كما حدث لبعض الأنبياء نظرا لمقامه العالي ، يقول الله تعالى : (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) (١) وفي آية أخرى بدأه بالعفو عنه قبل عتابه في قوله تعالى : (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكذبين) (٢)

أما غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد طلبوا منه المغفرة مع ذكرهم السبب ، كما في قوله تعالى عن موسى عليه السلام (فوكزه موسى فقضى عليه) الآية ، ثم " قال (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له) (٣) وقال في آدم : (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى) (٤).

٦ - الدليل السادس طاعة الله متلازمة مع طاعة رسوله والرسول مبلغ عن ربه : فقد قرن الله عز وجل اسمه باسم الرسول صلى الله عليه وسلم في الطاعة ، وفرض طاعته فرضا مطلقا ، يقول الله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) (٥) وقوله : (ان الذين يؤذون الله ورسوله) (٦) وقوله : (وما آتكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا) (٧) .

---

(١) سورة الفتح : آية (٢)
(٢) سورة التوبة : آية (٤٣)
(٣) سورة القصص : آية (١٥-١٦)
(٤) سورة طه : آية (١٢١ ، ١٢٢)
(٥) سورة النساء : آية (٥٩)
(٦) سورة الأحزاب : آية (٥٧)
(٧) سورة الحشر : آية (٧)

٧ _ الدليل السابع : أخذ الميثاق على الانبياء والرسل بالايمان به ونصرته : إنّ الله عز وجل أخذ الميثاق على جميع الأنبياء والرسل ، بأن يؤمنوا به وينصروه إن أدركوه (١) ، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ (٢) ،

روى الإمام أحمد في مسنده (عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب ، أتى النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فقرأه على النبى صلى الله عليه وسلم قال : فغضب وقال : أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذى نفس بيده ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء ، فيخبروكم بحق ، فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه ، والذى نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى) (٣)

٨ _ الدليل الثامن : فقد اوجب الله كمال محبة الرسول وشرط في الايمان على الوالد والولد والنفس ، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) (٤) .

---

(١) انظر دلائل النبوة : ٨/١ .

(٢) سورة آل عمران : آية (٨١) .

(٣) مسند الامام أحمد ٣٨٧/٢ الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، المكتب الاسلامى وتفسير ابن كثير ٤٦٧/٢ المكتبة الشعبية ومجمع الزوائد ١٦٣/١ ، ١٧٤ وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح الا أن فيه جابر (الجعفى ، وهو ضعيف ، وله شواهد الطبعة الثالثة دار الكتاب العربى

(٤) صحيح البخارى ١٢/١ كتاب الايمان ، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الايمان .

٩ ـ الدليل التاسع : فضل الأمة الاسلامية على من سواها من الامم : فضل أمته على سائر أمم الأنبياء السابقين في قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (١)

١٠ ـ الدليل العاشر : عموم رسالته

إن رسالته صلى الله عليه وسلم عامة لكل الثقلين " الإنس والجن " على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وعاداتهم ، وكافرهم ومؤمنهم في كل زمان ومكان ، لأنه آخر الأنبياء والمرسلين (٢) ، فليس بعد هذا الرسول ، رسول وليس بعد هذا القرآن قرآن ، وليس بعد الدين الإسلامي دين ، فمن إدّعى النبوة ، أو الرسالة بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر ، يقول عز وجل ﴿ ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ (٣) والآية اكتفت بذكر ختم النبوة فقط ، دون الرسالة لأن الرسول لا يكون رسولا إلا إذا نزل عليه الوحي ، والنبى معناه المنبأ من قبل الله عز وجل ، فإذا انتفت النبوة انتفت الرسالة ، ومعلوم أن كل نبى أرسل بالهداية حتى تمت تلك الهداية بالبعثة المحمدية . روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى ، كمثل رجل بنى بيتا ، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) . (٤) وبه أكمل الدين وتمت الشريعة أصولها

---

(١) سورة آل عمران : آية (١١٠)

(٢) أنظر الوفا بأحوال المصطفي ١ / ١٨٥ ، ٣٧٦

(٣) سورة الاحزاب : آية (٤٠)

(٤) صحيح البخارى : ٤ / ٢٢٦ : كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين وصحيح مسلم بشرح النووى ، ١٥ / ٥٠ كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

وفروعها ، يقول الله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلم دينا) (١).

١١ - الدليل الحادي عشر : فضله على سائر الأنبياء والرسل
لقد فضل الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء والرسل يقول الله تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات) (٢) والمقصود من قوله / منهم من كلم الله " رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الصحيح (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر)(٣)
فان قيل : هذا يتعارض مع قوله صلى الله عليه وسلم : لا تخيروني على موسى فان الناس ، يصعقون يوم القيامة ، فأكون في أول من يفيق ، فاذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري ، أكان موسى ، فيمن صعق قبلي ، أو كان ممن استثنى الله) (٤) أجيب عنه بأن له سببين .

أ - السبب الأول : بينما يهودي يعرض سلعة ، أعطى بها شيئا كرهه فقال : لا والذي اصطفى موسى على البشر .

ب - السبب الثاني : كان بين رجل من اليهود وبين رجل من الصحابة كلام في شيء ، فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على البشر فلما سمعه الصحابي لطمه عقوبة له على كذبه عنده ، لما

---

(١) سورة المائدة : آية (٣)
(٢) سورة البقرة : آية (٢٥٣)
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : ٣٧/١٥ : كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
(٤) صحيح البخاري : ١٣٤/٨ : كتاب الرقاق ، باب نفخ الصور .

فهم أن البشر يدخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعرف أنه أفضل الخلق .

والسبب الأول : رواية عبد الله بن الفضل وقال : ان الذى لطمه رجل من الأنصار ، وقال : أتقول هذا ورسول الله بين أظهرنا
والسبب الثانى : رواية عمرو بن دينار وقال ان الذى لطمه أبو بكر الصديق ، الا اذا كان المراد بالانصار المعنى الأعم هو مقدمهم وسابقهم وأكبرهم . (١)

(فان قيل : فما الجمع بين هذه الآية وبين هذا الحديث الصحيح ؟
فالجواب من وجوه :
أحدها : أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل ، وفى هذا نظر
الثانى : أن هذا قاله من باب هضم النفس والتواضع .
الثالث : أن هذا نهى عن التفضيل فى مثل هذه الحال التى تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر .
الرابع : لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية .
الخامس : ليس مقام التفضيل اليكم وانما الى الله عز وجل وعليكم الأنقياد والتسليم له والايمان به) (٢) .

---

(١) انظر فتح البارى : ٦/٤٤٣ وما بعدها .
(٢) انظر تفسير ابن كثير : ١/٣٠٤ .
(٣) صحيح البخارى : ٢/٢٧٠ كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين .

والجواب : نزول عيسى عليه السلام من أمارات الساعة الكبرى ، فالثابت أنه سينزل قبل قيام الساعة ، ويحكم الأرض ، لكنه لم يأت بنبوة ولا برسالة جديدة ، وانما هو تابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم بشريعته ويقرر ويؤكد أنها شريعة صحيحة ، فكأنه من أمته صلى الله عليه وسلم (١) وقد ختمت الرسالات السابقة بالرسالة المحمدية لأن شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم بينه شاملة ، يأخذ منها الانسان في أي وقت وفي أي مكان ما شاء مما يسد حاجاته ، وأكبر دليل على ذلك أنها أعطيت حكمها في كل المشكلات العديدة التي لا حصر لها ، وشملت سائر ما يتعلق بشئون المسلمين في حياتهم من عصر النبوة الى عصرنا هذا . (٢)

١٢ - الدليل الثاني عشر : حفظ السماء من استراق السمع ببعثته كان الشياطين يصعدون الى السماء الدنيا ليسترقوا السمع ، ثم يلقونه على أوليائهم ، فلما بعثه الله عز وجل حرس الله السموات بالملائكة ، ورموا الشياطين بالشهب ، منعا من قربهم من السماء ، وذلك لعظيم شرفه ورفعة مكانته . **ويدل عليه قوله تعالى : " وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا . (٣)**

١٣ - الدليل الثالث عشر : قبض روحه صلى الله عليه وسلم باذنه : فملك الموت لم يقبض روحه الطاهرة الا باذنه ، فهو قد خيره بين أن يموت ميتا طيبا ، أو يحي حياة لا هرم فيها ، فاختار صلى الله عليه وسلم الموت (٤) ويشهد على ذلك ما رواه البخاري (٤) بسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : (كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى حتى يخير بين الدنيا والآخرة ، فسمعت

---

(١) انظر أصول الدين : ص ٣٣٤ . د. رشدي عليان الطبعة الاول .

(٢) انظر مبادئ الاسلام : ص ٦٠ لابي الاعلى المودودي / بيروت .

(٣) سورة الجن آية ٨ ، ٩

(٤) أنظر منهاج الطالبين : ٣٥٦/٢ وما بعدها .

(٥) صحيح البخاري : ٩٢/٣ كتاب المغازي ، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم .

النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه ، وأخذته بحة(١) ، يقول : ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾(٢) الآية فظننت أنه خير) ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ذلك العبد ما عند الله ، قال : فبكى أبو بكر ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا")(٣) الخ .

١٤- الدليل الرابع عشر : شهرته في السماء والأرض ؛ حيث يذكر اسمه مع اسم الجلالة في الشهادة وفي التشهد ، وفي الخطب ، وفي الآذان ، وفي مفاتيح الرسائل وعند نهايتها .(٤)

١٥- الدليل الخامس عشر : عدم انزال العذاب على أمته في الدنيا ؛ ما دام الرسول صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، ويستغفرون ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿[illegible] مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ بخلاف غيره من الأنبياء فقد أهلك الله أممهم في وجودهم(٥).

١٦- الدليل السادس عشر : ما يدل على علو شأنه .

الإسراء والمعراج ، وهذا أكبر دليل على علو مكانته وأفضليته عند الله عز وجل يقول الله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾(٦)

---

(١) بحة : بضم الباء ، ومعناها غلظة في الصوت ، النهاية في غريب الحديث ١/ ٨٨ .

(٢) سورة النساء : آية (٦٩)

(٣) صحيح البخاري : ٢/ ٢٨٩ : كتاب الفضائل ، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر .

(٤) انظر الفخر الرازي : ٣٢/ ٥

(٥) سورة الأنفال : آية (٣٣)

(٦) سورة الاسراء : آية (١)

١٧- الدليل السابع عشر : الشفاعة العظمى يوم القيامة ، إذ لا يستطيع أى نبي غيره أن يتقدم إلى تلك الشفاعة ، يدل عليه ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم في دعوة ، فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ، وقال : (أنا سيد القوم يوم القيامة ، هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس ، فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم ، إلى ربكم ، فيقول بعض الناس أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة بالسجود ، فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ألا تشفع إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ وما بلغنا ؟ .. فيقول : ربى غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، ونهانى عن الشجرة فعصيت) نفسي نفسي إذهبوا إلى غيرى إذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحا ، فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبدا شكورا ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، نفسى نفسي ، ائتوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فيأتوني فأسجد تحت العرش ، فيقال : يا محمد إرفع رأسك ، واشفع وسل تعطه) (١)

---

(١) صحيح البخارى : ٢ / ٢٣٠ : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه﴾

المطلب الثالث

" علو شأن الموحي بـه "

استنادا على ماسبق ذكره من أدلة علو الشأن الموحي إليه ، اقتضت الضرورة أن يكون الكتاب المنزل عليه عظيم الشأن ، عالي المنزلة ، من بين سائر الكتب السماوية ، وهو القرآن الكريم الذى أنزل على أفضل الأنبياء والرسل وخاتمهم ، " محمد صلى الله عليه وسلم " هداية ودستورا للناس عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، وهو كتاب " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه " ، ولم يبلغ أى كتاب دينى أو دنيوى مابلغه من روعة بيانه ، وبلاغة تركيبه وأسره للقلوب ، وقوة اقناعه وتأثيره على النفوس حتى يقول الوليد بن المغيرة أحد خصوم الرسول صلى الله عليه وسلم حين سمعه يتلو آية من آياته :" والله لقد سمعت من محمد كلاما ماهو من كلام الإنس والجن وإنّ له لحلاوة ، وإنّ عليه لطلاوة (١) ، وإنّ أعلاه لمثمر ، وإنّ أسفله لمغدق " (٢) ويلاحظ الوليد ملاحظة صادقة هي أن القرآن لا يماثل كلام الإنس ولا كلام الجن ، الذى انقطعت آمال العرب دونه في محاكاته أو الاتيان بشيء منه .

بعض الأدلة على علو شأن الموحي به ..

١- الدليل الأول :

إنّ القرآن الكريم له تأثير وسلطان كبير على قلوب الثقلين ،

---

(١) طلاوة : بضم الطاء ، وقد تفتح ومعناها الرونق والحسن ، النهاية ٣/١٣٧ .

(٢) غدق : الغدق بفتح الدال المطر الكبار القطر ومنه مغدق ، النهاية ٣/٣٤٥ ، وانظر تفسير الكشاف ، ٤/١٧٣ .

وولايته المطلقة على مداركهم وأحاسيسهم ، وجاذبيته المضيئة لقلوب المهتدين والجاحدين جميعا ، مثال ذلك ماحدث للجن حين سمعوا القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد اهتزوا لسماعه ، حتى آمنوا به ، يقول الله تعالى :(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ، فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ، فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا)(١) وروى عن الحارث الأعور قال :(مررت في المسجد ، فإذا الناس يخوضون في الأحاديث قد خلت على عليّ ، فقلت : ياأمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال : أو قد فعلوا ؟ قلت : نعم قال : أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخير مابعدكم ، وحكم مابينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره ، أضله الله ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق (٢) عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه،هو الذى لم تنته الجن ، إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى إلى الرشد ، فآمنا به ، من قال به صدق ، من عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ،
خذها إليك ياأعور.) (٣)

---

(١) سورة الجن : آية (١-٢)
(٢) تقول : خلق الثوب ، (كنصر وكرم وسمع) خلوقة بفتح الخاء وخلقا محركة ، بمعنى بلى ، القاموس المحيط ، مادة خ . ل . ق
(٣) سنن الترمذى : ٤/ ٢٤٦ : أبواب فضائل القرآن ، باب ماجاء في فضل القرآن ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات واسناده مجهول وفي حديث الحارث مقال : أقول لكن الوصف صادق على القرآن .

وكذلك ما حدث للوليد بن المغيرة ، حين سمع بعض آياته من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال : (ما هو بقول البشر) وقد وصل تأثيره وسلطانه على النفوس بحيث وصل به المسلمون إلى قمة التضحية في سبيل نشره بالمال والنفس ، إيمانا به ويقينا بسلطانه ، بينما الكتب الأخرى ، قد يكون لها سلطان على المشاعر ، وجاذبيته على النفوس ، لكنها لم تصل أبدا إلى هذه الدرجة العالية ، التي وصل إليها القرآن الكريم والواقع خير شاهد على ما أقول .

٢- الدليل الثاني : على علو شأن الموحى به :

ثبوته وصموده منذ نزوله إلى أن تقوم الساعة ، فقد بذل الكفار وأعداء الإسلام جميع وسائل المنع في عدم نشره ، بل محوه من وجه الأرض فلم تزده تلك المحاولة ، وذلك البذل إلا كثرة الداخلين فيه بعد تأكدهم بأنه كتاب سماوي ، أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة وهداية ، للبشر ، ونشره في الآفاق ، وتمسك المسلمون به ، وهؤلاء الأعداء جميعا ذلوا أمام صلابة الحق في القرآن وذهلوا عندما عجز المال والسلاح ومختلف مخططاتهم وهجماتهم عن النيل من إيمان أهل القرآن .(1)

٣- الدليل الثالث :

أنه مصدق للكتب السابقة ومهيمن عليها فما وافقه من قضاياه فهو حق وما خالفه فهو باطل وشاهد عليها بالصدق عند الإتفاق ومصحح لها عند الاختلاف ، وليس المقصود من المخالفة هنا هو أن تذكر التوراة أمورا لم يذكرها القرآن ، وإنما المقصود منها

---

(1) انظر أسرار ترتيب القرآن ، ص ١٠
الطبعة الاولى : ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م دار الاعتصام .

أن يكون الامران متناقضين في الكتابين (١) بقوله تعالى : ﴿ وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه (٢) والمقصود من الكتاب الاول هو القرآن الكريم بدليل ضمير الخطاب وعبر بالكتاب للتنبيه والتنويه على أنه هو الكتاب الذى لا يساويه ولا يدانيه من الكتب المنزلة غيره وقوله : مهيمنا عليه فيه أقوال :

أ - عن ابن عباس ، قال : مؤتمنا عليه .

ب - قال على بن ابى طلحة : المهيمن ، الأمين اى القرآن آمين على كل كتاب قبله وهذا ما ذهب اليه الأكثرون مثل عكرمة ، وسعيد بن جبير ومجاهد وقتاده والحسن وغيرهم .

جـ - مهيمنا أى شهيدا ، وهذا ما ذهب اليه السدى وغيره .

د - قال العوفي مهيمنا أى حاكما على ما قبله من الكتب .

وهذه الأقوال غير متعارضة فإنّ اسم المهيمن يشتمل على هذا كله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله ، وقد جعل الله هذا الكتاب الذى أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره ولهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها (٣) قال الرازى في تفسيره : إنما كان القرآن مهيمنا على الكتب السابقة لكونه لا يأتى عليه النسخ أبدا ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف والزيادة والنقصان . (٤)

٤- الدليل الرابع :

إنه كتاب حضارة تختلف عن جميع الحضارات بكونها لا تختلف فيها أمة ولا جنس ومقنع للبشر جميعا بعظيم منافعه ، فلا عنصرية ولا عصبية ولا استمساك بالذات ، فالأمة الاسلامية تأمر بالخير وتنهى

---

(١) أنظر الاسلام في عصر العلم : بتصرف ص١٤٧ -١٤٩ للدكتور محمد احمد الغمراوى .

(٢) سورة المائدة : آية (٤٨)

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٦٥

(٤) انظر تفسير الفخر الرازى ١٨ / ١٢ بيروت ١٤٠١ هـ .

عن المنكر وتأمر بالحق والعدل ، وبحفظ الكرامة وعدم الامتهان وتمقت الظلم والظالمين وغير ذلك من النواهي ، وتكشف دساتير الحضارة التي فيها أشياء كثيرة تخالف الشريعة المحمدية وحضارتها سريعة الانتشار والتأصل ، بينما غيرها من الحضارات لا تصل إلى أهدافها بصلاحيتها لعدم إلمامها بكل دساتيرها أو تقصيرها ، ولهذا كان دستورا حضاريا عمليا تطبيقيا عن طريق الحفظ والدرس والتلاوة الواعية والتطبيق السلوكي الدقيق .

أمر الله عز وجل المؤمنين أن يبدءوا بأنفسهم وأهليهم في تنفيذ وتطبيق الأوامر الإلهية قبل أن يأمروا بتطبيقها غيرهم كما أمر الله عز وجل بتدبره وفهم معانيه وأهدافه وحكمه يقول الله تعالى ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ (١) وقد ورد في الأثر الصحيح عن الذين كانوا يقرءون القرآن ، كعثمان بن عفان ، وعبدالله ابن مسعود وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا (٢) ، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة ، ولم يؤثر خلاف بين الصحابة على معاني القرآن إلا نادرا ، ولم يهرب المذنبون منهم من الحدود القائمة لهم بل بادروا إلى تنفيذ الحكم عليهم تطهيرا لذنوبهم وخوفا من عقاب الله يوم القيامة ، حتى وصل هذا التطهير إلى حد الموت بالرجم

---

(١) سورة ص : آية (٢٩)

(٢) مستدرك الحاكم ١ / ٥٥٧ ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى ، وانظر الفتح الربانى ١٨ / ٩ ، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في قراءة القرآن بأجر ، أو تعليمه بأجر

عليهم مثلا ، وماكان ذلك إلا أنهم قد وصلوا إلى درجة من الوعى القرآني الكامل التي لم يصل إليها واضعوا الدساتير الأرضية وتلك عظيمة لا تؤخذ بالقوة والسلطة وإنما تؤخذ بالإيمان واليقين ولا توجد في غير القرآن من الكتب والحضارات .

٥- الدليل الخامس :

إجماع أهله بكونه حجة في كل زمان ومكان وهذه الصفة خاصة فقط لأمة القرآن ، وذلك لعلو دستورها ورفعة مكانته وشأنه .

وقد اكتسبوا هذه الصفة من القرآن ، فلو لم يكن مهيمنا على جميع الكتب السابقة ، ورسوله شاهد على شهداء الأمم لما كان لأهله تلك الصفة . (١)

٦- الدليل السادس :

إعجازه العلمى بحيث لا تستطيع البشرية معارضته من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة لقوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٢) وإذا كان العرب الذين نزل القرآن بلغتهم قد عجزوا عن الاتيان بمثله أو أقصر سورة من سوره ، فغيرهم من باب أولى ، لن يستطيع الإتيان بمثله أو بأقصر سورة منه ، ولقد خاض العلماء في وجوه إعجازه خوضا كبيرا حتى انهى بعضهم وجوه اعجازه إلى ثمانين وجها والصواب أنّه لا نهاية لوجوه اعجازه . (٣)

٧- الدليل السابع :

حفظه من التبديل والتحريف فقد تكفل الله عز وجل بحفظه من عوامل التبديل والتحريف والزيادة والنقصان وأن يأتيه الباطل

---

(١) انظر أسرار ترتيب القرآن ، ص ١٠ إلى ١٣

(٢) سورة الإسراء : آية (٨٨)

(٣) انظر معترك الأقران في إعجاز القرآن : ١ / ٣ (لجلال الدين السيوطي) دار الفكر العربى ، بيروت - تحقيق : على محمد البجاوى

من بين يديه ولا من خلفه حتى يرث الله الأرض ومن عليها يقول الله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) وكيف يقع عليه التحريف والتبديل قصدا أو غفوة منذ نزوله، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظه عن ظهر قلب، وكثير من أصحابه .. وكلما تنزل عليه الآية أو الآيات يتلوها ساعة نزولها على المحيطين به ويستمع لهم ليطمئن على دقة حفظهم ويأمرهم بأن يعلم بعضهم بعضا، كما يأمر كتاب الوحي بتدوينه كلما ينزل عليه الوحي بعد حفظه له.

ثم توالت عناية الله به في زمن عبد الملك بن مروان بوضع نقط للكلمات ثم تأليف قواعد النحو وكتب اللغة والأدب والقواميس التي حفظت اللغة العربية منذ نزوله حتى اليوم(٢)، ومن عناية الله به بذل العلماء جهودهم لفهم آياته ومعانيه وكثرت وتنوعت الكتب المؤلفة حول القرآن على حسب أذواقهم وميولهم، وأفهامهم ومعارفهم وحفظه الناس في كل جيل، وهكذا توافرت الدواعي والأسباب، لحفظ القرآن وصيانته فقد حفظه بالمشافهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع كبير من الصحابة ورواه عنهم جمع عظيم، ثم حفظته في الصدور، الجموع الكثيرة المتعاقبة وتناقلته ثقات الأمة مكتوبا في السطور كما أنزل، والنقل بهذا التواتر القطعي خصوصية لهذا الكتاب بينما غيره من الكتب السابقة نقلت نقلا آحاديا - وهكذا حفظ الله تعالى كتابه العزيز منذ نزوله إلى قيام الساعة على الرغم من محاولات أعداء الإسلام تحريفه وتبديله وإنفاق الأموال الطائلة في سبيل القضاء عليه، ومع ذلك

---

(١) سورة الحجر : آية (٩)
(٢) انظر الاسلام في عصر العلم ص ١٤٥ - ١٤٦

لم يستطيعوا تبديل أو تحريف حرف واحد من حروفه ، وكيف يستطيعون ذلك ، وهو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم العظمى التى ليست كسائر المعجزات حيث كانت في وقت محدد ثم انقضت بعد وفاة الأنبياء الذين أتوا بها فلم يعد لها وجود بعد ذلك إلا أخبارها الموجودة في القرآن الكريم أما هو ، فقد أراد الله لها البقاء والخلود مابقيت الدنيا لتتعلمها الأجيال وتدارسها الأقوام في أى زمان ومكان ويأخذوا منها أمور حياتهم الدنيوية والآخروية . وصدق الله العظيم حين يقول : ﴿إِنَّا نَحنُ نَزَلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحفِظُونَ﴾ (١)

---

(١) سورة الحجر : آية (٩)

المبادىء العقدية والاجتماعية في المبحث الأول :

١- ثبت بالأدلة العقلية والنقلية حاجة الناس إلى الرسالة المحمدية وأن الإيمان بها واجب ، وأنها كفيلة بتحقيق السعادة الدنيوية والأخروية وأن الشرائع السماوية ، قد نسخت بهذه الرسالة ، وجاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم مهيمنة على سائر الرسالات السابقة .

٢- الناس عاجزون عن التشريع لأنفسهم ، لما يسبقهم من هوى نفوسهم لتشريع ما فيه منفعتهم ، ومن هنا كان الخضوع للتشريع الإلهى ملزما لأن الخالق - جل وعلا - هو الذى يعلم ما فيه منفعة المخلوق دينيا واجتماعيا .

٣- معجزات الرسول - صلى الله عليه وسلم - الحسية كثيرة جدا ، ولكن المعجزة الكبرى هي المعجزة العقلية الخالدة ، وهي القرآن الكريم ، ولذلك كان دستور الأمة الإسلامية ، وبالاستناد إلي الأدلة اليقينية علمنا أن القرآن هاد للتى هي أقوم ، وكفيل بإصلاح شئون الناس أفرادا وجماعات ، وأنه الكتاب الذى عجز الإنس والجن عن الاتيان بأقصر سورة منه ، وذلك لما فيه من اعجاز نفسي وتشريعى وتنوع الهدايات في العقيدة والسلوك وأنه أخذ بيد الأمة الإسلامية في الصدر الأول إلى أرقي ما يصل إليه الأفراد والجماعات ، ولو أن الأمة الإسلامية عادت إليه ، لصارت مثل ما كان عليه سلفها من رقي وحضارة .

٤- ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - مع كونه بشرا فإنه سيد ولد آدم يوم القيامة ، وقد أعطاه الله مزايا لم تكن لغيره من الأنبياء والرسل ، وأنه رحمة الله للعالمين ، وأنه المثل الكامل للإنسانية ، ولذلك كان قدوة حسنة للناس أجمعين .

المبحث الثاني

الوَحدانيّة

ويتكون من المطالب الآتية :

المطلب الأول : أدلة الوحدانية العقلية والنقلية . ومنها :

الدليل الأول : إبداع السموات والأرض على غير مثال سابق .

الدليل الثاني : سلطان الله سبحانه على الكون .

الدليل الثالث : تنوع الخلق إلى أمم متعددة .

الدليل الرابع : الله ليس كمثله شيء .

الدليل الخامس : الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر .

المطلب الثاني : وحدة الألوهية ووحدة الربوبية .

المبحث الثاني : الوحدانيـــــة

يجب على كل مسلم ومسلمة أن يؤمن بوحدانية الله وأن يتجنـــــب الشرك وأنواعه ويجب عليه مقاومته والقضاء عليه .

والشرك هو صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى كالذبــــــح لغيره .

ومن يشرك بالله تعالى يحبط أعماله : يقول الله تعالى : ﴿ وَلَـوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

ويحرم عليه دخول الجنة ، ويخلد في النار ، بدليل قوله تعالـــى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الأنعام : آية (٨٨)
(٢) سورة المائدة : آية (٧٢)

قال تعالى :

(فَاطِرُ السَّمَوَٰتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَٰمِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ)(١)

(١) الآيه : (١١)

الدليل الأول

"إبداع السموات والأرض على غير مثال سابق"

الإبداع : (هو تكوين الشيء من غير احتذاء ولا اقتداء وبالنسبة لله عز وجل هو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة، ولا زمان ولا مكان) (١) ، فهو عز وجل بديع السموات والأرض أى خالقهما ومنشئهما ومحدثهما على غير مثال سابق ، ويقال لمن أتى في فن من الفنون بطريقة لم يسبقه فيها أحد ، إنه أبدع فيه (٢) . كما يقال لمن خالف أهل السنة والجماعة مبتدع ، لأنه أتى في دين الإسلام مالم يسبقه إليه الصحابة والتابعون رضى الله عنهم. (٣)

والذى ابتدع السموات والأرض من غير أصل وعلى غير مثال سابق هو الذى ابتدع كل شيء في الكون ، ومن غير ممانعة ، ولا مدافعة ولا معاناة ولا تجربة ولا فكر (٤) ، إذا الله عز وجل يبدع الأشياء بمحض إرادته وبقوله (كن فيكون) ، وهي كلمة تدل على سرعة نفاذ قدرته عز وجل (٥) (والله سبحانه وتعالى أبدع خلق السماء من حيث جعل سعتها لا يستطيع البصر أن يمتد إليها ، وسعتها التى عرفها العلم الحديث اليوم ، لم تخطر على قلب بشر في العصر الذى نزل به القرآن ، بحيث يقطع الضوء في الثانية (١٨٦) ألف ميل أو (٣٠٠) ألف كيلو متر أى أنه يقطع في الدقيقة (١١) مليون و ١١٦٠ ألف ميل) .

---

(١) المفردات : ص ٣٨
(٢) الفخر الرازى : ١١٨/١٢
(٣) تفسير النسفي : ٧١/١
(٤) انظر تفسير الطبرى : ٥٠٨/١
(٥) انظر الفخر الرازى : ٢٨/٤

وهناك أقرب نجم إلى الأرض يبعد عنها أربع سنوات ضوئية ،(١) ومنها مايبعد عنا ١٤ سنة ضوئية ، ومنها مايبعد عنا ٣٠ سنة ضوئية ومنها مايبعد عنا ٥٠ سنة ضوئية ، ووراء ذلك نجوم تبعد عنا ألف سنة ضوئية) (٢) (ومن بديع خلقه أن جعل الله لون السماء أزرق يميل الى لون الخضرة وهو من أحسن الألوان وأشدها موافقة للنظر ، بحيث لا يضر البصر بطول النظر إليها) (٣) .

(كما أن الله تعالى أبدع خلق الأرض بأن جعلها السيارة الوحيدة الصالحة للحياة ، بما خصها الله به من كثافة ، وجاذبية ، وحركة وهواء ، وماء وغير ذلك من أسباب الحياة ، فقربها من الشمس ، معتدل ، والحرارة التى تصل إليها معتدلة وكثافتها تفوق كثافة كل السيارات حتى الشمس وجاذبيتها معتدلة ، ودورتها اليومية معتدلة وكافية لإحداث نهار وليل ، معتدلين صالحين للسعى والراحة ، ودورتها السنوية معقولة وكافية لإحداث فصول معتدلة صالحة لأرواء الزروع وانضاجها ، وهي تمتاز بالماء والهواء الصالحين للحياة) (٤) ، كما أنه من بديع خلقه أن جعلها الله عز وجل ساكنة وثابتة غير متحركة ولا مضطربة ، لينبت النبات والزرع ، ولتستقر الأمتعة عليها ، وليتمكن الحيوان ، والإنسان من العيش عليها ، وجعل يبسها ولينها متوازنا لتتهيأ عليها جميع مصالح الخلق ، فلو كانت شديدة اللين لما تمكن أحد من المشى عليها ، كما كانت شديدة اليبس كالحجر ، لما أمكن الزرع عليها . (٥)

---

(١) متى قيل لنا أن نجما يبعد عنا سنة ضوئية فهمنا أنه يبعد عنا ستة ملايين ميل .

(٢) قصة الايمان : ص ٣٠٤ -٣٠٥ .

(٣) مفتاح دار السعادة : ١/ ٢٠٧

(٤) قصة الايمان : ص ٣١٧ - ٣١٨ للشيخ نديم الجسر - ١٢٨٩ هـ المكتب الاسلامى لابن القيم مكتبة الرياض الحديثة .

(٥) انظر مفتاح دار السعادة : ١ / ٢١٧ - ٢١٨

(والإنسان كلما تأمل وتدبر في خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات ، ويزداد فيهما نظرا وتفكرا ، يظهر له من أسرارهما وعجائبهما ما لم يكن يعلم ولا يظن ، ويظهر من منافعهما ما لم يكن يتخيل ويتوهم) .[1]

فسبحان خالق هذا الكون ومبدعه .

.. .. ..

(١) تفسير المنار : ٢٣٧/١١ . (محمد رشيد رضا)
الطبعة الثانية ١٢٩٢ هـ - ١٩٧٣ م طبع بالاوفست .

قال تعالى :

(لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ) .

(١) الآية (٤)

الدليل الثانــــي

" سلطان الله سبحانه وتعالى على الكون"

أبـدع الله السموات والأرض على غيــر مثال سابق ، وأتقن خلقهما ، وما فيهما من المخلوقات ، أردف بعد ذلـك أن كل شيء يجرى في الكون تحت سلطانه عز وجل وإرادته ، لأن الخالـق هو وحده صاحب السلطان الكامل والتصرف التام في خلقه ، وما ســواه لا يملك السلطان إلا بإذنه تعالى ، لذلك من اعتقد أن سلطان القائـد على جنوده وغيره ناشئ عن قوته وشجاعته دون أن يعتقد أن اللــه تعالى أعطاه هذا السلطان نعمة عليه منه ، فإنه يأثم إثما كبيرا بذلـك الاعتقاد .. وبالتالى يكفر إن أصر على ذلك . ومظاهر هذا السلطان في الكون متعددة ومتنوعة منها أنه سبحانه أجرى السفن في البحـر وهى ثقيلة محملة بالركاب وأمتعتهم وبضائعهم وأكثر آلاتها من الحديد ، ومع ذلك لا ترسب تحت الماء وهذا دليل واضح على سلطانه تعالى، كما أن هذه السفن من صنع البشر، لكـن الله عز وجل هو الذى خلق آلاتها وخلق الرياح التى سخرها لإجرائهـا ولولاها لم تبق السفينة ، ولم تسلم في قوة البحر وسلطانه إذا هـاج وعظم الهول فيه ، ولم تصل إلى الشاطئ ، ولم تخلص من حيوانات عظيمة في البحر[1] التى لا تعد ولا تحصى، وأشكالها مختلفة ، وأنواعها كثيرة جدا . ولم ينج ركاب السفينة التى تنزل على ظهر الحيوان الذى حجمه كالجبل وظهره كالجزيــرة ..

---

(١) انظر الفخر الرازى : ٢١٨/٤ .

وكل هذه الأدلة تدل على سلطان الله تعالى[1] ، كما أنه من أدلة سلطانه عدم سقوط الطائر حين يطير، فهو يبسط جناحيه مرة ويقبضهما مرة اخرى وهذا يدل على أن الممسك له حين يطير هو الله تعالى [2] ، وكما لا يخفي على العاقل أن أحدا لا يستطيع أن يرفع الشيء الثقيل كالحديد أكثر من ساعة إلا إذا أسنده إلى شيء آخر، ومع ذلك ترى سلطانه تعالى يتجلى على الطائرة التي صنعت أدواتها من الحديد ، وتطير في السماء أكثر من ساعة بإمساكه تعالى لها . وهذا الإمساك يحصل بقوة الجاذبية [3] التي خلقت بقدرة الله تعالى وسلطانه .

ومن أدلة سلطانه عز وجل (البحر المالح والبحر العذب يلتقيان في ممر مائي واحد ، ورغم التقائهما في هذا الممر لم تختلط مياههما[4]) بوجود الحاجز بينهما ، وهذا الحاجز لا يرى ولا يلمس ، يقول وحيد خان في كتابه[5] إنّ المراد بالبرزخ في قوله تعالى :(مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ) هو الخط السطحي الذي يوجد في المائين والذي يفصل أحدهما عن الآخر[6].

ومن أدلة سلطانه تعالى طلوع الشمس على مكان دون مكان آخر فلولاه لصار الليل سرمدا على من لم تطلع عليهم ، وصار النهار سرمدا على من تطلع عليهم ، وذلك يفسد هؤلاء وهؤلاء ، فاقتضت حكمته الإلهية

---

(١) انظر مفتاح دارالسعادة : ١/ ٢٠٤ - ٢٠٥ .
(٢) انظر الفخر الرازى : ٢٠ / ٩٠
(٣) قصة الايمان : ص ٣١١ .
(٤) انظر الفخر الرازى : ٢٩ / ١٠٢ .
(٥) الاسلام يتحدى ص ١٢٥ . وحيد الدين خان
(٦) انظر فتح البيان ٩ / ٢٢٤ - ٢٢٥ .

وعنايته الربانية أن قدرا على الشمس طلوعها على أهل المشرق دون أهل المغرب ، وبالعكس ، وبذلك يختلف عندهم الليل والنهار ، فتنتظم مصالحهم ومآربهم (١)

ومن أدلة سلطانه عز وجل على الأرض كون حجمها يتناسب مع سرعتها ودورتها ، وكون ثقلها وكثافتها يتناسب مع قوة جذبها ، فلو كان حجمها أكبر أو أصغر لتغيرت سرعتها ودوراتها ولو تغيرت عن هذا القدر لاختل نظام العمل في النهار والراحة والنوم في الليل ولكن هذه السرعة ثابتة لم يدخل عليها أي تغيير وأي تبديل في ثانية واحدة منذ ملايين السنين .. كما لو قل جذبها لأفلت الأوكسجين منها ، كما لو بعدت الأرض عن الشمس أكثر من المسافة الحالية لنقصت كمية الحرارة التي تتلقاها من الشمس ، ولو قربت منها أكثر لصارت درجة الحرارة تبلغ إلى حد الموت ، ولكن سلطانه تعالى جعل حرارة الشمس معتدلة ، وجعل في الأرض كل أسباب الحياة التي بها يمكن للإنسان العيش فيها (٢).

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة : ١/ ٢٠٩ .

(٢) انظر قصة الايمان : ٣٢٠ .

قال تعالى :

(وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن
يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ
مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)

(١) الآية (٨)

الدليل الثالث

" تنوع الخلق إلى أمم متعددة "

خلق الله آدم ومن آدم وحواء بث الله منهما رجالا كثيرا ونساء .
وأصل أهل الأرض جميعا من ذرية سام وحام ويافث ، وهم أولاد نوح عليه الصلاة والسلام ، لقوله تعالى ، "﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾(1)"
فالعرب والفرس والروم أصلهم من سام ، والسودان أصلهم من حام والترك والقبط والفرنج أصلهم من يافث ، أما أصل الأمم الأخرى فمن ذرية أولادهم (٢) .

وإنّ انقسام الناس إلى أمم متعددة دليل على وحدانية الله عز وجل وقدرته التامة ، وذلك ليعلموا أن الذى جعلهم على هذا الاختلاف والتنوع هو إله واحد لا شريك له ، قادر على كل شىء ، يستطيع أن يجعلهم أمة واحدة على دين واحد .

لكنه عز وجل أراد ألا يكونوا كذلك ليجعل منهم المسلمين والملحدين . . وهؤلاء الملحدون لهم ملل متعددة ، منهم من يظن أنه على الجادة والاستقامة . . ولكن المقياس الذى نزن به منهج هذه الأمم هو مقياس الإسلام فمن التزم به نجا ، ومن حاد عنه هلك .

كما أنه عز وجل جعل الناس شعوبا وقبائل وأمما شتى ليتعارفوا وليتحابوا وليتعاونوا على الخير ، وليتكافل بعضهم مع بعض بجميع أنواع

---

(١) سورة الصافات : آية (٧٧)
(٢) انظر المختصر فى أخبار البشر : ١ / ١٠ . عماد الدين اسماعيل ابو الفداء ـ الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

التكافل الاجتماعي .. لا ليتناكروا وليتفاخروا وليتقاطعوا وليتشاجروا ، وذلك في قوله تعالى : " يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . (١)

وهذه الآية قضت على جميع الفوارق في الأجناس ، فليس هناك شعب أفضل بجنسه من شعب ، ولا قبيلة أكرم بأصلها من قبيلة ، ومهما اختلفوا في الصفات الهيكلية كشكل الوجه وحجمه والأنف والقامة ، وفي الصفات السطحية كلون البشرة والشعر و العين فإنهم يرجعون إلى أصل واحد وهو التراب .

أما اختلاف عقولهم ولغاتهم وألوانهم وطبائعهم وأخلاقهم وسلوكهم ومواهبهم واستعداداتهم فهي ترجع في أغلب الأحيان إلى البيئة التى يعيشون فيها وإلى الظروف الاجتماعية والثقافية التي يتأثرون بها .

وأفضل هذه الأمم والشعوب والقبائل والأجناس وأكرمهم عند الله تعالى أتقاهم ، وذلك بأداء أوامره واجتناب نواهيه ، لا أفضلهم وأحسنهم جنسا ولا أصلا ولا نسبا ولا حسبا ، ولا أكثرهم مالا ولا عشيرة ولا أعظمهم بيتا (٢).

---

(١) سورة الحجرات آية (١٣)
(٢) انظر تفسير الطبرى : ٢٦ / ٤٠ .

والناس أبرار وفجار، والفاجر فاجر ولو كان ابن الأكابر والبر بر ولو كان فقيرا ، ولذلك يجب عليهم أن يتسابقوا إلى راية التقوى لا إلى راية الجنس الوطنية والعشيرة والجاه والمال فكلها رايات زائفة وباطلة يجهلها الإسلام (١).

ولا بأس بالتفاخر بالأعمال والأخلاق والأحوال إذا كان الغرض منه طاعة الله تعالى ورسوله ، كأن يظهر أخلاقه الحسنة وأعماله الصالحة ليكون قدوة لغيره (٢) ، يتأسى به ...

والدليل على أن الفضل في الجنس واللون والمال والحسب والبيت ليس له اعتبار عند الله تعالى إلا التقوى قوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع ، تلك الخطبة التى كانت دستور المؤمنين ونور للصالحين وسراجا للعارفين قال فيها : "يا أيها الناس ألا إنّ ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى .. ثم قال ليبلغ الشاهد الغائب" (٣) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : "إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (٤) .

ولهذا يجب على المؤمن أن ينكر هذا التمييز العنصرى الذى يسود بين الناس في هذا العصر، وأن لا يفضل ويميز أحدا على أحد إلا بالتقوى .

---

(١) انظر ظلال القرآن : ٣٣٤٧/٦ .
(٢) انظر روح البيان : ٩٢/٩ .
(٣) مسند الإمام أحمد : ٤١١/٥ وفي مجمع الزوائد ٣ / ٢٦٦ وقال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى : ١٦ / ١٢١ كتاب البر باب ظلم المسلم وخذله واحتقاره .
وابن ماجه : ٢ / ٤١٦ : ابواب الزهد ، باب القناعة ، واللفظ للمسلم .

قال تعالى :

(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (١)

(١) الآية : (١١)

الدليل الرابع

" الله ليس كمثله شيء "

الله عز وجل لا يشبهه شيء في صفاته، وفي أسمائه، وفي أفعاله وفي أقواله، وطريقة السلف الصالح في إثبات الصفات هو الوصف بها كما وصف الله عز وجل ورسوله، فعلينا أن نتبع نهجهم الذى سلكوه، فنثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف، ولا تعطيل وكذلك ننفي عنه ما نفاه عن نفسه، وهذه هي عقيدة صحيحة في إثبات الصفات التي لا ننساها طرفة عين، أما الذين ينكرون مذهب أهل السنة في إثبات الصفات فهم ما قدروا الله حق قدره، وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته.

ونظرا لأهمية هذه القضية التي يكفر من لا يؤمن بها فإن سورة الشورى نبهت عليها، وأكدت وجوبها على الناس.

والبحث في آيات الصفات يتركز على ثلاثة أسس:

١- تنزيه الله عن مشابهة خلقه، يقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ (١)

٢- الإيمان بما وصف به نفسه، لأنه لا يصف الله أحد أعلم بالله من الله. قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ (٢) والايمان بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه لا يصف الله بعد

---

(١) سورة النحل : آية (٧٤).
(٢) سورة البقرة : آية (١٤٠).

الله أحد أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال في حقه :﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1]

٣- قطع الأمل عن ادراك حقيقة الكيفية ، ومن ظن أن صفة الخالق تشبه شيئا من صفات المخلوق فهو ملحد ، ومن آمن بصفات ربه عز وجل منزها ربه عن تشبيه صفاته بصفات الخلق فهو مؤمن ، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل .. قال الله تعالى :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[2] وهذه الآية تحل جميع الاشكالات ، وتجيب عن جميع الأسئلة حول هذا الموضوع ، وذلك لأن الله تعالى ، قال في ختام هذه الآية " وهو السميع البصير " .. فكأن الله يشير للخلق أن لا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بإدّعاء أن الحوادث تسمع وتبصر ، وأن ذلك تشبيه ، بل عليهم أن يثبتوا صفة السمع والبصر ، وغيرهما من الصفات على أساس[3] قوله تعالى :﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وهذا هو مذهب السلف في إثبات صفاته عز وجل .

ويرى البيهقي في إثبات الصفات لله عز وجل أنها توقيفيا لذلك يجب الإيمان بها كما وردت في الكتاب والسنة ، مع ترك الكيفية وبيان المقصود منها إلى الله عز وجل ، وعدم التعرض لها بالرد والتأويل ، ووجوب تلقيها بالتسليم والقبول ، والاعتقاد بتنزيه الله

---

(١) سورة النجم : آية (٤)
(٢) سورة الشورى : آية (١١)
(٣) انظر أضواء البيان : ٢ / ٣٠٤ - ٣٠٥ . للشنقيطي مطبعة المدني - القاهرة .

عن المشابهة لخلقه (١)، يقول صلى الله عليه وسلم : (تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره) (٢) " قال محمد بن الحسن، صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهما : إتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الايمان بالقرآن، والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ، فمن فسر شيئا من ذلك فقد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك الجماعة ، فإنهم لم يؤولوا ولم يفسروا ، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ، ثم سكتوا (٣) ، (فإذا وصفت شيئا من ذلك ، فلا تشبهه بخلقه ، فإذا شبهته بخلقه أو نفيت عنه شيئا صرت كافرا ، ومن شبه الله بخلقه أو من جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر) . (٤)

(وإن لله أسماء وصفات لا يسع أحد ردها ، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر ، وأما قبل قيام الحجة ، فإنه يعذر بالجهل) (٥).

(قال الإمام الشافعي رحمه الله : آمنت بالله ، وبما جاء عن الله على مراد الله ، وآمنت برسوله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله) وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في قول النبي صلى الله عليه

---

(١) انظر البيهقى وموقفه من الالهيات : ص ١٥٣ .

(٢) اخرجه ابو نعيم بسنده عن ابن عباس ، وقد وردت احاديث بهذا المعنى قال السخاوى ، أسانيدها ضعيفة ، لكن اجتماعها يكتسب قوة ، والمعنى صحيح ، المقاصد الحسنة للسخاوى ص ١٥٩

(٣) انظر مجموعة رسائل حسن البنا : ص ٣٢٥ الناشر : دار الشهاب القاهرة .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٣ لابى جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الازدى ـ الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ المكتب الاسلامى .

(٥) فتح المجيد ص ٥١٤ وما بعدها للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ الطبعة السابعة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م مطبعة السنة المحمديه ، القاهرة تحقيق محمد حامد الفقى .

وسلم : (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول من يدعوني فأستجيب له) (١) وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر) (٢) الخ .

وما أشبه هذه الأحاديث قال : نؤمن بها ونصدق بها بلا كيف ولا نرد شيئا منها ، ونعلم أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حق اذا كان بأسانيد صحيحة ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه ، بلا حد ولا غاية ، وسئل الامام مالك رحمه الله عن استواء الله تعالى على العرش فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة) . (٣)

---

(١) صحيح البخاري : ١٠١/٤ : كتاب الدعوات ، باب الدعاء نصف الليل ، وصحيح مسلم بشرح النواوي : ٣٦/٦ ، كتاب المسافرين، باب صلاة الليل مثنى مثنى ، واللفظ له .

(٢) صحيح البخاري : ١٠٥/١ : كتاب الصلاة ، باب فضل صلاة العصر .

(٣) تذكرة المسلم : ٢١٨ .

والحق أن لله عز وجل صفات لائقة بكماله وجلاله ، وللمخلوق صفات مناسبة لعجزه وافتقاره وفنائه ، وبين الصفتين مخالفة ، كالقدرة وغيرها فإن لله قدرة تليق بكماله وجلاله ، وللمخلوق قدرة تليق بعجزة وفنائه وافتقاره فيجب على المؤمن أن يذهب إلى ما ذهب اليه أهل السنة والجماعة ، فيثبت لله ما أثبت لنفسه من الصفات والاسماء والافعال وينفى عن الله ما نفى عن نفسه ، فلا يجوز له أبدا أن ينفى وصفا أثبته الله جل وعلا لنفسه مدعيا أن هذا الوصف لا يليق بجلاله ، قال عبد الله بن مسعود ما عرف الله عز وجل من شبهه بخلقه .

قال تعالى :

(لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ

وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (١)

(١) الآية : (١٢)

الدليل الخامس

" الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر "

الرزق : بكسر الراء وسكون الزاى ، ومعناه في اللغة مايأتي :

١- (كل ما ينتفع به .
٢- العطاء
٣- المطر ، لأنه سبب الرزق)(١) . لقوله تعالى : (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (٢)
٤- (هو الذى يؤكل ويلبس أو يستعمل) . (٣)
٥- قال الراغب : هو العطاء الدنيوى ، أو العطاء الأخروى ، والعطاء الدنيوى ظاهر يعرفه كل مؤمن ، أما العطاء الأخروى (٤) فمثل قوله تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) أى تفيض عليهم النعم الأخرويه (٥))

ومعنى الرزق في الشرع : " ما يمكن الانتفاع به " كقولنا " رزقنا الله الأموال " بمعنى مكننا من الانتفاع بها (٦)

---

(١) لسان العرب : ١٠/١١٥ .
(٢) سورة الذاريات : آية (٢٢) .
(٣) المعجم الوسيط : ٣٤٢/١ .
(٤) انظر المفردات : ص ١٩٤ .
(٥) سورة آل عمران : آية (١٦٩) .
(٦) الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص : ٣ للباقلانى الطبعة الثانية مؤسسة الخانجى دراسة محمد زاهد الكوثرى .

قالت المعتزلة : الرزق يكون بالحلال لا بالحرام، واستدلوا على ذلك بأدلة منها :

١- بأنّ الله تعالى مدحهم بإنفاق الرزق في قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [١] .. والمدح بالنسبة إليه تعالى يكون بالحلال والخير ، ولو أنفقوا الحرام لصار معنى الآية أن الله مدحهم بالرزق الحرام ، وهذا باطل بالاتفاق .

٢- أمرهم الله تعالى بانفاق الرزق في قوله :﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ [٢] فلو كان الرزق حراما لجاز انفاق الشيء المغصوب ، ولا يجوز ، لأنه يجب على الغاصب أن يرد ما أخذه غصبا إلى أصحابه فدل ذلك على أن الحرام لا يكون رزقا ، ويرد على المعتزلة أن هذه الآية تدل على أنّ الرزق الحرام ، يكون من الله تعالى في قوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ ، فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [٣] كما استدل المعتزلة [٤] بحديث أخرجه ابن ماجة من طريق عبد الرزاق ، قال : أخبرني يحيى بن العلاء ، أنه سمع بشير بن نمير أنه سمع مكحولا يقول : إنه سمع يزيد بن عبد الله أنه سمع صفوان بن أمية قال : " كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه عمرو بن قرة فقال له يا رسول الله "إنّ الله قد كتب على الشقوة فما أراني أرزق [٥] إلا من دفي [٦] بكفي ، فأذن لي في الغناء في غير

---

(١) سورة الأنفال : آية (٣)
(٢) سورة المنافقون : آية (١٠)
(٣) سورة يونس : آية (٥٩) .
(٤) انظر الفخر الرازي : ٢/ ٣٠ - ٣١ .
(٥) أراني بضم الهمزة ، وأرزق بضم الهمزة كذلك .
(٦) الدف : بالضم والفتح ، معروف ، النهاية ٢/ ١٢٥ ، وفي القاموس ما يضرب به ، مادة د . ف . ف

فاحشة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آذن لك ولا كرامة ، ولا نعمة (١) عين ، كذبت أى عدو الله ، لقد رزقك الله طيبا حلالا ، فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه ، فكان ما أحل الله عز وجل لك من حلاله ، ولو كنت تقدمت إليك لفعلت بك وفعلت ، قم عني وتب إلى الله أما إنك إن قلت بعد التقدمة إليك ، ضربتك ضربا وجيعا ، وحلقت رأسك مثله ، ونفيتك من أهلك وأحللت سلبك نهبة (٢) .

هذه أدلتهم باطلة من وجوه :

١ - أما تمسكهم بالآيات المذكورة فإنّ الرزق الحلال والرزق الحرام كلاهما من عند الله تعالى ، وتخصيص ذكر الرزق الحلال على سبيل التشريف ، كقوله تعالى : ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾(٣) والمراد بالعباد هنا المتقون ، وإن كان الكفار أيضا من العباد ، كما أن الله عز وجل لا ينسب إليه الشر أدبا من العبد وهو يخاطب ربه عز وجل لا يقول مثلا يا خالق القبيح ، بل يقول : يا خالق الجميل (٤) (وإن أرادوا بقولهم هذا إنّ الرزق لا يكون حراما تأدبا مع الله تعالى فلا بأس به ، وإن أرادوا غير ذلك فهم مخطئون بالإجماع) (٥)

---

(١) بضم النون ومعناها قرة عين ، يعنى اقر عينك بطاعتك واتباع أمرك ، لسان العرب ١٢ / ٥٨٢ .

(٢) سنن ابن ماجة ٢ / ١٧١ كتاب الحدود ، باب المخنثون ، في الزوائد: في اسناده بشير بن نمير البصرى ، قال فيه : يحيى القطان ، ركن من أركان الكذب ، وقال أحمد ، ترك الناس حديثه ، ويحيى بن العلاء ، يضع الحديث .
بشر بن نمير ، وليس بشير تهذيب التهذيب ١١ / ٢٦١ وهو بشر بن نمير القشيرى البصرى ، متروك ، متهم ، تقريب التهذيب ١ / ١٠٢

(٣) سورة الإنسان : آية (٦)

(٤) انظر الفخر الرازى : ١ / ٣٤

(٥) الاعتقاد : ص ٧٨

٢- لو أن الرزق لا يكون حراما ، لما أكل السارق من رزقه شيئا طول حياته لأنه عاش على هذه السرقة منذ صغره إلى أن شاخ وهرم ، ومعلوم أن السرقة حرام ، وهذا مخالف لعموم الآية في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (١) ولإجماع المسلمين (٢) .

٣- أما تمسكهم بالسنة ، فإنهم لم يفهموا الحديث فهما دقيقا (٣) ، لأن قوله صلى الله عليه وسلم : (فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه) صريح في أن الرزق قد يكون حراما ، والإنسان هو الذي يختار الرزق الحرام ، وأن الرزق قد يكون حراما ، وقد يكون حلالا ، والحديث على هذا حجة لنا ، وليس حجة لهم إطلاقا (٤) هذا على فرض صحة الحديث ، أما وقد يتبين من دراسة سند الحديث ، أن فيه بشير بن نمير البصرى ، وهو ركن من أركان الكذب كما أن فيه يحيى بن العلاء وكان يضع الحديث وعلى ذلك ، فالحديث بهذا الاسناد باطل ، وفيه ركاكة تدل على أنه موضوع ، وإذا تبين أن رأى المعتزلة باطل ، فكذلك من يزعم أن النجوم وغيرها لها دخل في بسط الرزق وقبضه فزعمه باطل ، فالعلم والجهل والعقل والقوة والضعف والفلك والنجوم والطبيعة لا تعلق لها ببسط الرزق وقبضه ، وإنما تتعلق بمشيئة الله تعالى ، وفضله وهو الذى يتولى قسمته بين عباده في قوله تعالى :

---

(١) سورة هود آية (٦)
(٢) أنظر الإنصاف : ٥٠
(٣) في رأى الفخر الرازى (إن صح الحديث)، وقد ثبت بطلانه .
(٤) انظر الفخر الرازى : ٣٤/١

﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ (١) فكم من عاقل وعالم وقوي في أشد الضيق ، وكم من ضعيف في سعة العيش ، وهذا النجم والفلك لا يعطى ولا يمنع وإنما المعطى والمانع هو الله عز وجل والساعة الواحدة تحدث فيها أشياء عديدة ومختلفة من السعادة والشقاوة، والله تعالى هو المؤثر في سعادة الناس وشقاوتهم (٢) وليس معنى ذلك أن الإنسان لا يسعى ولا يكد في بحث رزقه ، بل عليه أن يأخذ بكل أسباب الكسب المشروعة ، والرزق الحلال ، ويكد ويجتهد ويبحث عنه في كل زمان ومكان ، ثم يتوكل على الله تعالى ، لأنّ الله أمره بذلك في قوله تعالى : ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ (٤) ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : " لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا " (٥)

---

(١) سورة الزخرف : ٣٢

(٢) انظر الفخر الرازى : ٢٦ / ٢٨٩ .

(٣) سورة الملك : آية (١٥)

(٤) سورة الجمعة : آية (١٠)

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ٤ / ٣١٨ كتاب الرقاق ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي ، ورواه الترمذى في سننه ٤ / ٤٠ أبواب الزهد ، باب ماجاء في الزهادة في الدنيا ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، لا نعرفه الا من هذا الوجه (خماصا) بكسر الخاء : ومعناه تغدو بكرة وهى جياع ، النهاية ٢ / ٨٠ (بطانا) بكسر الباء ومعناه : تروح عشاء ، وهى ممتلئة البطون ، النهاية ٦ / ١٣٦ .

أسباب قبض الرزق على المؤمن ثلاثة :

١- اختبار قوة صبره .
٢- تكفير ذنوبه .
٣- رفع درجته . (١)

أما إذا وسعه الله على المؤمن فلكرامته ، وأما إذا وسعه على الكافر فهو استدراج (٢) ، وإذا بسط الله الرزق للعبد ، فيجب عليه أن لا يوجّه نظره ، وأن لا يقتصر فكره على هذه النعم ، وإنما ينظر إلى موجدها وهو الله عز وجل ، ويشكره على هذه النعم ، وأما إذا ضيق عليه فعليه الرضا والتسليم ، بما قسم الله له ، لحكمته ولمصلحته التي لا يعلمها إلا هو عز وجل (٣) كما يجب عليه أن يتقى الله في السر والعلن ، لأن التقوى سبب الرزق وأن يترك معصيته لأن الذنب بسبب حرمان الرزق ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٤) وقوله صلى الله عليه وسلم : " إنّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه " (٥) الخ . وصلة الرحم من أسباب بسطه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

---

(١) أنظر روح البيان : ٤ / ٣٧٠
(٢) أنظر روح البيان : ٢ / ٣٢٨ ، ومعنى الاستدراج أن يتدرج الشيء إلى الشيء قليلا قليلا ، ومنه درج الكتاب ، إذا طواه شيئا بعد شيء ، انظر المفردات ، ص ١٦٧ واستدرجه الله أي اهمله ولا يباغته المعجم الوسيط : ١ / ٢٧٧ والمراد هنا : كلما زاد تماديا في الذنب والفكر زاده الله نعمة وخيرا في الدنيا ، ويظن أن كثرة ماله وفوزه بلذات الدنيا تفضلا له على المؤمن وهو في الحقيقة سبب لهلاكه . . انظر الفخر الرازي ١٦ / ٧٨
(٣) أنظر الفخر الرازي ١٢٥ / ١٢٤
(٤) سورة الطلاق : آية (٢-٣)
(٥) سنن ابن ماجه : ٢ / ٣٨٥ : باب العقوبات ، قال البوصيري في الزوائد هذا إسناد حسن ورواه الحاكم في المستدرك : ١ / ٤٩٣ وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

من سره أن يبسط له في رزقه ، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه " (١)

والله عز وجل ميسر ومرشد إلى أسبابها ، يوصل الرزق لعباده بوسائل مختلفة وبطرق متعددة ، كرزق الجنين في بطن أمه ورزق الفرخ في حواصل والديه (٢) ويشهد على ذلك مارواه مسلم بسنده من حديث حذيفة بن أسيد يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال : " يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم باربعين ، أو خمسة وأربعين ليلة فيقول : يارب " اشقي أو سعيد ، فيكتبان ، فيقول : أى يارب أذكر أم أنثي ؟ فيكتبان ، ويكتب عمله وأثره وأجله ، ورزقه ، ثم تطوى الصحف فلا يزاد ولا ينقص " (٣) وهذا الحديث دليل على أن الرزق قد كتب في اللوح المحفوظ ، سواء كان هذا الرزق حلالا أو حراما ، ودليل أيضا على أن مذهب أهل السنة هو المذهب المعتمد ..

والرزق نوعان :

١- رزق خاص للمؤمنين فقط ، ويستمر نفعه في الدنيا والآخرة ، كالإيمان ، والعلم النافع ، وهذا مايسمى بالرزق المعنوى ،

٢- رزق عام كسائر الخلق ، يشترك فيه مؤمنهم وكافرهم ، وصالحهم وطالحهم وهذا النوع من الرزق ، إمّا أن يكون من الحلال ، وإما أن يكون من الحرام ، وليس المقصود بالرزق الطعام ،

---

(١) صحيح البخارى : ٤٨/٤ كتاب الأدب ، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم وصحيح مسلم بشرح النووى : ١١٤/١٦ : كتاب الأدب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها واللفظ للبخارى .

(٢) انظر الكواشف الجلية : ص١٤٣ - ١٤٤ لعبد العزيز المحمد السلمان الطبعة الحادية عشر

(٣) صحيح البخارى : ١٣٥/٤ كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة وصحيح مسلم بشرح النووى : ١٩٣/١٦ ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي ، في بطن امه واللفظ له .

والشراب فقط (١) ، (وإنما المقصود منه كل الأسباب والوسائل المؤدية إلى تحصيله من مواهب وملكات ومهارات عقلية " (٢)

وذلك تراه بين سائر الخلق بقدرة الله عز وجل ..

بعض مصادر الرزق :

١- أعلاها كسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، يشهد له حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (جعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري) (٣) وقد خصه الله بأفضل الكسب وهو الغلبة والقهر ، لشرفه ، وفضله .

٢- أكل الرجل من عمل يده ، ويشهد لذلك ، ما رواه البخاري بسنده عن الرسول صلى الله عليه وسلم : ((ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده " (٤)

٣- التجارة : وهي حرفة الصحابة رضى الله عنهم .

٤- الحرث والغرس والزرع .

٥- تدريس العلوم المختلفة الدينية وغيرها مما يفيد الناس

٦- أخذ الأموال بنية الأداء ، وفي وقت الحاجة ، (٥) لقول

---

(١) انظر الكواشف الجلية ، ص ١٤٢ وما بعدها ، احمد محمد جمال الطبعه الثانية ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م

(٢) على مائدة القرآن مع المفسرين : ص ٢٩٩ .

(٣) صحيح البخاري : ٤٩/٤ كتاب الجهاد ، باب ما قيل في الرماح .

(٤) صحيح البخاري : ٦/٢ كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده .

(٥) أنظر تفسير القرطبي : ١٠٨/٨ - ١٠٩

الرسول صلى الله عليه وسلم (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله) . (١)

---

(١) صحيح البخاري : ٢ / ٥٥ كتاب في الاستقراض وأداء الديون ، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو اتلافها .

قال تعالى :

(وَمَا اخْتَلَفْتُم فِيهِ مِن شَيْءٍ

فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ

رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (١)

الآية (١٠)

المطلب الثاني

" وحدة الألوهية والربوبية "

والواحد المنفرد بالذات في عدم المثل والنظير ، قال الازهري والواحد من صفات الله تعالى معناه انه لا ثاني له (١) .

ولفظ الربوبية مأخوذ من الرب وهو يطلق على عدة معان منها : السيد ، والمالك ، والمربي ، والمصلح ، والمنعم ، قال الأصفهاني : الرب في الأصل من التربية ، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام يقال : " ربه ورباه " (٢) ومن هذه المعاني الكثيرة للفظ الرب اشتق منه اسم الربوبية ، التى تعنى الخلق والرزق والملك والسيادة والتربية والاصلاح والتدبير ، وكل هذه المعانى المذكورة لا يتصف بها على الحقيقة إلا الله عز وجل ولذلك لا يختص بالربوبية" سواه ، ويطلق عليه إطلاقا حقيقيا ويطلق على غيره مجازا (٣) ، وورد في ذلك حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال :(لا يقل العبد ربى ولكن ليقل سيدى)" (٤)

والمقصود من النهى عدم مشاركته مع الله في الربوبية ، أما حديث ضالة الإبل(حتى يلقاها ربها)(٥) فذلك أن البهائم غير مخاطبة

---

(١) لسان العرب ٣/ ٤٥٠ - ٤٥١

(٢) المفردات : ص ١٨٤ .

(٣) انظر عقيدة المؤمن : ص ٨٩ لابى بكر الجزائرى الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٢ م دار الشروق .

(٤) صحيح مسلم : ٦/١٥ كتاب الألفاظ ، باب حكم اطلاق لفظ العبد .

(٥) صحيح البخارى : ٢٩/١ كتاب العلم ، باب الغضب فى الموعظة والتعليم وصحيح مسلم بشرح النووى : ١٢/ ٢٠ : كتاب اللقطة .

فإنّ يوسف عليه السلام خاطب به على الكلام المألوف بينهم ، وعلى ما كانوا يسمونه به . (١) بدليل قوه تعالى (اذكرني عند ربك) (٢)

أما تعريف الربوبية في الشرع : فهي الاقرار والاعتقاد بأنّ الله عز وجل رب كل شيء ، ومالك الكون وخالقه ، ورازقه المدبر المتصرف فيه، الضار ، النافع المحي المميت " . والقلوب جبلت على معرفة هذا التوحيد ، والاقرار به وهو معروف لدى مشركي العرب وفرعون وقومه (٣) ولقد سجل القرآن اعترافهم بذلك في كثير من الآيات منها :

١- بالنسبة لفرعون قال تعالى ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ (٤)

٢- وفي مشركي العرب قال : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٥)

٣- وقال عز وجل ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٦)

٤- وقال سبحانه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (٧) ومع هذا الاقرار بأن ذلك لله وحده فإنهم لا يقرون بتوحيد الألوهية ، لعبادتهم الأوثان والأصنام، وغير ذلك، مع اخلاصهم له في بعض أنواع العبادات كالحج والصدقة والذبح والنذر ، والدعاء وقت الاضطرار ، ونحو ذلك ، ويدّعون أنهم على ملة

---

(١) أنظر العقيدة الاسلامية ٣٠٢ (٢) سورة يوسف آية (٤٢)
(٣) أنظر شرح الطحاوية : ص ١٨
(٤) سورة الإسراء : آية (١٠٢)
(٥) سورة الزمر : آية (٣٨)
(٦) سورة الزخرف : آية (٨٧)
(٧) سورة العنكبوت : آية (٦٣)

ابراهيم عليه السلام (١) ، ولذلك قال الله تعالى ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ، وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٢) . . ولم ينفع الاقرار والاعتراف بتوحيد الربوبية إلا مع الاقرار بتوحيد الألوهية لأنّ الإعتراف بالربوبية فقط ، لا يخرج الإنسان عن كونه من المشركين الذين عبدوا الأصنام والأوثان ليقربوهم إلى الله زلفي وشفعوا لهم عند الله ولذلك سجدوا لها ونحروا لها الذبائح وطافوا حولها ونذروا النذور من أجلها وبهذا كانوا كافرين .

ويجب العلم أن الإيمان بقدر الله يدخل في توحيد الربوبية لأنّ كل محدث صادر عن علم الله عز وجل وإرادته وقدرته (٣) " وهذا التوحيد قد ذكر في القرآن مع بعض أنواع العبادات ، كالحمد والذكر وغيرهما :

١- مع الحمد قوله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤)

٢- مع الاستسلام والانقياد في قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥)

٣- مع التوجه وإخلاص القصد إلى الله في قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦)

٤- مع الدعاء في قوله : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٧)

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٣٣ - ٣٤ عبد الوهاب سليمان بن عبد الله بن محمد .
(٢) سورة ال عمران : آية (٦٧)
(٣) الإيمان وأركانه : ص ٧ .
(٤) سورة الجاثية : آية (٣٦)
(٥) سورة الأنعام : آية (٧١)
(٦) سورة الأنعام : آية (١٦٢)
(٧) سورة الأعراف : آية (٥٥)

ويضاد توحيد الربوبية الاعتقاد بأنه لا أحد يشارك الله تعالى في تدبيره للكون من إيجاد أو إعدام أو احياء ، أو إماتة ، أو جلب خير ، أو دفع شر ، وغير ذلك مما يتعلق بمعاني الربوبية ، وإليك بعض مظاهر شرك الربوبية في الأمة الإسلامية تحذيرا وتعليما .

١- استغاثة بعض عوامهم بالصالحين والأولياء ، عند الشدائد والمحن اعتقادا منهم ، أن لهم القدرة في التصرفات . .

٢- التجاء بعضهم وتوجههم إلى قبورهم عند الكرب ، وقضاء الحاجة اعتقادا منهم ، أن أرواحهم تعطي وتمنع وتضر .

٣- خوف بعضهم من الجن ، وطلب العون منهم ، وتقديم القرابين إليهم عند انتشار الأمراض ونزول المصائب ، اعتقادا منهم ، أنّ لهم تصرفات تنفع وتضر ، وهذه الأعمال الباطلة نتيجة وساوس الشياطين ، للجهلة والغافلين .

٤- طاعة وتنفيذ أوامر المشعوذين الباطلة المزيفة ، وأوامر بعض رجال التصوف الذين يتصرفون بما لا يتفق مع تعاليم الإسلام ،

٥- طاعة الحكام والأمراء وغيرهما فيما لا يرض الله ورسوله والخضوع لحكم الكافرين الذين يحكمون بالباطل ، ويقرون أمورا خارجة عن شريعة الإسلام ويحكمون قوانين تابعة لشهواتهم وأهوائهم . (١)

---

(١) أنظر عقيدة المؤمن : ص ٩٨ .

" توحيد الألوهية "

يقصد بتوحيد الألوهية : الاعتقاد الجازم ، بأن الله هو الإله الحق . لا إله إلا هو ، ولا معبود سواه وإفراد أنواع العبادات له ظاهرها وباطنها ، وتوحيد الألوهية أول واجب على المكلف وأول ما يدخل المكلف في الإسلام ، وآخر ما يخرج به من الدنيا (١) كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) (٢) (وهو الذى دعا إليه القرآن الكريم في كل سورة ، بل في كل آية)(٣) ، ولأجل هذا التوحيد خلق العباد ، يقول تعالى : ﴿ وما خلقت الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ ﴾ (٤) وأرسلت الرسل ، فما من رسول أرسله الله إلى الناس ، إلا وكان هذا التوحيد أساس دعوته وجوهرها ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٥) وبه أنزلت الكتب ، وبه انقسم الناس إلى فريقين . . فريق من أهل الجنة ، وفريق من أهل النار ولا سعادة إلا بالقيام به اعتقادا وعملا وقولا .

ومن توحيد الألوهية :

١- (توحيد العبادة ، سمى به ، لأنه مبنى على عبادة الله تعالى وحده ، وإخلاص أنواع العبادات له .

---

(١) أنظر تيسير العزيز الحميد : ص ٢٣ .
(٢) رواه الحاكم في المستدرك : ١/٣٥١ وقال صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبى
(٣) الامام ابن تيميه وقضية التأويل ص ٢٠٣ - د . محمد السيد الجليند الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م مكتبات عكاظ .
(٤) سورة الذاريات : آية (٥٦)
(٥) سورة النحل : آية (٣٦)

٢- توحيد القصد والإرادة ، سمى به ، لأنه مبنى على إخلاص القصد والارادة إليه تعالى دون سواه .

٣- توحيد العمل ، سمى به ، لأنه مبنى على اخلاص العمل لله وحده). (١)

ولتوحيد الألوهية ركنان :-

١- الركن الأول : الصدق ، بمعنى أنه لايزاحمه ، ولا يعارضه ، في أى أمر كان .

٢- الركن الثاني : الاخلاص ، بمعنى بذل الجهد ، والطاعة في عبادته سبحانه وتعالى وحده بامتثال أوامره واجتناب نواهيه . (٢)

" وضده نوعان"

١- (الشرك الأكبر ، الذى ينافيه بالكلية ، وهو أن يتخذ العبد آلهة ومعبودات سوى الله عز وجل ، ويحبها ، كما يحب الله ، ويتوكل عليها كما يتوكل على الله ، وما إلى ذلك من العبادة .

٢- الشرك الأصغر ، الذى ينافي كمال العبادة وهو (الرياء) ويقصد العمل لله وللناس معا)(٣) يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أخوف ماأخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال

---

(١) تيسير العزيز الحميد : ص ٣٨

(٢) أنظر مختصر الأسئلة والاجوبة ص٤١٢ للشيخ اعبد العزيز المحمد السلمان الطبعة الثانية عشرة .

(٣) أعلام السنة المطهرة المنثورة ص١٩ ـ ٢٠ (الشيخ حافظ بن احمد الحكمى) الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

(الرياء) ثم فسره بقوله صلى الله عليه وسلم :
(يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته ، لما يرى من نظر الرجل اليه) (١) .

والاعتقاد الصحيح أن الرسل جاءوا بتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، لهذا لم ترد الآيات في الغالب الا بصيغة الاستفهام لقوله تعالى : (هل من خلق غير الله) (٢) وقوله تعالى (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) (٣) ونحو ذلك من الايات التي تدل على أن الله رب العالمين ومدبره ، يقول الصنعاني " من أقر بتوحيد الربوبية فعليه الاقرار بتوحيد الألوهية " والا فاقرار الأول باطل وأول ما يجب على كل أحد ولا يصح الاسلام الا به أن يعلم علم اليقين

---

(١) سنن ابن ماجه : ١٤٠٦/٢ كتاب الزهد ، باب الرياء ، في الزوائد : استاده حسن ، وكثير بن زيد ، وربيع بن عبد الرحمن مختلف فيهما .
(٢) سورة فاطر : آية (٣) .
(٣) سورة لقمان : آية (٣١) .

ويقر وينطق بلسانه أنه لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأجمع العلماء على أخذ العهد بتوحيد الربوبية هو أخذ العهد بتوحيد الألوهية[1] ولهم على ذلك أدلة :

١- يقول تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ (٢)

٢- وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾(٣)" تثبت الربوبية والألوهية " معا . "

٣- إن الملكين يسألان الميت في قبره، من ربك ؟ ولا يقولان من إلهك فيقول الميت " ربي الله " واكتفيا منه بهذا الجواب ولا يقولان له توحيد الربوبية لا ينجيك "(٤) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد (٥) فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤسنا طير وهو يلحد (٦) له فقال " أعوذ بالله من عذاب القبر" ثلاث مرات، ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في اقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة، فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربي الله، فيقولان له ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له: ماهذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله ،

---

(١) انظر تطهير الاعتقاد : ص ٩ . لمحمد بن اسماعيل الصنعاني .

(٢) سورة الرعد : آية (٣٠) .

(٣) سورة مريم : آية (٣٦)

(٤) انظر فرقان القرآن : ص ٨٨ - ٨٩ للبيهقي دار احياء التراث العربي

(٥) أصل البقيع في اللغة: الموضع الذي فيه اروم الشجرة من ضروب شتى وبه سمي بقيع الغرقد، معجم البلدان ١ / ١٧٣ وغرقد : بفتح الغين والقاف وسكون الراء : هو ضرب من شجر العضا، وشجر الشوك ومنه قيل لمقبرة أهل المدينة، و بقيع غرقد داخل المدينة لأنه كان فيه غرقد قطع .
النهاية في غريب الحديث ٣ / ٣٦٢ .

(٦) أصل الإلحاد، الميل والعدول عن الشيء، النهاية ٤ / ٢٣٦ .

فيقولان له ما علمك؟، فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت)[1] الحديث مختصرا .

.. ..

(١) سنن أبي داود : ٤ / ٢٣٩ كتاب السنة ،باب في المسئلة في القبر .
قال الحافظ المنذري : ولم أعلم أحدا طعن في هذا الحديث إلا أبا حاتم البستي وابن حزم ، مختصر سنن ابى داود ٧/ ١٣٩

المبادئ العقدية والاجتماعية في المبحث الثاني :

١- ثبت بالأدلة القاطعة أن الله -عز وجل- واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، واحد في ربوبيته وألوهيته .

ومن أدلة وحدانيته إبداع الكون قبل أن لم يكن، وذلك لا يقدر عليه إلا واحد مهيمن قادر على رفع السموات، وما اشتملت عليه من شمس وقمر، وكواكب، والعاقل يسأل كيف رفعت هذه السماء بلا عمد ؟ وهذه الأرض كيف ذللت للسير عليها، ولماذا وجدت الشمس، بينهما في هذه المسافة بهذه الدقة المتناهية ؟ ولماذا لم تكن أقرب ولم تكن أبعد ؟

كما ثبت أنه لولا الله لسقطت السماء على الأرض، لكنه سبحانه يمسكها بقدرته وسلطانه على الكون، وهو الذي يمنح الطير القدرة ليطير في الفضاء ويمسك السفن في البحر فلا تتحرك إن شاء، ويجعل بين البحرين المالح والعذب حاجزا بحيث لا يختلط هذا بذاك .

٢- ومن أدلة وحدانيته أن الناس من أب واحد وأم واحدة، ومع ذلك الأصل تنوع الخلق إلى أمم مختلفة في العقائد المناهج والألوان والقوة والضعف والتقدم والتخلق، وأكرم الناس عند الله أتقاهم .

٣- من أدلة الوحدانية تفرد الله عز وجل في ذاته وصفاته، فلا أحد يشبهه كما أثبت ذلك لنفسه، وهو منزه عن مشابهة خلقه، والمؤمنون قطعوا الأمل في ادراك حقيقة ذاته، وآمنوا بما وصف به نفسه، وإذا كانوا في الدنيا عاجزين عن رؤيته فإنهم يرونه في الآخرة، وهذا مما يجب اعتقاده على

المكلفين كما يجب عليهم أن يثبتوا لله كل كمال يليق بذاته ، على نحو ما أثبته في كتابه ، ووصفه به رسوله ، وعليهم كذلك أن ينزهوه سبحانه - عن كل مالا يليق به .

٤- من أدلة الوحدانية أن الأرزاق بيد الله يبسطها لمن يشاء ، ويقبضها عمن يشاء وقد تكفل الله برزق عباده فقال سبحانه (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) [1] وقال (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) [2] .

ويجب العلم أن هذه الأرزاق ليست دليلا على الرضا ، أو السخط وأنها مقدرة بتقدير الله وحده دون سواه فهو القائل (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [3] . ولا أحد بقادر على زيادة الرزق أو نقصانه .

---

(١) سورة الذاريات : آية (٢٢ ، ٢٣) .
(٢) سورة هود : آية (٦)
(٣) سورة الزخرف : آية (٣٢) .

المبحث الثالث :

إن الدين عند الله الاسلام

ويتكون من المطالب التالية :

المطلب الأول : كل ما جاء في القرآن والسنة .

المطلب الثاني : الإلتزام بالأمر الإلهي والنهي الإلهي .

المطلب الثالث : لا اختلاف في أصول الأديان .

المطلب الرابع : الحكم لله بين سائر الأديان يوم القيامة .

المبحث الثالث : ان الدين عند الله الاسلام

أن الدين الذي جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام واحد ومتفق ، لكن الناس بدلوا وحرفوا بعد رسلهم .

وأصول الدين الإسلامي ، كما هي منذ أن أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اليوم .

واتفقت دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم على دعوة التوحيد ، بأن يفرد الله تعالى جميع أنواع العبادة اعتقادا وقولا وعملا ، ويكفر بكل مايعبد من دونه .

وإليك بيان هذه الأصول في المطالب التالية :

قال تعالى :

(وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ)(1)

(1) الآية : (15)

المطلب الأول

الايمـــان بكـل ماجاء في القرآن والسنة

يجب الإيمان بكل ماأخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه عـز وجل من الاعتقادات والعبادات والطاعات وما الى ذلك ايمانا كاملا بتنفيذ أوامر الله وترك نواهيه ، والايمان بحلاله وحرامه، وثوابه وعقابه ، ووعده ووعيده ، ومن شك أو أنكر آية من الآيات كفر، ومن شك أو أنكر حديثا من الأحاديث الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن به كان فاسقا .

والمجتمع الذى لا يقوم على المبادئ التى أوجب الله تعالى على عباده الإيمان بها والعمل بمقتضاها ، كالعدل، وتحريم الظلم، والشورى ، يكون مجتمعا فاسدا ومضطربا، لا يستقر على الأسس والمبادئ الصالحة لكل زمان ومكان ، و سورة الشورى تدعو إلى وجوب القيام بهذه المبادئ الأساسية في المجتمع المسلم .

وبعد أن بينت أهمية وجوب الإيمان بكل ماأخبر به صلى الله عليه وسلم نسأل عن معنى الإيمان ؟ والجواب:الإيمان في اللغة ، التصديق . (١)

وفي الشرع : تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح ، والإيمان بمعناه اللغوى ، لا يزيد ولا ينقص،لأن التصديق لا يتجزأ

---

(١) لسان العرب : ١٣/٢١٥ .

وبمعناه الشرعي يزيد وينقص . وهذا هو الرأى الصواب،ومذهب أهل السنة .

ومن أقر وعمل بدون علم منه وتصديق بربه ، أو عرف وعمل وجحد بلسانه وكذب ماعرف من التوحيد ،أو أقر ولم يعمل بالواجبات لا يسمى موءمنا إطلاقا . (١)

ومن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه من غير عذر يكون موءمنا عند الله تعالى، ولا يكون موءمنا في الأحكام الدنيوية ،أما الذى له عذر كالأخرس،ونحوه فهو موءمن عند الله وعند الناس إذا قامت القرينة على إسلامه كالإشارة وغيرها . . . .

أما المنافق المقر بلسانه دون قلبه فهو موءمن في الأحكام الدنيوية مالم يقم الدليل على كفره،كسجوده لصنم وغيره،وغير موءمن عند الله تعالي . (٢)

وإذا تعلقت كلمة الإيمان بحرف الباء فيراد به الإثبات والاعتراف ،كقولك " آمن بالله " أى أثبت واعترف بوجود الله عز وجل أما إذا تعلق بحرف اللام فيراد به القبول والطاعة كقوله " آمن له أى أطاع أوامره ونواهيه وقبل شرائعه " . (٣)

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى : ١٤٥/١ ـ ١٤٧ .

(٢) انظر تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص٢٨ ـ ٢٥ لابراهيم بن محمد البيجورى ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى .

(٣) انظر المنهاج فى شعب الايمان ٢١/١ ـ ٢٢ (لأبى عبد الله الحسين بن الحسن الحليمى) الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م تحقيق حليمى محمد فودة .

اختلاف أقوال السلف في الإيمان :

١- منهم من يقول : الإيمان : قول وعمل ، ويراد بذلك اعتقاد صحة القول بالايمان ويقصد بالقول قول اللسان ، وبالعمل عمل الجوارح .

٢- ومنهم من يقول : قول ، عمل ، ونية ، وزاد نية لأن بعض الأعمال يكون فيها النية .

٣- ومنهم من يقول : قول ، وعمل ، ونية ، واتباع السنة ، وزاد اتباع السنة لأن الإيمان بالقول فقط بدون العمل لا يكفي ، أو بالقول والعمل دون النية نفاق أو بالقول والعمل والنية بلا سنة بدعة .

وهذا ماذهب إليه سهل بن عبدالله التسترى .

وكل هذه المعاني الثلاثة صحيحة(١) ، وأميل إلى الرأى الأخير لكونه خاليا من الاعتراضات والانتقادات كما يبدو لي .

والإيمان يكون عن تقليد ، وهو للعوام الذين يأخذون أقوال العالم من غير أدلة تدل عليه يكون عن علم ، وهو لذوى العلوم الذين يعرفون العقائد بأدلتها الإجمالية والتفصيلية .

وعن عيان ، وهو لأهل المراقبة الذين يراقبون الله بقلوبهم آناء الليل وأطراف النهار ، ولا يغفلون عنه طرفة عين .(٢)

وإذا أطلق فإنه يدل على فعل الواجبات ، وترك المحرمات ومن نفي الله ورسوله عنه الإيمان ، فلابد أنه ترك واجبا أو فعل

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية : ١٧١/٧ .
(٢) انظر تحفة المريد على جوهرة التوحيد : ص ٢٧ .

محرما (١) ، كقوله صلى الله عليه وسلم : " لا يزني الزاني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق وهو مؤمن " (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم : لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له . (٣)

ومن ترك شيئا من الطاعات القولية أو الفعلية لم يخرج من الإيمان ، وإنما يكون عاصيا فقط ، إلا إذا جحد ركنا من أركانه وبدّل الحكم بأن يحرم الحلال ويحلل الحرام ، ولو أنه خرج من الإيمان بمجرد تركه الطاعة لخرج الناس جميعا من الإيمان ، بكونهم يتركون بعض الطاعات في أكثر الأحيان . (٤)

ويجب التصديق بأركان الإيمان والإسلام ، لأن الدين كله يجتمع فيهما . ومعنى الإسلام لغة : الاستسلام والانقياد . (٥)

وفي الشرع : (إظهار الخضوع ، والقبول ، والامتثال والانقياد ، لما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة) (٦) .

وقد اختلف العلماء في تغاير الإيمان والإسلام واتحادهما إلى قولين :-

---

(١) انظر فتاوى ابن تيمية ٧/١٤

(٢) سنن الترمذي ٥/٢٦٢٥ أبواب الايمان ، باب لا يزني الزاني وهو مؤمن ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٣) الفتح الرباني ١٩/٢٣٣ ، كتاب الكبائر ، باب الترهيب من الغدر ونقض العهد ، قال في الفتح وسنده حسن .

(٤) انظر عمدة القارئ ١/١٠٣ ، ١٠٤

(٥) لسان العرب : ١٢/٢٩٣ .

(٦) انظر تحفة المريد ، ص ٣٠ .

١- ذهب بعض المحدثين والمتكلمين إلى أنهما مترادفان .
٢- ذهب المحققون إلى أنهما متغايران .(١)

أدلة القائلين بأنهما متحدان :-

١- الإيمان هو التصديق بالله ، والإسلام من التسليم وهو تسليم العبد نفسه لله عز وجل ، والواحد إذا استجاب للأعمال الباطنة " وهو الإيمان " فلابد له أن يستجيب للأعمال الظاهرة، التي هي مقتضى الإسلام ،

٢- إن الله عز وجل بين أن دينه هو الإسلام ولا يقبل دينا غيره بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ﴾(٢) وفي آية أخرى ، ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيْنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾(٣) وهاتان الآيتان تدلان على أن الإسلام لابد أن يدخل فيه الإيمان ..

والإيمان يدخل فيه الإسلام .

٣- لو كانا متغايرين لتصور أحدهما بدون الآخر ، ولتصور المسلم بأنه ليس بمؤمن .

رد أدلتهم :-

١- لا نسلم بأن الايمان هو التصديق بالله فقط، لأنه لو كان كذلك لأصبح أكثر الكفار مؤمنين لتصديقهم بوجود الله عز وجل، وكذلك لا نسلم أن التسليم هنا بمعنى تسليم

---

(١) الفتح الرباني : ١/٥٨.(احمد عبد الرحمن البنا) احياء التراث العربى
(٢) سورة آل عمران : آية (١٩).
(٣) سورة آل عمران : آية (٨٥).

العبد نفسه لأن أحد معانيه الانقياد الذى يستلزم التغاير ، لأن الواحد يمكن أن يكون منقادا فى الظاهر فقط دون الباطن .

٢- إن معنى الدين هو كل ماجاء من عند الله عز وجل عن طريق الوحي سواء كان انقيادا ظاهرا أو انقيادا باطنا فهو يشمل الاثنين معا .

٣- بان عدم تغايرهما لا يوجب اتحادهما ، لأن المنافقين كلهم مسلمون في الظاهر غير مؤمنين فقد وجد أحدهما بدون الآخر . (١)

أدلة القائلين بأنهما متغايران :-

١- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَٰتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ (٢)

وهذه الآية صرحت بالإيمان والإسلام ، وحرف العطف يدل على التغاير ، ولو أنهما متحدان لاكتفى بذكر أحدهما لأن كلا منهما إذا ذكر يغنى عن الآخر عند عدم ذكره . بقوله : ﴿ إن المؤمنين فقط أو المسلمين فقط ﴾

٢- إن أحاديث جبريل عليه السلام حين سأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام تبين أنهما متغايران . (٣)

---

(١) انظر عمدة القارئ : ١ / ١٠٦ - ١١٠ .
(٢) سورة الأحزاب : آية (٣٥) .
(٣) انظر عمدة القارئ : ١ / ١١٠

ويتبين بعد ذكر أقوال الفريقين ، وأدلة كل منهما ،أن من يقول إنهما متحدان قول ضعيف لمخالفته لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم،منها: ما روى علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه : " اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت " وفي سجوده : " اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت " . (١)

ولأن جبريل عليه السلام جعل الإسلام غير الإيمان .. والإيمان غير الإسلام حين سأله الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإسلام، فقال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤدى الزكاة وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا " وسأله عن الإيمان فقال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" (٢)

والرأى الصحيح من يقول: إنهما متغايران لقوة أدلته وموافقته للآيات الكريمة والأحاديث التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك .

قال ابن تيمية: لا شك أن النصوص كثيرة في الفرق بين الإسلام والإيمان ، ولكن إذا أريد عن كل منهما الفرد الكامل الذى يحمد صاحبه ويدخل الجنة، فهما مثلا زمان أو هما واحد . (٣)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى : ٩/ ٩٥ كتاب المسافرين ، باب صلاة النبى صلى الله عليه وسلم ودعائه بالليل .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : ١/ ١٥٧ ، كتاب الإيمان ، باب تعريف الإسلام والإيمان .
(٣) الايمان : ص ٣٢٩ - ٣٥٢ لابن تيمية. الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ المكتب الاسلامى.

وإذا ذكر الإيمان مع الإسلام فلابد أن يكون لكل منهما معنى مستقلا بأن يقصد بالاسلام ،الأعمال الظاهرة ويقصد بالايمان الاعمال الباطنة ويدل عليه ماروى أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الاسلام علانية ، والايمان مافي القلب " (١) أما إذا ذكر الإيمان وحده فلابد أن يدخل فيه الإسلام أو ذكر الإسلام وحده يدخل فيه الايمان وهذا هو المقصود من القول : إذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا . قال الخطابي : والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا ولا يطلق ، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا في بعض الاحوال ، ولا يكون مؤمنا في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الاحوال ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا .

هذا مااختاره الخطابي :

قال ابن تيمية : ((أجمع أهل القبلة على أن كل مؤمن مسلم وكل مسلم يؤمن بالله وملائكته و كتبه)) (٢)
وقد يكون المرء مسلما فى الظاهر غير منقاد في الباطن ، وقد يكون منقادا فى الباطن غير منقاد فى الظاهر وهذا إشارة إلى أن بينهما عموما وخصوصا

~~... سلام ، مثل الشخص الذي في ...~~
~~... بوجوده ووحدانيته~~
~~... ونبي فهو مؤمن ، وفي الوقت نفسه ليس مسلما لأنه لم~~
~~شيئا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن تشريعاته . (٢)~~

(١) الفتح الرباني : ٦٦/١ كتاب الايمان والاسلام ، باب في بيان الايمان والاسلام وقال : سنده حسن ، ومسند أحمد ١٣٤/٣ ، ومجمع الزوائد ٥٣/١ .
وقال الهيثمى رواه احمد وابو يعلى بتمامه والبزار باختصار ، ورجاله رجال الصحيح ، ماخلا على بن مسعدة وقد وثقه ابن حبان وأبو داود والطيالسي وابو حاتم وابن معين وضعفه آخرون .

(٢) الايمان بن تيمية (انظر الفتاوى) حـ ٣٣٣/٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم ،الأعمال الظاهرة من الإيمان ، وهو اثنتان وسبعون درجة،لا يمكن الزيادة عليها،وذلك في قوله :-(١) (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة،فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) (٢) وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان ، لأن هذه الأعمال ، لا تكون إيمانا بالله إلا بإيمان القلب،لأن القلب إذا صلح بالإيمان صلح الجسد بالإسلام . (٣)

وللإيمان ستة أركان وهي : أصول الدين التي بها أجاب النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام حين جاء إليه على صورة رجل أعرابي وقال :" .. فأخبرني عن الإيمان ؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ، ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " .. (٤)

١- الركن الأول : الإيمان بالله عز وجل : وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه وأنه هو وحده الذى يستحق جميع أنواع العبادة لا شريك له ، وأنه اتصف بصفات الكمال ، المنزه عن كل صفات النقصان . (٥)

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة : ص ١٠٧
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : ٢ / ٦ : كتاب الايمان ، باب الحياء شعبة من الايمان .
(٣) انظر الفتاوى : ٧ / ١٠٩
(٤) صحيح البخارى ١ / ٢٠ كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان .
صحيح مسلم بشرح النووى : ١ / ١٥٧ كتاب الإيمان،باب تعريف الاسلام والايمان واللفظ للمسلم .
(٥) أنظر مختصر شعب الايمان : ص ٩ . لابي جعفر عمر القزوينى وعلق عليه : محمد منير الدمشقى ادارة الطباعة المنيرية ١٣٥٥ .

٢- الركن الثاني : الإيمان بالملائكة :

وهو الاعتقاد الجازم بوجودهم، وهم عباد الله المكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولا يفترون عن عبادته ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾(١)

وليسوا إناثا ولا ذكورا ولا أندادا له ، كما زعم الظالمون والملحدون في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ، سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾(٢) وإنما هم خلق آخر ، لا يعلم حقيقتهم ولا عددهم إلا الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾(٣) وأجسامهم نورانية ، لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ويتشكلون بأشكال حسنة بأمر الله تعالى ، ولهم وظائف كثيرة ومختلفة(٤) ومنهم الموكل بالعبد في كل حالاته، يحفظونه ، وإذا جاء قدر الله خلوا عنه، وهم المعقبات ، في قوله تعالى ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾(٥) .. ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر في قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٦) وهم الكرام الكاتبون ، أحدهم عن يمين العبد يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيئات ، وهما يكتبان كل ما يصدر عن الإنسان من

---

(١) سورة الانبياء : آية (١٩ - ٢٠)
(٢) سورة الزخرف : آية (١٩) .
(٣) سورة المدثر : آية (٣١) .
(٤) انظر المنحة الالهية في شرح العقيدة الواسطية : ص ٧ . لابن تيميه تحقيق : على مصطفى الغرابى مكتبة ومطبعة محمد على صبيح .
(٥) سورة الرعد : آية (١١)
(٦) سورة ق : آية (١٨)

قول وعمل ونية ، لظاهر الآية .(١) .. وقال سفيان : إن كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات ، فإذا أذنب العبد ، قال : لا تعجل لعله يستغفر الله " .(٢)

ومنهم الموكل بالوحي وأمين الوحي .

وهو جبريل عليه الصلاة والسلام ، ومنهم الموكل بقسم الارزاق وهو ميكائيل عليه السلام ، ومنهم الموكل ، بنفخ الصور وهو إسرافيل عليه السلام ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه ، وهؤلاء الأربعة هم رؤساء الملائكة ، وهم الموكلون بالسموات والأرض وكل شيء يحدث في الكون يدخل في اختصاصهم ، وهم موكلون بأصناف المخلوقات ، وأنه سبحانه وتعالى وكل بالشمس والقمر ملائكة ، وبالأفلاك ملائكة ، وبالجبال ملائكة ، وبالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ، وبكل حوادث الكون وظواهره ملائكة " .(٣)

وللايمان بهم آثار عظيمة في نفس المؤمن منها :-

١- أنه لا يقع في الاوهام والخرافات التى وقع فيها من لا يؤمن بأمور الغيب .

٢- أنه لا يعصى الله في العلن وفي السر ، ولا يفعل المنهيات لأنه يستشعر رقابة الملائكة عليه ولهذا يكون دائما على ذكر الله ، ومن لا يستشعر بمراقبتهم على كل مايصدر عنه يعصي الله دائما .

---

(١) أنظر تفسير القرآن العظيم : ٤/٢٢٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن : ١٧/٩ .
(٣) أنظر شرح الطحاوية : ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

٣- أنه يصبر على مشقات الطاعة والعبادة ، ويشعر بالأنس والطمأنينة، لأنه يؤمن بأنه ليس منفردا في عبادته وطاعته لله وانما معه جنود الله تعبد كما يعبد وتسير كما يسير. (١)

٣- الركن الثالث : الإيمان بالكتب :

التصديق بأن لله كتبا أنزلها على رسله عليهم الصلاة والسلام هداية للبشر ، وأنه كلام من عنده وتكلم به على الوجه الذى أراد ، يجب الإيمان فيما أجمل وفيما فصل فيها ، والإيمان بها جملة ، لأنه لا يعلم عددها وأسماءها إلا الله تعالى .

وقد أخبرنا الله تعالى أنه أنزل الكتب على الرسل وذلك في قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ (٢) .

كما يجب الإيمان بها تفصيلا ، لأن الله تعالى أخبرنا عن أربعة منها :

١- التوراة التى نزلت على موسى عليه السلام ، حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ، بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ . (٣)

٢- الإنجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا

---

(١) انظر كتاب الايمان وأركانه ، حقيقته : ص٤٩ – ٥٠ د. محمد نعيم ياسين مكتبة التراث الاسلامى .

(٢) سورة البقرة : آية (٢١٣) .

(٣) سورة المائدة : آية (٤٤) .

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ ﴾ (١) الآية ،

٣- الزبور الذى نزل على داود عليه السلام في قوله :﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ (٢)

٤- الصحف التى نزلت على ابراهيم وموسى (٣) ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (٤)

كما يجب الإيمان بأن القرآن الكريم هو آخر كتاب نزل من عند الله تعالى، وأنه الكتاب الوحيد الذى ضمن الله له البقاء والخلود إلى أن تقوم الساعة ، ولم يدخل فيه أى تبديل وتحريف لأنّ الله تعالى تكفل بحفظه دون سائر الكتب السماوية في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٥) وأنزله مهيمنا ومؤتمنا وشاهدا على ما قبله من الكتب السابقة لما فيها من الصحيح ونافيا لما وقع فيها من تحريف وتغيير وتبديل ، فما شهد له بالصدق فهو المقبول ، وما شهد له بالرد فهو المردود . (٦)

والزبور الذى أنزل على داود عليه السلام وصحف ابراهيم وموسى ذكرت في القرآن لكنها غير موجودة الآن ، كأنها اندثرت منذ زمن طويل ، أما الإنجيل والتوراة الموجودين عند اليهود

---

(١) سورة المائدة : آية (٤٦) .

(٢) سورة الاسراء : آية (٥٥) .

(٣) انظر معارج القبول : ٢ / ٩٢ - ٩٥ . حافظ بن احمد حكمى المطبعة السلفية

(٤) سورة الأعلى : آية (١٨-١٩)

(٥) سورة الحجر : آية (٩)

(٦) الكواشف الجلية : ص ٣٧ - ٣٨ .

والنصارى فلا يجوز أن يكونا منزلين من عند الله لوقوع التحريف والتبديل (١) فيهما .

٤- الركن الرابع : الإيمان بالرسل :

الإيمان بأن لله رسلا أرسلهم إلى الناس ليرشدهم إلى طريق الحق ويخرجوهم من الظلمات إلى النور ، مبشرين بالجنة لمن أطاع ومنذرين بالنار لمن عصى ، ويجب الإيمان بهم جملة ، يقول تعالى : ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ (٢)

وقد ورد في عدد الأنبياء والرسل حديث أبي ذر وفيه : (قلت : يارسول الله كم المرسلون ؟ قال : ثلاثمائة وأربعة عشر جما غفيرا ، وقال : مرة خمسة عشر) (٣)

وذكره الهيثمي مطولا (٤) (وفيه : قلت يانبي الله كم عدد الأنبياء قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا" (٥)

والايمان بهم تفصيلا ، وهم الذين ذكروا في القرآن خمسة وعشرون رسولا ، وهم : آدم (١) ونوح (٢) وادريس (٣) وصالح (٤) وابراهيم (٥) وهود (٦) ولوط (٧) وإسماعيل (٨) وإسحاق (٩) ويعقوب (١٠) ويوسف (١١) وأيوب (١٢) وشعيب (١٣) وموسى (١٤) وهارون (١٥) واليسع (١٦) ويونس (١٧) وذوالكفل (١٨)

المنهاج في شعب الايمان : ٣٢٣/١

(٢) سورة النساء : آية (١٦٤)

(٣) مسند الامام أحمد : ١٧٨/٥

(٤) أنظر موارد الظمآن ص ٥٤ كتاب العلم باب السؤال للفائدة . وقال : فيه ابراهيم ابن هشام بن يحيى الغساني ، قال ابو حاتم وغيره : كذاب .

(٥) مجمع الزوائد ١/ ١٩٥ وهذا الحديث غزاه الهيثمي الى أحمد والطبراني في الكبير وقال : مداره على علي بن زيد وهو ضعيف وله شواهد .

وداود (١٩) وزكريا (٢٠) وسليمان (٢١) وإلياس (٢٢) ويحـى (٢٣) وعيسى (٢٤) ومحمد (٢٥) صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢) ، ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣) ، ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٤) ، وورد ذكر الآخرين في مواضع من القرآن في قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (٥) وقال : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ (٦) وقال ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (٧) وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ (٨) وقال : ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٩) وقال ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (١٠)

ويجب الإيمان بأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله ،

---

(١) سورة الأنعام : آية (٨٣)
(٢) سورة الأنعام : آية (٨٤)
(٣) سورة الأنعام : آية (٨٥)
(٤) سورة الأنعام : آية (٨٦)
(٥) سورة هود : آية (٥٠) ، سورة الاعراف : آية (٦٥)
(٦) سورة هود : آية (٦١) .
(٧) سورة الأعراف : آية (٨٥)
(٨) سورة آل عمران : آية (٣٣)
(٩) سورة الأنبياء : آية (٨٥)
(١٠) سورة الفتح : آية (٢٩)

ولم يكتموا عنه شيئا ، بل بينوه بيانا شافيا ، وتصديقهم في كل ما يبلغونه ومحبتهم واحترامهم وتعظيمهم بدون الغلو ، وليس لهم إلا البلاغ ، وأنهم وسائط بين الله وعباده في تبليغ دينه وشرعه، وليس لأحد أن يتوسط بهم إلى الله تعالى في قضاء حاجاته، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلهم جميعا ، ويجب الإيمان به في كل ما أتى به من عند الله كما يجب محبته واحترامه واتباعه ظاهرا وباطنا . (١)

٥- الركن الخامس : الإيمان باليوم الآخر :

هو الايمان بأن وراء هذه الحياة المحدودة المؤقتة حياة أبدية لا نهاية لها ، وهو (اليوم الآخر) الذى يميز فيه المؤمنون والكافرون وأهل النار وأهل الجنة ، يجب الإيمان بكل ما أخبر به الله ورسوله مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه والبعث والحشر والحساب وتطاير الصحف والميزان ودخول الجنة بفضل الله ودخول النار ، والإيمان بالصراط والشفاعة والحوض والميزان" إلى غير ذلك .

وإذا تأملنا القرآن الكريم نجد أنه يربط الإيمان به والإيمان بالله عز وجل لشدة الاهتمام به والخوف منه ، كقوله تعالى : * قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ * وقوله : * وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ * ومن حكمة هذا الاهتمام أن الإيمان به وبما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب وثواب هو أشد تأثيرا في توجيه الإنسان إلى طريق الحق والخير ، وانضباطه والتزامه بالتقوى والعمل الصالح ، وهذا لا يكون إلا بقوة الوازع النفسي ،

---

(١) انظر شرح الطحاوية ، ص ٢٨٩

الذى هو كثرة ذكر الله تعالى ، كما أن الإيمان به يخفف على قلب المؤمن حب الدنيا ، وبذل الجهد في طلب زخرفها ومباهجها لأنه يعلم أنه زائل ، وفان ، ويقصد بأعماله فيها من أجل الآخرة فقط ومن حكمة الاهتمام البالغ لتذكيره كثرة نسيان العبد له وغفلتهم عنه ، بسبب شدة حبهم للدنيا .

ومن آثار الإيمان باليوم في نفس المؤمن :

١- أنه يراقب الله في كل أقواله وأفعاله ، سرا وجهرا لأنه يؤمن بأن هناك حساب وجزاء .
٢- أنه يبذل النفس والنفيس في سبيل الله تعالى ، ليرجو دخول الجنة الذى وعده الله إياها .
٣- أنه يصبر على المصائب ، لعلمه أن ذلك من الله تعالى وسوف يؤجره الله على ذلك يوم القيامة . (١)

٦- الركن السادس : الإيمان بالقدر خيره وشره :

هو الإيمان بأن كل ما يقع في الأرض والسماء من خير وشر إنما هو بقدر الله وتقديره ، وأن كل ما قدره الله واقع لا محالة ، وكل ما لم يقدره يستحيل وقوعه لذلك لا يوجد شيء يخرج عن تقديره ومشيئته " (٢)

(والقدر سر من أسرار الله لم يطلع عليه أحد ، لذلك نهى الله تعالى عن الخوض والتعمق فيه ، وقد سأل رجل عليا ابن أبى طالب رضى الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني

---

(١) انظر كتاب الايمان وأركانه : ص ٧٧ - ٧٨
(٢) انظر الكواشف الجلية : ص ٨٤ .

عن القدر ؟ قال : طريق مظلم ، فلا تسلكه، فأعاد السؤال فقال : بحر عميق لا تلجه ، فأعاد السؤال فقال : سر الله خفي عنه فلا تفشه) (١)

ومراتب الايمان بالقدر أربعة :-

١- علم الله تعالى بالأشياء قبل خلقها .
٢- كتابة ذلك في الأزل قبل خلق السموات والأرض .
٣- مشيئته تعالى وقدرته الشاملة .
٤- خلقه وايجاده وتكوينه للمخلوقات ، فالله خالق وما سواه مخلوق . (٢)

والإيمان بالقدر لا ينافي أخذ الأسباب، لأنه عالم أزلا بالمسببات وأسبابها ، وارتباط كل مسبب بسببه ، والإنسان مختار في مباشرته لهذه الاسباب ، ولولا ذلك لم يكن هناك ثواب وعقاب، ولا منافاة أيضا بين الإيمان بالقدر خيره وشره وبين الاستعاذة من سوء القضاء (٣) لقوله صلى الله عليه وسلم : .. وقني شرّ ما قضيت .. " (٤)

والإيمان به هو أساس الرضا من المصائب والنوائب، لأنه يعلم أن الكل من عند الله تعالى : قال سبحانه *وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ ، وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ ، كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ * (٥)

والإيمان بالقدر أساس الشجاعة والإقدام ، لأن الذى يؤمن بالقدر يكون شجاعا لا يهاب إلا الله ، لأنه يعلم أن الأجل مقدور وأنه

---

(١) تيسير العزيز الحميد : ص ٦٨٦
(٢) انظر معارج القبول : ٢ / ٢٢١ وما بعدها .
(٣) انظر هدى النبوة : ص ٩٠ - ٩٣ .
(٤) رواه الامام أحمد في المسند ١ / ١٩٩ وفي مجمع الزائد ٢ / ٢٤٤ ، قال الهيثمي رجاله ثقات .
(٥) سورة النساء آية : (٧٨)

لا يصيبه شيء إلا بقدر الله ومشيئته ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا ، كما أنه أساس عدم الخوف من ضرر الإنسان ونفعه لأنه يعلم أن النفع والضرر من عند الله، ولا يستطيع أهل الدنيا أن ينفعوه أو يضروه إلا بقدر الله ، يقول صلى الله عليه وسلم : .. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " : (١).

كما أنه أساس عدم الندم على ما فات ، لقوله صلى الله عليه وسلم .. وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان " (٢).

ومن تجزع نفسه من المصائب التي نزلت عليه ، فجزعه دليل على ضعف الايمان ، لذلك لا يستطيع الايمان به كما ينبغي إلا الذين اخلصوا نيتهم لله .

---

(١) رواه الترمذي من حديث ابن عباس صفة القيامة وقال: حسن صحيح
(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ٢١٥

قال تعالى :

(فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) [1]

(١) الآية :(١٥)

المطلب الثاني

" الالتزام بالأمر الالهى والنهي الإلهي

إن الالتزام بالأوامر واجتناب النواهي الإلهية دليل على ايمان الإنسان،ولا تكون صحة صدق إيمانه ،إلا إذا اقترن إيمانه ، بأعمال جوارحه ،بأن يلتزم الأوامر ، ويجتنب النواهى ، لأن(الإيمان ليس بالتمنى ؛ولكن ماوقر في القلب ، وصدقه العمل)(١) ومما لا شك فيه أن العمل والالتزام بالأمر والنهي الإلهي يؤدى بالعبد إلى القرب من ربه ، ويفوز بدخول الجنة ، وأما من يكون عمله خاليا من ذلك فإنه يكون من أولياء الشيطان ويكون متبعا لهواه الذى نهى الله عنه بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ(٢) ﴾ ثم يدخل النار إن لم يتب عن ذلك .

ووجوب هذا الالتزام أمر ضرورى لحياة الفرد والجماعة ، لأن الأفراد والجماعات لا يكونون مؤمنين حقا إلا إذا التزموا بالأوامر واجتنبوا النواهي ، ولا شك أن التزامهم بتعاليم دينهم الحنيف سبب سعادتهم في الدنيا والآخرة وأساس فلاحهم ، ومصدر أمنهم واستقرارهم وانتصارهم على أعدائهم ، وبعدهم عن الالتزام بذلك هو سبب هزيمتهم أمام الاعداء ، وخسرانهم وهلاكهم وخزيهم في الدنيا والآخرة .

---

(١) ذكره السيوطى في الجامع الصغير ، وقال ضعيف ، انظر فيض القدير ٥/٣٥٥ .
وقال عنه ابن تيمية في كتاب الايمان ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ هو من كلام الحسن البصرى ،وذكره رشيد رضا في المنار ١/٣٣٦ ، وعزاه للبخارى في التاريخ من حديث أنس مرفوعا ، وذكره سيد قطب في الظلال ٣/١٤٧٤ عند تفسير قوله تعالى في سورة الانفال " فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين " .
وعزاه في الهامش للديلمى في مسند الفردوس من حديث أنس والحديث موضوع .

(٢) سورة ص : آية (٣٦)

ولا يخفى على العاقل أن جميع البشر في خسران مبين ، إلا الذين التزموا بأوامر ربهم ، واجتنبوا نواهيه ، ولن تقوم للمسلمين قائمة إلا إذا رجعوا إلى الاعتصام بالله عز وجل والالتزام بشريعته ، ولن ينتصروا على أعدائهم بكثرة عددهم وعدتهم ، وإنما بقوة إيمانهم ، وتمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم مع أخذهم بالأسباب التى أمرهم الله بها ، وكذلك لا يخفى على العاقل أن المجتمع لن يكون مجتمعا إسلاميا إلا إذا كان ملتزما بالمبادئ الإلهية والأصول الشرعية .

ونلاحظ أن سورة الشورى تحث على امتثال الأوامر واجتناب النواهي في كل سطر من سطورها ، لتنبه المؤمنين على أن تكون نواياهم وأقوالهم ، وأفعالهم وسلوكهم خاضعة لله سبحانه وتعالى في كل حال من الأحوال .

كما نلاحظ أن أكثر الناس من يلتزمون بالأوامر ولا يتركون النواهي إلا الذين آمنوا حق الإيمان ، وذلك أن فعل الأوامر وترك النواهي يحتاجان إلى مجاهدة النفس ومغالبة الهوى ، كالذى يصلى ويصوم لكنه يغتاب ويكذب .

وهم تحت المشيئة الإلهية إن شاء غفر الله لهم ، وإن شاء عاقبهم كالذى يعمل المعصية وكانت صغيرة في نظره ، ولكنها كبيرة عند الله ، لأن فيها الاستخفاف بالدين ، كمثل الذى يرمي الأوراق المشتملة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية - وهو يعلم - في الأماكن القذرة ، وذلك لأنه خلط العمل الصالح السيء ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

---

(١) سورة التوبة : آية (١٠٢)

ومثله من أكل الطعام الطيب والطعام الفاسد قد يرجى له السلامة وقد يرجى له العطب .(١)

ويستحق من امتثل الأوامر واجتنب النواهي أمران :

أ - يستحق الغفران وتطهير ذنوبه وسيئاته

ب - يستحق الثواب ورفع الدرجات .

ولا شك أن استحقاق الخيرات والمنافع العاجلة أو الآجلة وزوال المصائب والشدائد والسيئات في الدنيا والآخرة ناشئة من القيام بالأوامر والإبتعاد عن النواهي .(٢)

وليست الأوامر والنواهي على درجة واحدة ، وإنما على درجات مختلفة وذلك باعتبار اختلاف المصالح والمنافع التى ترتب على امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وباعتبار المفاسد والأضرار التى تترتب على مخالفة ذلك .

وتنقسم الأوامر والنواهي إلى قسمين : هما :

(١) الصريح منها (٢) وغير الصريح

١- أما الصريح فأمران :

أ - الأمر الاول : الفهم والنظر إلى مجرد الصيغة" صيغة الأمر أو صيغة النهي " من غير بيان السبب والعلة مثاله : ما روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبيّ بن كعب ، فقال

---

(١) أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية : ٢٠ / ١٣٦ - ١٣٧

(٢) أنظر الرياض الناضرة : ص ١١٤ - ١١٥ . الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى) الطبعة ١٣٤٠ هـ - ١٩٨٠ م مكتبة المعارف - الرياض

رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أُبيّ - وهو يصلي - فالتفت أُبيّ فلم يجبه وصلى أُبيّ فخفف ، ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك يا أُبيّ أن تجيبني إذ دعوتك فقال : يا رسول الله إني كنت في الصلاة ؟ فقال أفلم تجد فيما أوحى الله إليّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ "(١) قال : بلى ولا أعود إن شاء الله "(٢) فأُبيّ بن كعب علل عدم إجابة ندائه صلى الله عليه وسلم أنه في الصلاة ، وعليه أن لا يشغل نفسه عن الصلاة ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يجوز له قطع صلاته بإجابة ندائه ، اذ أصحاب هذا القول يأخذون الأمر الإلهي أو النهي الإلهي كما هو ، بدون معرفة السبب أو بيان الحكمة .

ب - الأمر الثاني : الفهم والنظر إلى الغرض الشرعي ، بتتابع الأدلة والقرائن القولية والفعلية (٣) ، كما يقول الله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (٤) والغرض من هذه الآية المحافظة والمواظبة عليها بالأدلة القولية الواردة بالمحافظة عليها كقوله تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ (٥) وبالقرائن الفعلية كما فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم بإقامتها والمواظبة عليها (٦) .

---

(١) سورة الانفال آية (٢٤) .

(٢) سنن الترمذى : ٤ / ٢٣١ ، أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

(٣) انظر الموافقات في أصول الشريعة : ٣ / ١٤٤ .

(٤) سورة البقرة : آية (١١٠)

(٥) سورة البقرة : آية (٢٣٨)

(٦) الاحكام في اصول الاحكام : ١ / ٨٤ . سيف الدين ابى الحسن الآمدى الناشر : مكتبة ومطبعة محمد على صبيح

أما الأوامر الصريحة فهي درجات :

١- الوجوب : وهو ما يثاب على فعله ، ويعاقب على تركه ، ويدل الأمر على الوجوب إذا كان مطلقا لم يقترن بقرينة تصرفه إلى غيره ، كقوله تعالى : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (١)

من أدلة الأمر للوجوب :

١- تهديد الله على المخالفة عن أمره كقوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢)

٢- عدم الاختيار أمام أمر الله ورسوله ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (٣)

٣- المؤاخذة على عدم الامتثال (٤) لأمره كقوله تعالى :
﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ (٥)

٤- بعض الصيغ التي تدل على أن الأمر للوجوب منها :
أمر ، يأمر ، فرض ، كتب ، ووصى ، أوصى .
كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (٦) وقوله :
﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ (٧) وقوله : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ ﴾ (٨)

---

(١) سورة الشعراء : آية (١٤٣)
(٢) سورة النور : آية (٦٣)
(٣) سورة الاحزاب : آية (٣٦)
(٤) مناهج الشريعة الاسلامية : ٣ / ١٤٤
(٥) سورة الاعراف : آية (١٢)
(٦) سورة النحل : آية (٩٠)
(٧) سورة القصص : آية (٨٥)
(٨) سورة البقرة : آية (٢١٦)

وإذا اقترن الأمر بقرينة تصرفه عن الوجوب يكون الأمر :

١- للندب : وهو ما يثاب عليه فعله ، ولا يعاقب على تركه ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١)

٢- أو يكون للإباحة : وهو ما لا يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه ، ويمكن أن يثاب من يفعل المباح إذا قصد بفعله طاعة الله عز وجل فإنه يثاب على حسن نيته . (٢) كقوله تعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (٣) فالأكل والشرب مباحان فإذا قصد بأكله وشربه تقوية جسده على الطاعة والعبادة ، فإنه يثاب على ذلك .

٣- أو يكون للإرشاد : كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ (٤) والفرق بينه وبين الندب ، هو أن الندب لثواب الآخرة والإرشاد لمنافع الدنيا ، ولا ينقص الثواب بتركه ، ولا يزيد بفعله إذا لم تكن نيته طاعة الله عز وجل والخضوع لما أرشد به ، فإذا كانت نيته الأدب مع شرع الله تعالى ، والاستجابة لإرشاده فإنه لا شك يثاب على نيته .

٤- أو يكون للتهديد : كقوله تعالى : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ (٥) والمراد تهديدهم وتخويفهم من عاقبة ما يفعلون .

٥- أو يكون للامتنان كقوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ (٦) والمراد : كلوا من هذا الرزق

---

(١) سورة الاعراف : آية (٢٠٤)
(٢) الأحكام في أصول الاحكام : ١/ ٩١-٩٤
(٣) سورة البقرة : آية (٥٧)
(٤) سورة البقرة : آية (٢٨٢)
(٥) سورة فصلت : آية (٤٠)
(٦) سورة المائدة : آية (٨٨)

الحلال الذى منّ الله عليكم به، والعلاقة بينه وبين الإباحة ، ان الامتنان في المأذون فيه ، والإباحة في الإذن .

٦- أن يكون للإكرام (١) ، كقوله تعالى : ﴿ أُدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٢) ﴾ أى أدخلوا الجنة إكراما لكم .

والنهى في اللغة : هو الأمر بالكف .

وفي الاصطلاح : هو القول بطلب الترك والمنع على شيء ما من الأعلى إلى الأدنى .

والنواهي الإلهية درجات :

١- الحرام : هو ما يعاقب فاعله ويثاب تاركه .

ويدل النهى على التحريم : إذا لم يقترن بقرينة تصرفه إلى غيره ومنه قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ ﴾ (٣)

صيغة النهي : لا تفعل ، وما يفيد الحظر مثل : محرم - حرم - حرمت - ينهى وانتهوا ، مثل قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ (٤) الآية .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥)

---

(١) انظر شرح البدخش ٢/ ٢١-٢٢ (الامام محمد بن حسن البدخش) الطبعة الثالثة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥١ م مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

(٢) سورة الحجر : آية (٤٦)

(٣) سورة النساء : آية (٤٣)

(٤) سورة المائدة : آية (٣)

(٥) سورة النحل : آية (٩٠)

ب - صيغة النهي المقترن بما يدل على أن الترك حتم وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ (١).

جـ - صيغة الأمر بالاجتناب : إذا اقترنت بما يدل على أن الاجتناب حتم ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢)

د - استعمال لفظ لا يحل (٣) مثل قوله تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ، وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ (٤)

وإذا اقترن بقرينة تصرفه إلى غرض آخر ، انصرف النهي عن التحريم إلى :

١- الكراهية : مثاله قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ (٥)

والكراهية على القول بأن المراد بالخبيث الردىء ، وسبب نزول الآية على نحو ما قال الطبرى : (أن الأنصار كانوا يعمدون أيام جذاذ النخل ، فيخرجون من بساتينهم البسر ويعلقونه على حبل بين أعمدة مسجد النبى صلى

---

(١) سورة الأنعام : آية (١٥٢) وسورة الاسراء : آية (٣٤)
(٢) سورة المائدة : آية (٩٠)
(٣) الأمر والنهي عند الأصوليين : ص ١٦٤ (د. احمد يونس سكر) الطبعة الأولى ١٣٩٧ - ١٩٧٧ الناشر دار الطباعة المحمديه .
(٤) سورة البقرة : آية (٢٢٩) .
(٥) سورة البقرة : آية (٢٦٧) .

الله عليه وسلم ليأكل منه فقراء المهاجرين ، وكانوا يخلطون البسر بالحشف ظنا منهم جواز ذلك ، فنزلت الآية) (١)

٢- الدعاء (٢) : كقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ (٣)

٣- الإرشاد : كقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ (٤)

٤- بيان العاقبة كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (٥)

٥- التسوية : كقوله تعالى : ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ﴾ (٦)

٦- اليأس : كقوله تعالى : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٧) وليس المراد النهي من الاعتذار وإنما المراد اليأس وقطع الأمل من رحمة الله تعالى ﴾ (٨)

وإذا عرف المؤمن درجات الأوامر والنواهي ، يجب عليهم أن يستجيبوا لكل ما أمر الله به ، وينهى عنه ، وأن يأتوا بما أمروا به على قدر استطاعتهم وطاقتهم بقوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٩) وأن يتركوا النواهي كلها دون تمييز ، لحديث

---

(١) تفسير الطبري : ٣ / ٥٥ .
(٢) شرح البدخش : ٢ / ٧١
(٣) سورة آل عمران : آية (٨)
(٤) سورة المائدة : آية (١٠١)
(٥) سورة آل عمران : آية (١٦٩)
(٦) سورة الطور : آية (١٦)
(٧) سورة التحريم : آية (٧)
(٨) أنظر الاحكام : ٣ / ٤٨
(٩) سورة التغابن : آية ١٦)

رواه أبو هريرة رضى الله عنه ، من النبى صلى الله عليه وسلم قـــال :
" ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم " . (١)

وأن لا يشددوا على أنفسهم في أمر من الأوامر ، لأنّ الديـــن يسر لاعسر فيه ، فمن أراد التشديد ، فقد جانب الطريق الحـــق بدليل ما رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الـــى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلمـــا أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبى صلى الله عليـــه وسلم : قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم : أمـــا أنا فإنى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطـــر وقال آخر ، أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أمـــا والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقـــد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى " . (٢)

وينبغى على العباد أن يكثروا من الطاعات والأعمـــال الصالحة ، لأن الثواب على قدر طاعتهم ومشقتهم وأعمالهم الصالحـــة ،

ويجب العلم أن ترك الأوامر أعظم عند الله من ارتكـــاب النواهي ، بأدلة منها :

١- يقول سهل بن عبد الله : إن الله تعالى أمر ابليس أن يسجد لآدم عليه الصلاة والسلام فعصى أمره فغضب عليه ولعنـــه

---

(١) صحيح البخارى : ٩ / ١١٧ كتاب الاعتصام باب الاقتداء بسنـن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وصحيح مسلم ١٥ / ١٠٩ ، كتاب الفضائل باب وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم واللفظ له

(٢) صحيح البخارى ٧ / ٢ كتاب النكاح ، باب الترغيب فـــي النكاح .صحيح مسلم ٩ / ١٧٥ كتاب النكاح ، باب استحبـــاب النكاح لمن تاقت نفسه واللفظ البخارى .

وجعله عدوا له وللمؤمنين ،أما آدم عليه السلام فتاب الله عليه حين أكل من الشجرة ، التى نهاه عن أكلها .

٢- إن ارتكاب النواهي سببه الشهوة والحاجة،أما ترك الأوامر فسببه الكبر ، والله عز وجل لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ويدخلها من مات على التوحيد وإن زنى وسرق كما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

٣- إن فعل المأمورات يحفظ قوة الإيمان ويزيدها ، بينما ترك المنهيات يحميها من الأمور التى تضعف قوة الإيمان ويخرجها عن حد الاعتدال .

٤- إن فعل المأمورات حياة القلب وغذاؤه ، ونعيمه ، بينما ارتكاب المنهيات موت القلب وعذابه .

٥- إن فعل الأوامر عبودية وتقرب وخدمة لله عز وجل ، بينما ارتكاب النواهي معصية لله وبعد عنه . (١)

---

(١) أنظر الفوائد : ص ٢٠٥ الى مابعدها . (لابن قيم الجوزية من منشورات المؤسسة السعيدية بالرياض مطبعة الكيلاني .

قال تعالى :

(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ) (١)

(١) الآية : (١٣)

المطلب الثالث

لا اختلاف في أصول الأديان "

إن الله تعالى أرسل رسله إلى الخلق جميعا ، منذ سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بأصول واحدة ، وغايات واحدة ، وهي إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادات من الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر ، والدعوة الى مكارم الأخلاق ، والنهي عن رذائلها ، فأصول دعوتهم متفقة وواحدة ، أما فروعها وشرائعها فمختلفة ، حسب تطور الأزمان واختلاف الأماكن ، وأسباب كثيرة ، ومصالح لا يعلمها إلا هو عز وجل ، وذلك رحمة وفضلا منه . (1)

ويدل على أن شرائعهم مختلفة قوله تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٢) وقد اختلف المفسرون في معنى لفظ الشرعة والمنهاج .

١- الشرعة والشريعة في كلام العرب : المشرعة التى شرعها الناس فيشربون ويسقون منها . (٣)

٢- وقيل إن " الشريعة هى الطريقة ، ثم استعير ذلك للطريقة الإلهية المؤدية إلى الدين ، و(المنهاج) الطريق الواضح .

٣- ومنهم من قال : (الشريعة) هي التى أمر الله بها عباده (والمنهاج) الطريق الواضح المؤدى إلى الشريعة . (٤)

---

(١) انظر طريق الهجرتين : ص ٢٢٥ (لابن قيم الجوزية) تحقيق عبد الله بن ابراهيم الانصارى .
(٢) سورة المائدة : آية (٤٨)
(٣) لسان العرب ، ٨/ ١٧٥ .
(٤) تفسير الخازن : ١/ ٤٧٠

٤- ومنهم من قال : الشرعة والمنهج بمعنى واحد ، وهو الدين ، والتكرار للتأكد ولاختلاف اللفظين .

٥- وقال آخرون : هما مختلفان ، فالشرعة هي الشريعة كلها ، والمنهج هو مكارم الشريعة ، كالصدق والأمانة وغيرهما .(١)

٦- قال ابن عباس : " الشرعة ماورد به القرآن ، والمنهاج ماوردت به السنة " .(٢)

٧- قال المبرد : " الشرعة ابتداء الطريق ، والمنهاج : الطريق المستمر "

٨- قال ابن الأنبارى : الشرعة الطريق الذى ربما كان واضحا وربما كان غير واضح والمنهاج الطريق الذى لا يكون إلا واضحا .

وللمفسرين في معنى الآية أقوال :

١- قول الأكثرين : جعلنا لكل ملة شرعة ومنهاجا ، فلأهل التوراة شريعة خاصة ، ولأهل الانجيل شريعة خاصة ، ولأهل القرآن شريعة خاصة ، فلكل واحدة من هذه الأمم الثلاث شرعة خاصة بها ومنهاجا خاصا بها .

٢- قال مجاهد : لكل واحد من المسلمين جعلنا له القرآن شرعة ومنهاجا .

٣- قال ابن عباس وقتادة : جعلنا لكل أمة سنة وسبيلا .

---

(١) انظر الفخر الرازى : ١٢/١٢

(٢) المفردات ص ٢٥٨

والقول الأول هو الراجح ،لأن الآيات التى قبلها تدل على ذلك .. والخطاب فيها قولان :

١ - قال قتادة : الخطاب للأمم الثلاث ،أمة موسى عليه السلام ، وأمة عيسى عليه السلام ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم [١] بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ ثم قال : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ ثم قال : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٢]

٢ - لجميع الأمم، والرأى الراجح هو الأول ،لدلالة النص القرآني عليه ، قال صديق خان : إن هذه الآية قبل نسخ القرآن للشرائع السابقة، أما بعد نسخه لها فلا شرعة ولا منهاج إلا ماجاء به صلى الله عليه وسلم . [٣] وهذه الآية وأمثالها دالة على حصول التباين بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ووردت في الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات ، أما الأيات التى تدل على عدم التباين بينهم، فهي وردت في أصول الدين [٤] كقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [٥] .

الآية التي تقول : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " تشمل أمرين :

١- الأمر الأول : أمر ثابت ، لا يدخله النسخ في جميع الأديان ، وهو أمور الغيبيات التى لا يعلمها إلا الله عز وجل ، والأمور المتعلقة بالذات الالهية ، وأصول الأديان ، وهو مفهوم

---

(١) انظر زاد المسير : ٣٧٣/٢ (ابن قيم الجوزيه) المكتب الاسلامى .
(٢) سورة المائدة : آية (٤٦ - ٤٨)
(٣) انظر فتح البيان : ٤٤/٣ (صديق حسن خان) مطبعة العاصمة .
(٤) انظر تفسير الخازن ٤٧٠/١ (الامام علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى المعروف بالخازم) دار المعرفة للطباعة والنشر .
(٥) سورة الشورى : آية (١٣) .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَعَمِلَ صَالِحًا ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١)
وقوله تعالى : ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (٢) وهذا يعرف بضرورة العقل والفطرة - نفعه في الدنيا والآخرة ، ومجامع هذه الشرائع أمران :

أ - تعظيم الله تعالى ب - الشفقة والرحمة بالخلق .

وهذا الأمران لا تختلف فيهما شرائع الأنبياء .

٢ - الأمر الثاني : أمر متغير ومتجدد ، يدخله النسخ ، وهي الأمور المتعلقة بالإنسان وتتغير بأحواله (٣) وهذا مالم نعرفه إلا عن طريق السمع ، ويتغير ويتجدد باختلاف الزمان والمكان والحال والمصلحة . (٤)

إذا شرائع الأنبياء والرسل يختلف بعضها عن بعض، فقد يكون الشيء واجبا في شريعة ، ثم يكون غير واجب في شريعة أخرى ، أو يكون حراما في شريعة ، ثم يكون حلالا في شريعة أخرى ، أو يكون شديدا في أخرى ، ثم يكون خفيفا في غيرها ، لما في ذلك من حكمة بالغة ، يعلمها الله عز وجل . . ومثال الشيء الذى كان حلالا في شريعة ، ثم صار حراما في شريعة أخرى ، المحارم، وذلك أنه لم تشرع المحارم في عهد سيدنا آدم عليه السلام ، وأولاده إلى

---

(١) سورة المائدة : آية (٦٩)
(٢) سورة البقرة : آية (٢٨٥)
(٣) انظر محمد رسول الله : ص ٧٩ (بشرى زخارى) الطبعة الثانية عالم الكتاب
(٤) انظر فتح المجيد : ص ٣٢٥ ومابعدها

أن بعث الله عز وجل نوحا عليه السلام بتحريم الأمهات والبنات . (١)

وهم مبعوثون جميعا بدين الإسلام ، الذى هو الدين جميع الأنبياء والرسل ، من أولهم إلى آخرهم ، ودين أهل السموات وأهل التوحيد ، من أهل الأرض (وأديان أهل الأرض ستة ، واحد للرحمن وخمسة للشيطان فدين الرحمن هو الإسلام ، ودين الشيطان هو اليهودية ، والنصرانية ، بعد التحريف ، والمجوسية ، والصائبة ، ودين المشركين) . (٢)

أضف إلى ذلك الزنادقة ممن لا دين لهم .

والآيات التى تدل على أن دعوتهم واحدة والإسلام هو دينهم :

١- قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٣)

٢- قال نوح عليه السلام لقومه فيما حكاه الله عنه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ، فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ . (٤)

٣- ما حكاه الله عن إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ، إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ (٥)

---

(١) انظر روح المعاني : ٢٥ / ١٩
(٢) مدارج السالكين : ٣ / ٤٧٦ (ابن قيم الجوزيه) دار الكتاب العربى
(٣) سورة الأنبياء : آية (٢٥)
(٤) سورة المؤمنون : آية (٢٣)
(٥) سورة الزخرف : آية (٢٧)

٤- يقول تعالى عن يوسف عليه السلام : " أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ " (١) ومن السنة ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد " (٢) والاسلام عام وخاص ، والإسلام العام : بمعنى الاستسلام ، والانقياد والخضوع لله عز وجل وهذا النوع أتى به كل الأنبياء ، والرسل من عهد آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. أما الاسلام الخاص : فهو دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أتى به ، ويدين به المسلمون ، منذ أن بعث إلى أن تقوم الساعة وهو المنهج الذى أمره تعالى به ، من صلاة وصوم ، وزكاة ، وحج ، وغير ذلك من المسائل المعروفة في دين الاسلام ، ومن استسلم لله ولغيره ، كان مشركا ، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته ، وهما كافران (٣) والاسلام هو الدين الوحيد الذى لا يقبل الله من بين الأديان الاخرى ، دينا سواه ، لا في القديم ، ولا في الجديد .. لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٤)

وقوله : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾ (٥)

---

(١) سورة يوسف : آية (١٠١)

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : ١١٩/١٥ : كتاب الفضائل باب عيسى عليه السلام ، (علات) بفتح العين وتشديد اللام ، وهم الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد النهاية في غريب الحديث : ١٩١/٣ .

(٣) أنظر الرسالة التدمرية ص ٥٣ وما بعدها . (ابن تيمية) الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ مطبعة السنه المحمدية - القاهرة

(٤) سورة آل عمران : آية (٨٥) .

(٥) سورة آل عمران : آية (١٩) .

قال تعالى :

(اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)(١)

(١) الآية : (١٥)

المطلب الرابـــع

" الحكم لله بين سائر الأديان يوم القيامـــة "

قبل الرسالة المحمدية ، كان دين اليهود ، ودين النصارى ، مقبولا عند الله تعالى ، وصحيحا ، لكن بعد وفاة أنبيائهم حصل فيهما التحريف والتبديل والتغيير ، أما الإسلام فقد تكفل الله بحفظه من كل ذلك . (١)

واليهود هم قوم موسى عليه السلام وسموا بهذا الاسم ، لأسباب كثيرة منها :

١- سُموا بذلك حين توبتهم عن عبادة العجل .
أخذا من قوله تعالى فيما حكاه عنهم : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ (٢) أى تبنا وتضرعنا .

٢- سُموا بذلك باسم أولاد يعقوب عليه السلام يهوذا .

أما النصارى فهم قوم عيسى عليه السلام ، وسموا بذلك لأسباب منها :

١- أنهم نصروا المسيح عليه السلام في دعوته إلى الله تعالى

٢- لأنهم يسكنون معه في قرية يقال لها (ناصرة) ويطلق

---

(١) انظر تفسير المنار : ٣/٣٥٨
(٢) سورة الأعراف : آية (١٥٦)
والهود : التوبة والرجوع إلى الحق (هاد ، يهود ، هودا ، وتهوب ، اى تاب ورجع إلى الحق ، مثل حائك وحوك)
لسان العرب : ٣/٤٣٩ .

عليها البعض بلدة نصرة . (١)

والله عز وجل يحكم على أهل الملل والأديان يوم القيامة بالرد والبطلان والعقاب ماعدا أهل الاسلام ، لأن دين الاسلام هو دين الحق ، منذ أن خلق آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة وماسواه من الأديان التى تنوعت وكثر أسماؤها واختلفت دساتيرها وتعاليمها الكاذبة ، كلها باطلة في الدنيا والآخرة .

لأنه عز وجل لم تنزل حجة تدل على صحة هذه الأديان والملل ، كدين اليهود والنصارى بعد التحريف والتبديل (٢) ، والدليل على أن من اتخذ دينا غير الاسلام يعاقب عليه ، قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) أى الهالكين . . وحديث أخرجه الامام أحمد في مسنده بسنده ، وفيه عباد بن راشد من طريق الحسن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تجيىء الأعمال يوم القيامة فتجيىء الصلاة ، فتقول يارب أنا الصلاة ، فيقول : إنك على خير ، وتجيىء الصدقة ، فتقول يارب أنا الصدقة ، فيقول : إنك على خير ، ثم يجيء الصيام ، فيقول أنا الصيام ، فيقول : إنك على خير ، ثم تجيء الأعمال ، كل ذلك يقول الله إنك على خير ، ثم يجيء الاسلام ، فيقول : يارب أنت السلام ، وأنا الاسلام ، فيقول الله : إنك على خير ، وبك اليوم آخذ ، وبك أعطى " (٤)

---

(١) انظر روح البيان : ١٥٣/١

(٢) انظر تفسير المنار : ٣٥٨/٣

(٣) سورة آل عمران : آية (٨٥)

(٤) مسند أحمد : ٣٦٢/٢ ، وأورده ابن كثير في تفسيره : ٣٧٩/١ عند قوله تعالى : ومن يبتغ غير الاسلام الآية . وعقب عليه بقوله ، تفرد به أحمد ، وقال : عبدالله بن أحمد عباد بن راشد ثقة ولكن الحسن لم يسمع من أبى هريرة .

والسبب في أن الله تعالى يحكم يوم القيامة ببطلان دين اليهود والنصارى ، لأن اليهود والنصارى تفاخروا ، وتعالى كل منهم بنبيه وكتابه ، وكفروا بما دونهما ، واليهود فضلوا التوراة على الانجيل والقرآن ، وآمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام ، وأنكروا رسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وكذلك النصارى فضلوا الانجيل على التوراة والقرآن وآمنوا بعيسى عليه الصلاة والسلام ، وأنكروا رسالة موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، فهذا الإنكار ببعض الرسل والتفرقة بين الكتب كفروا ، لأن الله عز وجل بين وجوب الايمان بجميع الكتب السماوية ، وبجميع الرسول دون تفرقة بينهم ، تقرأ ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا "(١) ولذلك يحكم الله يوم القيامة بين هذين الفريقين ، وغيرهما ، بما يليق بكل فريق من العذاب . . قال الله تعالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾(٢)

إحتج أهل السنة بهذه الآية ، على أنه لا يستطيع العبد انجاز أمر من الأمور أو فعل من الأفعال ، إلا إذا قضى الله وحكم به (٣) ، أقول : كل شيء مكتوب على الإنسان ومقدر

---

(١) سورة النساء : آية (١٥٠-١٥١)
(٢) سورة الانعام : آية (٥٧)
(٣) انظر الفخر الرازي : ٢٨/١٧٥

عليه ،بناء على أن الله عزوجل قدر وقضى بأن هذا العبد ، سيفعل هذا الشيء في المستقبل ، ويعلم أنه سيقع قبل وقوعه ، ولا أحد ينكر هذا الجواب إلا كافر أو جاهل ، وحكم الله إما أن يكون بواسطة الملك ، بأن يأمر الله أن يفعل هذا ، أو إما أن يكون بدون واسطة لأنه عز وجل إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون وهو الفاعل المختار.

وللمفسرين آراء في معنى قوله تعالى ﴿ فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾

١- قال الزجاج : يشاهدهم من منهم يدخل الجنة عيانا .

٢- قال الحسن : يكذبهم جميعا ويدخلهم النار.

٣- منهم من قال : يحكم بين المحق والمبطل حينما اختلفوا فيه ، باثابة المحق وبعقاب المبطل (١) ، وحكمه يوم القيامة حكم مابعده حكم ، يسلمه كل مكابر ، ومعاند ، لأنه بالعدل يأخذ كل ذى حق حقه (٢) ، ويعطى كل واحد ثواب عمله وزيادة أو يعاقب بمقدار عمله عدلا ، ومراتب الجزاء درجات والعقاب درجات . . فبالنسبة للمؤمنين تبيض وجوههم ، ويؤتون كتبهم بأيمانهم ومنهم من يثقل موازينهم ومنهم من يمرون على الصراط كالبرق ومنهم من ترفع درجاتهم ، وما إلى ذلك أما بالنسبة للكافرين فتسود وجوههم ، ويؤتون كتبهم بشمالهم ، ومن وراء ظهورهم ، ومنهم من يخفف موازينهم ، وتزل أقدامهم على الصراط . (٣)

ويكون حساب الله عز وجل للمؤمنين على ثلاثة أحوال :

١- الحالة الاولى : منهم من يحاسبهم حسابا شديدا .

---

(١) انظر الفخر الرازى : ٤ / ٨

(٢) أنظر روح البيان : ٨ / ١٢٠

(٣) انظر روح البيان : ٨ / ٧١-٧٢

٢- الحالة الثانية : منهم من يحاسبهم حسابا يسيرا .
٣- الحالة الثالثة : منهم من يؤتون أجورهم بغير حساب . (١)

قال بعض العقلاء: إنّ الله تعالى يحكم بين عباده لأسباب منها :

١- لفضله ، وكرمه ، ورحمته ، يكون حاكما بينهم .
٢- في يوم القيامة أناس ، يحكم الله بينهم على رؤوس الأشهاد، وأناس مقربون إليه تعالى يحكم على أعمالهم بينه وبينهم فقط دون أن يطلع أحدا من الخلق ، تفضلا وكرما منه .
٣- بعفوه الذى لا حد له يعفو عن العاصين والمذنبين .
٤- بعدله يحاسبهم ، وبعفوه يتغاضى عن ذنوبهم ، ولا أحد يعترض في ما يريد ، وهو صاحب الشأن في ملكه .

وفي الآيات التى ذكرتها سابقا .. إشارة إلى أن الحاكم الحقيقى هو الله عزوجل، وكل حكمه وقضائه عدل محض ، وحكمه بالغة ، وهو منزه عن الجور بخلاف حكم غيره مهما كان فلا يسلم من الجور والطغيان . (٢)

---

(١) انظر روح البيان : ٩٥/٦
(٢) انظر روح البيان : ١٢٧/٧ .

المبادئ العقدية والاجتماعية في المبحث الثالث :

١- يجب التصديق القلبي بكل ما أخبر به الرسول - صلى الله عليه وسلم من الشهادتين وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، وإن لله ملائكة مكرمين ، وأنه أنزل الكتب على رسله ، كما يجب الإيمان باليوم الآخر إلى غير ذلك مما نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ هو المبلغ عن ربه ، كما يجب الإيمان بسائر الرسل والأنبياء ، اجمالا فيما أجمل وتفصيلا فيما فصل ، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره .

٢- يجب العلم بأنّ الإيمان قول وعمل وتصديق ، وهذا هو القول الصحيح الذي يجب أن يسود في المجتمعات البشرية ، وأن الإيمان محله القلب وبصلاح القلب يصلح سائر الجسد ، وإذا أطلق الإيمان وحده اندرج فيه الإسلام ، والعكس صحيح وإذا ذكر الإيمان والإسلام معا تغايرا ، فيكون متعلق الإيمان القلب ، ويكون متعلق الاسلام الانقياد الظاهري ، ومن الأدلة على أن العمل من الإيمان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الإيمان بضع وسبعون شعبة) الحديث ، وقد رواه مسلم في كتاب الايمان ، باب الحياء شعبة من الإيمان .

٣- مما يجب على الناس جميعا الخضوع المطلق للأمر الإلهي ، وكذلك النهي ، واعتقاد أن الله يريد الخير لعباده ، وأن الشيطان يأخذ بهم إلى ما فيه هلاكهم وأن الهوى إله يعبد من دون الله ، ومن اتبع هواه يضل عن سبل الهدى والرشاد في الدنيا والآخرة .

كما يجب العلم أن الله ما شرع لعباده أمرا إلا وهو في

مقدورهم وطاقتهم (لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (١)

٤- أصول الأديان واحدة،والاختلاف في المناهج التشريعية العملية لاغير،فقد يكون الحكم واجبا في شريعة ، ثم ينسخ في شريعة أخرى ، ويجب العلم أنّ الاسلام هو الدين الذى ارتضاه الله لعباده،وأنه سبحانه يبين للناس ذلك يوم القيامة ، وعليهم أن يستدركوا هذا الأمر قبل فوات الأوان (وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسلٰمِ دِينًا ، فَلَن يُقبَلَ مِنهُ، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخٰسِرِينَ) (٢)

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٨٦)
(٢) سورة آل عمران : آية (٨٥)

المبحث الرابع :

علامات أهل الإيمان وأهل الالحاد

ويتكون من المطالب التالية :

المطلب الأول : المؤمن يثق في عدل الله بخلاف الملحد .

المطلب الثاني : المؤمن مشفق من لقاء ربه ويرجو رحمته بخلاف الملحد .

المطلب الثالث : المؤمن يطلب الفوز في الدنيا والآخرة والملحد غايته الدنيا وحدها .

المطلب الرابع : الحق ثابت والباطل ذاهب لامحالة .

المطلب الخامس : من شأن المؤمن التوبة بخلاف الملحد .

المبحث الرابع : علامات أهل الايمان وأهل الإلحاد :

لكل إنسان علامات يعرف بها ، فمثلا إذا رأيت إنسانا تجهل شخصيته فإنك تعرفه من خلال الصفات التي يتصف بها ومن خلال العلامات المألوفة لدى مجتمعه .

والانسان العاقل يستطيع أن يميز بين أهل الإيمان وأهل الكفر بالأدلة والامارات .

وعلامات هذين الفريقين كثيرة جدا ، وإليك بيان بعضها في المطالب التالية :

قال تعالى :

(اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ

بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ

لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ) (١)

(١) الآية : (١٧)

المطلب الأول

" المؤمن يثق في عدل الله بخلاف الملحد "

العقيدة مبنية على العدالة ، والمؤمن لن يكون سليم العقيدة ، إلا إذا وثق بعدل الله عز وجل ، وذلك بخلاف الملحد ، فإنه لا يؤمن بالله عز وجل ، ولا يؤمن بعدالته ، وشتان بين من يؤمن بالله وعدله ، وبين من لم يؤمن بذلك .

ولا يخفى على أحد من المسلمين أن الله عز وجل يحكم بين الخلق يوم القيامة بالعدل ، فينال كل واحد نصيبه من الثواب أو العقاب، فيثاب العبد على قدر طاعته وعبادته ، ويعاقب على على قدر معصيته وذنبه ، يقول الله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١) لذلك يجب على المؤمن أن يثق في حكم الله عز وجل وعدله في ذلك اليوم . .

ويجب الإيمان بأن الله عز وجل خلق كل شيء في هذا الكون بالتوازن ، كحرارة الشمس ، وإن لم تكن حرارتها متوازنة ، لكانت شديدة الحرارة، تحرق كل شيء ، لكن العناية الالهية جعلتها متوازنة ومعتدلة الحرارة التي بها تصلح حياة الناس، ولو لم تكن العدالة سائدة في حياة الناس ، لعاشوا في حياة ظالمة ، ومجتمعات فاسدة ، وطاغية ، ولم تنته العداوة إلى الأبد ، ويحصل التفرق ، والشقاق المستمر ، ولذلك ، فإن سورة الشورى تحث على العدل ، في كل شيء ، سواء كان في جانب العقيدة ، أو متعلقا بالحياة الاجتماعية

---

(١) سورة الزلزلة : آية (٨)

أو الاقتصادية، أو السياسية ، لتكون حياتهم هادئة مطمئنة ، تسود بينهم الرحمة والمودة .

والعدل في اللغة مصدر عدل يعدل عدلا ، يقال رجل عدل ، وامرأة عدل وهو ضد الجور، ويتقارب معنى العدل بفتح العين ، من معنى العدل بكسرها لكن فتحها يستعمل فيما يدرك بالبصيرة، كالأحكام ، وكسرها يستعمل فيما يدرك بالحاسة، كالموزونات ، والمعدودات والمكيلات (١) . قال ابن الأعرابي العدل هو الاستقامة. (٢)

وله في الاصطلاح عدة معان :

١- هو الأجر على قدر التعب ، لأن الشرع علمنا أن الجزاء من جنس العمل . (٣)

٢- هو رد الحق إلى صاحبه ، بطريق الآخذ ، أو بطريق غيره ، وتقديم العون لصاحب الحق قدر حقه بالقول والعمل . (٤)

٣- " وضع الشيء في موضعه ، واستيفاء جميع الحقوق كاملة (٥)

٤- " وهو الانصاف ، باعطاء المرء ماله ، وأخذ ما عليه . (٦)

وهذه المعاني المذكورة كلها صحيحة ، ينطبق على كل واحد منها اسم العدل وهو من أهم المبادئ الاجتماعية التي

---

(١) أنظر المفردات : ص ٣٢٥

(٢) لسان العرب : ٢/٧٠٧

(٣) انظر الفضائل الخلقية : ص ١٢٣ . د. احمد عبد الرحمن ابراهيم .

(٤) أنظر أصول النظام الاجتماعي : ص ١٨٦ .

(٥) بهجة قلوب الابرار: ص ٤١ الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي .

(٦) المعجم الوسيط : ٢/٨٨

حرص عليها الاسلام حرصا شديدا ، وحث عليها في كل جوانب الحياة ، لأن في ظله تكون الحياة سعيدة مطمئنة هادئة ، خالية من التنازع والعداوة ، ولولاه لانتشر الفساد والظلم والعدوان ، والله عز وجل حث عليه في القرآن ، اقرأ قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ (١) كما حث عليه في الحكم ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ﴾ (٢) وفي الشهادة قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (٣) وفي الإصلاح بين المتنازعين ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ ، فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٤) وفي النفقة والقسمة ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ (٥) .. والعدل سبب النجاح في جميع الامور والتعاون على المصالح ، والمنافع الكلية والجزئية ، والثقة المتبادلة بين الناس ، وتقوية الصلة بين الأرحام ، والأقارب واستحقاق فاعله الثواب ، والنجاة من العقاب. (٦) وهو أساس الرعاية والمسؤولية التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم " ألا كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع ، وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهى مسؤولة عنهم ، والعبد

---

(١) سورة الأنعام : آية (١٥٢)
(٢) سورة المائدة : آية (٤٢)
(٣) سورة الطلاق : آية (٢)
(٤) سورة الحجرات : آية (٩)
(٥) سورة النساء : آية (٣)
(٦) انظر الرياض الناضرة : ص ٣٣

راع على مال سيده ، وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ﴾(١) وبالعدل ينال كل ذى حق حقه ، حيث تتساوى الحقوق والواجبات بين الناس ، وبذلك لا يزعم أحد أنه ظلم ، وأن غيره قد ظلم ، والمسلم مطالب بأن يكون عدلا مع ربه ومع نفسه ومع غيره ، يقول الله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ، شُهَدَاءَ لِلَّهِ ، وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ الخ . (٢)

وعدالته مع ربه ، تكون بتقواه وخشيته سبحانه وتعالى في جميع تصرفاته ، وأداء ماله من حقوق وواجبات ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، أما عدالته مع نفسه فتكون باتخاذ الوسائل المشروعة التي تؤدى إلى حفظ جسمه وصحته ، وبالاعتدال في أقواله وأفعاله وتصرفاته .. أما عدالته مع غيره فبتطبيقه المساواة بين جميع الناس في معاملته معهم حتى مع أعدائه لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ ، عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

ولا يخفى على العاقل أنه يتعرض في كثير من الأحيان ، لأمور قد لا يعرفها من قبل أو قد يعرفها لكن لا يعرف وجه العدل فيها ، فمن واجبه أن يسأل عنها ، وأن لا يسكت على الجهل ،

---

(١) صحيح البخارى : ٢ / ٦ : كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى ، وصحيح مسلم بشرح النووى : ١٢ / ٢١٣ ، كتاب الامارة ، باب فضيلة الأمير العادل ، واللفظ لمسلم .

(٢) سورة النساء : آية (١٣٥)

(٣) سورة المائدة : آية (٨) وانظر الذريعة ص ٢١٥

وأن يتعرف على وجه المنفعة بها ، وذلك أفضل من أن يسكت على جهل ، ولذلك قالوا السؤال (١) نصف العلم (٢) ،كما لا يخفى عليه أن العدل من أهم الغايات التى بها أرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأنزلت الكتب وذلك في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (٣) وبه أيضا يكون الحكم صالحا ، وتتوطد علاقة الألفة والمحبة والوئام بين الحاكم والمحكوم ، وتصلح الأفراد والجماعات ، وتنتظم الأمور على الاستقامة في كل الحالات ، وتقل المشاحنات والمشاجرات وتعمر به البلاد ، وتنمو به الأموال ، ويأمن به السلطان وغيره ، وكل معاملة ليس فيها عدل ، تكون معاملة ظالمة وضارة ، يستحق صاحبها العقوبة العاجلة ، وتسقط سمعته بين الخلق (٤) ولذلك اتفقت جميع الشرائع السماوية ، والعقول السليمة على حسنه والمطالبة بنشره مهما اختلف الناس في كيفية تطبيقه وفي جزئياته . (٥)

وشريعة الاسلام : هي الشريعة العادلة ، لأن العادل لا يكون إلا من الله عز وجل ، وواجب الإنسان أن يخضع لتشريع واحد ، وهو تشريع الله عز وجل الذى جاء عن طريق رسول عليه الصلاة والسلام ، أما شرائع البشر فلا يمكن أن تكون عادلة ، مهما حاول واضعوها الالتزام بالعدل ومبادئه ،

---

(١) ورد في الأثر(الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم) المقاصد الحسنة ص ٧٠ وعزاه للبيهقي في شعب الايمان والعسكرى في الامتثال ، وابن السنى والديلمى والقضاعي ، وفيه مخمس بن تميم وحفص بن عمر مجهولان ، والحديث يرتقي بشواهده وقد أفاض فيها السخاوى في المقاصد الحسنة ٧٠-٧١ .

(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير : ١٤/ ٢٥٤ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر

(٣) سورة الحديد : آية (٢٥)

(٤) انظر الرياض الناضرة : ص ٣٥

(٥) انظر اصول النظام الاجتماعية : ١٨٦ .

بل تثبت بالتجربة أن هذه التشريعات فيها ظلم كبير، لأن المشروع هو الإنسان الذى يتعرض للأخطاء كثيرا ، ولا يمكن أن يشرع ضد مصلحته (١) إذا الشريعة العادلة الوحيدة هي الشريعة المحمدية في أصولها وفروعها ، بحيث لا يدخل فيها الجور والظلم بأى وجه من الوجوه .

ولقد نهي عن الظلم في كل شيء ، في الدماء وفي الأموال وفي الأعراض ، ولا شيء أسرع في فساد المجتمع وضمائر الناس من الظلم والجور ، ولا ينتهي إلى غاية ، وجميع ما نهى الله عنه من المعاملات والأحوال يرجع إلى تحقيق العدل والنهى عن الظلم (٢) ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) ويقول في آية أخرى ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ (٤) . . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : " ياعبادى إنّي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ﴾ (٥) وفي حديث " الظلم ظلمات يوم القيامة " (٦)

" الظلم كله بأنواعه ، ظلمات يوم القيامة ، ويعاقب الظالمون على قدر ظلمهم ويجازى المظلومون من حسنات الظالمين

(١) منهج القرآن والسنه : ص ١٠١ (مجاهد محمد هريدى) الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م مطبعة الأمانة .
(٢) انظر السياسة الشرعية : ص ١٦٤
(٣) سورة النحل : آية (٩٠)
(٤) سورة الأعراف : آية (٢٩)
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى : ١٣٢/١٦ كتاب البر: باب تحريم الظلم .
(٦) صحيح البخارى : ١٦٩/٣ كتاب المظالم ، باب الظلم وصحيح مسلم بشرح النووى ، ١٣٤/١٦ ، كتاب البر ، باب تحريم الظلم واللفظ للبخارى .

فإن لم يكن لهم حسنات أو فنيت أخذ من سيئاتهم ، فطرحت على الظالمين" (١) ويشهد لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كانت له مظلمة لأحد من عرضه ، أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ، ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه (٢)" والعدل لا يوجد إلا في القانون الإلهي الذى يجب أن يطبقه الحاكم المؤمن على نفسه أولا ثم على أهله ثانيا ، ثم على قومه ، وخير مثال على ذلك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو في غزوة بدر الكبرى ، حيث كان يسوى صفوف المسلمين ، بقضيب في يده ، فمر بسواد بن غزية ، حليف بني النجار ، وهو خارج عن الصف فطعنه في بطنه بالقضيب وقال : "استقم يا سواد " فقال يارسول الله أوجعتني ، وقد بعثت بالحق والعدل (فاقدني) (٣) فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه راضيا ، وقال : " استقد يا سواد " فاعتنقه سواد وقبل بطنه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا يا سواد ؟ قال يارسول الله حضر ماترى ، يعني (مواطن الشهادة) فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك ، فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بخير) (٤) كما أنه لا يدخل فيه الخواطر والميل العقلي

---

(١) بهجة قلوب الأبرار : ص ٤٢ .

(٢) صحيح البخارى : ٣ / ١٧٠ ، كتاب المظالم ، باب من كانت له مظلمة عند الرجل .

(٣) القود : القصاص وقتل القاتل بدل القتيل ، النهاية ٤ / ١٩٩

(٤) انظر تاريخ السيرة النبويه" : ٢ / ٦٢٦ ، رواه الهيثمي بنحوه في مجمع الزوائد : ٦ / ٢٨٩ وقال رواه الطبراني : ورجاله ثقات .

وغيره من نوازع النفس، وأهوائها ، بالقرابة ، والصداقة ، والرشوة ، مهما كان نوعها ، أو الخوف على نفسه وعلى مهنته ، وغير ذلك من الأمور التي تجعل الإنسان يعدل عن حكمه أو رأيه - الذي يتفق مع قواعد الشرع مقابل اعطاء الرشوة له أو رفع منصبه ، أو حماية نفسه من التهديد والهلاك من قبل أصحاب المصلحة، وقد يصبح بذلك كافرا وفاسقا وظالما ، ويشهد على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢) وفي آية أخرى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣)

قال بعض العلماء : يكون ميزان النفس والروح بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحامل عليه الوعد والوعيد ، ويكون مقدار الوعد بمقدار الأمر والنهي ، والوعيد بمقدار النقصان ، ويكون ميزان القلب والعقل بالايمان والتوحيد والحامل عليهما الثواب والعقاب ، ويقدر الثواب بمقدار حصولهما ، ويقدر العقاب عند نقصانهما (٤) ، وذلك القول ميزان النفس والروح بمقتضى العدل الالهي الذي يجب أن يكون سائدا في المجتمعات البشرية .

والعدل نوعان :

١- النوع الأول : العدل الذي عرف بالعقل ، والعقل يحسنه ولا ينكر أحد حسنه ولا يدخل عليه النسخ ولا الجور والظلم

---

(١) سورة المائدة : آية (٤٤)
(٢) سورة المائدة : آية (٤٥)
(٣) سورة المائدة : آية (٤٧)
(٤) انظر روح البيان : ٤٨٨/٥

أبدا ، في أى حالة من الحالات كالإحسان إلى من أحسن إليك ، وكف الأذى عمن كف أذاه عنك .

٢- النوع الثانى : العدل الذى عرف بالشرع ، ويدخل عليه النسخ في بعض الأحوال والأوقات ، كالقصاص ، فإن القصاص يجب على أولياء القتيل ويسقط إذا تنازلوا عنه بالدية أو العفو(١).

وللعدل ركنان :-

أ - الركن الأول : معرفة الحكم من أحكام الله ورسوله بأدلة شرعية مع العمل به .

ب - الركن الثاني : ينقسم إلى قسمين :

(١) معرفة أصل التشاجر والتخاصم ، وأسبابه ، وفهم الدعوى لكل الخصمين فهما صحيحا ودقيقا حتى يستطيع الوصول إلى الحقيقة ويميز بين الظالم والمظلوم ، لذلك يقول صلى الله عليه وسلم " القضاة ثلاثة، قاضيان في النار وقاض في الجنة ، قاض عرف الحق ، فقضى به فهو في الجنة ، وقاض عرف الحق فجار متعمدا ، فهو في النار، وقاض قضى بغير علم فهو في النار " (٢)

(٢) الاستقامة ، وعدم الميل إلى أحدهما ميلا قوليا أو فعليا ، دون الميل القلبي ، لعدم إمكان التحرّز عنه ، كأن يميل

---

(١) انظر المفردات : ص ٣٢٥

(٢) سنن ابن ماجه : ٢ / ٧٧٦ : كتاب الاحكام باب الحاكم يجتهد ، مستدرك الحاكم : ٤ / ٩٠ : كتاب الأحكام وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وله شاهد باسناد صحيح على شرط مسلم واللفظ للحاكم ، وضعفه الذهبي ، وقال في اسناده منكر الحديث وهو ابن بكير العنوى وقال الذهبي وله شاهد صحيح .

قلبه الى الآخر، ويحب أن تغلب حجته على خصمه (١) ، لأن الحق بجانبه .

وينبغي للقاضي أو ما ينوب عنه أن يسوى بين الخصمين في خمسة أمور :-

١- في الدخول عليهما .
٢- في الجلوس بين يديهما .
٣- في الاقبال عليهما .
٤- في الاستماع منهما .
٥- في الحكم بينهما .

ولا ينبغي له وقت الحكم المزاح والضحك ، والايماء والتلقين ، والضيافة وغير ذلك من الأمور التى تورث التهمة في أمر القاضي (٢) والعدل كما يكون بين خواص الناس ، يكون كذلك مع العوام ، لئلا يحملهم على التعصب الباطل ، وعلى ما لا يطيقون ، وهدايتهم الى الأعمال التي تنفعهم في الدنيا والآخرة . (٣)

---

(١) انظر تفسير المنار : ١٤٢/٥ .
(٢) انظر كتاب شرح آداب القاضى ٣٤٢/١ - ٣٤٣ (حسام الدين عمر بن عبد العزيز البخارى) تحقيق : محى هلال سرحان الناشر : مطبعة الارشاد .
(٣) انظر موسوعة أخلاق القرآن ٢٩/١ (د. احمد الشرباص) الطبعة الاولى : ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م دار الرائد العربى - بيروت .

قال تعالى :

(يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) (١)

الآية : (١٨)

المطلب الثاني

" المؤمن مشفق من لقاء ربه ويرجو رحمته بخلاف الملحد "

الإنسان المؤمن يثق بعدل الله ثقة تامة ، ويعلم أن ماأراده الله من أجل مصلحته وأنه لا يظلمه - وحاشا لله أن يظلم أحدا - ومع هذا هو مشفق من لقاء ربه ، لأنه لا يعلم بنهايته : ولا يأمن على نفسه من عقاب الله تعالى ، وهو مشفق من العالم الآخر الذى يبدأ منذ لحظة الموت ، لذلك يطلب من الله أن يتجاوز عنه ويرحمه ويرجو منه أن يكون من الفائزين .

أما الملحد فإنه آمن على نفسه ، وغير مشفق من لقائه ، لظنه . أن الحياة تنتهى بمجرد موته ..

والاشفاق هو الخوف مع فارق دقيق جدا .

والخوف : توقع أمر مكروه بدليل الظن ، أو بدليل اليقين ، باطنا كان أو ظاهرا، وإذا أطلق العبد الخوف من الله تعالى كقوله : *﴿ أخاف من ربى عزوجل ﴾ فلا يراد به ما يخطر على البال من الرعب كالخوف من الأسد ، وإنما يراد به الامتثال بأوامره والاجتناب عن نواهيه خوفا من عقابه ، لذلك قيل : ﴿ لا يعد خائفا من لا يترك الذنوب، وليس الخائف من بكى وعصر عينيه وانما الخائف من ترك ما يعذب عليه ﴾ .. والخوف بمعنى الإشفاق لكن الإشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه ، ويخاف ما يلحقه ، قال عز وجل : * ﴿ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ *(١) فإذا عدى بمن فمعنى الخوف

---

(١) سورة الانبياء : آية (٤٩)

فيه أظهر وإذا عدي بفي بمعنى العناية فيه أظهر (١) كقوله تعالى :
* إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * (٢)

والخوف الحقيقي من الله عز وجل هو الباعث على مواظبة العمل والطاعات وترك المنهيات، وبهذا النظر قال الفضيل بن عياض إذا قيل لك هل تخاف الله ؟ فاسكت ، فإنك إن قلت " لا " كفرت، وإن قلت " نعم " كذبت ، وأراد بقوله إن قلت " لا " كفرت لأن الخوف واجب ، وأراد بقوله إن قلت " «نعم» كذبت لأنك لست معصوما من الذنوب والمعاصي ..

إذا يفهم من قوله هذا أن الخوف هو الذي يمنع صاحبه من ارتكاب المنهيات ويأمره بفعل الطاعات والقربات ويؤثر في جوارحه ، وإن لم يؤثر فيه فوجوده كعدمه ، ولا يسمى خائفا ، وإنما هو حديث نفس(٣) بذلك يجب على كل أحد أن يخاف ربه عز وجل في كل حال ، وفي كل وقت ، وفي السر والعلن وفي الباطن والظاهر، لأن الخوف منه أدعى إلى طاعته وإلى مرضاته والفوز بنعيمه ، يقول الله تعالى : * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . (٤)

وعدم الخوف منه دليل غفلته عن ربه وعن استحضار عظمته التي تحول بينه وبين الميل إلى الشر ، فلولاه لانكبّ الناس جميعا على شهواتهم وشرورهم وارتكابهم الذنوب والمعاصي .

---

(١) انظر المفردات : ص ٢٦٢ - ٢٦٤
(٢) سورة الطور : آية (٢٦)
(٣) انظر إحياء علوم الدين : ٤ / ١٧٥
(٤) سورة النور : آية (٥٢)

والخوف يعطي الإنسان صفة الشجاعة التي أمر الله تعالى المؤمنين أن يتحلوا بها في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . (١) كأن يظهر الحق مهما غضب الناس منه وظنوا به أو تقوّلوا عليه . (٢)

وأكثر الناس خوفا من الله جل ثناؤه أكثرهم علما بكتابه العزيز و بسنة رسوله الكريم وهم العلماء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ . (٣)

وإذا كملت المعرفة حصل الخوف وفاض أثره على القلب وعلى البدن ثم ظهر على الجوارح والصفات ، فمن آثاره على البدن البكاء والغشية ، وعلى الجوارح ترك المنهيات والمخالفات والمواظبة على الطاعات ، وعلى الصفات الكف عن الشهوات فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بمراقبة نفسه ومحاسبتها ومجاهدتها وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة تكون بحسب قوة الخوف وقوة الخوف يكون بحسب قوة المعرفة بالله عز وجل ولذا قيل : « من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب إليه » (٤)

وأقسام الخوف أربعة :

١- خوف فطرى : مثل خوفه من عدوه من جن أو إنس أو حيوان ، أو من رعد أو برق شديد ، وما إلى ذلك ، و هذا الخوف أمر غريزة في الإنسان ولا يذم من كان خوفه خوف غريزة

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٧٥)
(٢) انظر روح الدين الاسلامي ، ص ٧١٣
(٣) سورة فاطر : آية (٢٨)
(٤) انظر احياء علوم الدين : ٤ / ١٥٦

كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) (١)

٢- الخوف بترك الواجب : كأن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفا من بعض الناس مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا الخوف حرام .. بقوله تعالى : ﴿ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢) تشير هذه الآية أنّ العبد يجب عليه أن ينصب خوفه من ربه عز وجل وحده فقط ، ويعتقد أنه بيده الخير والشر والضر والنفع ، كما تدل على أن إخلاص الخوف من كمال شروط الإيمان ، قال ابن القيم (من كيد عدو الله إبليس أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه ، لئلاّ يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف ولا ينهوهم عن منكر ، وكلّما قوى إيمان العبد زال خوف أولياء الشيطان من قلبه وكلما ضعف إيمانه قوى خوفه منهم) . (٣)

٣- الخوف الصادق المحمود (وهو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله تعالى) (٤)

ودرجات الخوف ثلاث :-

١- خوف قاصر ، وهو الخوف لأمر أو سبب ما ، كالخوف عند سماع آية وعيد من القرآن أو شاهد أمرا هائلا ، فإذا زال هذا

---

(١) سورة القصص : آية (٢١)
(٢) سورة آل عمران : ١٧٤-١٧٥ .
(٣) انظر فتح المجيد : ص ٣٢٤ .
(٤) شرح الطحاوية : ص ٢٥٣ .

السبب أو هذا الأمر زال الخوف ، وهذا خوف الناس جميعا إلاّ العلماء بالله عز وجل وبصفاته وأفعاله .

وسمي قاصرا لأن العبد يجب أن يلازمه الخوف من ربه على كل حال .

٢- خوف مفرط مذموم، وهو الذى يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط ، وقد يخرج إلى المرض والضعف، والدهشة ، وقد يؤدى إلى الموت .

٣ - خوف معتدل : وهو ألاّ يتجاوز الحد من حيث لا يؤدى إلى اليأس وإلى ترك العمل . (١)

ويقع الخوف بأمرين :-

أ - الأمر الأول : الشعور بالذنب والإثم الذى ارتكبه الخائف .

ب - الأمر الثاني : الشعور بالتقصير في الواجبات .

فمن ارتكب ذنبا يخاف بعقاب الله يوم القيامة، وكأنّه يشعر بأن غضب الله عليه سيكون له أثر في الدنيا ، كذلك من يشعر بالتقصير يخاف أن يفوته ثواب العمل الذى يقوم به (٢)

والخوف من الله قسمان :

١- الخوف من عذابه ، ، وهو يقوى بالإيمان بجنته وناره ، أو يضعف بضعف الإيمان بهما، كما يضعف بقوة الغفلة والنسيان له ، وتزول قوة الغفلة والنسيان له ، بالتذكّر والتفكّر في عذابه، ويزول ضعف الإيمان به بقراءة وسماع الكتب الهادفة

---

(١) انظر احياء علوم الدين : ٤/ ١٥٧ .
(٢) انظر غذاء الالباب : ١/ ٤٦٤ الامام محمد السفاريني الحنبلي

وصحبة الأخيار الصالحين ، وهذا الخوف خوف الصالحين وخوف عموم الخلق .

٢ - الخوف من الله عز وجل في قوله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (١) وهذا خوف العلماء والموحدين والصديقين وثمرة المعرفة بالله تعالى

بعض أقسام الناس في الخوف ..

يختلف خوفهم بحسب ما يغلب على قلوبهم من المكروهات :

١ - منهم من يخاف الموت قبل توبته .

٢ - ومنهم من يخاف عدم القيام بحقوق الله بضعفه .

٣ - منهم من يخاف زوال رقة قلبه وتبديلها بالقسوة .

٤ - منهم من يخاف الميل عن الاستقامة .

٥- منهم من يخاف اتباع الشهوات .

٦- منهم من يخاف البطر بكثرة نعم الله تعالى عليه .

٧- منهم من يخاف الاستدراج . (٢)

٨- منهم من يخاف سوء الخاتمة .

٩- منهم من يخاف شدة الحساب والمناقشة وغير ذلك من المخاوف التي لا حصر لها . (٣)

---

(١) سورة آل عمران : آية (٢٨)

(٢) (درّجه إلى كذا واستدرجه ، بمعنى أدناه منه على التدرج فتدرج هو ، وفي سورة القلم (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي سنأخذهم قليلا قليلا ولا نباغتهم) لسان العرب ٢٦٨/٢ وقيل معنى الاستدراج كلما أذنب العبد أعطى الله له النعمة أكثر مع نسيان الاستغفار والتوبة، فعلى المؤمن أن يقابل النعمة بالشكر ، وأن يبادر إلى التوبة كلما أذنب ، انظر تفسير الخازن ٣٠١/٤ .

(٣) انظر مختصر منهاج القاصدين ص ٣٠٩ ومابعدها . (الشيخ احمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدس) علق عليه شعيب الارنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط الناشر مكتبة دار البيان .

ومن ثمرات الخوف :

١ - الكف عن الشهوات والمعاصي .

٢ - الحذر .

٣ - الورع .

٤ - المراقبة والمجاهدة والمحاسبة .

وغير ذلك من الأسباب الموصلة الى الله تعالى

وهذه الثمرات وغيرها تستلزم صحة البدن وسلامة العقل . (١)

وكثيرا ما نرى في القرآن الكريم الرجاء بمعنى الخوف منه قوله تعالى :-

((مالكم لا ترجون لله وقارا)) (٢) أي مالكم لا تخافون عظمة الله .

(والرجاء تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل) (٣) فمن رجا وتوقع شيئا من غير سبب ، فلا يسمى رجاء .. وانما تمنيا .

---

(١) انظر مختصر منهاج القاصدين ، ص ٣٠٣

(٢) سورة نوح : آية (١٣)

(٣) كتاب التعريفات : ص ١١٤ (للشريف الجرجاني) بيروت

ولا يجوز إطلاق الرجاء والخوف على أمر مقطوع به ، كقولك : أرجو طلوع الشمس وأخاف غروبها ، لأن طلوعها وغروبها أمر مقطوع به ، وإنما يجوز أن يقال أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه . (١)

وإذا استعمل الرجاء مطلقا ، يكون بمعنى الطمع والأمل ، أما إذا استعمل في معنى الخوف فيستلزمه حرف النفي (٢) كقوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ (٣) .

وإذا جاوز حد الرجاء يكون أمنا ، وكذلك إذا جاوز حد الخوف يكون قنوطا ، وكل منهما كفر " لذلك يجب أن يكون كل من خوف المؤمن ورجائه معتدلا تماما ". (٤)

ولهذا قيل الخوف والرجاء ، كجناح الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه ، وإذا نقص أحدهما أو إذا ذهبا صار الطائر في حد الموت (٥) ، ويفهم من هذا أن قوة الإيمان وكماله باعتدال الخوف والرجاء وبضعفه ونقصانه بوجود أحدهما فقط . .

فضيلة الرجاء :

١- إذا كان الله عز وجل قد منح عباده جميع مطالب الحياة وأوجد لهم كل شيء - علما وعملا - وأنعم عليهم بجميع النعم ، فكيف يهمل مصيرهم ، وكيف يرضى لهم الهلاك

---

(١) انظر مختصر منهاج القاصدين : ٢٩٧ .
(٢) انظر غذاء الالباب : ١/ ٤٦١
(٣) سورة نوح : آية " (١٣)
(٤) روح البيان : ٨/ ٨١
(٥) شرح الطحاوية : ٢٣٥

دون أن تدركهم رحمته عز وجل وعفوه العظيم إن كانوا أهلا لذلك .

٣ - إن المؤمن لا ينظر إلى الحياة نظرة تشاؤم أبدا ، مهما قاسى من الآلام والمتاعب ولا تضعفه خيبة أمل ولا أية معصية تداهمه ، لأنه يعلم أن رحمة الله عز وجل واسعة ، بذلك يسعى إلى نيل هذه الرحمة التي لا يعجزها شيء ، يقول تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١) ويقول في آية أخرى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢)

ويقول صلى الله عليه وسلم « الله أرحم بعباده من هذه بولدها » (٣)
ويقول : " إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فكاكك من النار " . (٤)

وللرجاء أقسام :

١- الرجاء لطلب الثواب ، وهو رجاء رجل أتى بالأوامر وترك النواهي .

٢- الرجاء لطلب الغفران ، وهو رجاء رجل تاب إلى الله تعالى مع اتيانه بالأعمال الصالحة .

---

(١) سورة الاعراف : آية (١٥٦)
(٢) سورة الزمر : آية (٥٣)
(٣) صحيح البخاري : ٤ / ٥١ ، كتاب الأدب ، باب جعل الله الرحمة مائة جزء ، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٧ / ٧٠ كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله تعالى وهو جزء من حديث مطول
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٧ / ٨٥ كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله على المؤمنين .

٣- الرجاء الكاذب : وهو رجاء رجل يعمل الخطايا والمعاصي دون أن يأتي الأسباب كمن يرجو الجنة من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بعمل صالح .(١)

﴿وبهذا قال بعض السلف: من أعظم الاغترار التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقّع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار ، وطلب دار المطيعين بالمعاصي ، وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله مع الإفراط﴾ (٢)

٤- الرجاء الصحيح: وهو رجاء رجل أتى بالأسباب وعمل سائر الطاعات واجتنب المعاصي والسيئات .

شروط الرجاء ثلاث :-

١- محبة ما يرجوه .
٢- خوف فوات المرجو .
٣- السعي إلى تحصيله باتيان الأسباب .

وإذا لم يتحقق أحد هذه الشروط لا يكون فعله من باب الرجاء وإنما من باب الأماني .(٣)

وحسن الظن بالله تعالى واجب على كل أحد بقوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ فليظن بي ما يشاء ﴾ (٤) وهو الرجاء، ولا يكون إلا باتيان الطاعات وبترك المنهيات ، ويشهد لذلك قوله تعالى : * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ

---

(١) انظر شرح الطحاوية : ٢٣٥
(٢) إحياء علوم الدين : ١٤٤
(٣) انظر الجواب الكافي : ٣٤ - ٣٥ (ابن قيم الجوزيه) الناشر مكتبة الرياض الحديثة
(٤) الفتح الرباني : ٧ / ٤٠ ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في حسن الظن بالله وراه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢ / ٣١٨ كتاب الجنائز ، باب حسن الظن بالله تعالى ، وقال : رواه احمد ورجاله ثقات ، واللفظ للامام احمد .

يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ (١)

تفيد هذه الآية أنهم لا يرجون رحمة الله تعالى إلا مع اتيانهم بهذه الطاعات، وقال في آية أخرى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ، أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (٢)

روى الترمذى بسنده من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال لا يابنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا تقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ (٣)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من خاف أدلج (٤) ومن أدلج بلغ المنزل ،

---

(١) سورة البقرة : آية (٢١٨)

(٢) سورة المؤمنون : آيات (٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١)

(٣) سنن الترمذى ٥ / ٩ أبواب تفسير القرآن ، سورة المؤمنون ، والحديث حسن ، لأن فيه ابن أبى عمر ، وهو صدوق كما قال ابن حجر في التقريب ٢ / ٢١٨ ، وهو روى عن سفيان بن عيينة ، وهو ثقة اختلط بعد سنة ٩٧ هـ . وروى عنه ابن أبى عمر قبل الاختلاط بناء على قول الذهبى (ويغلب على الظن أن سائر شيوخ الأئمة الستة سمعوا قبل سنة (٩٧) الكواكب النيرات ص ٢٣١ .

(٤) أدلج بالتخفيف بمعنى سار من أول الليل ، والاسم الدلجة بالدال المشددة المضمومة وتفتح مشددة ايضا ، ومن العلماء من يجعل الادلاج لليل كله، وهو الظاهر في الحديث ولا يفرق بين أوله وآخره ، النهاية ٢ / ١٢٩ .

ألا إنّ سلعة الله غالية ، ألا إنّ سلعة الله الجنة " (١)

قال ابن القيم : الرجاء لعبد قد امتثل الاوامر وابتعد عن الذنوب ، وامتلاء قلبه إيمانا بالله تعالى وباليوم الآخر ثم مثل بين يديه ما وعده الله من الكرامة والجنة ، فيكون قلبه مشتاقا إليه وحريصا عليه .

واختلفوا في كون الخوف والرجاء أيهما أفضل على الإنسان عدة أقوال :-

١- استحب السلف الصالح أن يقوى الخوف في حالة الصحة ويقوى الرجاء عند المرض .
٢- قال أكثر الحنفية : الرجاء أفضل على الشباب والخوف على الشيخ .
٣- قال ابن القيّم : ينبغي أن يعتدل الخوف والرجاء على العبد فأيهما غلب على صاحبه هلك ومن غلبه الخوف أوقعه في اليأس والقنوط في نفسه أو في الناس ومن غلبه الرجاء أوقعه في الأمن من مكر الله في نفسه أو في الناس (٢) فإن قيل كيف يعتدل الخوف والرجاء في قلب المؤمن وهو على قدم التقوى ، فينبغي أن يكون رجاؤه أقوى ؟ يرد عليه بأنه غير متيقن لصحة عمله ، لأن أحدا لا يدخل الجنة بعمله الصالح وطاعته ، وإنما يدخلها بفضل من الله عليه ، كما وردت عليه الأحاديث . (٣)

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤ / ٣٠٨ كتاب الرقاق ، وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ورواه الترمذي في سننه ٢ / ٥١ كتاب صفة القيامة ، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب .

(٢) انظر غذاء الالباب : ١ / ٤٦١ - ٤٦٨

(٣) انظر مختصر منهاج القاصدين : ص ٣٦

والصحيح أن يقال : الدواء حسب الداء الموجود عند المرء ، فمن يغلب عليه الأمن من مكر الله تعالى ، وارتكاب المعاصي ، فالخوف أفضل له ، ومن يغلب عليه اليأس ، والقنوط من رحمة الله ، فالرجاء أفضل له .

وإن نظر إلى مواضع الخوف ، والرجاء ، فالرجاء أفضل ، لأن أقرب العباد إلى الله أحبهم إليه ، ولأن الرجاء يستقي من باب الرحمة والخوف يستقي من باب الغضب ، أما عند الصحة ، وقبل الموت فالخوف هو الأفضل ، أما عند الموت فالرجاء وحسن الظن بالله تعالى هو الأفضل ، لأن الخوف كالسوط الباعث على العمل ، وعندئذ انقرض وقت العمل ، ولأن مقصوده الترك عن المعاصي والقبائح ، والحرص على الاكثار من الطاعات والأعمال ، وهذه الأمور انتهى وقتها بانتهاء الإنسان ، فلا ينبغي لأحد أن يفارق الدنيا إلا محبا لله تعالى محبا للقائه حسن الظن به .. بقوله صلى الله عليه وسلم من حديث جابر رضي الله عنه فيما رواه مسلم عنه : " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل " (١) .. ومعنى حسن الظن بالله الظن بأنه يرحمه ، ويعفو عنه .

قال الخطابي: إنما يحسن الظن بالله من حسن عمله فكأنه قال : أحسنوا أعمالكم بحسن ظنكم بالله ، فإن من ساء عمله ساء ظنه . (٢)

وفي لفظ مسلم (أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .
وابو داود : ٣ / ١٨٩ كتاب الجنائز باب ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت .

(٢) مختصر سنن ابي داود للحافظ المنذري ٤ / ٢٨٤ مكتبة السنة المحمدية .

إذا دعاني)(١) ، أما الناس اليوم فالخوف هو الأفضل عليهم ، وذلك لغلبة المعاصي ولإنتشار الفواحش ، وكثرة المعرضين عنه عز وجل ، لكن بشرط أن لا يخرجهم إلى اليأس والقنوط ، وترك العمل ، وقطع الطمع من المغفرة ..

بعض النتائج التي تترتب على الخوف والرجاء :

أ - المجاهدة على الأعمال المواظبة على الطاعات والتنعم بمناجاته .

ب - هما أقوى المؤثرات على أعمال الانسان .

جـ - يقويان على الصبر ، لأن الجنة قد حفت بالمكاره ، فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء ، والنار قد حفت بالشهوات ولا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف منه .(٢)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/١١ كتاب الذكر باب فضل الذكر والدعاء وحسن الظن بالله .

(٢) أنظر احياء علوم الدين : ٤/١٤٤ - ١٦٧ .

قال تعالى :

(مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ) (1)

(1) الآية : (20)

المطلب الثالث

" المؤمن يطلب الفوز في الدنيا والآخرة والملحد غايته الدنيا وحدها "

يعتقد المؤمن أنه سيلقى ربه تعالى عاجلا أم آجلا ، لذلك يعمل للدنيا وللآخرة معا ، فلا تشغله أمور الدنيا بزخرفها ومباهجها عن أمور الآخرة ، لأنه يعلم أن الدنيا زائلة، فيجعل أمور الدنيا ذخيرة للآخرة ، حتى يكون من الفائزين في الدارين ، هذا بخلاف الملحد الذى لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر . فإنه ليس عنده إلا هدف واحد ، وهو تحقيق كل ما تصبو إليه نفسه من أمور الدنيا ، وإذا لم يحقق الفوز في الدنيا يفقد الأمل ، حتى ينتهى به إلى الهلاك بالانتحار أو غيره .

أما المؤمن فإنه إذا لم يحقق رغباته في الدنيا يشعر براحة نفسه لعلمه أن الله يعوضه عنها في الآخرة .

ذلك أن المؤمن يعلم أن الإنسان خليفة الله في الأرض ، لتحقيق الخير والمصلحة فيها ، ومن أنار الله بصيرته فهم حقيقة هذه الدنيا وما فيها ، لذلك ينتهز الفرصة لطلب الفوز في هذه الدنيا و الآخرة طمعا في رضى الله ومحبته وفي دخول جنته ، ولا سبيل إلى الفوز في الدنيا والآخرة إلا بامتثال الأوامر واجتناب النواهي مع نية خالصة لوجه الله تعالى ، يقول عز وجل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) دلت هذه الآية وغيرها من الآيات على

---

(١) سورة النحل : آية (٩٧) .

أن الجزاء لابد منه وإنّ جزاء الأعمال الصالحة في الدنيا جزاء جزئي وليس جزاء توفية ، وذلك أن من عمل خيرا ، له أجران ، أجر عمله في الدنيا وتكملة أجره يوم القيامة ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) وقوله عن ابراهيم عليه السلام " وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ " (٢) وتدل هاتان الآيتان وغيرهما على أن المؤمنين لهم النعيم الذى لا يدرك قدره، وأن بعضه عجل لهم في الدنيا ، ثم يوفون أجور أعمالهم تمام التوفية يوم القيامة . والجزاء الذى سيحصلون عليه أضعافا مضاعفة بما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف " (٣) وكل عمل يقوم به الإنسان سواء كان برا أو طاعة لا يكون مقبولا عند الله إلا إذا شرعه الله ورسوله ، وقدمه لوجهه تعالى ، والعمل الصالح المقبول هو أخلص العمل وأصوبه وأن العمل إذا كان خالصا ، ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة (٤) ، وعلى ذلك يكون شروط العمل الصالح المقبول ثلاثة :

١- أن يكون موافقا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا " (٥)

---

(١) سورة النحل : آية (٣٠)
(٢) سورة النحل : آية (١٢٢)
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى : ٣١/٨ : كتاب الصيام ، باب فضل الصيام .
(٤) انظر اعلام الموقعين ١٨١/٢ وما بعدها (لابن قيم الجوزية) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد مكتبة الكليات الأزهرية .
(٥) سورة الحشر : آية (٧)

٢- أن يكون خالصا للهتعالى بقوله ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴾ (١)

٣- أن يكون مبنيا على الإيمان ،بقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ (٢)

فقيد بالإيمان ، لأن الكافر لا يقبل أعماله، بعدم إيمانه .

وينقسم العمل إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : عمل أريد به وجه اللهتعالى ،طلبا لدوام النعمة عليه ، ولحفظ ماله ، وأهله وأولاده .

القسم الثاني : عمل أريد به الرياء والسمعة فقط .

القسم الثالث : عمل أريد بهالمال والجاه فقط .

القسم الرابع : عمل أريد به وجه الله تعالى ، ولكن صاحبه يعمل عملا ،ويخرجه عن الإسلام ويمنع قبول أعماله ، مثل اليهود والنصارى، إذا عبدوا الله ،أوتصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة لكنهم يكفرون بالدين الخاتم ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين عاشوا على الشرك الأكبر فحرموا قبول أعمالهم . (٣)

وتنقسم أعمال الخير إلى قسمين :-

١- العبادات .

٢- إيصال المنافع .

والعبادات : تكون بنية مخصوصة، فإذا لم يأت فاعلها بتلك النية

---

(١) سورة الزمر ، آية (١٤)

(٢) سورة غافر آية (٤٠)

(٣) انظر فتح المجيد : ص ٣٧٥

فإن عمله هذا لا يكون من العبادات والطاعات .

أما إيصال المنفعة إلى الخلق ، كالبر وصلة الرحم ، وبناء المدارس والمستشفيات ، وغير ذلك من المنافع ، فلا جرم أن تكون من الطاعات إذا قصد بها وجه الله تعالى ، أما الذى يأتى بأعمال البر لأجل الدنيا ، فإنه يشرك بالله تعالى ، وينافي كمال التوحيد . (١)

وقد نهى الله عز وجل عن التشاغل بأمور الدنيا ، مع ترك الطاعات ورغب في الآخرة ، وفي الحديث : " إزهد في الدنيا يحبك الله " (٢)

وسئل سهل بن عبد الله بم يسهل على العبد ترك الدنيا والشهوات قال : يتشاغل بما أمر به (٣) ، والذى يأتى بأعمال البر لأجل الدنيا ، لابد أن يكون عظيم الرغبة في الدنيا ، عديم الطلب للآخرة فجزاؤه على منافع أعماله في الدنيا ، أما في الآخرة فهو لا يجد إلا النار ، لذلك توعد الله تعالى ، من كانت همته مقصورة على الدنيا ، فقال : " مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيٰوةَ الدُّنيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (٤)

وفي معنى هذه الآية :

١- قال الأصم : المراد بهم منكروا البعث ، لأنهم ينكرون

---

(١) انظر فتح المجيد : ص ٣٧٣
(٢) سنن ابن ماجة : رقم ٤١٥٤ ص ٤٠٧ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، باب الزهد في الدنيا، وفيه خالد القرشي، ورواه الحاكم في المستدرك : ٤/٣١٣ ، كتاب الرقاق ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي فيه خالد بن عمرو القرشي وضاع .
(٣) انظر تفسير القرطبي : ٤ / ٣٦ .
(٤) سورة هود : آية (١٥ - ١٦)

الآخرة ولا يريدون الالذات الدنيا وسعادتها .

٢ - قيل المراد بهم : المنافقون الذين يطلبون الغنائم من الرسول صلى الله عليه وسلم لعدم ايمانهم بالثواب فى الآخرة .(١)

٣ - قيل المراد بهم الكفار والمشركون ، لأن الله تعالى قال بعد هذه الآيه : * أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار *(٢)

والقول بأنها نزلت فى أقوام معينين ، لا بأس به لكن العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب ، وظاهر قوله : " نوف اليهم اعمالهم فيها " . اعطاء الجزاء الدنيوى لمن أراد الدنيا ، لكن ذلك مقيد بمشيئة الله تعالى ، اذ ليس كل واحد ينال أمنيته ، والله تعالى يقول : " وحبط ما صنعوا فيها ، وبطل ما كانوا يعملون "

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازى ، ١٧/١٩٨ - ٢٠٠

(٢) سورة هود : آية (١٦) .

ونلاحظ في الآية " من كان يريد " أن الفعل يفيد الاستمرار على ارادتهم للدنيا ، وبهذا قيل انهم مع اعطائهم حظوظ الدنيا ، يعذبون في الآخرة ، لتجرد قصدهم الى الدنيا ، ولم يعملوا للاخرة .(١)

عن مجاهد قال : " من عمل للدنيا لا يريد به الله ، وفاه الله ذلك العمل في الدنيا أجر ما عمل " . (٢) ولا يليق بالمؤمن أن ينهمك في الاخرة ، ويترك الدنيا ، انما يتبع العدل فيسعى لهما معا ، ولا يطلب واحدة منهما على حساب الأخرى ، ويسعى في دنياه مبتغيا بها وجه الله والدار الأخرة ، ويأخذ من زينتها ما أحله الله ، ويتمتع في حدود أوامر الله تعالى ، حتى اذا فرغ من أعماله الدنيويه أقبل على الله ، بكامل همته واشتغل بالذكر والعبادة (٣) . وقد مدح الله تعالى قوما يتناولون الدنيا كما يحب ويرضى ، وذلك في قوله تعالى : " رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله " (٤)

---

(١) انظر فتح البيان : ٤/ ٣٣٤ - ٣٣٥

(٢) الدر المنثور ٤٠٦/٤ وما بعدها للسيوطي الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م دار الفكر بيروت .

(٣) انظر احياء علوم الدين ٣٣٠/٣

(٤) سورة النور : آية (٣٧)

وهم يستحقون هذا المدح لأنهم يراعون حكم الله تعالى ، ويتحرّون عبادته في مكاسبهم وانفاقهم وفي كل أمورهم ، ويعلمون أن الأعمال التي تنفع في الدنيا وتضر في الآخرة ، لا تدفع عنهم عذاب الله تعالى في الآخرة .. كنيل اللذات والشهوات المحرمة .. وسواء كانت هذه الأعمال ، تنفع أو تضر ، أو لم تنفع أو لم تضر في الدنيا ، والأعمال التي تضر في الدنيا ، وتنفع في الآخرة ، كذهاب النفوس والأموال في الجهاد في سبيل الله تعالى هي التي تدفع عنهم[1]

وأما الأحاديث والأخبار التي وردت في ذم الدنيا ، فإنها توجه إلى من جعلها وسيلة لوصول أغراضه وشهواته ، ورضيها حظا لنفسه كما يقول تعالى : ﴿ وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا ﴾[2] وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاه ، أو عالم أو متعلم »[3] وبعض الناس يذمونها ذمّا دنيويا لعدم حصول بعض أهدافهم وحاجاتهم منها ، كما يذم العقلاء التجارة والصناعة التي لا ربح فيها ، ونحو ذلك من الأمور التي لا تعود مضرتها ومنفعتها إلا إلى الدنيا .[4]

أما الآثار التي وردت في مدحها فاعتبارا بتناولها على وفق شرع الله تعالى ، كما يقول عمر بن الخطاب[5] رضي الله عنه : اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا ، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه » .. قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وأقنعه الله بما آتاه ، لهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية : ٢٠ / ١٤٩

(٢) سورة يونس : آية (٧)

(٣) سنن الترمذي : ٣ / ٣٨٤ : أبواب الزهد ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الآخرة ، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وسنن ابن ماجة ٢ / ١٣٧٧ : كتاب الزهد ، باب مثل الدنيا .

(٤) نظر مجموع فتاوى ابن تيمية : ٢٠ / ١٤٨

(٥) عمدة القارئ : ٢٣ / ٤٨

" فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع (١)" . هكذا المكثر في الدنيا لا يقنع بما يحصل منها ، بل كل همه وغايته أن يحصل كل ما فيها ، وذلك لعدم فهمه وبعده عن منهج الله تعالى ، قال ابن عطية : كان أبيّ بن كعب يقول في قوله تعالى : ﴿ أحسن عملا ﴾ (٢) . . أحسن العمل : هو أخذ الحق والانفاق مع الإيمان ، وأداء الفرائض ، واجتناب المحارم والاكثار من المندوب (٣) ، وبهذه الأمور يفوز المؤمن بدنياه وآخرته ، يأخذ من الدنيا قدر الحاجة ، يأخذ من الطعام ما يقوى به البدن ، على القيام بالعبادة والطاعة ، ومن المسكن ما يحميه من الحر والبرد واللصوص ، ومن الثياب ما يستر به نفسه ، وغير ذلك مما هو ضرورى لحياته امتثالا لقول الرسول الكريم : " ليس لابن آدم حق ، في سوى هذه الخصال بيت يسكنه ، وثوب يوارى عورته ، وجلف الخبز (٤) والماء " (٥) ويفوز بتوفيق الله المؤدى إلى حظ لآخرة ، أما الانسان الذى قدم الحياة الدنيا على الآخرة ، ويطلبها من أبواب المحرمات ، فإن النار مأواه ، ولا كرامة له ، إلا التمتع بمباهج الدنيا الفانية (٦) أما الكافر فلا يرجو رحمة الله في الآخرة ، ولا يظن أنه يلقى الله ، وكل ما يفكر فيه دنياه ، أما أفعاله الحسنة ، كصلة القرابة وإغاثة الملهوف ، وغير ذلك فإنه لا يثاب عليها ، ولا ينتفع بها يوم القيامة ، لعدم إيمانه بالله واليوم الآخرة ، كما رواه الإمام أحمد بسنده من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : ابن جدعان كان في الجاهلية

---

(١) صحيح البخارى ٤/ ١١٩-١٢٠ كتاب الرقاق باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : هذا المال خضرة حلوة .
(٢) سورة تبارك : آية (٢)
(٣) انظر الجامع لاحكام القرآن : ١٠/ ٣٥٤
(٤) (بكسر الجيم ، وسكون اللام ، وهو الخبز ، وحده ، لا أدم فيه ، وقيل : من الخبز الغليظ اليابس وقيل : بفتح اللام - جمع جلفة - وهى الكسرة من الخبز) النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٨٧ .
(٥) سنن الترمذى : ٤/ ٣ أبواب الزهد : باب ما جاء في الزهاد ، وقال الترمذى ، هذا حديث صحيح .
(٦) انظر فتح البيان : ١٠/ ٢٣٠

يقرى الضيف ، ويفك العاني ويصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ قال: لا ينفعه إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين [١]" غير أنه يأخذ جزاء حسناته في الدنيا ، كأن يعطيه الله المال والصحة والجاه ، وغير ذلك ، لكن هذا الجزاء مقيد بمشيئة الله سبحانه وتعالى حيث قال في كتابه الكريم : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [٢] إن شاء أعطاه ، وإن لم يشأ لم يعطه ، وهذا هو الرأى الصواب ، ويشهد على هذا حديث أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ، ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ، ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة ، لم تكن له حسنة يجزى بها" [٣]

وسمى ما يصدر عن الكافر حسنة بأمرين

١- لظنه أن عمله كان حسنا .

٢- لأنها تشبه صورة حسنة المؤمن ظاهرا ، وهو في الواقع ليس له حسنة ، كحسنة المؤمن ، من حيث المثوبة وما يترتب عليها من الفضل العظيم ، وأنها قد

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل ، مسلم بشرح النووى ٣ / ٨٦ ورواه أحمد في المسند بنحوه ٦ / ١٢٠ .

(٢) سورة الاسراء : آية (١٨)

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧ / ١٤٩-١٥٠ : كتاب المنافقين باب جزاء المؤمن في الدنيا والآخرة .

صدرت عن الكافر من غير ايمان " . (١)

والناس في أخذ الدنيا ومتاعها ثلاثة أنواع :

١- النوع الأول : هم الذين انغمسوا في لذات الدنيا فقط ، وهم الكافرون .

٢- النوع الثاني : هم الذين تركوا الدنيا نهائيا ، وأقبلوا على الآخرة كليا ، محتجين بقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢) وهم النساك والزهاد .

٣- النوع الثالث : هم الذين أعطوا الدارين حقهما ، امتثالا لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (٣) وهم الأنبياء والمؤمنون حق الايمان ، لأن أمورهم مبنية على الاعتدال .

وأقول للذين تركوا الدنيا كليا بحجة العبادة فقط أنهم لم يفهموا العبادة حق الفهم ، لأن أعظم العبادة ما كان يعود نفعها على الخلق وعلى مصالحهم (٤) ،

---

(١) انظر تفسير القرطبي : ٨/١٦١

(٢) سورة الذاريات : آية (٥٦)

(٣) سورة القصص : آية (٧٧)

(٤) انظر الذريعة : ص ١١

والانكفاف عن اللذات ، والخلوة والانقطاع ، وعدم الاختلاط أولى وأفضل للعبد ، لما غلب على الدنيا من الفتن والوقوع في المعاصي والاجتماع بأهل السوء ومصاحبتهم ، ويشهد على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (يوشك أن يكون خير مال المسلم ، غنم يتبع بها شعف (١) الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن " (٢)

والقول بأن الفرار عن الدنيا أفضل للعبد ، هذا في أيام الفتن ، لمن لا يقدر على إزالة هذه الفتن . يقول الكرماني : الأفضل في هذا العصر الانعزال ، لانتشار المعاصي .. والنووي رحمه الله يقول : الاختلاط مع الناس في غير الفتنة أفضل ، لما فيها من اكتساب الفوائد وشهود شعائر الإسلام وإيصال الخير والمنفعة إليهم .. والمختار تفضيل الاختلاط لمن لا يغلب على ظنه الوقوع في المعاصي .

وأرى أن المخالطة مع الناس في هذا العصر أفضل ، لما فيها من الفوائد الكثيرة ، من تعاون واتحاد ، وحبة ومودة واكتساب العلوم والمعارف والخبرات ، وذلك من صميم الإسلام ، بدليل ما رواه الترمذى بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال :"إن المسلم إذا كان يخالط الناس، ويصبر على أذاهم ، خير من المسلم الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ." (٣) لكن المؤمن يتعامل معهم

---

(١) شعفة : كل شيء أعلاه ، يريد به رأس جبل من الجبال ، النهاية ٤٨١/٢ .

(٢) صحيح البخارى ٢٢٦/٤ ، كتاب الفتن ، باب التغرب في الفتنة .

(٣) سنن الترمذى ٧٣/٤ : أبواب صفة القيامة .
والحديث ضعيف بهذا السند ، لأن الأعمش مدلس ، وهو لم يسمع من يحيى بن وثاب انظر تهذيب التعذيب ، ٢٢٢/٤ .
وسنن ابن ماجة : ١٣٣٨/٢ : كتاب الفتن : باب الصبر على البلاء ، ولفظه " المؤمن الذى يخالط الناس " من طريق شعبة .

بحذر ويقظة ، ويتعامل مع المخلصين باخلاص ووفاء ، ويتعامل مع المنافقين والمنحرفين بحذر شديد ويقظة شديدة .

وقد اختلف العلماء في حسنة الدنيا وحسنة الآخرة في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ (1) الآية أما حسنة الدنيا ففيها خمسة أقوال :

(١) قال الحسن : إنها العبادة ، والرزق الطيب ، والعلم النافع .
(٢) قال قتادة : إنها العافية .
(٣) قال سالم بن عبدالله : إنها الغني .
(٤) قال محمد بن كعب : إنها المرأة الصالحة . (2)
(٥) قال ابن قتيبة : إنها النعمة .

أما حسنة الآخرة ففيها ثلاثة أقوال :

(١) قال السدى والحسن ومقاتل : إنها الجنة .
(٢) قال الثورى : إنها العفو والمعافاة ، يعفو عن خطاياه ويعافيه من العذاب .
(٣) قال علي : إنها الحور العين . (3) وحسنة الدنيا تشمل هذه الأقوال الخمسة المذكورة ، لأنها كلها حسنة بالنسبة للإنسان ، لكن على حسب ما يريد منها .. أما الآخرة فهي الجنة ، لأن فيها كل ما يشتهى الإنسان من الحور العين ، والعفو والعافية وغيرها ، وكذلك اختلفوا في معنى ثواب الدنيا والآخرة ، وذلك في قوله تعالى :

---

(1) سورة البقرة : آية (٢٠١)
(2) انظر الدر المنثور : ٥٦/١
(3) انظر زاد المسير : ٢١٦/١

﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ (١)

وثواب الدنيا فيه ثلاثة أقوال ..

١- قال ابن قتادة : إنه لنصر .

٢- قال ابن جريج : إنه الغنيمة .

٣- قال ابن عباس : إنه النصر والغنيمة معا . (٢)

وقال الفخر الرازى : إنّ ثواب الدنيا : هو الثناء والنصر والغنيمة وانشراح الصدر بالايمان وكفارة المعاصي والسيئات ، وإنّ ثواب الأخرة هو الجنة وما فيها من أنواع النعم (٣) ، وقيل : إن ثواب الآخرة : هو اعلاء كلمة الله والدرجة في الآخرة .. وأميل إلى القول بأن ثواب الآخرة هو الجنة ، وأما ثواب الدنيا فهو شامل لما ذكر من آراء ... وهذه الآية وإن نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الأعمال ، لأن ثوابها يرجع إلى نية العبد ، وإن كان يريد بعمله الدنيا يأخذ ثوابه فيها ، وإن كان يريد بعمله الآخرة ، يأخذ ثوابه فيها (٤) ويقال هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿ عَجَّلْنَا فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ " (٥) والصواب أنها محكمة ، لأن أحدا لا يؤتي شيئا إلا بقدرة الله ومشيئته . (٦)

وخص الله ثواب الآخرة بالحسن في قوله تعالى : ﴿ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ﴾ . (٧)

لأنّ ثواب الآخرة ، أفضل من ثواب الدنيا ، والإشارة إلى أن الدنيا

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٤٥)
(٢) انظر زاد المسير : ١ / ٤٧٠
(٣) أنظر الفخر الرازى : ٩ / ٢٩ - ٣٠
(٤) أنظر تفسير الخازن : ١ / ٢٩٠
(٥) سورة الاسراء : آية (١٨)
(٦) انظر زاد المسير : ١ / ٤٧٠
(٧) سورة آل عمران : آية (١٤٨)

ممزوجة بالأحزان والمكدرات ، وأنها فانية وغير باقية ، ونلاحظ أن هذه الآية لم تذكر فيها كلمة (من) وإنما ذكرت مطلقا ﴿ ثَوَابَ الدُّنيا وحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ " بينما الآية في سورة الشورى ذكرت فيها كلمة (من) حيث قال عز وجل : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ومن يريد ثواب الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ فما الفرق ؟؟ .. الفرق أن كلمة (من) الدالة على التبعيض الموجودة في سورة الشورى تفيد أن المذكورين فيها أرادوا ثواب الآخرة ، جزاء أعمالهم وطاعتهم ، فكان مقامهم في العبودية أقل من غيرهم لأنهم أرادوا خدمة أنفسهم فقط . فبذلك فازوا ببعض الثواب أما المذكورون في الآية فهم لم يطلبوا الثواب جزاء أعمالهم ، وإنما أرادوا بذلك الغفران لذنوبهم والعفو عن تقصيرهم في العبادة ، فكان مقامهم في العبودية في غاية الكمال ، لأنهم أرادوا وجه ربهم لا غير ، وحين يؤدون عملا لغيرهم يقصدون به الإخلاص لله وحده (١) ، ومن ذلك يتبين الفرق بين الاثنين .

ومن شأن المؤمن أنه لا يعمل عملا حسنا لخدمة نفسه فقط ، وإنما لخدمة ربه عز وجل ، لأنه أمره بذلك كأن يتصدق بأمواله على الفقراء والمحتاجين ، فهو لا يريد به الفقراء لذاتهم وإنما يعطيهم لله تعالى ، وهو يعود المريض وليس معناه أنه يريد بعمله المريض ، وإنما يريد زيارة المريض إخلاصا لربه ، ورجاء المثوبة عنده ، كما في الحديث القدسي " إن الله عز وجل يقول الله يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده .. (٢)

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازي : ٩/٢٨-٢٩

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٦/١٢٦
كتاب البر ، باب فضل عيادة المريض .

قال تعالى :

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (1)

(١) الاية : (٢٤)

المطلب الرابـــــع

" الحق ثابت والباطل ذاهب لا محالة "

المؤمن متبع الحق لا محالة ، لأن أساس عقيدته حق ، أما الملحد فإنه متبع للباطل لأن أساس عقيدته باطلة ، والمؤمن يعلم أن الفوز يكون باتباع الحق ، وأن سبب المشكلات وانتشار الظلم والطغيان مخالفة الحق .

ومن فاز في الدنيا والآخرة يكون من زمرة المتقين الذين وعدهم الله الجنة ، وهو لا يخلف وعده ، لأن وعده حق ، ولذلك يجب على المؤمن أن يجعل أعماله كلها حقا ، وأن يدعو إلى تمييز الحق من الباطل والباطل من الحق ، لأن ذلك من المبادئ الاجتماعية التى إهتم بها الاسلام وأمر بها ، ومن أهم أسس العدل وقوام نظام العالم ، يقول عز وجل : * مَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ *[1] وهذا المبدأ مما يتحلي به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وغيره من الأنبياء ، يقول تعالى : * إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ *[2] والله عز وجل أرسل الرسل وأنزل الكتب ، لبيان الحق من الباطل ، والباطل من الحق ، ومن اتبع الحق الذى جاء به الرسل ، وبينته الكتب السماوية ، لا يضلّ ولا يشقى أبدا ، وأما من أعرض عن ذلك ، حشر أعمى ضالا شقيا معذبا .[3]

كما جعل الله عز وجل المجتمع المسلم قدوة لغيره من

---

(١) سورة الاحقاف : آية (٣)
(٢) سورة النمل : آية (٧٩)
(٣) انظر اصول النظام الاجتماعي في الاسلام : ص ٨٤ - ١٧٨ .

المجتمعات من حيث أن جميع مبادئه وأنظمته كلها عدل وحق ، لا يدخل فيها الباطل ولا الغش ولا الظلم .

والحق ضد الباطل وأصله المطابقة والموافقة ، وللحق معان كثيرة منها ،أنه :

١- اسم من أسماء الله عز وجل ، ومنه قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ (١)

٢- الثابت بلا شك .

٣- النصيب الواجب للفرد ،أو للجماعة . (٢)

٤- يطلق على فعل الله عز وجل ، ومنه قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ الى قوله تعالى ﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (٣)

٥- يطلق على اعتقاد الشيء المطابق للأمر الالهي ،كقولك الجنة والنار حق " (٤)

منذ أن جعل الله عز وجل الانسان خليفته على الأرض ، بدأ الصراع بين الحق ، والباطل إلى أن يرث الأرض ومن عليها ، والحق دائما يعلو على الباطل معها ارتفع ، وانتصر في بعض الأحيان ، لكنه ما يلبث أن يذهب بلا فائدة ولا أثر ، وكذلك أهل الحق مهما قل عددهم فانهم ينتصرون على أهل الباطل مهما كثر عددهم ، وذلك أن الحق ثابت ومستقر في قلوبهم خلاف الباطل فانه ليس بثابت ولا مستقر في قلوب أهله ، والمبطلون ، والجاهلون هم الذين

---

(١) سورة الأنعام : آية (٦٢)
(٢) المعجم الوسيط : ١٨٨/١
(٣) سورة يونس : آية (٥)
(٤) المفردات : ص ١٢٥

يصارعون الحق المبين ، ليربحوا من وراء ذلك الصراع مكاسب باطلة لا يستطيعون الوصول إليها بأقوالهم وأفعالهم ، اتباعا للباطل الذى يدّعونه ، ويعلنون أحقيته كذبا وبهتانا (١) ، وعلى ذلك أمر الله عز وجل المؤمنين بالتزامهم بقول الحق ، واعلانه كاملا ، وعدم كتمان شيء منه أو إلباسه بالباطل - تمويها وتضليلا - يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) وأرشدهم إلى أنّ الشيطان هو الذى يأمر الإنسان بالباطل وبالقول بغير علم في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

والله عز وجل يثبت الحق ويبطل الباطل بكلماته ، ويكون إحقاق الحق بأمرين هما : (١) الأدلة العقلية والنقلية التى تدل على الحق ، مثل من تأمّل في خلق السموات والأرض وما فيهما من الآيات العظيمة ، يجد في قرارة نفسه أنّ خلقهما يدل على وجود إله واحد ، قادر على ذلك وصدق الله العظيم حين يقول : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٤)

(٢) الشريعة الاسلامية التى ظهرت على وجه الأرض (٥)

والحق لا يكون مع الجهل ولا مع الهوى ولا الظن الذى لا يعلم رجحانه ، وإنما يكون مع العلم واليقين والأدلة الصريحة ، وقد ذمّ الله عز وجل الذين يتبعون الظن في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ

---

(١) انظر ظلال القرآن : ٤/ ٢٠٥٤
(٢) سورة البقرة : آية (٤٢)
(٣) سورة البقرة : آية (١٦٩)
(٤) سورة النحل : آية (٣)
(٥) انظر المفردات : ص ١٢٥

إِلَّا ظَنًّا ، إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾(١)
كما ذم الذين يقولون بغير علم (٢) ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (٣) كما نهى عن الجدل في الحق بعد ظهوره، والجدل
بالباطل ، يقول الله تعالى ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ (٤)
و قوله : ﴿ وَجَٰدَلُوا بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾(٥)

وأكثر الناس يحبون المدح والثناء عليهم ، حتى ولو كان بالباطل ويغضبون من الذم والتحقير وإن كان حقا ، كقولك لرئيس ظالم " أنت عادل ، فإنه بلا شك يحبك ويحترمك ، ولو قلت له حقيقته لغضب منك وكرهك ، وكذلك طالب المال ، فإنه يطلبه بأى وسيلة ، حتى ولو كانت الوسيلة غير مشروعة ، ومثل السائل الذى يسأل الناس إذا أعطيته ما يريد فإنه يفرح وإذا لم تعطه يغضب ، كل ذلك بخلاف المؤمن الراشد فإنه يحب كلمة الحق ، سواء كانت له أو عليه ، ويقبلها ولو كانت تخالف هواه ، ويغضب من كلمة الباطل سواء كانت له أو عليه، ويردها ولو كانت توافق هواه ، لأن الله تعالى يحب الحق والعدل ويبغض الباطل والظلم . (٦)

ويجب العلم أن لكل عضو من أعضاء الجسم وظيفة خاصة خلقه الله لأجلها مثل اليد خلقت للبطش والرجل للمشي ، واللسان للنطق والفم للذوق والأنف للشم ، والجلد للمس والقلب للعلم ،

---

(١) سورة يونس : آية (٣٦)
(٢) انظر الفرقان بين الحق والباطل ص ١٣٤ - ١٤٤ (ابن تيمية) الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م دار احياء العلوم تحقيق الشيخ حسين يوسف الغزالى .
(٣) سورة الاسراء : آية (٣٦)
(٤) سورة الانفال : آية (٦)
(٥) سورة غافر : آية (٥)
(٦) انظر فتاوى ابن تيمية : ٦٠/١٠

وإذا استعمله في وظيفته الخاصة به ، فذلك هو الحق ، أما إذا استعمله في غير وظيفته فهو الضلال والهلاك ، وصاحبه من الذين يبدلون نعمة الله كفرا ، والقلب هو نفسه لا يقبل إلا الحق ، لأن ذلك فطرة الله الذى فطر الناس عليها (١) وإنما يحول بينه وبين الحق أسباب منها :-

(١) هوى النفس ، من أعرض عن اتباع الحق الذى يعلمه تبعا لهواه ، واتباع الهوى يورث الجهل والضلال ، حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح ، فيرى الحق باطلا ، والباطل حقا .

(٢) الكبر ، ومن كان متكبرا فإنه يمتنع عن قبول الحق ، لاعتقاده أن في ذلك نقصا وعيبا فيه ، كما حصل لإبليس - لعنه الله عليه - حتى امتنع عن السجود لآدم عليه الصلاة والسلام استكبارا وعلوا .

(٣) السعى وراء الشهوات ومطالب الدنيا ، ومن كان يجرى وراء شهواته فإنه ينكر الحق ، إن كان مخالفا لشهواته ومطالبه الدنيوية ، ويقبل الباطل ، إن كان موافقا لشهواته ورغباته . (٢)

ويدل على إثبات الحق ، وإبطال الباطل قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٣) والحق له معان هي :

١- القرآن .
٢- كل ما جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم (٤)
٣- المعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أنظر فتاوى ابن تيمية : ٩/٣٢١
(٢) المصدر نفسه : ٩/٣١٣ - ٣١٤
(٣) سورة الاسراء : آية (٨١)
(٤) الفخر الرازي : ٢٥/ ٢٧٠

٤- قال الحسن : الحق هو الإسلام. (١)

وللباطل معان هي :

١- قال مقاتل والكلبي : هو الشيطان ، وكل ما يأمر به. (٢)

٢- هو ما لا ينتفع به . (٣)

٣- هو المعاصي .

٤- هو كذبهم ووصفهم الله عز وجل بغير صفاته . (٤)

٥- هو الشرك والكفر (٥) . . والرأى الراجح أن الحق هو القرآن والاسلام والباطل هو الشرك والكفر ، وكل ما خالف القرآن والاسلام .

ولا يجوز لأحد أن يسكت عن الحق ، أو يكتمه ، لأن الساكت عنه مع العلم به والقدرة عليه آثم ، كمن سيق إلى المحكمة للشهادة في أمر ما ولكنه لم يشهد - وهو يعلم الحقيقة - مصلحة خاصة لنفسه كالرشوة التى أخذها من الظالم مقابل كتمان شهادته ؛ يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ ، وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ (٦) ويقصد من إظهاره الحق وإعلانه طاعة الله ورسوله ، لا لنفع دنيوى ، كما لا يجوز له أن ينصر أحد المتشاجرين ، حتى يتبين له الحق ، فإذا ظهر له أعان المحق منهما ، على المبطل ، مهما كان المبطل عزيزا عليه ، ومن مال مع المبطل فقد حكم بحكم الجاهلية وخرج عن حكم الله ورسوله ومن خرج عن حكمهما فمأواه النار . (٧)

---

(١) زاد المسير : ١ / ٧٤

(٢) روح المعانى : ١٧ / ٢٠

(٣) روح المعاني : ٢٦ / ٣٨

(٤) فتح البيان : ٦ / ١٤٥

(٥) تفسير القرطبي : ٢ / ٣٣٩

(٦) سورة البقرة : آية (٢٨٣)

(٧) انظر فتاوى ابن تيمية : ٢٨ / ١٦-١٧

ويجب على من يعرف الحق أن يعلنه بين الناس ، ويأثم الانسان إذا قال مالا علم به ، كما يأثم إذا قال خلاف مايعلمه من الحق ، [١] ولا يجوز للحاكم أو القاضي ، أو من ينوب عنهما الحكم بما لا يعلم ، أو بما لا يغلب على ظنه رجحانه ، وإذا لم يكن على علم بالحكم ، فلا يحكم حتى يعلمه ويتيقنه باستقراء الأدلة والقرائن [٢] ، وخير له ولغيره أن يعود إلى الحق بدلا من التمادى في الباطل .

والناس في التزام الحق وعدمه قسمان :

١- منهم من يلتزمون به ، سواء كان متفقا مع أغراضهم ، أو مخالفا لهما ، ويتحملون المشقات وأنواع الايذاء في سبيل تحقيقه والتزامه وهم المؤمنون حق الايمان .

٢- منهم من لايلتزمون به ، إلا إذا وافق أغراضهم وأهواءهم وهم قسمان :

أ - إما أن يكونوا من الكافرين الذين لا يلتزمون به ، ظاهرا أو باطنا .

ب - إما أن يكونوا من المنافقين الذين يلتزمون به ظاهرا ، دون الباطن وللملتزم بالحق وغير الملتزم به علامات منها :

١- الملتزم به يشعر بالمسئولية التى كلفه الله بها يؤديها حق الاداء ، بينما غير الملتزم لا يشعر بأى مسئولية .

٢- أنه يقتنع بالحجة ، بينما غيره لا يقتنع بها إلا إذا وافقت هواه وشهوته .

٣- أنه يعدل عن رأيه : إذا تبين له الخطأ ،

---

(١) كتاب الرد على الاخنائي : ص ٥ .
(٢) أنظر إعلام الموقعين : ٤ / ١٧٣ .

ويقبل قول غيره إذا كان الحق في جانبه، أما غيره فلا يعدل
عن رأيه ولا يقبل رأى غيره، بل يتمسك برأيه ويصر عليه،
مهما كان ضوء الحق يتبين له كضوء الشمس، وواضحا
كوضوح النهار، فإنّه لن يتراجع عن موقفه.

٤- إنه يقبل عذره وخطأه، ويعترف به، بخلاف غيره..

أقول: إنّ من عاند الحق ودلائله بعد علم ومعرفة منه فقد عاند الله ورسوله،
وسيكون جزاؤه العذاب واللعنة يوم القيامة.

وسبب المشكلات والمشاحنات وانتشار الظلم والطغيان
وغير ذلك يرجع إلى سبب واحد، هو عدم تطبيق تعاليم الحق. (١)

---

(١) انظر التفسير الكاشف : ١/ ٥٢

قال تعالى :

(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (١)

(١) الآية (٢٥)

المطلب الخامس

" من شأن المؤمن التوبة بخلاف الملحد "

إنّ المؤمن يعمل جاهدا في تطبيق ما طلبه الشارع الحكيم منه ، ليفوز بالدنيا والآخرة، إلا أنه غير منزه عن الخطأ، وغير معصوم عن المعصية لأنّ النفس البشرية أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، ولكن هناك فرق بين مؤمن ، وكافر ، فالمؤمن إذا أخطأ يحاسب نفسه ويندم على ما فعله ويطلب الغفران من الله تعالى ، بينما الكافر لا يحاسب نفسه ولا يطلب التوبة ، لعدم إيمانه بمن يتوب إليه وهو الله عز وجل .

و(التوبة في اللغة : الرجوع عن الذنب ، تقول العرب ، تاب ، يتوب توبا وتوبة ، ومتابا ، أى أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة وأصل التوبة العودة والرجوع إلى الله عز وجل) (١)

(أما التوبة في الشرع : فهي ترك الذنب والمعصية والندم عليها) (٢) والاعتراف والاقلاع والعزم على ألا يعود الإنسان إلى ما اقترفه) (٣)

(ويقال للعبد : تائب وتوّاب ، أى كثير التوبة والندم والاستغفار من الذنوب) (٤)

(والتوبة كلمة مشتركة بين الله عزوجل وبين عبده) .

فيقال للعبد : (تاب إلى الله) أى رجع إلى ربه ، لأنه بمنزلة الهارب من ربه بمعصيته ، ويقال للرب : (تاب عليه) أى قبل توبته ، ورجع على عبده برحمته وفضله ، كما يقول : (فلان عاد إلى الأمير)

---

(١) لسان العرب : ١ / ٣٣٦

(٢) انظر المفردات : ص ٧٦

(٣) المعجم الوسيط : ١ / ٩٠

(٤) معجم الالفاظ والاعلام القرآنية : ص ٨٨

و(الأمير عاد عليه باحسانه ومعروفه) .

ولا يجوز أن يقال " فلان تاب على الله ، أو الله تاب إلى فلان" (١) ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ " (٢) الآية . والذنوب هي أسباب البعد عن الله عز وجل والإعراض عنه واتباع الشيطان وأوليائه ، لذلك يجب الانصراف عن الطريق البعيد للوصول إلى القرب من الله تعالى ، ولا يتحقق هذا القرب إلا بالتوبة (٣)

وقد أمر الله تعالى بالتوبة ، لأنها أهم قواعد الاسلام وأول مقامات سالكي طريق الآخرة . (٤) يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ (٥) وفي آية أخرى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ (٦) وهي دعوة الأنبياء والرسل ، قال إبراهيم عليه السلام : " وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " (٧) وقال هود عليه السلام : " ويقول (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا " (٨)

وعن أبي موسى الاشعرى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : " قال : " ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " (٦) وعن ابن عمر رضي

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازى : جـ ٣ ، ص ٢٢
(٢) سورة التوبة : آية (١١٧)
(٣) انظر احياء علوم الدين جـ ٣ ، ص ٤
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى : جـ ١٧ ، ص ٢٥
(٥) سورة التحريم : آية (٨)
(٦) سورة هود : آية (٦١)
(٧) سورة البقرة : آية (١٢٨)
(٨) سورة هود : آية (٥٢)
(٩) صحيح مسلم بشرح النووى : جـ ١٧ ، ص ٧٦ ، كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب .

رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة "(١) وقد أجمعت الأمة على وجوب التوبة على الفور وعلى الدوام ، أما كون وجوبها على الفور فلأنّ الانخلاع عن المعاصي واجب ، والذنوب مهلكات مبعدات عن الله تعالى يجب الهرب منها فورا ، وتركها جزء من الايمان ، أما كون وجوبها على الدوام فلأنّ الإنسان لا يخلو من هذه المعاصي والذنوب ، إما أن يكون في معصية الجوارح وإما أن يكون في هم الذنوب بقلبه وأما أن يكون في الوساوس والخواطر السيئة المذهلة عن ذكر الله تعالى وعبادته ، وإمّا أن يكون في غفلة وقصور في العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله ، وكل ذلك نقص لا يسلم منه أحد . (٢)

قال ابن الجوزى : إن هفوات الطبائع السيئة لا يسلم منها أحد .(٣)

" شروط التوبة "

إذا كانت المعصية بين العبد وربه عز وجل ، فشروط التوبة ثلاثة :-

١- (أن يقلع عن الذنوب ، ويتركها في أول وقت خطر بباله الذنب دون تأخير ، فمن أجلها وآخرها زمانا صار عاصيا بتأخيرها) . (٣)

٢- أن يندم على مخالفة أمر ربه عز وجل وعصيانه له بهذه المعصية ، لا بسبب ضرر على البدن أو على المال أو نحوهما (٤).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، ٢٤/١٧ كتاب التوبة ، باب استحباب الاستغفار .

(٢) انظر مختصر منهاج القاصدين : ص ٢٥١

(٣) انظر عمدة القارئ : ٢٢/٢٧٩ .

(٤) قواعد الاحكام في مصالح الانام ١ / ٢٢٠ (لابن جزى الغرناطى)

(٥) انظر قوانين الاحكام الشرعية ص ٤٤ .

ولو لم يندم على ذنبه يكون انصرافه عن الندم دليلا على رضاه به والراضي بالشيء يفعله لا يكون تائبا .

قال بعض العلماء : إنّ علامة صحة الندم رقة القلب وشدة البكاء والشعور بمرارة الذنب . (١)

٣- أن يعزم على ترك المعصية . (٢) ابدا .

أما إذا كانت المعصية تتعلق بحق آدمي ، فيضاف إلى هذه الشروط الثلاثة شرطا رابعا هو :

٤- رد الحقوق إلى أصحابها ، أو الاستحلال منها ، فإذا حصلت هذه الشروط كلها، صحت التوبة ، وإن فقد أحد هذه الشروط الأربعة لم تصح توبته ولم تقبل منه . (٣) وهذه الشروط الأربعة متفق عليها ، لكن هناك شرط اختلفوا فيه وهو الاستغفار باللسان) . (٤)

ويجب أن يكون الباعث على التوبة والحامل عليها ابتغاء مرضاة الله عز وجل ، وتعظيما لجلاله ، وخوفا من شدة عقابه ، لا لنفع دنيوى ، أو لخوف من الناس ، أو لطلب المدح منهم ، أو لضعف في نفسه ، أو فقره ، أو مرضه ، وغير ذلك من الأغراض ، فإن كان غرضه واحدا من هذه الأمور لا يكون تائبا (٥) كما يجب أن تكون توبته برضا نفسه واختياره ، لا عن إكراه ، أو إجبار أو تهديد ، أو لجوء ، كتوبة شارب الخمر على يد الحاكم خوفا من تهديده له ، وقد يعلن توبته علي يديه إجبارا أو إكراها منه ، وكتوبة السارق المقبوض عليه، بأن يقول له صاحب المال مثلا : تب إلى الله تعالى بفعلك هذا ورد ما سرقته ، وإلا رفعت أمرك للحاكم

---

(١) انظر احياء علوم الدين : ٤ / ٣٤
(٢) انظر تفسير الفخر الرازى : ٣ / ٢٠
(٣) انظر تفسير الخازن : ٦/ ١٢٤
(٤) بهجة الانوار : ١ / ١٩٤
(٥) انظر الفخر الرازى : ١٦ / ٢٠٣

ويتوب على يديه التجاء فقط ، لأنه ليس لديه طريق النجاة الا التوبه (١) وإذا اجتمع له مع توبة الالجاء توبة صادقة من القلب نجا بفضل الله وفضل الله عظيم .

" كيفية التوبة في بعض الذنوب "

وتكون التوبة سرا ، كما تكون جهرا ، ولا تجزى الا جهرا في بعض المعاصي كالسرقة ونحوها (٢) ، وتكون التوبة من الغضب والخيانة في أموال الناس بتحصيل البراءة مما فعل ، او برد الحقوق الى أصحابها وأن بقيت وسلمت، وإن لم تبق وفسدت فبالغرامة ، وإن مات صاحبها فيسلمه إلى وارثه ، أو إلى القاضي العادل ، إن لم يكن له وارث ، وإذا تعذر عليه ذلك ، يتصدق به على الفقراء بنية وصول ثوابه إلى صاحبه (٢) وتكون التوبة من الزنا وغيره من الأمور التي فيها الحد بالاقرار به ، ليقيم القاضي عليه الحد ، ولا يجوز للامام العفو عنه إذا بلغه (٣) ، وتكون التوبة في القذف ، باعترافه وعفو المقذوف عنه ، ويقول له أنا الذى قذفتك ، أو قذفي باطل ، وقد تبت منه ، وتكون التوبة في القصاص ، باقراره ، وقوله لولى الدم، أنا الذى قتلت أباك ، أو اخاك ، فافعل بى ما شئت ، إما القصاص وإما العفو.

ويسقط حق الله بالتوبة إن سلم القاتل نفسه للقصاص طوعا واختيارا (٤) ، أما توبة الكافر إذا أسلم ، فالندم على الكفر ، ويسقط وزر كفره بالايمان إجماعا ، لقوله صلى الله عليه وسلم : " الاسلام يهدم ماكان قبله " (٥)

---

(١) أنظر الآداب الشرعية ٩٨/١ لابن مفلح مكتبة الرياض الحديثة .
(٢) انظر بهجة الأنوار على هامش طلعة الشمس ١٩٤/١ لعبد الله بن حميد السالمي .
(٣) انظر عمدة القارئ ، ٢٣ / ٢٩٦ .
(٤) انظر الجواب الكافي : ص ١٢٨
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى : ٢ / ١٣٨ : كتاب الايمان باب الاسلام ، يهدم ماكان قبله .

والتوبة لا تقبل في حالتين :

١- الحالة الاولى : حالة الغرغرة ، وهى حالة النزع ، ورؤية أسباب الموت ومقدماته لقوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ، حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾ (١) .

وبما رواه الترمذى من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر" (٢)

٢- الحالة الثانية : حالة طلوع الشمس من مغربها ، لأن طلوعها علامة قيام الساعة ، والتوبة في هاتين الحالتين أصبحت ضرورية ، لا اختيارية ، وتكون غير مقبولة ، لرفع التكليف (٣) ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا (٤) وقوله تعالى عن فرعون حين أدركه الغرق : آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ " (٥) وما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه " (٦)

ويجب على العبد أن يبادر بالتوبة عند كل ذنب صغير

---

(١) سورة النساء : آية (١٨)
(٢) سنن الترمذى : ٥/٢٠٧ ، ابواب الدعوات ، وقال هذا حديث حسن غريب ورواه الحاكم في المستدرك : ٤/٢٥٧ : كتاب التوبة ، وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى ، واللفظ للترمذى .
(٣) بهجة الانوار : ١/١٩٤ .
(٤) سورة الانعام : آية (١٥٨)
(٥) سورة يونس : آية (٩٠-٩١)
(٦) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/٢٤ كتاب التوبة

أو كبير ، لقوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) والله تعالى يغفر لمن تاب إليه ، وإن عظمت ذنوبه أو كثرت يقول عز وجل " وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ (٢) وقد دلت الآية على قبول التوبة لكن إذا تحققت شروطها .

ويجب العلم أن التوبة ليست واجبة على الله تعالى كما زعمه المعتزلة ، لأنّه عز وجل تفضل بقبول التوبة ، إحسانا منه . (٣)

والله تعالى صاحب الأمر في كل شيء ، إن شاء تاب عليه وإن شاء لم يتب عليه ، وقبوله للتوبة بحكم الوعد والتفضّل ، قال الفخر الرازى : إنّ كلمة (عن ومن) متقاربتان ، إلا أن كلمة (عن) أفضل ، لأنّ فيها معنى التجاوز والبعد ، وذلك أن الإنسان الذى عمل معصية أصبح بعيدا عن الله تعالى ، وعليه أن يتقرب إلى الله بتوبته .

فكأنّ كلمة (عن) تفيد التنبيه على أن الإنسان العاص بعيد عن الله (٤) ويدل على قبول التوبة ، حتى ولو تكرر الذنب مائة مرة ، أو ألف مرة ، أو أكثر ، وتاب المذنب في كل مرة ، كما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل قال : " أذنب عبدى ذنبا ، فقال : اللّهم اغفر لي ذنبى ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب ، فقال : أى ربّ اغفر لى ذنبي ، فقال عز وجل :

---

(١) سورة النور : آية (٣١)
(٢) سورة الشورى : آية (٢٥)
(٣) تفسير الفخر الرازى : ١١ / ٢٢٩
(٤) المصدر نفسه : ١٦ / ١٨٦

عبدى أذنب ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب ، فقال تبارك وتعالى أذنب عبدى ذنبا ، فعلم أنه له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب إعمل ماشئت فقد غفرت لك "(١)
ولا يقبل الله توبة الذى يصر على المعصية ويؤخرها حتى يحضره الموت وقد فسرا بن عباس قوله تعالى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ (٢) بقوله يعجل ذنوبه ويؤخر توبته حتى يأتيه الموت "(٣) (والشخص الذى يؤخر توبته بحجة أنه لا يثبت على التوبة ويرجع إلى الذنب مرة أخرى ، يقال له إنّ فعله هذا من غرور الشيطان ومن قسوة قلبه ، وعليه أن يبادر إلى التوبة ، لعله يموت تائبا قبل أن يعود إلى الذنب)(٤) وليجعل نصب عينيه دائما هذه الأمور الثلاث :

١ - عدم الإصرار على الذنب ، لأنه كالقيد له يمنعه من السعى إلى الطاعة ويظلم قلبه ، وربما يقوده إلى ذنب أعظم منه . (٥)

٢ - ذكر شدة عذاب الله ، وغضبه عليه .

٣ - استماع الآيات والأحاديث والأخبار ، التى وردت فيها فضائل التوبة .

وليحذر العصاة من كثرة الذنوب ، فقد قيل : من علامة سواد القلب ، أنه لا تجزعه الذنوب ولا ينزع لطاعة ، ولا تنفعه موعظة ولا يدخله حزن على انتهاك الحرمات ، ولا يحس لها ألما (٦) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧ / ٧٥ كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب إن تكررت .
(٢) سورة القيامة : آية (٥)
(٣) عمدة القارئ : ١٩ / ٢٦٨ ، وتفسير ابن كثير ٤ / ٤٤٨ .
(٤) منهاج الطالبين ٢ / ٢٣٠
(٥) انظر الغنية ١ / ١٢٧ . للقاضى عياض
(٦) منهاج الطالبين : ٢ / ٢٢٩ الى ٢٣٢ .

ولهذا فرّق الرسول صلى الله عليه وسلم بين قلب المؤمن وبين قلب الفاجر، حيث إنّ المؤمن يرى الذنب الصغير الذى ارتكبه ذنبا كبيرا، لأن قلبه مشرق بالنور، وإذا رأى من نفسه ما يخالف اشراق قلبه، عظم عليه الأمر، أما الفاجر فيعتبر ذنبه صغيرا كان أو كبيرا، كذباب مرّ على وجهه، لأن قلبه مظلم لا يرى شيئا، يقول ابن أبي جمرة : (إن المؤمن دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح الكبير ويستعظم عمله السيء الصغير، لأنّه على يقين من عقوبة الله للمذنب، وليس على يقين من مغفرة الله له، أما الفاجر فهو يرى ذنبه سهل عنده، ولا يعتقد أنه يحصل له بسببه ضرر كبير، كما أن ضرر الذباب عنده سهل، وكذا دفعه عنه، ولهذا تجد من يقع في المعصية إذا نصحته يقول لك : هذا أمر سهل - والعياذ بالله - (١) ويدل على ذلك مارواه البخارى في صحيحه من حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنّه قاعد تحت الجبل، يخاف أن يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا ". (٢)

" والحكمة في التمثيل بالجبل دون غيره من المهلكات أن الانسان إذا سقط عليه لا ينجو منه عادة، بخلاف غيره فقد يحصل منه النجاة ". (٣)

والمؤمن انما يعظم الذنب الصغير في قلبه بشدة تعظيمه، واجلاله لربه عز وجل، فإذا نظر إلى عظمة من عصى رأى الصغير كبيرا،

---

(١) فتح البارى : ١٠٥/١١ .
(٢) صحيح البخارى : ٨٣/٨ كتاب الدعوات : باب التوبة .
* فقال به هكذا اى نحا بيده أو دفعه وذبه، وهو من اطلاق القول على الفعل .
(٣) عمدة القارئ : ٢٨٠/٢٢ .

والعاقل لا ينظر إلى صغر الخطيئة ، ولكن ينظر إلى عظمة من عصاه [١] ويستحب تجديد التوبة من كل ذنب ، لقوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ يا أيها الناس توبوا إلى الله ، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة ﴾ وتوبته صلى الله عليه وسلم ليست من الذنوب ، لكن من باب إظهار العبودية ، والخشوع والشكر ، [٢] ولا يراد بقوله أنه يذنب في كل يوم مائة مرة ، بل معناه يجدد التوبة ويكررها وقوله " في اليوم مائة مرة " يدل على استعظامه للذنب وإن كان صغيرا ، وبهذا يتبين الفرق الكبير بين مسلم لا ينسى الذنب الصغير حتى يجدد التوبة منه في كل يوم مائة مرة ، إجلالا لربه ، وبين عبد ينسى عظيم ذنوبه ولا تمر على باله احتقارا منه لها وجهلا بعظمة ربه عز وجل ، [٣] ويجب العلم أن العبد إن تاب من بعض ذنوبه دون الآخر ، قبلت توبته من ذلك الذنب فقط ، كتوبة شارب الخمر والسارق ، إن تاب من السرقة ولم يتب من شرب الخمر ، فتوبته من السرقة مقبولة ويبقى عليه الذنب بشرب الخمر . [٤]

والناس في التوبة أربعة أقسام :-

١ - منهم من يتوب توبة نصوحا ، ولا يعود إلى الذنب مرة أخرى .

٢ - ومنهم من يتوب عن الذنب فترة ، ثم يعود إليه مرة أخرى على سبيل الاختبار والامتحان لا على سبيل التعمد والقصد .

---

(١) انظر مختصر منهاج الطالبين : ص ٢٥٨ .

(٢) انظر النووي على شرح مسلم : ١٧ / ٢٤ .

(٣) انظر قواعد الاحكام : ١ / ٢٢٠ .

(٤) انظر البركة في فضل السعي والحركة" ص ٢٤٣ . لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي - بيروت .

٣ - منهم من يتوب ثم يذنب عن عمد وقصد ، لأن هواه يشجعه ويحركه على عمل المعصية .

٤ - ومنهم من لا يتوب أبدا ، بل يصر ويتمادى على الذنب والمعصية . (١)

ولقبول التوبة علامات ، وقد سئل بعض العلماء هل يعرف العبد إذا تاب أن توبته قبلت أم ردت ؟ فقال : لا حكم في ذلك ولكن لذلك علامات منها :-

١ - أن يعمل بالأعمال الصالحة ، لأن التوبة اقترنت بذلك ، في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ . (٢)

٢ - أن تستقيم أموره وشئونه .

٣ - ألا يفارقه الخوف من الله تعالى حتى الموت .

٤ - أن يكون في غاية الخضوع ، والتذلل لله تعالى ، ويتصور نفسه كعبد جان آبق من سيده ، ثم أحضر بين يديه ، ولم يجد من يحميه من سطوته وغضبه ، مع علمه بشدة ضعفه وعجزه . (٣)

٥ - يكون قلبه سليما ، ومخلصا لكل الناس .

٦ - يترك مصاحبة أهل السوء ، والفسق ، ويصاحب أهل الخير والصلاح .

٧ - يواظب على الطاعة والعبادة .

---

(١) انظر احياء علوم الدين : ٤/ ٤٣ وما بعدها .

(٢) سورة القصص : آية (٦٧) .

(٣) انظر مدارج السالكين : ١/ ١٨٥ - ١٨٦ .

٨ - أن يكون قلبه متعلقا بالآخرة وأعمال الآخـرة .

٩ - أن يكون قليل الطمع في الدنيا ، كثيرالطمـع في الآخــرة .

يرى القليل من أعمال الدنيا كثيرا ، والكثيـر من أعمال الآخـرة قليلا .

١٠ - يفرح إذا أتى بالطاعة وبأعمال الخير، كتقديـم العون للمحتاج ومساعدة الضعيف ونحوهمـا (١) ، امتثالا لقوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّـهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُـوا ﴾ (٢) .

• •   • •

(١) انظر مكاشفة القلوب ص ٤٥ (محمد بن محمد الغزالى) الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م دار احياء العلوم .

(٢) ســورة يونس : آية (٥٨) .

والناس نحو التائب أربعة أقسام

١ - منهم من يحبه ، لأن الله قد أحبه .
٢ - ومنهم من يدعو له بالثبات على توبته .
٣ - ومنهم من لا يحقره بما تقدم من ذنوبه ، لأن المؤمن غالبا لا يتعمّد ولا يقصد الوقوع في المعاصي ، وإنما يكون ذلك بتزيين الشيطان ، والغفلة وضراوة الشهوة .
٤ - منهم من يجالسه ، ويذاكره ويساعده . (١)
٥ - منهم من يحتقره وهم الجناة ، لأنهم يودون أن يكون مثلهم .

ويترتب على التوبة ما يلي :-

١ - محبة الله تعالى لمن تاب ، وقبل توبته ومن أحبه يكون في غاية القرب منه ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ . (٢)
٢ - تكفير سيئاته ، كأنه لم يذنب قط ، ويدل على ذلك مارواه ابن ماجه ، عن عبيدة بن عبدالله عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" التائب من الذنب كمن لا ذنب له ". (٣)
٣ - مغفرة الله له في قوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ . (٤)

---

(١) انظر منهاج الطالبين : ٢ / ٢٣٠ .
(٢) سورة البقرة آية (٢٢٢) .
(٣) سنن ابن ماجه : ٢ / ١٤٢٠ كتاب الزهد ، باب ذكر التوبة ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٠ / ٢٠٠ ، وقال رواه الطبراني ورجاله ورجال الصحيح إلا أن أبا عبيده لم يسمع من ابيه
(٤) سورة طه : آية (٨٢) .

٤ - سبب فلاحه في الدنيا والآخرة ،لقوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1]

٥ - يشعر براحة النفس في تطهير قلبه من الذنوب ،بعد أن كان يشعر بالخوف والندم .

٦ - يغيّر سلوكه ويصلح نفسه ، ويحول حياته الآثمة إلى حياة صالحة .

ثم يواجه الصعوبات والمشكلات بشجاعة وصبر بعد توبته .

٧ - يتقبل ذاته وشخصيته بعد أن كان يحتقرها بسبب الذنوب والآثام التي ارتكبها . (٢)

---

(١) سورة النور : آية (٣١) .

(٢) انظر الخطايا في نظر الاسلام : ص ٢٠ - ٢٩ .(عفيف عبد الفتاح طباره) الطبعة السادسة .

المبادئ العقدية والاجتماعية في المبحث الرابع:

١ - فيما يتعلق بالعقيدة والمجتمع يختلف المؤمن عن الملحد كل الاختلاف . فالمؤمن يثق في ربه كل الثقة ، ويؤمن به إلها واحدا مقصودا في كل مطالبه ، و يثق في عدله المطلق ، وأنه أحكم الحاكمين في الدنيا والآخرة .

وذلك على عكس من لم يؤمن بربه،ومن هنا يستشعر المؤمن بالمسئولية الكاملة في العقيدة والسلوك ،بخلاف الملحد الذى لاعقيدة له مستقيمة يعتمد عليها ، وليس له منهج قويم يأمن به من المخاطر والزلل ،والمؤمن شاكر لنعم ربه ، والملحد جاحد فضله عليه ،والمؤمن يخاف الظلم بخلاف الملحد ،والمؤمن يتحرى الحكم بما أنزل الله بخلاف الملحد فشتان بين الهدى والضلال ، والنور والظلمة والرضا عن العبد والغضب عليه .

٢ - يخاف المؤمن من لقاء ربه ،فيعد لهذا اللقاء مايليق به من عقيدة ومنهج ،وذلك على عكس الملحد الذى لا يرجي الله والدار الآخرة ولم يقدم لهذا اليوم ما يوضع في ميزان حسناته حيث لا حسنة له ، ولذلك تراه يرتكب الكبيرة يستهويها بقلب غافل لاه ، وذلك بخلاف المؤمن الذى يضع نصب عينيه المراقبة والمجاهدة والمحاسبة أملا في النجاة .

٣ - لا يبقى إلا الحق أما الباطل فذاهب لا محالة،والفطرة تتعلق دائما مع الحق ،والهوى والباطل ضد الفطرة، والآخرة امتداد للدنيا ، فمن كان مع الحق في الدنيا لازم الحق في الآخرة ، ومن عزة الحق أنه اسم من أسماء الله سبحانه - والناس يتمسكون بالحق على قدر إيمانهم به ، ويخضعون للباطل ، على قدر بعدهم عن ربهم .

٤ - المؤمن يبادر بالتوبة على قدر قربه من ربه ، ويلتزم شروطها من حقوق الله وحقوق الناس ، ويعرف قدر الذنوب كبيرها وصغيرها ويعرف متى تقبل التوبة ومتى لا تقبل ، ويعرف مدى رحمة الله بعباده ، ولذلك لا ييأس من عفوه ، وذلك بعكس الفاجر الذى يستهوى الباطل كما يستهويه الباطل ، ويرى الآثام كأنها ذباب يلوّثه ، ويستهين بالتخلص منه .

ومن علامات صدق التوبة الإنابة إلى الله والفرح بالعودة إليه والالتزام بمنهجه .

المبحث الخامس
من آيات الله في السماء والأرض

ويتكون من المطالب التالية :

المطلب الأول : المؤمن مطالب بالتأمل في الكون والكشف عن أسراره .

المطلب الثاني : حكمة الابتلاء .

المطلب الثالث : الله لا يعجزه شيء .

المبحث الخامس : من آيات الله في السماء والأرض

(١) الذى يشك في وحدانية الله سبحانه وتعالى انسان كافر أو انسان بلا عقل وبلا قلب لان الله تعالى خلق له العقل والقلب لينتفع بهما ويستعملها في عبادته وطاعته .

(٢) فمن آيات الله سبحانه وتعالى في السماء والأرض الجبال والانسان والنبات وسائر الحيوانات وكل ما هو موجود في هذا الكون فكيف يشك ذلك الانسان في الله سبحانه وتعالى وآياته موجودة في السماء والأرض والعبد مطالب بتأملها وتدبرها وتفصيل هذا الاجمال في المطالب الاتية

قال تعالى :

(وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن

بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ

وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ . وَمِن

آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ . وَهُوَ

عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) (1)

(1) الآية : من ٢٨ الى ٢٩

المطلب الأول

" المؤمن مطالب بالتأمل في الكون والكشف عن اسراره "

إن الله تعالى خلق السماء والأرض وما فيهما من أجل الانسان وفي خلقهما دليل على قدرته عز وجل والتأمل في الكون ، وما فيه ، يهدي إلى الايمان بالله ويقويه . كما آمن بعض العلماء عندما درسوا وشاهدوا وتفكروا في خلق السموات والأرض وما فيهما من النجوم والكواكب ، لذلك فالمؤمن مطالب بالتأمل في خلق الله والكشف عن أسرار هذا الكون العجيب ، ورغم أن هذا الكون مسخر للانسان فليس كل ما يتمناه في هذه الحياة يدركه ، لأن الدنيا دار ابتلاء واختبار ، والله عز وجل لا يعجزه أن يحقق للانسان كل ما يتمناه وكل ماتهواه نفسه ، ولكنه عز وجل يعطى ويمنع ويعز ويذل حتى يمحص المؤمنين حقالايمان من غيرهم ويزيدهم إيمانا مع إيمانهم ويبتليهم ليكفّر من ذنوبهم .

والله عز وجل يدعو الناس إلى النظر في ملكوت السموات والأرض ليشاهدوا آثار صنعته الباهرة الدالة على وحدانيته وقدرته في قوله تعالى : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ (١) .

لذلك يجب على المؤمن أن ينظر في الكون وفي النفس ، وأن يكشف أسرار خلقه ، ليكون إيمانه بالله قويا متينا ، وليصبح من الراشدين المتمسكين بالعروة الوثقى المهتدين إلى الصراط المستقيم .

---

(١) سورة يونس : آية (١٠١) .

وإذا كان هناك أي نقص أو زيادة في نظره في حكم وأسرار خلق الله تعالى فإنّه يرجع إلى عقله الذي هو مقصر عن إدراك حقائق الأشياء، لأنّ الله تعالى خلق الأشياء بقدر، بلا زيادة ولانقصان وإذا تعمق الانسان في النظر والتأمل، تبيّن له أن كل هذه الآفاق تلفت النظر إلى الإحكام والإبداع في خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والدواب، كما تلفت النظر إلى الليل والنهار والنبات إلى غير ذلك من الآيات والدلائل التي لا تعد ولا تحصى، ويستحيل أن يكون هذا الإحكام والإبداع أثرا من آثار المصادفة.

كما لو تأمل ونظر إلى جميع النباتات والأشجار لشاهد هذه الأشياء مختلفة في اللون والحجم والرائحة والطعم والشكل مع وحدة المكان والماء والهواء، وهذا يدل دلالة واضحة على قدرته عز وجل وحكمته ونفوذ إرادته.[1] كما أن الله أمره بالتأمّل والتدبّر في خلق السموات والأرض وآياتهما، لأن دلالتهما أعجب وشواهدهما أعظم، وأعظم آيات السموات، كونها مرفوعة كالخيمة، إلا أنّها بغير عمد تعتمد عليه، وما لها من فتوق وشقوق، قال الكسائي: ﴿ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق ولا خلل﴾[2]، وأعظم آيات الأرض بحارها وجبالها وأنهارها ومعادنها وغير ذلك، وكل هذه الآيات تدل على أن فاطرها هو الله عز وجل الذي لا شريك له في الخلق والتدبر.[3]

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة : ١/٢٢٤

(٢) فتح البيان : ٩ /٩٣ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن : ١٢/١٩١

والنظر المأمور به هو النظر على وجه التدبر والتفكر والاعتبار، أما مجرد النظر من غير اعتبار ولا تفكير فهو غير مأمور به، لأنه نظر لهو ونظر إشباع الغريزة الذي لا يساعده على الطاعة[1]، يقول الحسن رضي الله عنه: " من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو "[2]

وكما أمر الله الناس بالسير والسفر في الأرض، لينظروا مصير المكذبين والمنكرين رسلهم، وليشاهدوا آثار سخطه وعقوبته النازل بهم، جزاء إنكارهم وكفرهم بالله تعالى ورسوله[3]، وعقوبتهم ليعرفوا أن ذلك سنة الله تعالى في كل من سلك طريقهم إن لم يتوبوا من كفرهم وتكذيبهم[4]. وفي ذلك يقول الله تعالى:
﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[5]

ويقول في آية أخرى: ﴿ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾.[6]

وفي آية أخرى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[7].

وليس المراد بالسير هنا هو سير الأقدام، وإنما المراد هو معرفة أحوال المكذبين، ومشاهدة آثارهم، فإن حصلت المعرفة بغير السير، كقراءة الكتب التاريخية التي دوّنها من ساروا في الأرض وشاهدوا آثارهم، حصل المراد، لكن أثر المشاهدة أقوى من

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيميه : ١٥ / ٣٤٢ - ٣٤٣ .
(٢) التبصرة ١ / ٥٧
(٣) انظر تفسير الطبرى : ١٤ / ١١٣ .
(٤) انظر تفسير الطبرى : ٢٠ / ٩
(٥) سورة النمل : آية (٦٩) .
(٦) سورة آل عمران : آية (١٣٧) .
(٧) سورة الانعام : اية (١١) .

أثر السماع وفي الحديث : ليس الخبر كالمعاينة [١] ، والمراد بالنظر هنا هو نظر العين والمشاهدة [٢] ، ونلاحظ أن النظر في الآيات السابقة ذكر فيه حرف " الفاء " في قوله : ﴿ فَانظُرُوا ﴾ و حرف ﴿ ثم ﴾ في قوله " ثُمَّ انظُرُوا " وإذا ذكر حرف " الفاء " فإنه يفيد أن سبب السير والسفر هو النظر ، فكأنه قيل : سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين ، أما إذا ذكر حرف " ثم " فإنه يفيد أن سبب السفر والسير في الأرض هو المنافع الدنيوية كالتجارة وغيرها ، ووجوب النظر في آثار الهالكين [٣]. ﴿ ولعل السبب في الأمر بالسفر أنه يكمل تفكيرهم واعتبارهم ويقوى بصائرهم ﴾ [٤] وهم في معية الابتلاء المتواصل في الحياة .

---

(١) في المقاصد الحسنة ص ٣٥٢ صحح هذا الحديث ابن حبان والحاكم وغيرهما .

(٢) انظر روح البيان : ٤ / ٩٨ والفخر الرازى : ٩ / ١٣ .

(٣) انظر الفخر الرازى : ١٢ / ١٧٣ .

(٤) تفسير الطبرى : ٢٠ / ٩

قال تعالى :

(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) (1)

(وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) (2)

(1) الآية : (٢٧)
(2) الآية : (٣٠)

المطلب الثانـــي

" حكمـة الابتـــلاء "

الاختبار والابتلاء سنة الله عز وجل في عباده منذ أن خلق آدم عليه السلام الى يومنا هـذا ، وذلك لحكم عظيمة لا يعلم أكثرها ، إلاّ علام الغيوب ، يقول الله تعالى : ﴿ ألَمَّ أَحَسِبَ النَّـــاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِـــمْ ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَٰذِبِينَ (1) . ويقول في آيــة أخرى ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، وَكَـــانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ ، لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (2) ويقول أيضـــا : ﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيٰوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ . (3)

هـذه الآيات وغيرها تدل على أن خلق السموات والأرض والموت والحياة وزينة الأرض بما عليها لابتلاء عباده،والابتلاء يصلـــح المؤمن ، إذ هـو لا يشعر بقوة إيمانه بالله تعالى وبقضائه وقـــدره ، وبقيمة الحياة إلا إذا ابتلاه الله تعالى،كالإنسان الذى يتمتـــع بصحة جيدة لا يشعر بلذة الصحة إلا إذا مرض ، وكذلك الغنـــى لا يشعر بلذة الغنى إلا إذا افتقـــر .

كما أن ابتلاء المؤمن كالدواء يستخرج به العلة من جســم المريض،ولو بقيت فيه هـذه العلة أهلكته ، ولذلكيمتحنه الله ويختبـــره

---

(1) سورة العنكبوت : آية (١ - ٢ - ٣)
(2) سورة هـــود : آية (٧) .
(3) سورة الملـــك : آية (٢)
(4) انظر روح البيان : ٤٤٩/٦ .

بأنواع البلاء إلى أن يأتيه الموت ، يؤيد ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله وما عليه خطيئته "(١) وبالتأمل في حكمة الابتلاء يرى العاقل أنه رحمة .. إذا الرحمة الحقيقية هى إيصال المنافع والمصالح إلى العبد ، ولو كرهتها نفسه وشقت عليها ، ولهذا كان من رحمة الله عز و جل بعباده ابتلاءهم بأنواع البلاء ، لأنه أعلم بما ينفعهم لكن العبد لا يعلم إحسان الله إليه ، وهو بجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه له (٢) ، ولا يعلم أن الابتلاء هو عين الكرامة ، وإن كانت صورته صورة ابتلاء وامتحان ، لكن باطنه فيه الرحمة والنعمة ، فكم من نعمة جسيمة ، ومنّة عظيمة تجنى من الابتلاء والاختبار. (٣)

ومن حكمة الله في الابتلاء أنه :

١ - دليل على رضا الله تعالى ومحبته لعبده المؤمن بما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط " . (٤)

٢ - تكفير الخطايا ، بما روى عبدالله رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها ، إلا كفّر الله بها سيئاته ، كما

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ١ / ٣٤٦ كتاب الجنائز ، وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقال الذهبي على شرط مسلم ، ورواه الترمذى في سننه ٤ / ٤٨ ابواب الزهد باب في الصبرعلى البلاء وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح واللفظ للترمذى .

(٢) انظر اغاثة اللهفان ٢ / ١٧٤ وما بعدها .

(٣) انظر مفتاح دار السعادة ١ / ٢١٩ .

(٤) سنن الترمذى : ٤ / ٢٧ : ابواب الزهد ، باب في الصبر على البلاء وقال الترمذى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

تحط الشجرة ورقهـــا .(١)

٣ - تعجيل العقوبة ، بما روى أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بعبـــده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة)(٢) .

٤ - (تطهير الذنب لأن أحدا لا يخلو من ذنب ومعصيـــة)(٣) والابتلاء يطهر ويخلص الإنسان من ذنوبه ، كما يطهـــر ويخلص الكير خبث الذهب والفضـــة .(٤)

٥ - بيان حقيقة الإنسان ، أمؤمن هو أم منافق؟ أصادق هو أم كذب ؟ أطيّب هو أم خبيث ؟ وإليه يشير قولـــه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَـــنَّ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ .(٥)

فإن كان مؤمنا فلا يزيده الابتلاء والامتحان إلا إيمانا على إيمانه، وإن كان منافقا فإنه يجزع من الابتلاء ويفر منه.(٦)

---

(١) صحيح البخارى : ٤ / ١٥٠ كتاب المرض، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ، وصحيح مسلم بشرح النووى /كتاب البـــر واللفظ للبخارى .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٤ / ٣٧٧ كتاب الحدود . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، ورواه الترمذى في سننه ٢ / ٢٧ ابواب الزهد باب في الصبر على البلاء وقال :هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه واللفظ للترمذى .

(٣) تيسير العزيز : ص٥٢٠

(٤) انظر إغاثة اللهفان : ٢ / ١٧٤

(٥) سورة العنكبوت : آية (٣)

(٦) انظر اغاثة اللهفان : ٢ / ٢٩٢

٦ - بيان كرامة العبد ومنزلته عند الله تعالى . (١)

٧ - رفع الدرجات كالانبياء عليهم الصلاة والسلام بدليل ما رواه مسلم في صحيحه (ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة ، أو حط عنه بها خطيئة) (٢)

٨ - تنبيه العبد إلى التوبة وذلك لما يصيبه من الشدة أو الكرب أو الهم ، يقول لو فرج الله هذا الكرب أو هذه الشدة أتوب إلى الله توبة نصوحا ، وأفعل دائما ما يرضى الله تعالى . (٣)

٩ - عدم حجة الكافر يوم القيامة ، وذلك لو أن المؤمن أخذ ثوابه يوم القيامة دون أن يمتحنه الله ويختبره في الدنيا لقال الكافر يارب لو اختبرته وفتنته مثلي في الدنيا لكفر مثلي .

وإذا أوذى المؤمن في دين الله ، فإنّه بحسب طاعته ، واخلاصه وايمانه يجد الله تجاهه ، وهو لا يتخلى عن عباده المؤمنين . (٤)

واعلم ان الابتلاء قد يكون بالشر ، كما يكون الخير ، فإذا ابتلى الانسان بالخير ، والنعم ، يجب عليه عدم الطغيان ، بهذا الخير وبهذه النعم كما يجب عليه مراعاة حقوق نفسه وحقوق غيره ، أما إذا ابتلى بالشر والمصائب يجب عليه الصبر وعدم اليأس من رحمة الله تعالى ، يقول الله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ، وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ . (٥)

---

(١) انظر روح البيان : ٤/٣٠٥ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ١٣٨ كتاب البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه
(٣) انظر تيسير العزيز ، ص ٥٢٠
(٤) انظر روح المعاني ص ٢٠ / ١٣٤
(٥) سورة الانبياء : آية (٣٥)

وقد يكون الابتلاء بالصحة ، كما يكون بالمرض ، وقد يكون بالقوة كما يكون بالضعف وقد يكون بالغنى كما يكون بالفقر ، وقد يكون بالمال يبذله في جميع سبل الخير والبر ، وفي سبيل الله . وفي الجوائح (١) والأفات كما يكون بضياعه . إما بالسرقة وإما بالنهب او الحرق ، وإما بالخسران ، وقد يكون بقلة الرزق من متاع الدنيا ولذاتها ، ليتبين موقفه ، هل يقف موقف الحاسدين أم موقف الصابرين الباقين على إيمانهم ، وتوكلهم على الله تعالى في ثبات وثقة ، يقول الله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (٢)

وقد يكون في النفس بالجهاد وبمشاق التكاليف ، كالمهاجرة في سبيل الله ، ورفض الشهوات . (٣)

والابتلاء نوعان :

١ - النوع الأول : بلاء حسن للذى لايجعل لذات الدنيا ، ومطالبها غرضه الأول ، وإنما يجعل النعم التى أعطاها الله اياها ، وسيلة إلى القربات وإلى الطاعات .

٢ - النوع الثاني : بلاء سيء للذى يجعل كل همه شهوات الدنيا ويجرى وراء مطالبها ، ومتاعها ، ثم يجعل النعم التى أعطاه الله اياها وسيلة إلى نيل مقاصده وشهواته . (٤)

---

(١) الجوائح : جمع جائحة : وهي الآفة التي تصيب الثمار فتهلكها يقال سنة جائحة أى جدبة أو هي المصيبة تحل بالرجل في ماله فتجتاحه كله ... انظر لسان العرب ٢ / ٤٣٢

(٢) سورة الانعام : آية (١٦٥)

(٣) انظر مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك ، ص ٢٣١ .

(٤) انظر روح البيان : ٤ / ١٠٠

والناس في الابتلاء ثلاثة أقسام :

١ - القسم الأول : المؤمنون الذين يشكرون في حال الرخاء والنعمة ويصبرون في حال البلاء والشدة .

٢ - القسم الثاني : المنافقون والكاذبون الذين لا يشكرون في حال النعمة ، ويجزعون عند البلاء

٣ - القسم الثالث : العصاة الذين تسكن نفوسهم في حال الرخاء ولا يصبرون في البلاء . (١) والشأن في العصاة أن يغتموا عندما يطالبون بالتكاليف الشرعية ، وسمى الغم بلاء لأنه يبلي الجسم كما سميت التكاليف بلاء لأسباب :-

١ - إنّ التكاليف فيها صعوبة ومشقة على النفوس ، فصارت من هذه الوجه بلاء .

٢ - إنها إختبارات .

٣ - ان اختبار الله للعباد ، يتغير مرة يكون بالنعمة والمسرة ليشكروا ، ومرة يكون بالمضرة ليصبروا ، وبذلك صار الخير والنعمة والشر والشدة بلاء ، على السواء ، فالنعمة والمنحة مقتضية للشكر ، والشر والمحنة مقتضية للصبر ، والصبر على الشدائد والمصائب أيسر وأسهل من حقوق الشكر . (٢)

وبهذا النظر قال عبدالرحمن بن عوف : " ابتلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضرّاء فصبرنا ، ثم ابتلينا بعده

---

(١) انظر روح البيان : ٦/٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) انظر المفردات : ص ٦١ .

بالسراء فلم نصبر " . - (١)

والمؤمن عند الابتلاء يضع نصب عينه قول الرسول الكريم " إنّ عظم الجزاء مع عظم البلاء "(٢) وهو يعتقد بأنّ أشد الناس بلاء الأنبياء ثم يقتدى بهم دون المنافقين والكاذبين .

ويعلم أنّ الله تعالى جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان ، لذلك فهو يرضى بكل المصائب والشدائد التى تنزل عليه كالفقر الذى هو قلة المال - لأنه يعلم أن المال لايبقى لصاحبه كثيرا وانما هو زائل وفان . وأن كثرته ليست دليل الرضا ولو كانت كذلك لخص الله بهما أنبياءه ورسله الذين جعلهم أفضل سائر الخلق ، ومع ذلك عاشوا فقراء طول حياتهم . (٣)

روى مصعب بن سعد عن أبيه قال : قلت يارسول الله أى الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاءه ، وإن كان في دينه رقة ابتلى قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة (٤) " والمؤمن

---

(١) سنن الترمذى : ٤ / ٥٧ : أبواب صفة القيامة ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن .
(٢) سنن الترمذى : ٤ / ٢٧ : أبواب الزهد ، باب في الصبر على البلاء وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .
(٣) انظر فيض القدير : ١ / ٥٢٠
(٤) رواه الحاكم في المستدرك ١ / ٤١ كتاب الايمان ، وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وقال الذهبي على شرط مسلم ، ورواه الترمذى في سننه ٤ / ٤٨ . أبواب الزهد ، باب في الصبر على البلايا ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، واللفظ للترمذى

يعلم أن المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإنساني "(١)

وابتلاء الأنبياء والرسل عليهم والصلاة والسلام ليس من باب تكفير الذنوب ، لأنهم معصومون عن المعاصي ، وإنما ابتلاهم الله تعالى ، لأسباب منها :

١) زيادة ثوابهم .
٢) تكملة لفضائلهم .
٣) إظهارا لصبرهم ورضاهم على المصائب والشدائد ، ليتأسى الناس بهم .
٤) لئلا يفتتن الناس بدوام صحتهم فيعبدونهم . (٢)

ويترتب على الابتلاء نتائج منها :

١- عقاب الله تعالى لمن طغي بالنعم التى أنعم الله بها عليه أو لمن يئس من رحمة الله عز وجل ، بسبب ما أوتى من الحظ القليل
٢- زيادة فضل الله تعالى لمن شكره على النعم ، ولمن صبر على المحن . (٣)

---

(١) إغاثة اللهفات ٢ / ١٩٠
(٢) انظر فيض القدير : ١ / ٥١٨
(٣) انظر مفاهيم القرآن : ص ٢٣١

قال تعالى :

(وما أنتم بمعجزين في
الأرض وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير ومن آياته
الجوار في البحر كالأعلام إن
يشأ يسكن الريح فيظللن
رواكد على ظهره إن في ذلك
لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن
بما كسبوا ويعف عن كثير) (١)

(١) الآيات : من ٣١ الى ٣٤

المطلب الثالث

" الله لا يعجزه شيء "

الإنسان الذى أنعم الله عليه بنعم كثيرة ، كالمال أو العلم أو الملك ولم يؤد واجباته التي أوجبها الله تعالى ، كالصلاة والزكاة والحج وغيرها من الواجبات ، فإنه بذلك يصيبه البلاء والشدة ، وفعله هذا يدل على أنه لم يخطر على باله أن الله لا يعجزه شيء ، إن شاء جعله إنسانا لا يجد مكانا يأوى إليه ولا ثوبا يلبسه ولا طعاما يأكله ولا ماء يشربه وإن شاء عزله عن الملك في دقيقة واحدة إن كان مالكا ، أما المؤمن فإنه مع الله عز وجل في كل شيء ، معه في أكله وفي شربه وفي نومه ، وفي مشيه وفي كل حركة من حركاته ، ويعتقد اعتقادا جازما أن الله تعالى يقدر على شفائه ، إن كان سقيما حتى ولو عجز جميع الأطباء عن علاجه ، والعاقل لو يبحث عن آيات قدرته عز وجل لوجد آثار قدرته تظهر في خلق السماء وما فيها من أسرار وعجائب كالشمس والقمر ، والنجوم ، والكواكب ، والأفلاك ، كما تظهر في خلق الأرض وما فيها من إنسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد ، وبحار ، وأنهار ، وجبال ، وكل مخلوق في العالم ساكن أو متحرك (١) ، وكذلك ما في العالم من كائنات الطاقة ، أو من كائنات المادة ، يدل ذلك كله دلالة قاطعة على قدرته عز وجل ، وهيمنته التي لا تعجز عن شيء في البداية والنهاية ، وفي الحفظ والرعاية ، وتلك الكائنات والمخلوقات تقوم بدورها الخاص لها باتساق ، ونظام إلى أن تقوم الساعة ، وكما يعتقد أن الشيء ليس له قدرة ذاتية يستمدها من تلقاء نفسه ومن طبيعته المجردة ، وإنما يستمد قوته من الله عز وجل الذى خلق هذا الشيء والقوة التي فيه ، وإن قدر عليه فهو من رحمة الله به ، ومن فضله ونعمته عليه ، وهذا رد على قول بعض الجاحدين من

---

(١) انظر معجزات قلب القرآن : ص ٣٦١
هاشم محمد سعيد الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
دار الشروق .

علماء الطبيعة الذين يقولون: إن الدلائل الباهرة التى تدل على قدرة الله عزوجل ليست من قدرته ، وإنما هي من مجهول محض ، أو من قوة كامنة في المواد ، والعناصر المختلفة ، وهو قول باطل وفاسد [١] ، إذ كل مافي العالم ، ومايتجدد فيه كل يوم ، إنما تقع تحت قدرته ، وفي هذا يقول عز وجل : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٢] ويقول في آية أخرى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [٣] .. والعجز يكون بأحد الأمرين :-

١- عدم القدرة عليه .

٢- عدم العلم به ، والله عز و جل منزه عن هذين الأمرين ، فهو لا يعزب عنه مثقال ذرة ، وهو على كل شيء قدير [٤] ، وهو أمر يظهر بالنظر إلى دلائل قدرته في الأنفس ، وفي الآفاق التى تدرك بسهولة ويسر ، وكلها تنطق بوجود إله قادر ، يقول الله عز وجل : ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [٥] وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [٦] ... ولا يفهم أن المراد من النظر في هذه الآية وغيرها هو النظر بالعينين دون إعمال العقل والتفكر والتأمل

---

(١) انظر معجزات قلب القرآن : ص ٣٦١
(٢) سورة يس : آية (٨٢)
(٣) سورة فاطر : آية (٤٤)
(٤) انظر توضيح شرح العقيدة الطحاوية : ص ١١١
(٥) سورة يونس : آية (١٠١)
(٦) سورة الاعراف : آية (١٨٥)

في قدرة خالق السموات والأرض ، وما فيهما من الأسرار والعجائب ، وإن من أعظم مظاهر قدرة الله عز وجل أن خلق السماء بغير عمد وذلك في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾(١) وفي آية أخرى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾(٢) قال بعض العلماء ومنهم ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة : السماء لها عمد لكنها غير مرئية لنا ، ونحن نعلم علم اليقين أن البنيان لا يقوم إلا بأعمدة ترفعه ، وبدونها يسقط البنيان ، دون شك ، لكن إذا نظرت إلى السماء تراها مرفوعة بغير عمد ومع ذلك لا تسقط ، لأنّ قدرة الله عز وجل تمسكها وتمنعها من الوقوع (٣) . وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾(٤)

قال سيد قطب : إن الإنسان حين يتأمل في خلق السماء وهي هكذا لاتستند إلى شيء مرفوعة ، يدرك حينئذ أنه ما من أحد يستطيع رفعها بلا عمد - أو حتى بعمد - إلا الله عز وجل ، فكلا الأمرين من صنع الله وقدرته (٥) ، والعلم يقول : إن السماء لها عمد ، لكن بقوة الجاذبية ، ويرى علماء الفلك أن أجرام السموات مرتكزة على أعمدة من الطاقة غير مرئية لنا ، وقوة الجاذبية والطاقة بقدرته التي تمسك كل شيء . (٦)

ومن مظاهر قدرته أيضا الطائرة التي صنعت من الحديد ، محملة بالأشياء الثقيلة تعلق في الفضاء ، وتتجاوز السحب ، ومع ذلك لا تسقط - وهي تطير في وقت قصير جدا ، كما قالوا يتغذّى

---

(١) سورة لقمان : آية (١٠)
(٢) سورة الرعد : ٢
(٣) انظر تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٤٩٩
(٤) سورة فاطر : (٤١)
(٥) انظر ظلال القرآن : ٤ / ٢٠٤٤
(٦) انظر قصة الايمان : ص ٣١١

المسافر في أمريكا ويتعشّى في ايطاليا في نفس اليوم - وكذلك الطير الذى يطير الى أى مكان يشاء ولا يسقط - مع أنه يطير مسافات بعيدة دون توقف - يقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ، مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١)" وهاتان الآيتان - ونحوهما - في يد الله أقلّ من الرّيشة يصرفها كيف يشاء والرّيشة في يد الانسان قد يعجز عن تصريفها وامتلاك أزمتها ، إذا أفلتت من يده في مهب الرياح (٢)، وكذلك التيار الكهربائي الذى به يسمع أصوات الناس ، وترى أشكالهم المختلفة في أنحاء العالم في طرفة عين ، كأنهم في مكان واحد ، عن طريق الاذاعة وعن طريق التلفاز متى أردوا ، وهذا التيار الكهربائي الذى صنعته يد البشر هو من الطاقة التي هي من صنع القدرة الالهية (٣) ،

(ومن مظاهر قدرته أيضا ورحمته على الخلق تعاقب الليل والنهار على الدوام ، إذا ذهب أحدهما خلفه الآخر ، وفي اختلافهما في الحر والبرد والطول والقصر ، وماينشأ عن ذلك من الفصول التي بها انتظام مصالح الناس وحيواناتهم وأشجارهم ، ونباتهم ، كل ذلك يدل على قدرته العظيمة التى بها خلقها ، وحكمته التى بها أتقنها وأحسنها ونظمها) (٤)

يقول عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٥) ، وهذه الآية

---

(١) سورة النحل : آية (٧٩)
(٢) انظر معجزات قلب القرآن : ص ١٤٩
(٣) انظر تفسير المراغي : ١٧ / ١٣٧
(٤) تفسير اللطيف المنان : ص ١٣٧ الشيخ عبدالرحمن بن ناصر مكتبة المعارف
(٥) سورة الحج : آية (٦١)

وأمثالها كثير - تدعو إلى اثبات قدرة الله عز وجل ، لكن أكثر الناس لم يلتفتوا ولم ينظروا إلى دلائل قدرته في السموات والأرض وما فيهما من البراهين الناطقة على قدرته ، لغشاوة على عيونهم وصم في آذانهم ..

.. ..

المبادئ العقدية والاجتماعية في المبحث الخامس :

١- لكي تنتظم حياة الناس في العقيدة والمنهج لابدّ لهم من التأمّل العام في الكون والتأمل الخاص بمعنى النظرة الكلية المتأنية لهذا الإبداع العظيم، ثم النظرة الخاصة المتأنية لبعض ما أودع الله فيه من أسرار، وكيف سخرت منافع هذا الكون للإنسان ، وذلك يزيد من إيمان المؤمن ويهذّب من سلوكه ، والله يقول﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾(١) ولا يراد به النظرة العاجلة وإنما نظرة العرفان والانتفاع .

٢- خلق الله الإنسان ليبتلى ويختبر ، والإنسان غارق في هذا الابتلاء إلى المماة والفائز من يجتاز هذا الامتحان بنجاح ، ويمر من موقف إلى موقف بالعبرة والدرس لمستقبل أيامه والابتلاء يكون لرفع الدرجات ، أو لتكفير السيئات أو ليعلم صدق المؤمن وصحة دعواه الإيمان .

٣- بالتأمل في الكون واستبطان أسراره ، يرى العبد أن الله قادر على كل شيء ، غالب لا يغلب خزائنه لا تنفذ وطاقات الكون بيده ، ومحال أن يكون هذا الإبداع ناشئا عن مصادفة ما يرى منه وما لا يرى ، الساكن والمتحرك كل ذلك واقع تحت سلطان قهره ، والله يقول ﴿ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾(٢)

---

(١) سورة النمل : آية (٦٩)

(٢) " لقمان : آية (١١)

المبحث السادس
من أمهات الفضائل

ويتكون من المطالب التالية :

المطلب الأول : الشورى وأثرها في المجتمع الإسلامي .

المطلب الثاني : الغضب يجب أن يكون لله لا لحمّية جاهلية .

المطلب الثالث : العفو عن العاجز المعترف بجرمه محمود .

المطلب الرابع : الإنتصار من الظالم المصر على ظلمه محمود .

المطلب الخامس : التجاوز في الإنتقام مذموم .

المبحث السادس : من أمهات الفضائل

الإسلام دين الرحمة ودين السلام والأمان ، لم يترك لنا أمراً إلا وبينه وفصله ، فقد بين لنا الأخلاق الحسنة من الأخلاق السيئة ، وأمرنا بالتخلق بالأمهات الفضائل والابتعاد عن الأخلاق السيئة لنفوز رضا الله تعالى ورضا الناس ، والذى لايتخلق بأخلاق إسلامية فهو حاد عن الطريق القويم ، بعيد عن تعاليم دينه الحنيف. ،

واليك بيان أمهات الفضائل .. .. ..

قال تعالى :

(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (١)

(١) الآية : ٣٨

المطلب الأول

" الشورى وأثرها في المجتمع الاسلامي "

المشاورة والمشورة في اللغة : قيل مأخوذة من قولهم شرت العسل إذا أخذته من موضعه واستخرجته منه ، وقيل مأخوذة من قولهم « شرت الدابة » إذا عرضتها للبيع ، ويقال للمكان الذى يعرض فيه الدواب مشوار ، أى كأنه بالعرض يعلم خيره وشره ، وكذلك المشاورة يعلم خير الأمور وشرها .(١)

والشورى في العرف : - استخراج الرأى بمراجعة الناس بعضهم بعضا ، أو هي : تبادل الآراء بين مجموعة من الناس ، وفي أمر من الأمور ، لمعرفة أصوبها وأصلحها لأجل اعتماده والعمل به .(٢) وهي صورة من صور النصيحة وشكل من أشكال التعاون ، وليس المراد بها مجرد طرح السؤال للتعرف على رأى الآخرين ، ورصد ما يدور في أذهانهم ، حول فكرة معينة ، وإنما المراد بها تحرّى الحق ، والاهتداء إلى ما يصلح للأفراد والجماعات ... ولكل دولة في العالم قديمة أو حديثة ، نظمها الخاصة التى أخذت من الشرائع السماوية ، أو من نتائج الدراسات العقلية ، أو من وليد التجارب والتقاليد مدونة كانت أو غير مدونة .

---

(١) انظر لسان العرب : ٤/٤٣٤ - ٤٣٦ .
(٢) انظر المفردات : ص ٢٧٠ .

أما الدولة الاسلامية فلها دستورها ، ونظامها ، ومبادئها ، وأحكامها المستمدة من منهاج الله تعالى " قرآنا وحديثا" والشورى من المبادئ التي تقوم عليها الدولة الإسلامية ، وجزء من منهاج الله الذى أنزله من السماء حقا كاملا . يفي بحاجة البشر، على مختلف العصور والأجيال ، وتطبيق هذا المنهاج في الواقع البشرى ميسر لمن يسر الله له ذلك ، فإن بدأ خلل أو اضطراب ،أو عجز أو تقصير فيه إنما هو من جهد الإنسان في نفسه ، وفي عطائه وبذله ، وهو ليس من منهاج الله أبدا ....

لقد شرع الله نظام الشورى تكريمًا للعقل ، وبيانًا لحرية إبداء الرأى ، وإيذانا باشتراك المحكوم مع الحاكم في تحمل أعباء الحكم ، ووقاية من الأخطاء التى تكون مفتاحا لكثير من الفساد والشر، وقد نص القرآن الكريم على الشورى في موضعين :-

(١) يقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ [1] ﴾ وتشير الآية إلى أن الشورى لازمة في شئون الحياة كلها ..

(٢) ويقول في آية أخرى : - ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ [2] ﴾ وتشير هذه الآية إلى رفع شأن الشورى ، إذ جعلها في المقام الثالث بعد الاستجابة للرب ، واقام الصلاة ، ومدح المؤمنين الذين إتخذوا الشورى قاعدة وقانونا لهم في أمورهم ، وفي قرنها مع الصلاة والاستجابة دليل على غاية أهميتها ورعايتها في جميع الأمور ، وخاصة فى شئون

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٥٩).

(٢) سورة الشورى : آية (٣٨) .

الحكم ، وتدبير شئون الأمة وإدارتها [1] ، ومما يزيد في رفع شأنها وقيمتها أنها كانت عنوانا للسورة التي نحن بصددها .

أهمية الشورى :

إن أمور الحياة من جميع نواحيها لا تخلو من مشكلة، وهي تكون لمصلحة الفرد ، يحلها برأيه وحده ، أو باشتراك مع ذوى الخبرة والإختصاص ، يحاولون معه التعرف ، والوصول إلى الصواب ، وقد تكون لمصلحة العامة ، .

وفي هذه الحالة تلزم الشورى بينهم ، وباستعانتهم بذوى العقول الراجحة والخبرة وأهل الإختصاص، وحين يتناولونها بالتبصر يظهر لهم الأصلح ، وتكون النتيجة أسلم وأضمن [2] .... وقد نفذ الرسول صلى الله عليه وسلم توجيهات القرآن ، فكان يرجع إلى أصحابه في الأمور التي لم يتلق فيها وحيا ، مع أنه أكمل الناس عقلا ورأيا لكنه بشر يحتاج إلى كل ما يحتاج إليه البشر، ليد لهم على أن الاستبداد بالمواقف والآراء ، ليس من خلقه صلى الله عليه وسلم وآدابه الحسنة ، وليس من طبيعة الإسلام ، وليس من صالح المسلمين ، وكان أصحابه رضوان الله عنهم ، يسألونه عن بعض ما يأمر به ، أهو عن وحي من الله سبحانه وتعالى ؟ أم من الرأى؟ فإذا قال انه من الرأى ذكروا رأيهم ، فإذا تبين له صوابه عمل به ، كما عمل برأى أم سلمة [3] رضي الله عنها في غزوة الحديبية [4] ...

---

(١) انظر الشريعة الاسلامية : ص ٦١

(٢) انظر مناهج الشريعه الاسلامية : جـ ٢ : ص ١٨٢ - ١٨٥ .

(٣) انظر آداب الشريعة : ١ / ٣٦٩ .

(٤) حين فرغ الرسول صلى الله عليه وسلم من كتابة عهد الصلح بينه وبين سهيل بن عمرو ، وانطلق عمرو ومن معه ، قال =

وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده سيرته ، في التزامهم بمبدأ الشورى وجعلوها ديدنهم في جميع ما يعرض لهم من الحوادث التي لم يكن فيها نص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ....

وموقفهم الأول في مبدأ الشورى يظهر في إقامة الخلافة بعده ، ثم في حرب أهل الردة ، ثم في الأحكام الاجتهادية التى لم يجدوا لها نصا، كمشاورتهم في عدد الجلد على شرب الخمر ، وفي ميراث الجدة (1) ....

= الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، قوموا فانحروا واحلقوا ، فلم يجبه أحد إلى ذلك ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، كل مرة يأمرهم ، فلما لم يقم منهم أحد انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل على أم سلمة - زوجته رضي الله عنها - غاضبا أشد الغضب وذكر لها مالقى من أصحابه من عدم إجابتهم لطلبه ، فقالت له : يانبي الله أتحب ذلك ؟ أخرج إليهم دون أن تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك ، فيحلقك ، فإنهم سيقتدون بك، فخرج ونحر بدنه ودعا حالقه دون أن يكلم أحدا منهم، فلما رأوه قد نحر وحلق ، تواثبوا إلى الهدى وحلقوا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما .. انظر السيرة النبوية لابن هشام : ٣/٣٢٢ - ٣٣٥ .

(1) انظر الموسوعة في سماحة الاسلام : ١/٥٣٣ - ٥٤١ .

(محمد الصادق عرجون)

فهذا أبو بكر رضي الله عنه ، يقول في أول خطبة له حين ولي أمر المسلمين : " أيها الناس اني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوّموني ، إلى أن قال : أطيعوني في ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم "(١). فهو يعترف بإمكان صدور الخطأ منه لأنه بشر، والبشر لا يسلم من الأخطاء ، ولأنه فرد واحد ، والفرد قد تغيب عنه بعض الحقائق ، مهما بلغ من حنكة وذكاء وحسن نية ، وسداد في الرأى ... وذلك على عكس الاتفاق في الرأى الذى ينشأ عنه قلة الأخطاء أو زوالها تماما ، لأن الأمر إذا عرض على جماعة من الناس فإنهم يتبادلون الرأى ، ويتسع الحوار بينهم ليشمل الموضوع من جميع نواحيه ، وكثيرا ما يخطر ببال أحدهم من المصالح ما لا يخطر ببال الآخرين ، لأن عقل وفهم كل واحد منهم يختلف عن الآخر ، وإذا اجتمعت الآراء والأفهام المختلفة يسهل اختيار الأصلح والأصوب ، وقد دلت التجربة على أن تطور الحياة وتقدمها ، يكمن في مطارحة الآراء ، وتباين الأفكار ، والأخذ بأصلحها .

١ - قال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه : " يابني لا تقطع أمرا حتى تشاور مرشدا ، فإنك إذا فعلت لم تندم " .(٢)

٢ - وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (الرأى الفرد كالخيط السحيل) أى " الحبل الذى على قوة واحدة " والرأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة الآراء لا تكاد تنقطع ...

---

(١) السيرة النبوية : ٤/ ٢٢٨
(٢) الآداب الشرعية ١ / ٣٧٠ .

وقال أيضا : الرجال ثلاثة : رجل ذو عقل ورأى فهو يعمل عليه ، ورجل إذا أحزنه أمر أتى ذا رأى فاستشاره ، ورجل حائر بائر[1] لا يأتي رشدا ولا يطيع مرشـــدا[2] .

(٣)- وقال الحسن : " الناس ثلاثة : رجل ، ورجل نصـف رجل ، ورجل لا رجل . . أما الرجل فذو الرأى والمشورة ، وأما الرجل الذى هو نصف رجل ، فالذى له رأى ولا يشاور والرجل الذى ليس برجل هو الذى ليس له رأى ولا يشار[3] " .

حكم الشـــورى :

للعلماء قولان بالنسبة لحكم الشورى

(١) القول الأول :- منهم من يقول بأن الشورى واجبة ، واستدلوا على ذلك بدليلين :

١- إن القرآن الكريم قد أشار إلى الشورى في آيتيـن أحدهما وضع الله الشورى إلى جانب ركنين هامين ، من أركان الاسلام هما :- " الصلاة والزكـاة " وفي الآية الثانية أمر الله نبيه بالشورى بصيغة الأمـر في قوله : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[4]

---

(١) (البائر: الهالك ، أو المجرب ، أو الكاسد ، أو الفاسد الـذى لا خير فيه ، وفي التهذيب : رجل حائر بائر ، لا يتجه لشـىء ضال تائه) لسان العرب ٤/٨٦ ، ٨٧ .

(٢) محاضرات الأدباء ١/٢٨ .

(٣) كتاب في فصول الدين والادب ١/١٤٦ .

(٤) سورة آل عمران : آية (١٥٩) .

٢- إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يلجأون إلى الشورى في أكثر الأحيان ، فيما لم ينزل عليه الوحي ..

(٢) القول الثاني : منهم من يقول : إنها مندوبة ليست بواجبة وهذا قول غير صحيح لأنهم بذلك أهملوا الشورى حتى ضاعت ثمرتها .. والقول الأول هو الرأى الراجح (١) .

قال ابن الجوزى : - اختلف العلماء لأى معنى أمر الله نبيه عز وجل بمشاورة أصحابه مع استغنائه بالوحي عن تعرف صواب الرأى من الصحابة ، ومع كونه كامل الرأى ، وتام التدبير ، إلى عدة أقوال :-

١ - القول الأول : تطيبا لنفوسهم ، واستجلاب مودتهم ، قاله قتادة ، والربيع بن أنس ، ومحمد بن اسحاق والشافعي ذهب إلى هذا الرأى حيث قال : " نظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم : " البكر تستأمر (٢) ...

---

(١) انظر مبادئ نظام الحكم فى الاسلام : ص ٢٤٣-٢٤٤ عبد الحميد متولى الطبعة الثالثة ١٩٧٧م منشأة المعرف الاسكندرية :

(٢) صحيح البخارى : ٣/٢٥٠ : كتاب النكاح ، باب لا ينكح الاب وغيره ، البكر والثيب إلا برضاها .
وشرح النووى ، صحيح مسلم : ٩/٢٠٥ كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت .

إنما تشاور في زواجها تطيبا لنفسها فقط ، وإن كرهت كان الأب أن يزوجها ، ومثل ذلك مشاورة إبراهيم عليه السلام لابنه حين أمر بذبحه

وزواج البنت رغم أنفها فيه نظر، والصواب أنها لا تكره على الزواج وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنها لا تنكح حتى تستأذن منها ، قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا يارسول الله وكيف إذنها ، قال أن تسكت . ." [(١)]

وقد جعل الاسلام للمرأة الحق في اختيار زوجها أو الموافقة عليه ، لأنها هي التي ستعاشره وتشاركه الحياة ، كما جعل بين الزوجين مودة ورحمة . . فأى مودة ورحمة بينهما إذا كانت الزوجة تكره زوجها وتنفر عنه ؟

يقول عز وجل : " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ، لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً . " [(٢)]

وهذا مذهب الأوزاعي والثورى وأبي عبيد وأبي ثور وابن المنذر وأصحاب الرأى [(٣)] . . واختاره أبو بكر عبدالعزيز بن جعفر [(٤)] .

(٢) والقول الثاني : - إنه أمره بمشاورتهم ليقتدى به المسلمون من بعده ، وإن كان صلى الله عليه وسلم لا يحتاج إلى مشورتهم . . قاله الحسن وسفيان بن عيينة . . وكيف يحتاج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مشورة المخلوقين وخالقه مدبّر أمره ، لكنه فعل ذلك

---

(١) صحيح البخارى : ٣ / ٢٥٠ . .
وشرح النووى : صحيح و مسلم : ٩ / ٢٠٤ كتاب النكاح .
(٢) سورة الروم : ٢١
(٣) انظر المغنى والشرح الكبير: ٧ / ٣٨٢ . شمس الدين بن قدامه
(٤) انظر مجموع فتاوى ابن تيميه : ٣٢ / ٢٣ .

تعليما منه ، ليشاور المسلم أخاه المسلم مهما بلغ علمه وذكاؤه وخبرته وتبصره بالأمور . .

(٣) القول الثالث : للإعلام ببركة المشورة وفضلها ، قاله الضحاك .[(١)]

(٤) القول الرابع : بيانا لعلو شأنهم ، ورفع درجاتهم .

(٥) القول الخامس :- إشارة إلى معرفة درجات أفهامهم وعقولهم بحيث يجتهد كل واحد منهم استخراج الرأى والصواب .

(٦) القول السادس : لأنّهم أكثر خبرة ومعرفة في مصالحهم الدنيوية .[(٢)]

كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أنتم أعلم بأمر دنياكم ».[(٣)]

وتكون الشورى فى الأمور المباحة ، وهي التي لا نص فيها ولا حكم عليها بالوجوب أو التحريم ،أما إذا كان ثمت نص من وجوب أو تحريم أو ندب أو كراهة فلا يكون الأمر محلا للشورى ، لأنه لا اجتهاد مع وجود النص . . .[(٤)] مثال ذلك عدم أخذ أبي بكر برأى عمر في قتال المتنعين عن الزكاة ،بل أخذ بالنصوص ، وعند وجود النص لم يعد الأمر محلا للشورى وإنما صار محلا لتطبيق النص ،

قال الإمام البخارى في ذلك (ورأى أبو بكر قتال من منع الزكاة ، فقال عمر:- كيف تقاتل الناس ، وقد قال الرسول صلى الله

---

(١) انظر كتاب في فصول الدين والآدب : ١٤٦/١ .
(٢) انظر تفسير الفخر الرازى : ٦٦/٩ .
(٣) صحيح مسلم شرح النووى : ١١٨/١٥ ، كتاب الفضائل باب وجوب امتثاله ما قاله شرعا دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم .
(٤) الآداب الشرعية : ٣٦٨/١ .

عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله ، فقال والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فإنّ الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا [1] كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم على منعها) [2] ثم تابع عمر ، فلم يلتفت أبو بكر إلى مشورته إذ كان عنده حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة .. وأرادوا تبديل أحكامه [3] وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من بدل دينه فاقتلوه " [4]).

ومن العلماء من قال : إن الشورى تكون في الحروب ، واحتج على ذلك أن الألف واللام في قوله تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ للعهد وليست للاستغراق ، والمعهود السابق في هذه الآية يتعلق بالحرب ولقاء العدو [5] ، يقول الله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى ، لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ، لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ، وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ، وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [6] .

ومنهم من قال : إنّ الشورى تكون في أمور الدين والدنيا التى لم ينص عليها الوحي ، بدليل أن الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) (العناق) الأنثى من أولاد المعز مالم يتم له سنة . النهاية ٣ / ٣١١

(٢) صحيح البخارى ١ / ٢٤٣ ، كتاب الكسوف ، باب وجوب الزكاة ، وصحيح مسلم بشرح النووى ١ / ٢٠٦ ومابعدها كتاب الايمان ، باب كفر المرتدين ، واللفظ للبخارى .

(٣) انظر عمدة القارئ ٢٥ / ٧٩ .

(٤) صحيح البخارى ٩ / ١٩ ، كتابه استتابة المرتدين ، باب حكم المرتد .

(٥) انظر الفخر الرازى ٩ / ٦٧ .

(٦) سورة آل عمران آية (١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨)

شاور أصحابه في أسرى بدر، وهو من أمور الدين، وهذا الرأى هو الصواب ".(١) لذلك أطلقها القرآن الكريم بقول الله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ .

" أما العقائد والعبادات، فلا شورى فيها، لأنها بمحض وحي الله تعالى، والدين ليس عملا بشريا يخضع للتغيير والتجديد فإنَّ ما أحل الله تعالى حلال إلى يوم الدين، وما حرمه حرام إلى يوم الدين " .(٢)

والشورى إنما تكون قبل العزم، والتبين في الأمر، أما بعدهما فليس هناك مجال للشورى، لقوله تعالى :- ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٣).

ويشهد على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه يوم أحد في المقام والخروج فرأوا له الخروج، فلما لبس لأمته، وعزم لم يتمهل بعد العزم، وقال : [لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله] .(٤) " وهو صلى الله عليه وسلم لا ينصرف عن الحرب لأنه لبس لأمته (٥)، وهذا دليل على عزمه خوضها، فلو انصرف عنها، لنقض التوكل الذى أمر الله به عند العزيمة ".(٦)

---

(١) انظر زاد المسير ١/١٨٩ وانظر أحكام القرآن : ٢/٤٠-٤١.
(٢) مناهج الشريعة : ٢/١٢٨ .
(٣) سورة آل عمران : آية (١٥٩) .
(٤) صحيح البخارى ٤/٢٧٢، كتاب الاعتصام، باب قول الله تعالى (وأمرهم شورى بينهم) .
(٥) اللأمة بالهمزة: الدرع، وقيل السلاح، ولامة الحرب أداته النهاية ٤/٢٢٠ .
(٦) عمدة القارى ٢٥/٧٩ .

ولم يضع النبي صلى الله عليه وسلم قواعد الشورى ، ولم يحدد لها تطبيقها لأسباب منها :-

١) أنها تختلف باختلاف الأحوال والظروف والمقتضيات ، وبحسب الزمان والمكان .

٢) لووضع لها قواعد لاتخذها المسلمون دينا ، وحاولوا العمل بها في كل زمان ومكان على وفق القواعد التى شرع لها .

٣) رحمة بهم ، وتمكينا لهم من اختيار مايتاح للعقول ، وتدركه البشرية مما يصلح شأن دينها ودنياها . (١)

وفي مشورة الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه فوائد أجملها فيما يلى :-

١ - إن الصحابة أهل للاجتهاد .

٢ - بيان اتباع آرائهم .

٣ - الإشعار بمنزلتهم العظيمة .

٤ - إن قلوبهم طاهرة نقية ، ولولا ذلك لما أمره بمشاورتهم (٢) .

---

(١) انظر تفسير المراغي ٤/١١٤ .

(٢) انظر الفخر الرازى : ٢/٤١ .

شروط المستشار :

١ - ألا تكون الدنيا ومتاعها همه الوحيد ، بل يرى أن ماعند الله خير وأبقى .. فالمؤمن الذى ينصح ويشير هو الذى يرجو ما عند الله .

٢ - أن يكون مستجيبا لأوامر الله تعالى ولرسوله ، بصدق إيمانه ونيته مبتعدا عما نهاه الله ورسوله عنه .

٣ - أن يكون قصده من ابداء رأيه للآخرين طاعة الله ورسوله ، ابتغاء الثواب ، والسعي إلى مصلحة المسلمين .

٤ - أن يكون أهلا للعلم خبيرا بالأمور وعواقبها ، لتكون نتيجة مشورته مضمونة وسليمة[1]، يقول ابن عطية : " من لا يستشير أهل العلم والدين يجب عزله "[2]، ويقول ابن خويز منداد : " يجب على الحكام مشاورتهم للعلماء فيما يتعلق بأمور الدين ، وقواد الجيوش فيما يتعلق بالحرب والناس فيما يتعلق بمصالحهم ، والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلد وعمارتها، وبذلك أعطوا كل ذى حق حقه .

٥ - أن يكون أمينا ، لأن غير المؤتمن لا يستشار، لقوله صلى

---

(١) انظر عمدة القارئ : ٢٥/٧٩ - ٧٠
(٢) انظر فتح القدير : ٣٩٤/١ .

الله عليه وسلم : " المستشار مؤتمن " (١) فهو مؤتمن على مايسمع ، وعلى ما يقول ومؤتمن على ما يفعل ، فالشورى ليست كلمات تقال ، ومجاملات تدور ، انها أمانة ومسئولية ، يقول سفيان الثوري : ليكن أهل مشورتك أهل التقوى والامانة ، ومن يخشى الله تعالى .

٦ - أن يكون ذا تجربة وخبرة ، لأنه أعلم بمقتضيات الأمور وتفاصيلها ، وبهذا قال بعض العلماء : شاور من جرب الأمور ، فانه يعطيك من رأيه ما وقع عليه غاليا ، وأنت تأخذه بلا مقابل ، (٢) .

٧ - ألا يكون متلونا في رأيه .

ألا يكون كاذبا ، لأن من كذب لسانه كذب رأيه .

٩ - أن يكون فارغ البال في وقت المشاورة . (٣)

١٠- ألا يكون جائعا ، حتى يشبع ، ولا يكون في حاجة الى ماء يروى به عطشه .

١١- ألا يكون أسيرا ولا ضالا طريقه .

---

(١) رواه الترمذي في سننه : ٤/ ٢٠٧ أبواب الاستئذان والآداب ، باب ماجاء أن المستشار مؤتمن .
وقال الترمذي : هذا حديث غريب من حديث أم سلمه
ورواه ابن ماجه في سننه : ٢/ ٣٢٣ أبواب الآداب ، باب المستشار مؤتمن ، وقال البوصيري في الزوائد : هذااسناد صحيح رجاله ثقات .
ورواه الطبراني في الكبير ١٧/ ٢٣٠ ورجاله رجال الصحيح .
ورواه الحاكم بعد حديث طويل في المستدرك ٤/ ١٣١ كتاب الاطعمة ، وقال هذا حديث صحيح الاسناد وعلى شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي .

(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن : ٤/ ٢٥١

(٣) الذريعة ، ص ١٤٩

١٢ - ألا يكون بخيلا ، لأن لا يقصر فعلك، أو لا جبانـــا لأن لا يخوفك عما لا يخاف ، ولا حريصا لأن لا يبعـــدك عما يرجى .

١٣- أن يكون عاقلا وحازما : كما يقال : استشر عدوك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحمق ، فإنّ العاقل يتقي على رأيـــه الزلل ، كما يتقي الورع على دينه (١) ، كما يقال : استشـــر عدوك تعرف مقدار عداوته لك ...... ومن صفـــات العاقل أيضا عدم أخذه بمشورة النساء في أمر ذى أهميـــة وخطورة ، لأن رأيهن كثيرا ما يكون أقرب إلى الخطأ .

ولكن ليس معنى هذا عدم أخذ رأيهن إطلاقا وإنّمـــا معناه عدم التمسك برأيهن لأن رأيهن يصدر من طبيعتهن وهـــي الضعف واستخدام العواطف قبل العقل .

وفي بعض الأحيان يؤخذ رأيهن .

قد يستشار حديث السن بشرط أن يكون ذا علم ومعرفـــة بعواقب الأمور ، ولا يكون متهورا في الحكم ، لأنه قد يكون رأيـــه أقرب إلى الصواب من رأى كبير السن .. وقد يعرف أشياء يجهلهـــا الكبير ، ولأنّ بيان الحق لا ينظر تبعا لتفاوت العمر ، وإنما ينظـــر على حسب العلم وعلى من يقترح بالرأى الصواب .. (٢)

وقد قالوا يحتاج المستشار الناصح إلى علم وعقـــل وفكر صحيح واعتدال مزاج ، وتمهل وتأنى ، فإن لم تتوفر فيـــه

---

(١) انظر الآداب الشرعية : ١ / ٣٦٧

(٢) انظر محاضرات الأدباء : ١ / ٢٩ للراغب الاصفهاني

هذه الخصال ، فإنّ خطأه يكون أسرع من إصابته (١)

وهل المشورة ملزمة أم اختيارية ؟؟ فيه قولان :

١- القول الأول : من العلماء من قال : إنها اختيارية ، واستدلوا على ذلك بدليلين :

أ - الدليل الأول : قوله تعالى : " فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ " (٢) والعزم قد يكون من رأى الحاكم وحده ، أو من رأى المحكومين .

ب - الدليل الثاني : أن أبا بكر رضى الله عنه أخذ برأيه في محاربة المرتدين دون رأى غيره .

٢- القول الثاني : ومنهم من قال : إنها ملزمة ، واحتجوا على ذلك بدليلين :

أ - الدليل الأول : إذا عدم الالتزام بها ، فإن الشورى تصبح عديمة النفع والقيمة .

ب - الدليل الثاني : إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في بعض الأحيان يعدل في رأيه ، ويأخذ رأى الأغلبية من الصحابة كأخذه برأى أكثر الصحابة في غزوة بدر . (٣)

من خلال نظرى إلى أصحاب الرأيين ، وأدلة كل منهما تبين لي أن الرأى الأول ، هو الصواب ، من حيث إنّ نتيجة الشورى ، لا تلزم الحاكم أو غيره ، العمل بها ، بدليل مخالفة أبى بكر رضى الله عنه الصحابة ، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب قتال المرتدين ، ولكن مخالفته لا تكون متعمدةً بقصد إبراز شخصيته ، أو استعلائه على غيره وإنما تكون بقصد غلبة الظن ، بأن المصلحة فيما اتجه إليه ، بارتكازه على سند يبنى عليه

---

(١) انظر فيض القدير : ٦/٢٦٨

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩

(٣) انظر معالم الثقافة الاسلامية : ص ١٨٠ - ١٨٧ (د.عبد الكريم عثمان الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م مؤسسة الانوار .

اجتهاده ، كرأى عمر بن الخطاب في أسرى بدر .

وكان يرى قتلهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم رفض العمل برأى عمر ، ومن وافقه في ذلك ، وبه نزل القرآن " مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ، تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . . " (١) والإثخان في الشيء : المبالغة فيه والإكثار منه ، والمقصود هنا المبالغة في قتل الكفار. (٢)

والآية تؤيد رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . . الذى كان هو الأوفق بحالتهم في ذلك الوقت ،

ليس معنى مبدأ الشورى الأخذ برأى الأغلبية وإن كانت تنقصها الخبرة والرأى السديد للمشكلة المطروحة ، لأن رأى الأغلبية قد لا يحالفه التوفيق ، بل إن الخطأ والضلال أشد اتصالا بالأغلبية ، كما يشير القرآن الكريم : ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (٣)

وإن اتفقت الأغلبية على رأى ظاهر الصواب فلا مانع من الأخذ به .

وعلى ذلك فإنّ نتيجة الشورى لا تلزم الحاكم ، ومن يقوم مقامه وليس له أن ينظر إلى رأى الأغلبية ، وكثرة مؤيديهم ، بل ينظر إلى قيمة الرأى و نتيجته ، وتحرّى الحق ، وصالح الأمة مالم تمس هذه النتيجة العقيدة أو العبادة . (٤)

---

(١) سورة الأنفال : (٦٧- ٦٨)
(٢) النهاية ٢٠٨/١
(٣) سورة الانعام آية (١١٦)
(٤) انظر كتاب في فصول الدين والاداب : ١٤٨/١٠-١٤٩

بعض النتائج التى تترتب على الشورى في المجتمع الاسلامي :

١- إنها تبين مدى ادراك العقول والأفهام ، ومقدار الحب والإخلاص للمصالح العامة .
٢- بها يمكن تخليص الحق من الباطل .
٣- بها يظهر اتحاد القلوب وتأليفها على العمل والسعي في انجازه. (١)
٤- بها يظهر أمر جديد لم يسبق معرفته .
٥- إن عقول الناس متفاوتة وأفكارهم مختلفة ، فربما يعزم بعض الناس على أمر ثم يتبين لهم أن الصواب في قول غيرهم ، فيعلمون عجزهم عن الإحاطة .
٦- إن المستشير إذا لم ينجح أمره ، علم أن امتناع النجاح بقضاء الله وإرادته ، فلا يوجه اللوم إلى نفسه. (٢)

أثرها في المجتمع الاسلامي :-

١- الشأن بالمسلمين أن يتخذوا الشورى منهجا لهم في كل أمورهم ويوجهوا لها عنايتهم ، ويؤسسوا لها مجلس الحل والعقد ، أو أهل الشورى ، ويخصصوا لها الدواوين ، ويعقدوا لها المؤتمرات ، ويؤلفوا لها الكتب العديدة .
٢- إنها أساس الحكم الصالح ودعامة دولتهم .
٣- إنها تقضى على الاستبداد من حيث لم يوجد بينهم من يستبد برأيه الفردى ، ويفرضه على الآخرين . (٣)
٤- إنها دليل على التعاون والوحدة ، امتثالا لقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾(٤) وبها يحس كل واحد

---

(١) انظر عارضة الأحوذى : ٢٠٨/٧ لابن العربى المالكى مكتبة المعارف
(٢) انظر زاد المسير: ٤٨٨/١
(٣) انظر مناهج الشريعة : ١٢٨/٢ - ١٣٥ .
(٤) سورة المائدة : آية (٢)

بحق الجماعة عليه، وبها يتلزمون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،لأن الشورى ذاتها من قبيل ذلك وإن لم تكن منه ، فهي ملازمة له، وهي استرشاد من الحاكم للمحكوم وهي من النصيحة لله ولرسوله ،ولأولى الأمر لقوله صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ." (١)

٥- بتطبيق المسلمين للشورى يشعرون بالعزّة ، وتحمل المسئولية

٦- إنها منهجهم في حياتهم الإسلامية" ، فالمؤمن يستشير أهله وأصحابه في أموره ،كما أنه يستخير الله في شئونه علما منه بأنّ النجاح والإنجاز في كل الأمور لا يتحقق بعد توفيق الله له إلا بخبرات متعددة .. واستشارات واسعة امتثالا لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

وبذلك يجب على كل مسلم النصح للإمام وولاة الأمور ، ويقابله الحكام بالإصغاء له ،وعلى المستشار ألا يكف عن النصح الواجب ، فإنه إن أمسك عن ذلك يكون كشيطان أخرس ، فيأثم ، كذلك إذا أبدى المستشار النصح لمن يطلب رأيه ، فإنه يكون قد أعان على الحق ،ودل على الخير" ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله " (٣) فإن أصاب فله أجران وإن لم يصب فله أجر واحد ، وإن نافق أو خادع يكون

---

(١) صحيح البخارى : ١/ ٢٠ : كتاب الايمان ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة وصحيح مسلم بشرح النووى : ٢/ ٣٧ كتاب الايمان باب الدين النصيحة ،واللفظ له .

(٢) سورة النحل : آية (٤٣)

(٣) رواه مسلم مطولا : من حديث ابن مسعود كتاب الامارة باب فضل إعانة الغازى في سبيل الله مسلم بشرح النووى ١٣/ ٣٨ .

قد أعان على الظلم ، ودل على الشر ، والدال على الشر كفاعله ((وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَٰنُ لَهُ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا " (١) لذا فواجب المسلمين أن يلتزموا - أفرادا أو جماعات - بابداء الرأى السديد وتذكير الغافلين وعظة الجاهلين في لين ورفق ، حتى يساهموا في بناء مجتمعهم واعزاز أمتهم واستقرارا منها ، وتعزيز وحدتها ليكونوا أهلا لقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(٢) الآية .

---

(١) سورة النساء : آية (٣٨)
(٢) سورة آل عمران : آية (١١٠)

قال تعالى :

(وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (1)

(1) الآية / ٣٧

المطلب الثانـــــي

" الغـضب يجب أن يكون للهلا لحمية جاهليـــــة "

الغـضب غليان دم القلب بقصد إرادة الانتقام (١) . . وإذا غضب الإنسان على من دونه واستشعر القدرة عليه ينبسط دمه بانتفاخ الودجين (٢) وتقلص الشفتين وعبوس الوجه وانطلاق اللسان بالسب والشتم ثم تتحـــرك الأعضاء لتستعد للهجوم عليه كالوحش .

أما إذا غضب على من فوقه وخشي منه الانتقام فيسكن دمه فـــي القلب وتتقلص شفتاه وتغور عيناه وترتعد فرائصه وينقلب غضبه خوفـــــا وحزنا (٣) أما إذا غضب على نظيره فإنّ الدم يتردد بين انقضاض وانبســاط فيحمر ويصفر ويضطرب . (٤)

والرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن الغضب وذمه كقولـــه : " للرجل الذى قال له أوصني ، قال : (لا تغضب) فردد عليه مـــرارا ، قال (لا تغضب) (٥) ولا شك أنه يقصد الغضب الذى يجاوز حد الاعتدال وليس لدين الله عز وجل ، لأن الانسان عندما يغضب يكون غير منصـــف لا يرى في وقت غضبه صوابا ، لذلك تأتي أحكامه وتصرفاته ، بعيدة عـــن الحق ، ولهذا جعل الإسلام من صفات المؤمنين العفو عند الغضـــب

---

(١) انظر احياء علوم الدين ٣ / ١٦٧

(٢) الودج : ما أحاط بالعنق من العروق التى يقطعها الذابح ومفرده : ودج بفتح الدال وجمعه أوداج ، النهاية ٥ / ١٦٥

(٣) انظر الخلق الكامل ٤ / ٣٨٧ (محمد احمد جاد المولى) مؤسسة الرسالة

(٤) مختصر منهاج القاصدين ص ١٧٩

(٥) صحيح البخارى ٨ / ٣٥ ، كتاب الادب ، باب الحذر من الغضب .

يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (١) وعد الرسول صلى الله عليه و سلم مجاهدة النفس وامتلاكها عند الغضب من أمارات الشجاعة (٢) بقوله : ﴿ ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ﴾ (٣)

" وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول في خطبته " أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب " (٤) وقيل : " اتقوا الغضب فإنه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل " وإنما يفسد الغضب الايمان ، لأنه يفعل أمرا قد يتنافى مع الايمان وكما يفسد الصبر العسل ، لأن الصبر مر والعسل حلو " (٥)

وإذا كان الغضب على النحو الذى وصفت، فما هي حكمة خلق الغضب ؟

والجواب :

من الخطأ أن تعدّ الغضب من الظواهر المستقبحة ومن العادات السيئة في كل الأحيان ، لأن الله تعالى لما خلق الانسان وركب فيه الغرائز والميول والمشاعر كان ذلك لحكمة بالغة ومصلحة اجتماعية ظاهرة (٦) ، ومن حكمته أنه خلق الغضب للدفاع عن الدين وعن العرض والمحافظة على النفس والمال والدفاع عن الحقوق وعن نصرة المظلومين ولو لم يخلق الغضب في الانسان لفسدت الأرض، وهلك الانسان بانتشار الفوضى في جميع نواحى الحياة ، وهدم دعائم النظم الاجتماعية والدينية، فإنّ طبيعة البشر التزاحم والتحارب فيما يشتهون ويحبون ،

---

(١) سورة الشورى : آية (٣٧)
(٢) روح الدين الاسلامي : ص ١٣٧
(٣) صحيح البخارى ٨ / ٣٤ كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب . وصحيح مسلم بشرح النووى ١٦ / ١٦٢ : كتاب البر . باب فضل من يملك نفسه عند الغضب .
(٤) احياء علوم الدين ٣ / ٢٠٧
(٥) تربية الاولاد : ١ / ٣٤٩
(٦) تربية الاولاد : ١ / ٣٤٩ (د. عبد الله ناصح علوان) الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م دار السلام للطباعة والنشر.

لذلك خلق الله تعالى الغضب ليحمل الناس على أن يدفع بعضهم بعضا فيستقر النظام، ويقف كل واحد عند الحد الذى قدر له في هذه الحياة (١)، وإليه يشير قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (٢) وفي آية أخرى ، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (٣)

ومع ذلك إذا زاد الغضب عن حده كان له آثار ظاهرة وباطنة ، فمن آثاره في الباطن متى التهبت نار الغضب أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة، وهى تغطى على معادن الفكر وربما تعدّى إلى معادن الحسّ فتظلم عينه حتى لا يرى ، وتسود عليه الدنيا بأسرها وربما تقوى نار الغضب ، فتخفى الرطوبة التى بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا . (٤)
ومن آثاره في الظاهر تغير اللون كالحمرة والصفرة وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام .

وآثاره في اللسان انطلاقه بالشتم والكلام السيء الذى يستحى منه العاقل ،

ومن آثاره في القلب الحقد والحسد وإرادة السوء والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح . (٥)

وأنواع الغضب ثلاثة :
أ - النوع الأول : الغضب المحمود وهو يكون في حال انتهاك حرمات الله تعالى كما غضب رسول الله صلى الله عليه

---

(١) انظر المعاملات المادية والأدبية : ٤/٢٥٢-٥٣-٥٤ للسيد على فكرى الطبعة الاولى مطبعة مصطفى البابى الحلبى .
(٢) سورة الحج : (٤٠)
(٣) سورة البقرة : (٢٥١)
(٤) مختصر منهاج القاصدين : ص ١٧٩ .
(٥) انظر احياء علوم الدين : ٣/١٦٨

وتلوّن وجهه حين طلب منه أسامة بن زيد أن يشفع في المرأة المخزومية التى سرقت وقال:أتشفع في حد من حدود الله والذى نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". (١)

ب - النوع الثاني : الغضب المذموم : وهو الذى وردت الشرائع بذمّه ، واتفق العقلاء على بغضه ، وهو يكون لغير الله ولغير الدفاععن العرض أو النفس أو المال أو يكون لغير رد حق مهتضم أو دفاع عن الوطن (٢) . . . وهوالناشيء عن الفخر والتكبر والحقد والحسد وعن بواعث الأنانية والمصالح الشخصية التي لم يأمر بها الشرع ، وهو الصادر عن الحمية الجاهلية وعن الأمور الحقيرة التى ليست لها قيمة في دينه ودنياه ، وهذا النوع من الغضب هو الغالب في أكثر الخلق ، وإذا كان كثير من علماء الاجتماع والتربية عدّوا الغضب من الرذائل الممقوتة والعادات المذمومة ، فإنما يقصدون بهذا الغضب المذموم الذى يؤدى إلى أسوء الآثار وأوخم العواقب كما يؤدى إلى انهيار شخصية الغاضب وعقله واتزانه (٣) وهذا الغضب المذموم هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾(٤)

حـ - النوع الثالث : الغضب المكروه : وهو الغضب عند فوات الأمور المباحة والمنافع الشخصية كغضب السيد على خادمه

---

(١) صحيح البخارى : ٨/١٩٩ : كتاب الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحد ، إذا رفع إلى السلطان .
وصحيح مسلم بشرح النووى : ١١/١٨٧ ، كتاب الحدود ، باب النهى على الشفاعه في الحدود

(٢) انظر الخلق الكامل : ٢/٣٨٦

(٣) انظر تربية الاولاد : ١/٣٥٠-٣٥١

(٤) سورة الفتح : آية (٢٦)

عند حدوث أمر تافه .

ومن الغضب المحمود مايكون بسبب الغيرة : وهي منع الرجل أهله ، كزوجته أو بنته أو أخته وغيرهن من محارمه ، من التعلق بأجنبي بنظر أو حديث أو غيره ، بذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " أتعجبون من غيرة سعد فوالله لأنا أغير منه والله أغير منى " (١) .. وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب ، ولذلك قيل : كل أمة وضعت الغيرة في رجالها ووضعت الصيانة في نسائها ، (٢) والأمة الاسلامية آمنة ، لأن الله تعالى أمر بحفظ أعراض نسائها .

ومن الغضب المحمود الغضب عند مشاهدة المنكرات والفواحش غيرة على الدين ، يقول الرسول الكريم : " من أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن " (٣) فالغضب بمشاهدة المنكرات والمعاصي واجب، وعلى المسلم أن يغيرها بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " (٤)

ومع هذا فالسلطان أو القاضي إذا غضب عند جناية ، ينبغي له أن يتمهل ويتأنى ولا يندفع في الحكم عليه ، حتى يبحث ويتحقق وينظر هل يجب إقامة الحد عليه أم لا ، أو يجب عليه التعزير فقط .. وهذا الغضب المحمود هو المفهوم في قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى : ٩ / ١٣٢ : كتاب اللعان

(٢) انظر احياء علوم الدين : ٣ / ١٦٨

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى : ١٠ / ١٣٢ كتاب اللعان

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى : ٢ / ٢٢ كتاب الايمان ، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ " (١) والشدة لا تنبعث إلا عن الحمية والغضب ، ويكون هذا الغضب محمود الأثر عظيم الفائدة ، بكونه موقظا للنخوة منبها للحمية مثيرا للشجاعة . (٢)

والناس في الغضب أربعة أنواع :

أ ـ النوع الأول : منهم من يغضب غضبا شديدا ويكون شأنه كالحلفاء وهو نبات سريع الاشتعال ، سريع الوقود ، سريع الخمود .

ب ـ النوع الثاني : منهم من يغضب غضبا خفيفا وشأنه في ذلك كشجرة الغضا بطيء الخمود بطيء الوقود .

جـ ـ النوع الثالث : منهم من يغضب غضبا سريعا ولكنه يهدأ ببطء .

د ـ النوع الرابع : منهم من يغضب غضبا بطيئا ويهدأ بسرعة . وهذا أفضلهم مالم يكن مفضيا به إلى زوال حميته وفقدان غيرته . وقد يكون اختلافهم في قوة الغضب باختلاف العادة والطبع كمن تعوّد الهدوء والسكون فهو لا يحب الغضب كمن تعود الازعاج والطيش فهو يغضب لأتفه الأمور ، وقد يكون اختلافهم فيه بحسب الأمزجة كمن كان مزاجه حارا يابسا فإنه يكون كثير الغضب أو بالعكس وأكثر الناس غضبا الصبيان والنساء وأعظمهم قوة في كظم الغيظ الشيوخ . (٣)

---

(١) سورة الفتح : آية (٢٩)
(٢) انظر الخلق الكامل : ٢ / ٣٨٩
(٣) انظر الذريعة الى مكارم الشريعة : ص ١٨٠

وأسباب الغضب كثيرة تختلف باختلاف أمزجة الناس واستعدادهم للتأثر بالأشياء هى قسمان :

القسم الأول : أسباب ليست بطارئة بل هى ملازمة للشخص منها

١- المرض .
٢- ضعف البنية
٣- التفاني في العمل
٤- مداومة السهر
٥- اشتغال العقل بالمطامع والمطالب الصعبة .

وغير ذلك من الأمور التى تجعله مستعداً للتخاصم ولكن السبب الأقوى هو تعوده على الغضب حتى يراه الناظر إليه في صورة الغاضب بدون سبب .

القسم الثاني : أسباب طارئة وهي كثيرة منها :

١- الجدال
٢- المزاح
٣- السخرية بالناس والاستهزاء بهم ونحو ذلك من آفات اللسان
٤- شعوره بالجوع والألم .
٥- الكبر والعجب لأن المتكبر والمعجب بنفسه يعتقد أنه كامل من كل الجهات فيتأثر في كل أمر يفوته ويعتقد أنه ينافي كبرياءه وخيلاءه .
٦- شعوره بالإهانة .
٧- مصاحبة الأشرار الذين لا يفرقون بين الممدوح والمذموم من الغضب فيسمون التهور شجاعة والغضب رجولة ، وعزة نفس وكبرهمة ، وتلقينه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلا . (١)
٨- فوات الأمور المباحة واللذات والشهوات .

---

(١) انظر احياء علوم الدين : ٣/١٧٢ والخلق الكامل : ٤/٣٨٩

٩- الوشايات والنمائم بدون التثبت في الأمر والبحث عن الحقيقة وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (١)

١٠- عند توقع حصول الضرر .

١١- المشاحنات في البيع والشراء ، فيغضب الواحد إذا لم تسوم سلعته على حسب ما يشتهيء أو إذا ساومه أحد ثم لم يشترها منه وغير ذلك . (٢)

وعلاج الغضب قبل هيجانه يكون على النحو التالي :

١- يقابل كل واحد من هذه الأسباب المذكورة بما يضاده فلو كان مثلا يصاحب الأشرار يجتنب مصاحبتهم ويبتعد عنهم .

٢- من كان غضبه من طبعه يمرّن نفسه على التواضع ويذكرها بعظمة الله تعالىء وأنه مخلوق من ماء مهين وسائر إلى الفناء .

٣- يبتعد عن الأسباب المثيرة للغضب . (٣)

أما علاجه بعد هيجانه وثورانه فقسمان :

١- القسم الأول : العلم ومنه :

أ - التفكر في الآيات والأحاديث والأخبار التى وردت في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم كقوله تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ (٤)

---

(١) سورة الحجرات : آية (٦)
(٢) انظر مختصر منهاج القاصدين : ص ١٨٠
(٣) انظر المعاملات : ٤/ ٦٣
(٤) سورة آل عمران : ١٣٤

ومثل ما روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا استأذن على عمر بن الخطاب فأذن له فلما دخل عليه قال : * ياابن الخطاب والله ماتعطينا الجزل (١) وماتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم بأن يقع به فقال الحر بن قيس ياأمير المؤمنين ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢) * وإن هذا من الجاهلين فوالله ما جاورها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله عزوجل " (٣)

٢- التفكر في عاقبة العداوة والانتقام .

٣- التفكر في قبح صورته عند الغضب ، كأنه الأسد المفترس .

٤- أن يفكر بأنه يكون مجانبا لأخلاق الأنبياء والعلماء في عاداتهم لتميل نفسه إلى الاقتداء بهم .

٥- عدم حرمان الجسم من حاجاته الضرورية كالأكل وغيره .

٦- أن لا يكون كثير السؤال شديد التطلع .

٧- التفكر في الأمور الحسنة والأعمال الطيبة التى سبقت من المغضوب عليه حتى لايقابلها بالأمر الذى غضب به .

٨- إسداء النصيحة له : بأن الغضب لا يكون إلا لدينه أو حفظ نفسه وعرضه وماله وأنه يجلب له المصائب والشدائد .

٢- القسم الثاني : من العلاج العملى ومنه :

١- القول بالاستعاذة ،لأنها من أقوى سلاح المؤمن على دفع

---

(١) الجزل : (بفتح الجيم وسكون الزاى) الحطب اليابس ، وقيل الغليظ . وقيل : ماعظم من الحطب وييبس ، ثم كثر استعماله حتى صار كل ماكثر جزلا ، لسان العرب ١١/١٠٦

(٢) سورة الاعراف : آية (١٩٩)

(٣) صحيح البخارى ٩/١١٦ كتاب الاعتصام ، باب قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف .

كيد الشيطان ومكره ، والغضب مصدره الشيطان ووسوسته ، والاستعاذة معناها الالتجاء إلى الله والاعتصام به ، ويدل على ذلك ما رواه سليمان بن صرد ، قال : استبّ رجلان عند النبى صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " (1) والقول بالاستعاذة يعتبر من العمل لأنه عمل أحد الجوارح وهو اللسان

٢- النظر إلى المرآة فلو نظر إليها عند غضبه لكره صورته لقبح منظره .

٣- تغيير الحال إذا كان واقفا فليقعد وإذا كان قاعدا فليضطجع ويلصق خده بالأرض للاستشعار بالذل والمهانة وأنه من التراب بما روى أبو سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الغضب وقال : " من أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض " (2) وحمل الطيبى الاضطجاع هنا على التواضع ، لأن الغضب مصدره الكبر . (3)

٤- الوضوء أو الغسل ، أو رش الماء عليه ، إمتثالا لقول الرسول الكريم : " إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ " (4) ولا يوجد شيء أسرع من اطفاء النار إلا الماء .

---

(1) صحيح البخارى ٨ / ٣٥ كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب وصحيح مسلم بشرح النووى ١٦ / ١٦٣ كتاب البر ، باب الغضب فضل من يملك نفسه عند الغضب .

(2) سنن الترمذى : ٣ / ٣١٨ : كتاب أبواب القدر . باب ما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة .. وقال هذا حديث حسن .

(3) فيض القدير : ١ / ٤٠٨

(4) مسند أحمد ٤ / ٢٢٦

=

٥- السكوت عن النطق بغير الذكر المشروع ، لأنّ الغاضب يتكلم بأمور قبيحة بغير وعى منه ، وإذا سكت يهدأ ويخمد غضبه والأفضل له أن يقرأ القرآن لينشرح صدره ويذهب غيظه ، ويدل على ذلك، قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "إذا غضب أحدكم فليسكت" (١)

٦- أن لا يشتغل فكره في العلوم العقلية التي يصعب فهمها إلى غير ذلك من أنواع العلاج الذى يمنع الغضب . (٢)

وبتطبيقه لهذين القسمين من العلاج علميا وعمليا يستطيع التغلب عليه ، وذلك أنه ليس أمرا فوق إرادته بحيث لا يمكن العقل دفعه ، ولا التخلص منه،كالحمرة عند الخجل والفزع عند الخوف،وإنما يحدث بإرادته ، إذ لو كان الغضب فوق إرادته ما استطاع العقل أن يتغلب عليه . . . وفي التغلب عليه فوائد كثيرة،منها راحة العقل وصفاء الذهن وصحة النفس وهدوء الناس الذين حوله . (٣)

وللغضب في الله تعالى ثمرات وهي :

١- بها أقيمت الحدود .

٢- وأقيم الجهاد .

٣- وذهبت الرحمة عن أعداء الله من القلوب . (٤)

= والفتح الرباني : ٨١/١٩ ، كتاب الأخلاق الحسنة ، باب ما وصف الرسول لإذهاب الغضب،وسكت عنه أبو داود والمنذرى وحسنه السيوطي ، ورواه أبو داود في الأدب ، باب فيمن كظم غيظا ، من حديث معاذ بن جبل وفيه عبدالرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ بن جبل ،لكن له شاهد عند النسائي من حديث أبيّ بن كعب ، وهو متصل . مختصر سنن أبى داود ١٦٥/٧ ، ١٦٦

(١) الفتح الرباني : ٨١/١٩ رواه أحمد في مسنده ٢٣٩/١ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣١/١ ورجال أحمد ثقات

(٢) انظر احياء علوم الدين : ١٧٤/٣

(٣) انظر الخلق الكامل : ٣٧٠/١٠

(٤) فيض القدير : ٤٠٨/١

قال تعالى :

(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (١)

وقال :

(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (٢)

(١) الآية : (٤٠)
(٢) الآية : (٤٣)

المطلب الثالث

" العفو عن العاجز المعترف بجرمه محمود "

العفو عنوان الايمان ، وثمرة جهاد النفس ، وعلامة من علامات أقوياء النفوس ، وسبب من أسباب الأمان والسلام ، والوحدة والانتصار ورئيس كل فضيلة ، وبه ينال كل خير ومنفعة ، ولهذا ينبغي للمؤمن أن يمسك نفسه عند الغضب ، وأن يعفو عن ظلمه أو أساء اليه أو أخطأ في حقه - إذا كان لا يتجاوز حده ، ويعترف بذنبه - لأنه بعفوه عنه تعظم منزلته عند الناس ، ويزيد عزة وكرامة عند الله ، وكيف لا يعفو ، إذا كان الله عز وجل يعفو عن عباده اذا قصروا في حق من حقوقه ، فمن باب أولى أن يعفو المخلوق .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق عند الله تعالى لقى من قومه أنواع الايذاء في دعوته ، ومع ذلك عفا عنهم فعلينا أن نتأسّى به ، وبصحابته الكرام ، وأن نسير على سننهم ، ونقتدى بأعمالهم وأخلاقهم ، وأن نبتعد عن الإساءة لأنّ في الاساءة تفكك الروابط الكريمة ، وانتشار التقاطع بين الناس .

والعفو كلمة يدل أصل معناها على المحو والطمس ، يقال عفت الريح الأثر إذا محته وطمسته . (١)

وأخذا من المعنى اللغوى يمكن القول بأن العفو اصطلاحا : هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه ، ويقال عفا الله عنك أى تجاوز عن ذنبك ولا يعاقبك ، فعفو الله هو محوه الذنوب عن العبد .

---

(١) لسان العرب : ٨٢٧/٢ .

وأكثر الناس يظن أن العفو والصفح شيء واحد ولكن الصفح غير العفو لأن الصفح أبلغ من العفو وأعلى منه درجة ، فقد يعفو الانسان ولا يصفح (١) ولذلك قال تعالى : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا ﴾ (٢) ...
يقول القرطبي : العفو ترك المؤاخذة بالذنب ، والصفح إزالة أثره من النفس . (٣)
وحقيقة العفو : أن يظلمك إنسان ، أو يخطئ في حقك ، وتستطيع معاقبته ومؤاخذته ، لكنك تعرض عنه ، ولا تؤاخذه .

ولا يراد به التنازل عن الحق بخوف أو جبن أو عجز أو تفريط في المصلحة العامة ، أو الخاصة ، وإنما يراد به : التنازل عن الحق مع القدرة عليه ولذلك قيل : العفو عند المقدرة . (٤)

وهو من أفضل أخلاق المؤمن ، ويدل على صدقه وقوة إيمانه ، وعلى سعة صدره وصفاء قلبه .

ولقد دعا الله عز وجل إلى التخلق بهذا الخلق النبيل وحث عليه ، ونوّه به في أساليب شتى وفي مواضع متعددة ، يقول الله تعالى : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥) ، ويقول في آية أخرى : ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ (٦) ويقول المصطفى عليه الصلاة والسلام : " ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو

---

(١) انظر المفردات : ص ٢٨٢
(٢) سورة البقرة : آية (١٠٩)
(٣) الجامع لأحكام القرآن : ٢ / ٧١
(٤) انظر مفاهيم القرآن : ص ٤١٢
(٥) سورة المائدة : آية (١٣)
(٦) سورة النساء : آية (١٤٩)

إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله "(١)

لقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم فأجابت " كان خلقه القرآن "(٢) والقرآن يأمره بالعفو ، وإذا كان صلى الله عليه وسلم هو القدوة العظمى لكل مسلم، فإنّ من أفضل خلقه العفو ، ولذلك ينبغى للمسلم أن يعفو عمن أساء إليه ، ليتخذ الرسول الكريم قدوة له ، كما يجب عليه أن يتجنّب ويحذر نزغ الشيطان ووسوسته ، لأنه هو الذى يحرّضه على عدم العفو، ومقابلة الإساءة بما هي أسوأ منها ، حتى لا ينحرف عن سواء السبيل وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ إلى أن قال : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٣) ويقول في آية أخرى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾(٤) . . والأسوة الحسنة في التأدب بهذا الأدب الكريم والتخلق بهذا الخلق العظيم هو أستاذ البشرية ومصلحها الأكبر ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان له في ذلك المثل الأعلى ، آذاه المشركون بشتى أنواع الايذاء ومع ذلك صفح عنهم وعفا عن مجرميهم ، بعد أن أتمّ الله له النعمة ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

ويدل على عفوه العظيم ، حديث أنس رضى الله عنه قال :

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦ / ١٤١ كتاب البر، باب استحباب العفو .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٦ / ٢٦ : كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل ومن نام عنه .

(٣) سورة فصلت : آية (٣٤-٣٦)

(٤) سورة المؤمنون : ٩٦ - ٩٧ - ٩٨

كنت أمشي مع النبي صلى اللهعليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه اعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليهوسلم قد أثرت به حاشيةا لرداء من شدة جذبته ثم قال مرلي من مال الله الذى عندك ، فالتفتإليه رسول الله صلى الله عليهوسلم فضحك ، ثم أمر له بعطاء (١) ، هذا رسول الله صبر وضحك وحقق رغبة الأعرابي مع سوء أدبه في جذب الرسول من ردائه بقوة وعنف .

ويجب العلم أن العفو لا يكون في حق من حقوق الله تعالى وانما يكون في الأمر الذى يتعلق بالخلق ، ويكون غالبا في المعاملات كما يكون في الأمر الذى فيه أدنى شبهة لقول الرسول صلى اللهعليه وسلم : " أدرؤوا الحدود عن المسلمين ما أستطعتم فإن وجدتم لمسلم مخرجا فخلوا سبيله ، فإنّ الامام أن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء بالعقوبة" . (٣)

... قال أبو حاتم : ينبغي للعاقل أن يعود نفسه على العفو ، لأن الإحسان سبب لتسكين الاساءة ، واستعمال المثل سبب لنمائها ومقابلة السيئة بالحسنة تكسر شر النفس وتوجهها إلى الخير ، ومن قابل الاساءة بمثلها يكون مسيئا وإن لم يكن بادئا .

---

(١) صحيح البخارى : ١١٤٥/٣ كتاب فرض الخمس ، باب ما كان النبي صلى اللهعليه وسلم يعطى المؤلفه قلوبهم .
وصحيح مسلم بشرح النووى ١٤٧/٧ ، كتاب الزكاة ، باب اعطاء المؤلفة ، ومن يخاف على ايمانه .. واللفظ للبخارى

(٢) انظر الذريعة الى مكارم الشريعة : ص ١٧٧

(٣) رواه الحاكم في المستدرك : ٣٨٤/٤ كتاب الحدود ، وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ونقل الذهبى عن النسائي قوله : فيه يزيد بن زياد شامي متروك . والحديث في المستدرك عن عائشة لكن له شواهد عن عمر وابن عباس وأخرجه ابن حزم في الايصال له بسند صحيح وله شاهد عن ابن مسعود والحديث عند الترمذى والحاكم والبيهقي وعن علي =

قال لقمان لابنه" كذب من قال : إن الشر يطفئ الشر كما لا يطفيء النار النار ، وإنما الخير يطفيء الشر كما يطفي الماء النار) (١)
إن الله تعالى جعل القصاص حقا واجبا لأولياء القتيل وللمظلوم) .

صحيح أن القرآن دعا إلى مقابلة الاساءة بالحسنة بمثلها ،
لكن بالرغم من هذا لم يغفل ترجيح العفو في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ (٢) ..
ولا شك أن المظلوم إذا عفا عمن أساء إليه وهو يقدر عليه كان عفوه رحمة وعزة ، رحمة بالظالم ، وعزة على المظلوم
والمسيء لا يخلو من احدى الحالتين :

الحالة الأولى : أن يكون مصرا على إساءته ، وإن كان كذلك فقد يستحسن التجافي عنه في بعض الأحوال ، لأنه مثل النار التي هي شديدة الاشتعال ، لا تخمد إلا بمشقة شديدة وعناء شديد .

الحالة الثانية : أن يكون معتذرا عن إساءته ، وإن كان كذلك فقد يستحب العفو عنه ، لأنه سيصلح نفسه بعد ذلك .

لكن يشترط في عفوه عنه أن لا يكون قد انتهك حرمة من حرمات الله تعالى وأن يكون المعتدى عليه قادرا على الانتقام (٣)

= وعن ابى هريرة كل منهما رفعه ، كما ورد في الحديث موقوفا وقال الترمذى انه اصح ، وغير واحد من الصحابة قالوا ذلك انظر المقاصد الحسنة للسخاوى ص ٣٠

(١) انظر روضة العقلاء ص ١٦٦-١٦٩
(٢) سورة النحل : آية (١٢٦)
(٣) انظر الذريعة الى مكارم الشريعة ص ١٧٧ .

وقد أمر الله تعالى بالعفو عن المسيء المعترف بذنبه لعدة أسباب :-

١ - الله تعالى يحب العافين ويمدحهم ، يقول تعالى : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ (١)

٢ - إن العافي أجره على الله تعالى ، في قوله تعالى : ﴿ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٢) وهو وعد من الله لا يتخلف وهو يفيد العطاء الجزيل الذى لا يدانيه عطاء ، لأنّ ما عند الله لا ينفذ وما عند غيره ينتهى وينقص .

٣ - إنه مقتد بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى نهجه الطيب وكفى به أسوة ، ونحن مأمورون بالتآسى برسول الله .

٤ - بقبول اعتذار المسيء يذهب أحزانه وهمومه ، ويكون بذلك قد نفس عنه ، والمؤمن مطالب بذلك .

٥ - إن العفو من أسباب الصداقة المتينة بعد العداوة ، ويكون العدو صديقا حميما بعد العفو ، لأن المعتدى يحزنه هذا العفو فيعمل على ارضائه ومحو أثر الاعتداء عن نفسه ، ويتسع له صدره وقلبه . ،

يدل عليه قوله تعالى : ﴿ إدْفع بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كأنه وَلِيٌّ حَمِيمٌ . ﴾ (٣)

٦ - الانتصار لا يأمن فيه تجاوز المثل والاعتداء ، خصوصا فى حالة الغضب والحمية ، وربما كان المنتصر من الظالمين وهو لا يشعر .

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٣٤)

(٢) سورة الشورى آية (٤٠)

(٣) سورة فصلت : آية (٣٤)

٧ - الإنسان الكامل الواعي كالبحر مهما ألقي عليه من الوسخ والقذر لا يغيّره ولا يؤثره ، فمن آذاه أو قصده بسوء لا يتكدر به بل يعفو عنه .

٨ - العفو يدل على قوة الروح والنفس ، ورغبة الانتقام تدل على ضعف النفس ، وإن كان قوى الروح والنفس فلا يدخل عليه وساوس الشيطان والخواطر السيئة .(١)

٩ - العفو سبب راحة العقل والبال ، لأنّ المظلوم قد يشغل فكره في طريقة الانتقام والحيلة التي يوقع فيها عدوه ، أو يخطط في مقابلة ظلمه ما هو أشد وأسوأ ، فيكون مؤاخذا على ذلك أظهره أو خفاه ..(٢)

١٠ - العفو يدل على وفرة العقل ورجحان الفكر ، بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ إلى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (٣)

١١ - انّ عدم العفو يكثر الأعداء ، ويزيد الكراهية .

١٢ - انّ الله تعالى مع كمال قدرته يعفو ويغفر فالأولى بالعبد أن يعفو يقول تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ (٤)

١٣ - لو تقابل الإساءة بمثلها لا تتحقق فضيلة كظم الغيظ والعفو والصبر ويقلّ العافون والصابرون ، وتباعد نفوس الناس وتنافر قلوبهم وتزيد شرورهم نتيجة تباعدهم عن هذا الخلق الكريم .

١٤ - العفو يجلب المحبة والمودّة والهدوء ، والأمن بين الناس .

---

(١) انظر روح البيان : ٦/٥٤ - و١٣٨ .
(٢) انظر تفسير القاسمي : ١٣٨/٣ .
(٣) سورة الرعد : آية (٢٢) .
(٤) سورة الحج : آية (٦٠) .

قال تعالى :

(والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) (١)

وقال :

(ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق . أولئك لهم عذاب أليم) (٢)

(١) الآية (٣٩)
(٢) الآية (٤١ ـ ٤٢)

المطلب الرابـــع

" الانتصار من الظالم المصر على ظلمه محمـــود "

الظلم في اللغة : وضع الشيء في غير موضعه ، بنقــص أو بزيادة ، وقيل : الميل عن القصد ، وأصله : مجاوزة الحـد والحق .[1]

وفي الشرع[2] : " هو التعدى على الحق والميل إلى الباطل" وكل عمل فيه انتقاص للحق ، وعد وان على الغير، هو من الظلـــم ، وهو حرام على الإطلاق ، في كل حالة من الحالات بقول الرســـول صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل ((يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا))"[3] وبهذا أنزل الله الشرائع ، ومنها العدل للقضاء على الظلم ، ومن ترك العدل فقد ظلم ، يقول الله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[4].

وفي آية أخرى ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِـــك هُمُ الظَّالِمُـــونَ ﴾ .[5]

---

(١) لسان العرب : ١٢/٣٧٣

(٢) الخطايا في نظر الاسلام : ص ١٢٠ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/١٣٢ ، كتاب البر، بـاب تحريم الظلم .

(٤) ســـورة المائدة : آية (٤٥) .

(٥) ســـورة البقرة : آية (٢٢٩) .

" والظلم ثلاثة أنواع "

١ - ظلم بين العبد وربّه ، ومنه الكفر والشرك ، والنفاق في العقيدة ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

٢- ظلم بين الانسان وأخيه الإنسان ، منه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢)

٣- ظلم الانسان لنفسه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ (٣)

وكل هذه الأنواع الثلاثة عند التأمل ظلم للنفس ، لأن الانسان أول ما يفكر في الظلم ، فهو بتفكيره هذا يظلم نفسه.، (٤)

وظلم الغير نوعان :-

١- النوع الأول : ترك ما يجب للغير، مثل ترك قضاء الديون وسائر الأمانات ، وغيرها من الأموال ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مطل الغنى ظلم " (٥) .

٢- النوع الثاني : إعتداء على الغير في عرضه أو بدنه أو ماله مثل القتل والسرقة ونحوهما ، وظلم الغير لابد من عقوبة مرتكبه ، بأى وسيلة من وسائل العقاب المشروعة كالسجن والتعزير وأمثالهما ، أما ظلم الانسان لنفسه ، فإنّ عقوبته

---

(١) سورة لقمان : آية (١٣) .

(٢) سورة آل عمران : آية (٥٧) .

(٣) سورة فاطر : آية (٣٢) .

(٤) انظر المفردات : ص ٣١٦ .

(٥) صحيح البخارى : ٢/ ٥٨ :كتاب الاستقراض ، باب مطل الغنى ظلم ، وصحيح مسلم : ١٠/ ٢٢٨ : بشرح النووى ، كتاب المساقاة ، باب تحريم مطل الغنى .

ترجع إلى ربه عز وجل،(١) ويلاحظ أن الميل إلى الظالم، والرضا بأعماله ومشاركته بالفعل والقول والنية ، يؤدي إلى عذاب النار، ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ، فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾(٢) والله عز وجل قد أمر الظالم أن يترك الظلم وأنواعه ، لأن عاقبته وخيمة ، في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا العداوة والسخط بين الناس ، أما في الآخرة ، فإن الله تعالى يعاقبه أشد العقاب ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٣)﴾ وفي آية أخرى : ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ (٤) وقد وردت أحاديث كثيرة في شأن الظلم منها : -

١ - ما رواه ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذ إلى اليمن فقال :- " اتق دعوة المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب " . (٥)

٢- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كانت له مظلمة لأحد من عرضه ،أوشيء فيتحلله منه اليوم ، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن

---

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨/٧١٢ - ٧١٣ .
(٢) سورة هود :آية(١١٣) .
(٣) سورة الزمر : آية (٢٤) .
(٤) سورة الشورى : اية (٤٥) .
(٥) صحيح البخاري : ٣/١٢٩ : كتاب الظلم ،باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم .

له حسنات أخذ من سيئات صاحبه ، فحمل عليـــــه "[١] .

٣- وكما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم : قال :- أتدرون ما المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال :-إن المفلس من أمـتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هـذا ، وقذف هـذا ، وأكل حال هـذا ، وسفك دم هـذا ، وضـرب هـذا ، فيعطى هـذا من حسناته وهـذا من حسناته ، فـإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه ،أخذ من خطاياهـــم ، فطرحت عليه ، ثم طرح في النار " .[٢]

ولما كان بعض النفوس ، قد جبلت على الاعتداء فقـد أباح الله عز وجل الانتصار على الظالم المصر على ظلمه لعدة أسبـاب منهـــا :-

١- حفظ الحقوق ، والعيش في أمن وسكينة ، لأن السكوت علـى أفعال الظالم وأقواله ، وعدم الانتصار عليه ، سبب ضيـاع الحقوق ، وانتشار العداوة بين الناس .

٢- حفظ نظام المجتمع أو حماية الضعفـــاء .[٣]

٣- تنبيه الظالم ، حتى لا يتمادى في ظلمه وطغيانه .

٤- فيه شفاء قلب المظلوم ، وإزالة غيظه وآلامه ، لأن في قلبـه ألما بظلم الغير له ، فإذا استوفى حقه شفي قلبه مـــن

---

(١) صحيح البخاري : ٣/ ١٧٠ : كتاب المظالم ،باب من كانت له مظلمه عند الرجل .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٣٥ -١٣٦ : كتاب البر ، باب تحريم الظلم .

(٣) انظر اصلاح المجتمع : ص ٧٨ وما بعدهـــا (لمحمد بن سالم الكدادي الطبعة الرابعة ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م دار مصر للطباعـــة .

الألم ، وذهب غيظه .[1] قال تعالى : ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾[2] وحين يحتاج الأمر إلى مقابلة السيئة بالسيئة فلا تقابلها بالحسنة ، لئلا يستعلى الظالم الذى لا يجدى معه إلا الدفع الصارم ،[3] وشرط هذا الانتصار المثل والعدل دون زيادة وإسراف ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ . ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[6] و (مثل) في الآيات الثلاث هو الشاهد الدال على الانتصار المباح للمظلوم ، ويكون بالمثل فقط ، فإذا تجاوز هذا الحد يكون ظالما ، بعد كونه مظلوما ، وعلى ذلك يكون جزاء المثل بالمثل عدلا ، لأن الجزاء من جنس العمل ، والمقصود بالعدوان في الآية الثانية أخذ القصاص بالحق ، وفي قوله : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ .

قولان هما :-

١- قال ابن سيرين وابراهيم النخعي وغيرهم : يجوز أخذ حقه بنفسه من الظالم دون زيادة ، خفية ، وهذا ما ذهب إليه الشافعي في تأويله لهذه الآية [7].

٢- وقال مالك وغيره :- لا يجوز ذلك إنما يأخذ حقه الحاكم

---

(١) انظر فتاوى ابن تيميه ١٠/١٤١ .
(٢) سورة التوبة : آية (١٤ - ١٥) .
(٣) انظر ظلال القرآن : ٢/٧٩٦ .
(٤) سورة الحج : آية (٦٠) .
(٥) سورة البقرة : آية (١٩٤) .
(٦) سورة الشورى : آية (٤٠) .
(٧) انظر الجامع لاحكام القرآن : ١٦/٤٠ وقارن بجزء ٢/٣٥٥

أو القاضي، ولو أخذه خفية فقد خان الأمانة [1]، واستدلوا بحديث : " أدّ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك [2]" ولا يصح الاستدلال به، لأن أخذ الحق دون زيادة ليس من الخيانة، وإنما من العدل.

وأرى أنّ المصارحة بين الظالم والمظلوم هي الأفضل، كأن يقول المظلوم لظالمه أعطني حقي، فإذا رفض، رفع أمره إلى الحاكم ليرد حقه إليه، لأن المظلوم لو أخذ حقه خفية ولو بالمثل، فإنه يترتب عليه كثير من المفاسد والعداوة والضرر، وقد استدل الإمام الشافعي بهذه الآية على المماثلة في القصاص فقال : فمن قتل بحديدة قتل بها، ومن قتل بحجر قتل به، ونحوهما من وسائل القتل [3] فإنّه يفعل به كما فعل، مالم يكن الفعل محرما في نفسه كشرب الخمر واللواط، وهذا هو أشبه بالكتاب والسنة والعدل [4] وقال أبو حنيفة، يكون القصاص بالسيف .

ولا يجوز لأحد أن ينصر أحد الخصمين - مهما كان - إلا بأمرين :-

١- السؤال والنظر في حقيقة الأمر، فإذا علم حقيقته، وتبين له أن أحدهما هو المحق، أعانه على أخذ حقه .

٢- أن يكون الغرض من إعانته له، ابتغاء الثواب، واتباع الحق والقيام بالعدل، ومن أعان أحدهما بغير هذين

---

(١) انظر المرجع السابق ٢/٣٥٥ .

(٢) سنن الترمذي : ٢/٣٦٨ : كتاب البيوع، وقال هذا حديث حسن غريب والمستدرك : ٢/٤٦ : كتاب البيوع وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي .

(٣) انظر الأم : ٨/٢٤١ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية : ٢٨/٣٨١ .

الأمرين ، فقد حكم بحكم الجاهلية ، وخرج من حكم الله ورسوله ، والواجب عليه أن يقف مع الحق ، ويحكم بما يرضى الله ورسوله ، لا بحسب الأهواء .

وقد أذن الله تعالى للمظلوم أن يجهر بكلمة السوء في ظالمه الذى عظم ضرره وكثر كيده ومكره ، دفعا للعدوان وللضرر ، وربما يجزى الله المظلوم على ذلك ، لإراحة الناس من سيئات الظالم فإن الظالم إذا لم يقف في وجهه أحد يمنعه من الظلم فإنّه يزيد اصراره على الظلم والطغيان [1]، ويشهد على ذلك قوله تعالى :

﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [2]

وفي هذه الآية -

١- قال السدّى والحسن : إنّ الله تعالى لا يحب الشتم ، لأن فيه تجاوز الحد ، إلا من ظلم .

٢- قال ابن عباس ، انّه لا يحب الجهر بالدعاء على أحد إلا المظلوم فيجوز له أن يدعو على ظالمه .

٣- قال مجاهد : إنه لا يحب الذم والشكوى وذكر السوء إلا من المظلوم .. فإنه يجوز له أن يظهر مساوئ الظالم ، ويذكر ما فيه السوء [3] ، ويشكو إلى السلطان وغيره تظلما ، ولا يجوز للمظلوم أن يتجاوز الحد المشروع له في الجهر

---

(١) انظر تفسير المراغي : ١/٥

(٢) سورة النساء : آية (١٤٨) .

(٣) انظر مجمع البيان : ٣/١٣١ (للطبرسى) الطبعة الاولى (بيروت) .

بالسوء ، بما لا دخل له في دفع الظلم[1] ، وإذا رد المظلوم على ظالمه بالمثل فقد أخذ حقه ، وبرئ الظالم من حق المظلوم ، لأنه أخذه ، ولكن بقي عليه حق الله تعالى ، لأنه حرم الظلم ، وهو يغفر بالتوبة والاستغفار وفعل الحسنات ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (٢)

أما إذا تجاوز المظلوم في الشتم أكثر من شتم البادئ ، فإنه يقع عليه الإثم الزائد من الشتم ، ويدل عليه مارواه أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال :-" المستبان ما قالا ، فعلى البادئ مالم يعتد المظلوم " (٣) ومعنى الحديث كما قال النووي رحمه الله :" إن إثم السباب الواقع من اثنين ، مختص بالبادئ منهما ، إلا أن يتجاوز الثاني ، قدر الانتصار ، فيقول للبادئ أكثر مما قال له .

أما إذا قال رجل لآخر ياخبيث أو ياظالم أو يا أحمق أو غير ذلك من الكلمات السيئة ، فأجاب بمثله جازله ذلك ، لكن الأفضل عدم الرد عليه ، وإن أراد رفع أمره إلى القاضي ، للتأديب ، وإن كانت الكلمة الموجبة للحد كقوله يا زاني ، فلا يرعليه بالمثل منعا لوقوع الحد على نفسه . (٤)

---

(١) انظر تفسير المراغي : ١/ ٥

(٢) سورة هود : آية (١١٤) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٦/ ١٤٠
باب البر، باب النهي عن السباب .

(٤) انظر النووي على صحيح مسلم : ١٦/ ١٤٠
باب البر، باب النهي عن السباب .

قال تعالى :

(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) (1)

(1) الآية : (٤٠)

المطلب الخامس

" التجاوز في الانتقام مذموم "

إنّ طبيعة البشر مختلفة ، فمنهم من يستطيع الصبر والعفو ومنهم من لا يستطيع ، لذلك فالله سبحانه وتعالى أباح لهم الانتصار بشرط أن يفعلوا بالظالمين مثل ما وقع عليهم دون زيادة، وأن يلتزموا الحد الذى حدده الشرع .

ولا جدال أن حب الانتقام وحى الهوى ونزعة النفس ونتيجة حب الذات ، ولهذا من أراد الثواب العظيم فعليه بالعفو والصبر ، ولا يلجأ إلى الانتقام، لما فيه من العداوة الشديدة بين الفريقين ، ومن أراد الانتقام فعليه أن يفعل بمثل ما فعل به ، وإذا تجاوز في الانتصار فقد قبل دعوة الشيطان له وسعى وراء إشباع رغبته وشهواته ، غير مبال بدين ولا بنصيحة ولا مهتم بما يترتب على ذلك من مفاسد كثيرة ، ويكون غير مرغوب بين الناس طول حياته .

والانتقام وزنه افتعال . من انتقم ينتقم ، إذا بلغت به الكراهية حد السخط ، فمن كره أمرا من الأمور مع سخط منه ، فهو منتقم،والمنتقم من أسماء الله الحسنى أى هو البالغ في العقوبة لمن شاء،يقال : انتقم الله منه ، أى عاقبه [(١)] ، ومعناه في العرف انتقام المظلوم من ظالمه تشفيا منه وإذلاله ، والفرق بينه وبين الانتصار ،

---

(١) انظر لسان العرب : ٣/٧١٠

أن الانتصار هو الحمية ونصرة الحق والعز الذى أعزه الله به [(١)]، وظاهر الانتقام عز وباطنه ذل ، بخلاف العفو فظاهره ذل وباطنه عز ، والانتقام من الأمور التي تتعلق بتصرفات الانسان ، ويكون في جميع أحوال المجتمعات البشرية ، كما يكون في مختلف الأوقات موجها أو غير موجه علنا أو غير علني مباشر أو غير مباشر . (٢)

قال الغزالي : الانتقام المحمود هو انتقام الشخص من عدوه ، ومن نفسه التي هي ألد أعدائه (٣) ، وهو يقصد من قوله " من نفسه " النفس الأمارة بالسوء ، لأن من النفوس نفوسا طيبة ونفوسا لوّامة ، وقد يكون الانتقام بأحد الأمور الثلاثة التالية :-

١- عند شدة الغضب .
٢- عند الاستعلاء والتكبر . (٤)
٣- الحسد لأن الحاسد يبعث في نفسه خواطر الانتقام من المحسود والسعي في ازالة نعمته . (٥)

وبعض الناس يفضلون الانتقام بحكم بشريتهم (٦) ، وقد أباح الله عز وجل ذلك الانتقام اعزازا للحق ودفعا للباطل .

---

(١) انظر الروح لابن القيم : ص ٢٤٢ - ٢٤٣ (ابن قيم الجوزية) دار الكتب .
(٢) أنظر محاولة فى تفسير الشعور بالعداوة ص ١٤ - ٢٥ (د. سيدعويس) دار الكاتب العربى للطباعة والنشر .
(٣) انظر الاتجاهات السنية : ص ٩١ (زين الدين عبد الرؤوف الحدادى)
(٤) انظر الخلق الكامل : ٤٠٤/٤
(٥) انظر تفسير المراغى : ٨٠/٣٠
(٦) انظر ظلال القرآن : ٢٤٣٩/٤ .

وشروط إباحة الانتقام التي يجب التزامها مايلي :

١- الشرط الأول : رد العدوان والعقاب بالمثل تماما ، بلا تجاوز ولا مغالاة، ولا يجوز مقابلة الذنب بالذنب والمعصية بالمعصية .

كمقابلة الغيبة بالغيبة والتجسس بالتجسس والسب بالسب بما رواه الإمام أحمد من حديث جابر بن سليم عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل : " وان امرؤ شتمك وعيّرك بأمر يعلمه فيك فلا تعيره بأمر تعلمه فيه ".(١)

وغير ذلك من سائر المعاصي ، والذنوب ، وإنّما يقابله القصاص والغرامة التي حددها الشرع. (٢)

٢- الشرط الثاني : عدم التجاوز فيما حدده الشرع في مختلف أحكام الجنايات .

٣- الشرط الثالث : مراعاة الآداب التي شرعها الإسلام في الجهاد والقتال من عدم المثلة أو الحرق بالنار والنهب وعدم قتل النساء والاطفال والشيوخ والمسالمين . (٣)

يدل على هذا هذه الأحاديث:

١- عن عبدالله بن يزيد الأنصاري رضي الله عنه قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النهب والمثلة " (٤)

٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال " وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهى عن قتل النساء

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٥ / ٦٣ والحديث رواه ابو داود في كتاب اللباس ، باب ماجاء في اسبال الإزار ورواه الترمذي مختصرا في كتاب الاستئذان وقال حسن صحيح .

(٢) انظر احياء علوم الدين : ٣ / ١٨٠

(٣) انظر ظلال القرآن : ١ / ١٨٨ .

(٤) صحيح البخاري : ٧ / ١٢٢ : كتاب الذبائح ، باب مايكره من المثله والمصبور.

والصبيان . (١)

٣- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث فقال : إن وجدتم فلانا (رجلين من قريش) فاحرقوهما بالنار ، فلما أردنا الخروج ، قال : كنت أمرتكم أن تحرقوا فلانا فلانا ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله تعالى فإن وجدتموها فاقتلوهما) (٢)

٤- الشرط الرابع : أن يكون ردا على الاعتداء ، والظلم فقط ، لاعدوانا ولا طغيانا . (٣).

٥- الشرط الخامس : أن يكون هذا الانتقام لله تعالى لا لنفسه وذلك أسوة بخلق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى لاينتقم لنفسه أبدا إلا إذا انتهكت حرمات الله ، فإذا ارتكب حرمة من حرماته تعالى ، فلا استثناء ولا رحمة، يدل عليه ماروت عائشة رضى الله عنها قالت : " ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل . " (٤)

ومن تجاوز في الانتقام وخرج عن الحد المشروع له ، يكون آثما ومذموما بين الناس لمخالفته الحد الذى شرعه الله تعالى وله عذاب أليم يوم القيامة يقول الله تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٥)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى : ٤٨/١٢ : كتاب الجهاد ، باب تحريم قتل النساء والصبيان .

(٢) سنن الترمذى : ٦٧/٣ : أبواب السيرة ، باب ماجاء في النهى عن قتل النساء ، والصبيان ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

(٣) انظر ظلال القرآن : ٢٤٣٩/٤

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى : ٨٤/١٥ : كتاب الفضائل ، باب مباعدته للآثام .

(٥) سورة البقرة : آية (١٧٨)

أى من اعتدى على القاتل بعد العفو والرضا بالدية وأخذها له عقاب شديد عند الله وإذا كان الله تعالى قد أباح الانتقام فإن تركه أفضل وأسلم خوفا من العقاب في الدنيا والآخرة إن تجاوز الحد ، ومحاسبة الضمير والاحساس بالندم طول العمر كما أن في تركه رحمة ومنفعة [١] ، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في ذلك حين عزم على الانتقام من المشركين الذين مثلوا بحمزة ومن معه يوم أحد وقال : " والله لأمثلنّ بسبعين منهم مكانك " [٢]

فنزل جبريل عليه السلام بخواتيم سورة النحل فكف عما أراد [٣] قال الشيخ الشنقيطي الحسن قسمان :-

١- الحسن هو الجزاء المنصوص في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾ [٤]

٢- الأحسن هو الصبر المذكور [٥] في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ [٦] وقطعا الأحسن أفضل من الحسن ، فينبغي للإنسان العاقل أن يختار الأحسن ، وهو الصبر والعفو وعدم الانتقام ، لأن تركه فيه الأمن وضمان سلامة النفس والمال -

---

(١) انظر الخلق الكامل : ٤/٤٠٤

(٢) رواه الحاكم في المستدرك : ٣/١٩٧ كتاب معرفة الصحابة ، وسكت عنه الحاكم وقال الذهبي صالح المرى واه ، وروى بنحوه الهيثمي في مجمع الزوائد : ٦/١١٩ ، وقال رواه البزار والطبراني وفيه صالح بن بشير المزني وهو ضعيف والصواب المرى بالراء انظر ميزان الاعتدال ٢/٢٨٩ .

(٣) انظر الفخر الرازي : ٢٠/١٤٢

(٤) سورة النحل : (١٢٦)

(٥) انظر اضواء البيان : ٣/٥٢-٥٣

(٦) سورة النحل : آية (١٢٦)

وكم من آلاف النفوس أهدرت دماؤهم ، وكم من الأموال أنفقت في سبيل الانتقام فقط ولو علموا أن العفو يشيع الخير بين الناس ، ويؤدّى به المجتمع المسلم دوره في تربية النفوس ، وتزكيتها لبادروا إلى العفو ابتغاء رضوان الله .

.. ..

المبادئ العقدية والاجتماعية في المبحث السادس :

١- لكي توفق المجتمعات إلى التي هي أقوم، لا بد لها من اتخاذ الشورى، منهجا ودليلا، وذلك للتوصل إلى أفضل النتائج، وفي الوقت نفسه لايجاد الترابط بين أفراد المجتمع الواحد، وبالمراجعة وتبادل الرأي والحوار الجاد تتولد الأفكار الجديدة، لبناء الحضارة المادية والمعنوية، شريطة الالتزام بمنهج الأسلام الأقوم.

٢- شرعت الشورى لعلاج الأمراض الاجتماعية، وللقضاء على الفساد بكافة صوره وألوانه ويكفي أن الله قرن الشورى بالصلاة في قوله " والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم" ولا يغيب عن البال أن من اسباب عزة الصدر الأول اتخاذ مبدأ الشورى، منهجا ومن امثلة ذلك قتال مانعي الزكاة، وعدد مرات جلد شارب الخمر وذلك للوصول الى الحكم السديد. والله قادر على بيان ذلك بالتفضيل (وماكان ربك نسيا) لكنه عز وجل ترك الامر ليجتهد قادة الامة فيما يجد من قضايا وتتخذ القرارات الجماعية، لتتحد صفوفهم على مبدأ الشورى في شئون الدين والدنيا، مما لانص فيه. وأصدق دليل على ذلك المشورة في أسرى بدر.

٣- المستشار موءتمن. ولذا يجب عليه بذل النصح باخلاص وتجرد عن الهوى والغرض، وعليه أن يقول مايعتقد أنه الصواب، بحكم خبرته، وإن كان لا يعلم فليقل لاأعلم، فالأمر يتعلق بتقويم مجتمع اسلامي يتربص به الأعداء من كل جانب وتنهشه أيدي الملحدين وألسنتهم بكل ماأتوا من سلاح مادى ومعنوى. ولذا وجب حسن استخدام الشورى والانتفاع بها.

٤- عندما تنتهك الحرمات، يجب ألا يتبلد الاحساس ويهون الناظر إلى المنكر كأنه لم ير شيئا، وإنما يجب أن يغار ويغضب لانتهاك حرمات الله، ويتخذ من الوسائل مايفيد في تغيير المنكرات على أن يكون الهدف، اعلاء كلمة الله وليكن الداعية حكيما،

---

(١) سورة الشورى، آية (٣٨)

بحيث يتخذ لكل موقف ما يناسبه .

٥- تلاحظ في هذا المبحث من خلال الايات المذكورة في صدره موقف الاسلام من الظالم ، فقد أباح للمظلوم أن ينال منه ، على ألا يتجاوز حقه ، وفي الوقت نفسه حث على العفو ، ودعا إلى الإصلاح بين الناس ووعد بالمثوبة الحسنى لمن يعفو ويصفح وقال : " فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ " ووعد الله لا يتخلف ، وحين يعطي فهو يعطي الجزيل من فضله

٦- في الوقت الذى يحث الاسلام فيه على العفو ، تراه ينفر من الظلم والبغي والعدوان على الناس بغير حق ، ويكرر مادة الظلم أكثر من مرة ، كما يذكر ما فيها من معنى البغي والظلم بصيغة الجمع يذكره سبحانه ثلاث مرات في هذا النص وحده " لا يحب الظالمين " " ترى الظالمين " ، إن الظالمين " وذلك ليمنع الناس من التعاون على الظلم لما فيه من الاثم والعدوان .

كما يذكر المادة بصيغة الافراد* بعد ظلمه ليمنع الفرد عنه كما يمنع الجماعة من الناس ، وتراه يذكره بمادته ومعناه بالفعل المضارع (الذين يظلمون ويبغون) لتتمثل صورة الظلم والبغي أمام العين ، وهي صورة منفرة ، ترتعد لها قلوب فيها ذرة من ايمان ، ولو أدرك الظالمون عاقبة أمرهم ، وما أعده الله لهم من عقاب يوم القيامة ، لما تجاوزوا قدرهم ، وقوة التعبير بالعقاب ، توحي بالقسوة العقاب حين يحل بهم " ألا إن الظالمين في عذاب مقيم " وليس لهم ناصر ينصرهم من دون الله ، وإذا تخلى الله عن الظالم فمن يقدر على الدفاع عنه ؟ وإمعانا في التنكيل بهم يصفهم بالخسران وبالضلال عن الهدى (ومن يضلل الله فماله من سبيل)

المبحث السابع :

إستجيبوا لربكم

ويتكون من المطالب التالية :

المطلب الأول : الهداية في الإنابة إلى الله قبل يوم القيامة .

المطلب الثاني : الرسول المبلغ . والملحد يتحمل مسؤولية الحاده .

المطلب الثالث : الله سبحانه لا تصدر أفعاله عن غير حكمة جلية أو خفية .

المبحث السابع : استجيبوا لربكم

الذى يؤمن ايمانا كاملا يستجيب لكل أوامر الله عز وجل ويترك نواهيه ، أما الذى يؤمن كإيمان المنافق ، فإنه يستجيب لأوامره أمام الناس فقط رياء وسمعة ، والمؤمن الحقيقى لاينسى ربه لحظة واحدة ، وإذا وقع في غفلة أو هفوة في أمر لا يرضاه الله تعالى فإنه يبادر إليه سبحانه بالتوبة والاستغفار ، لأنه يعلم أن المبادرة إلى التوبة صفة من صفات المؤمنين .

قال تعالى :

(اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ
مِنْ نَكِيرٍ)[١]

(١) الآيــه (٤٧)

المطلب الأول

" الهداية في الإنابة إلى الله قبل يوم القيامـــة "

الإنابة : هي الرجوع إلى الله تعالى وسرعة العودة في كل أمر إليه بالتوبة والاستغفار وإخلاص العمل (١) وبفعل أنواع الطاعات واجتناب سائر المعاصي والاستسلام لأمره والخضوع لحكمه (٢) وهي تتضمن المحبة والخشية فإنّ المنيب محب لمن أناب إليه خاشع له (٣) ، وتجب الإنابة إليه في كل وقت وفي كل حال ، لأن وسوسة الشيطان مستمرة ، بالإعراض عن الله ، وبهذا قال السلف الصالح: المنيب هو الذى يعود سريعا إلى ربه كلما وسوس إليه الشيطان ، وقال بعض السلف: المعرفة تورث الإنابة لأنّ الإنسان إذا عرف ربه واستحضر جلاله في صدره وتدبر آياته دخل باب الإنابة . (٤)

وقال عبيد بن يعلى : الإنابة هي الدعاء (٥) وهذا القول بعيد الاحتمال لأنّ الإنابة هى الرجوع والإقبال على الله والدعاء جزء منه .

والإنابة مذكورة في القرآن الكريم في عدة مواضع:

١- الأمر بها في قوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (٦)

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن : ص ٥٠٨
(٢) انظر فتح القدير : ٤ / ٤٧٠
(٣) انظر طريق الهجرتين ص ٣١١
(٤) انظر موسوعة أخلاق القرآن : ص ٢٤٩ - ٢٥٠
(٥) الدر المنثور : ٧ / ٢٠٤
(٦) سورة الزمر : آية (٥٤)

٢- إنابة المؤمن إليه في كل أموره وشئونه مع التوكل عليه [1] في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [2]

٣- بيان أن المنيب هو الذى يتذكر قدرة الله تعالى في مخلوقاته ويتذكر آياته وفضله ، ولا ينسى نعمة الله عليه [3] في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [4]

٤- العبد المنيب هو المنتفع وحده بالتأمل والنظر في ملكوت الله [5] لأن من شأنه الاعتبار والتفكر في آيات الله تعالى [6] ، وذلك في قوله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [7] .

٥- من أسباب دخول الجنة الإنابة إليه في قوله تعالى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ، مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴾ [8] والقلب المنيب كالقلب السليم في قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [9] أى سليم من الشرك ، ومن سلم من الشرك يترك غير الله

---

(١) انظر الفخر الرازى : ١٨ / ٤٨
(٢) سورة هود : آية (٨٨)
(٣) انظر القرآن العظيم : ٣ / ٥٢١
(٤) سورة : ق آية (٦-٧-٨)
(٥) فتح القدير : ٤ / ٣١٤
(٦) تفسير القاسمي : ١٤ / ٥١
(٧) سورة غافر : آية (١٣)
(٨) سورة : ق آية (٣١-٣٢-٣٣ ٣٤)
(٩) سورة الصافات : آية (٨٤)

ويرجع اليه ، فهو منيب ومن أناب الى الله برئ من الشـــرك فهو سليم . (١)

٦ - عبادة الله وحده لا شريك له وانابه العبد اليه سبب البشـــرى التى ينالها ، وذلك فى قوله تعالى : " والذين اجتنبـــوا الطغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى "" (٢)

والبشـــرى ثلاثة اقســـام : القسم الأول :

١ - بشرى فى الدنيا ، ومنها : الرؤيا الصالحة التى يراها المسلم أو ترى لـــه . (٣)

٢ - بشرى الملائكة له عند خروج نفسه برحمة الله . وفى الصحيـــح " المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته ، فليـــس شـــيئ أحب اليه مما أمامه " (٤)

٣ - بشرى الله اياه بما وعده فى كتابه وعلى لسان رسوله الكريـــم من الثواب الجزيل فى الآخرة كما يقول تعالى : " وبشر الذيـــن آمنوا وعملوا الصلحات أن لهم جنت تجرى من تحتها الأنهر " (٥)

٤ - بشرى الله اياه فى الحياة الدنيا بشره بها ، بشرى عامـــة يشير اليها قول الله جل ثناؤه " لهم البشرى فى الحيوة الدنيا "(٦) وتلاحظ أن هذه البشارة وقعت لهم وسمعوها فى دار الدنيا .

القســـم الثانى :

بشرى عند الموت ، وتكون على السنة الملائكة عند الموت قـــال تعالى " الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلـــوا الجنة الآية (٧) وهى بشرى لهم بالجنة عند الموت (٨) .

---

(١) انظر الفخر الرازى : ١٧٩/٢٨

(٢) سورة الزمر : آية (١٧)

(٣) زاد المسير : ٤٤/٤ وانظر فتح البارى ٣٧٥/٥ كتاب التعبير باب المبشـــرات .

(٤) صحيح البخارى مع فتح البارى ٣٥٧/١١ كتاب الرقاق ، باب مـــن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .

(٥) ســـورة البقرة آية (٢٥)

(٦) ســـورة يونـــس : آية ٣٢

(٧) ســـورة النحل آية ٣٢

(٨) فتح القدير ١٦٠/٣

٢- القسم الثالث : بشرى في الآخرة وهي تكون بدخولهم الجنة وتكون هذه البشرى :

(١) على ألسنة الرسل ، وهذه البشارة يسبقها الخبر في الدنيا بحصول النعم والسعادة التي لم يعرفوها ولم يسمعوا عنها ، لأنّ في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

(٢) أو من الله عز وجل بقوله : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾(١) ولا مانع أن يكون من الله تعالى ومن الملائكة ، لأن فضل الله واسع .

(٣) أو عند الوضع في القبر .

(٤) أو عند البعث .

(٥) أو عند الوقوف للحساب .

(٦) أو عند جواز الصراط .

(٧) أو عند دخول الجنة .

(٨) أو في الجنة .

والكل محتمل (٢) ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل البشارة فيه .

ومن أدرك سعادة ذلك سعى لها سعيا وهو مؤمن قال الفخر الرازي : حفظ النفس عن وقوعها في عذاب الله وغضبه لا يكون إلا بالتوبة والانابة إليه . (٣)

---

(١) سورة الأحزاب : آية (٤٤) .

(٢) انظر الطبري ٥/١٣١ والدر ٣/٣١١ وزاد المسير ٤/٤٥ وفتح البيان ٨/٢١١

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي : ٢٦/٢٥٦-٢٦٠

وقد يظن البعض أن الاتابة والتوبة شيء واحد ، ولكن هناك فرق ما ،وهو أن التوبة ترك الذنب واقرار العبد بأنه فعل وأساء،خوفا من غضب الله وعقابه (١) ، بينما الإنابة هى الخجل والحياء منه والشوق إليه ، إذا الإنابة نتيجة التوبة فإذا صحت التوبة حصلت الإنابة إلى الله تعالى لذلك قال بعض السلف : إذا صدق العبد في توبته صار منيبا (٢) ، يقول ابن القيم : الانابة منزلة بعد منزلة التوبة ، والتوبة مفتاح الإنابة ، من نزل في منزلة التوبة وقام في مقامها نزل في جميع منازل الاسلام ، فإذا استقرت قدمه في منزل التوبة استقر قدمه في منزل الإنابة .

والإنابة نوعان :

١- النوع الأول : إنابة للألوهية ، وهي خاصة للمؤمنين وحدهم وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣)

وهذه الإنابة لها شروط أربعة :

(١) محبة الله تعالى .
(٢) الخضوع له .
(٣) الإقبال عليه
(٤) الاعراض عما سواه .

ولا يستحق اسم المنيب إلا إذا توفرت لديه هذه الشروط المذكورة .

---

(١) مفردات الراغب ، ص ٧٦
(٢) انظر روح البيان : ٨ / ١٢٨
(٣) سورة الروم : آية (٣١)

٢- النوع الثاني : إنابة للربوبية ، وهي إنابة جميع الخلق ، يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر والصالح (١) والطالح (٢) في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣) ﴾ وقوله ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٤)

والناس في إنابتهم على ثلاثة أحوال :

١- الحالة الأولى : منهم المنيب إلى الله تعالى بترك المعاصي والمخالفات ، وسببها الوعيد ، والدافع إليها العلم والخشية والحذر .

٢- الحالة الثانية : منهم المنيب إليه بفعل سائر الطاعات والقربات وسببها الوعد ، والدافع إليها الثواب ومحبة الكرامة من الله .

٣- الحالة الثالثة : منهم المنيب إليه بالتضرع والدعاء والافتقار إليه عند الشدائد فقط ، وسببها شهود الفضل والمنة والكرم والغنى والقدرة ، وهذه إنابة اضطرارية لا إنابة اختيارية ، كحال الذين ، قال تعالى في حقهم : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (٥)

---

(١) انظر مدارج السالكين ١/ ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ .
(٢) الطالح ضد صالح : أي فاسد لا خير فيه ، لسان العرب ٢/ ٥٣٠ .
(٣) سورة الروم : آية (٣٣)
(٤) سورة الزمر : آية (٨)
(٥) سورة الاسراء : آية (٦٧)

ولكل أعضاء المؤمن إنابة خاصة به

(١) لروحه إنابة، وإذا أنابت الى الله روحه تكون كل مشاعره وأحاسيسه وجوارحه وأعضائه منيبة إليه .
(٢) لقلبه إنابة ، تكون بالمحبة والتضرع والذل والإنكسار له .
(٣) لنفسه إنابة، تكون بالانقياد اليه عز وجل والتخلص من أهواء النفوس ومن الأخلاق الذميمة والإرادات الفاسدة .
(٤) لجسده إنابة،تكون بالعمل والقيام بالفروض والسنن على أكمل وجه . (١)

وعلامات المنيب إلى الله تعالى كثيرة منها :-

(١) أن يعمل الأعمال الصالحة بعد توبته لأنّ التوبة مقرونة بالعمل الصالح في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ (٢)
(٢) أن يعتقد أن الله تعالى هو الفاعل الحقيقي والمحرك الأول للعمل الذي يعمله ، لأن مشيئته الإلهية هي التي أوجدت له هذا العمل . يقول الله تعالى :- ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وما تعملون ﴾ (٣)
(٣) أن لا يفكر نهائيا في لذة الذنب وحلاوته ، وإذا أناب إلى ربه وفي قلبه لذة الذنب ، فإنابته غير صافية. (٤)
(٤) أن يفكر دائما في صفات الله عز وجل وفي الأمور الأخروية .
(٥) أن يذكر الله تعالى دائما وأن يشكره على النعم التي أعطاها إياها .
(٦) أن يتفاني في عبادة الله تعالى وطاعته إلى أن يأتيه الموت.

---

(١) انظر طريق الهجرتين : ص ٣١٣ - ٣١٦
(٢) سورة الفرقان آية (٧٠)
(٣) سورة الصافات : آية (٩٦)
(٤) انظر مدارج السالكين : ١/ ٤٣٤ -٤٣٥

(٧) خروجه من التبعات بالتوبة ورد الحقوق إلى أصحابها .

(٨) شعوره بالألم حين يقترف ذنبا ، وذلك دليل على الإنابة ورقة القلب والرجوع إليه تعالى .

(٩) أن يدرك ما فاته من قربات وطاعات بأن يجتهد في أداء الأعمال الصالحة وذلك متفق مع قواعد الشريعة الإسلامية . (١)

---

(١) انظر روح البيان : ٥٧/٦

قال تعالى :

(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا ، إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ)

(١) الآية : (٤٨)

المطلب الثاني

" الرسول مبلّغ والملحد يتحمل مسئولية الحاده "

الله عز وجل أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الخلق جميعا بالهدى و دين الحق، وفرق به بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال، وبين طريق الجنة وطريق النار، وبين الخبيث والطيب والحلال والحرام، وهو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده، وتحليله وتحريمه، وسائر ما بلّغه من كلامه، وبهذا البلاغ المبين لم تبق للخلق أي حجة عليه، أما من بلغته رسالته ولم يؤمن به فهو كافر، وأما المؤمنون فإنهم يمتثلون أوامره كالإنابة الى الله تعالى كلما يذنبون ويشعرون بالتقصير في العبادة والطاعة ويتركون نواهيه، كالسرقة وشرب الخمر، لأنهم يؤمنون بأنّ طريق السعادة في الدنيا والآخرة ورضا الله ورحمته هو الإيمان به وبجميع ما أتى به، لأن طاعته هي طاعة الله وسخطه هو سخط الله تعالى، .. والإيمان بأنّه صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن ربه من المبادئ الاعتقادية الأساسية التي يجب على كل فرد الإيمان بها، وليس له أن ينكرها، ولذلك يجب طاعته في كل أمر به ونهى عنه، وتصديقه في كل ما أخبر به عن الله تعالى، سواء كان عن طريق الوحي، أو عن طريق نفسه، لأنّ كل ما أخبر به حق لا ريب فيه، يقول تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1] وسواء عرفنا حكمته أو لم نعرفها، ومن كذبه يكون كافرا بلا شك[2]، كما

---

(١) سورة النجم آية (٣-٤)

(٢) انظر رسالة التدمرية : ص ٢٤

يجب له المحبة والموالاة والتكريم والثناء مع تحريم الغلو ، والشرك به ، كمن يعظمه أكثر مما أمر به ، ومايستحقه ، لأنه بذلك يخرج عن طاعة الله عز وجل (١) .

والله عزوجل أمر رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بالتبليغ ، ووعده بالعصمة والنصرة في قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَاأُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ، وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ " (٢) وهذا النداء ، نداء تشريف ، وتعظيم ، قال (٣) ابن عباس معنى هذه الآية : إنّ الله تعالى أمر أن يبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم جميع ماأنزل اليه من ربه عز وجل فإن كتم شيئا من أمر الدين فما بلغ رسالته ، وهذه الآية رد على الرافضة ، الذين يقولون إنه صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أوحى الله إليه ، وقد ورد عن عائشة رضى الله عنها قالت : " ومن حدثك أن النبى صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فلا تصدقه (٤) ، إن الله يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَاأُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (٥) وهذه الآية إشارة إلى من تعلم وعرف أمرا من أمور الدين - سواء ، كان صغيرا أم كبيرا ، شابا أم شيخا ، أخذ الشهادة أم لم يأخذها - يجب عليه أن لا يكتم شيئا منها ، وأن يبلغها إلى الناس (٦) ، ويشهد لذلك مارواه البخارى

---

(١) كتاب الرد على الأخنائي : ص ٢١١
(٢) سورة المائدة : آية (٦٧)
(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٣ / ٢٢٣
(٤) صحيح البخارى : ٤ / ٣٠٥ ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : " ياأيها الرسول بلغ ماأنزل اليك " .
(٥) سورة المائدة : آية (٦٧)
(٦) انظر القرطبي : ٦ / ٢٤٢

من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : "بلّغوا عني ولو آية " (١) والأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل بخلاف غيرهم ، فإنهم ليسوا معصومين من المعاصي والذنوب حتى ولو كانوا أولياء الله ، ولهذا من شتم نبيا من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء ، ومن شتم غيرهم لم يقتل . (٢)

والتبليغ قسمان :

أ - القسم الأول : التبليغ بالإنذار من العقاب ، على الكفر والمعاصي ، وهذا يخص الكافرين والعصاة ، وقد يوجه البشارة إليهم ، بأسلوب السخرية والاستهزاء كقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣)

ب - القسم الثاني : التبليغ بالبشارة بالثواب ، والجزاء على الإيمان والطاعة، وهذه تخص المؤمنين فقط ، وقد يوجه الإنذار إليهم ، لأنهم هم الذين ينتفعون به ، كما يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ (٤) ويكثر ذكر الإنذار والتبشير معا ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٥)

وفي آية أخرى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦) فإن قيل : ان هاتين الآيتين وأمثالهما حصر اضافي، لأن هناك أمورا كثيرة مكلف بها الرسول صلى الله

---

(١) صحيح البخاري : ٢٥٨/٢ ، كتاب بدء الخلق ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل .
(٢) انظر فتاوى ابن تيمية : ٢٨٩/١٠
(٣) سورة آل عمران : آية (٢١)
(٤) سورة فاطر : آية (١٨)
(٥) سورة الفرقان : آية (٥٦)
(٦) سورة سبا : آية (٢٨)

عليه وسلم غير التبشير والإنذار مثل الحكم بين الناس ، كما يقول الله تعالى :
﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ، لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ، بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾(١)

والجواب عنه : لا يقال حصر إضافي فقط ، وإنما هو حصر حقيقي أيضا لأن التبشير والإنذار ، لا يكملان إلا بالأمور الأخرى ، والتبليغ يشتمل على جميع الأمور ، ولا يتم إلا بالقول والفعل ، ومنه الحكم بين الناس بالحق والعدل (٢) والرسول صلى الله عليه وسلم لا يطلب من قومه أجرا ولا مالا مقابل دعوته إلى الله تعالى وإنما يطلب منهم أن لا يؤذوه ولا يصدّوا عن دعوته ، وليس عليه إلا تبليغ الرسالة فقط والهداية من الله عز وجل ومن بلغهم هم المسؤلون عند الله تعالى(٣) ويشهد له قوله تعالى :
﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾(٤) وقوله : ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾(٥) واللام في هذه الآية إما للعهد ، فيراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإما للجنس ، فيراد به كل رسول . (٦)

واختلف المفسرون في الآية على قولين :

أ - قال بعض المفسرين : إنها محكمة ، والمراد بها تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ، عندما يتألم من عدم إيمان بعض الناس به ،

---

(١) سورة النساء : آية (١٠٥)
(٢) انظر تفسير المنار : ٩ / ٥١٦
(٣) انظر تفسير المنار : ٧ / ١٠٢
(٤) سورة النحل : ٣٥
(٥) سورة يس : ١٧
(٦) انظر فتح البيان : ٦/ ٢٩٣

وأنها تدل على أن الواجب على الرسول صلى الله عليه وسلم التبليغ فقط ،

ب - وقال بعضهم : إنها منسوخة بأية السيف[1] ، والمراد بها الإقتصار على التبليغ دون الأمر بالقتال، والقول بأنها محكمة هو الصواب[2] ، لإمكان الجمع بينهما ، وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم مكلف، بالتبليغ في وقت معين ، ومكلف بالإنذار في وقت آخر ، وهداية البشر لا تكون إلا بالأمرين معا ، ولو كانت الهداية بيد البشر لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر ، وأفضلهم ،أعمامه ، كأبى طالب وغيره ولهذا يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[3] (وقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت في موت أبى طالب)[4] على ملة عبد المطلب ، كما روى سعيد بن المسيب عن أبيه ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب : ياعمّ قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال : أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية ياأبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ماكلمهم هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لاستغفرنّ لك مالم

---

(١) آية السيف هي : " فاقتلوا المشركين حيث وجدتّموهم " التوبة : ٥

(٢) انظر نواسخ القرآن : ص ٣١٥ (لابن الجوزى) الطبعة الاولى ١٤٠٤-١٩٨٤م

(٣) سورة القصص ، آية (٥٦)

(٤) اسباب النزول ص ٢٥٥ (للواحدى) بيروت

أنه عنك فأنزل الله تعالى فيه[1] : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[2]" ... ومن حكمة الله سبحانه وتعالى في عدم هداية أبى طالب إلى الاسلام بيان أن الهداية لا يملكها الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كانت بيده ، لكان أحق الناس بذلك ، وأولاهم عمه الذى كان يحميه وينصره ، وانما يملكها الله عز وجل .

والهداية أربعة أقسام :-

أ - القسم الأول : الهداية العامة لكل المخلوقات وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[3] أى لكل مخلوق هداية تليق به ، وإن اختلفت أنواعها وصورها .

ب - القسم الثاني : هداية البيان والدلالة ، الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد ، والخير والشر ، و هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾[4] .

جـ - القسم الثالث : هداية التوفيق والالهام كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[5]

د - القسم الرابع : الهداية إلى الجنة أو النار ، إذا سيق أهلهما إليهما[6] كما قال تعالى في حق أهل الجنة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) صحيح البخارى : ٢ / ١١٩ ، كتاب الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ، وصحيح مسلم بشرح النووى : ١ / ٢١٤ ، كتاب الايمان ، باب وفاة أبى طالب واللفظ للبخارى .

(٢) سورة التوبة : آية (١١٣)

(٣) سورة طه : آية (٥٠)

(٤) سورة البلد : آية (١٠)

(٥) سورة النحل : آية (٩٣)

(٦) انظر غذاء الألباب : ١ / ٢٩-٣٠

آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ، تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (١) وقال في حق أهل النار : ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ (٢) على سبيل التهكم .

ومن لم تبلغه الدعوة لبعد مكانه ، أو لقصر مدته ، بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم فلا تكليف عليه ، ولا يثاب ولا يعاقب لعدم إقامة الحجة عليه (٣) . والله يقول : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٤) وهو في المشيئة الالهية ، إن شاء عذبه ، وذلك عدل منه ، وإن شاء أثابه ، وهذا الذي لم تبلغه الدعوة ، يدعى إلى الاسلام ، فإن قبله واعتقد التوحيد والنبوة ، فحكمه حكم المسلمين ، لأنه معذور فيما يجهله من الأحكام ، وعدم قيام الحجة عليه وإن رفضه يقتل ، كالوثنية الذين لا يقبل منهم الجزية ، وإن كان على شرع من الشرائع كأهل الكتاب ، تؤخذ منه الجزية فقط ، ولا يجوز قتل من لم تبلغه الدعوة إلا بعد دعوته إلى الاسلام ، وإقامة الحجة عليه ، فإن قتله قبل ذلك اختلف العلماء فيه إلى عدة أقوال :-

١- قال أبو حنيفة لا دية عليه .

٢- قال الشافعي بوجوب ديته ، واختلف أصحابه فيه ، فمنهم من يقول ديته كدية المسلم ، ومنهم من يقول ديته كدية أهل دينه ودية من لا دين له من الأديان كدية المجوس ، وهذا قول من يقول بوجوب الدية على المسلم

---

(١) سورة يونس : آية (٩)
(٢) سورة الصافات : آية (٢٣)
(٣) انظر الاصول والفروع : ٢ / ٢٩٨ (لابن حزم الاندلسي) الطبعة الاولى ١٩٨٧ م الناشر دار النهضة الحديثة مطبعة حسان
(٤) سورة الاسراء : آية (١٥)

لو قتله (١) ، ولا شك أن إرسال الرسول إلى الناس رحمة وإحسانا من الله عز وجل إلى عباده ، وكانت بعثته صلى الله عليه وسلم مشتملة على المنافع التى حصلت من أصل بعثته ، والمنافع التى حصلت من صفاته ، وخصاله .

أما المنافع التى حصلت من أصل بعثته فأمور كثيرة منها مايلي :-

١- أخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الضلالة إلى الهداية ومن الجهل إلى العلم والمعرفة ، ومن سيئات الأخلاق إلى مكارمها وأفضلها حتى صاروا أفضل الأمم .

٢- أذهب عنهم قلة الفهم ، وعدم الدراية .

٣- علمهم أنواع الترغيبات والترهيبات ، والطاعات .

المنافع التى حصلت من خلاله صفاته كثيرة منها مايلي :

١- علمهم جميع فنون العلم والمعرفة مع كونه أميا ، لا يقرأ ولا يكتب

٢- وثقوا به وائتمنوه بصدقه وأمانته وغيرهما . ومن الصفات التى اتصف بها واشتهرت بينهم .

٣- لقي في دعوته إلى الله عز وجل الشدائد ، ومع ذلك فضل الصبر والعفو عنهم (٢) مراتب الدعوة إلى الله تعالى ثلاثة :-

(١) المرتبة الأولى : دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إلى الله عز وجل بالمعجزات ، والبراهين ، والسيف .

(٢) المرتبة الثانية : دعوة العلماء إلى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط .

---

(١) انظر اصول الدين : ص٢٢٧ - ٢٦٣

(٢) انظر روح البيان : ٢٥٨/٨

(٣) المرتبة الثالثة : دعوة الملوك ، والسلاطين ، والأمراء إلى الله وذلك أنهم يجاهدون الكفار ، وغيرهم حتى يدخلوا في دين الله .

(٤) المرتبة الرابعة : دعوة المؤذنين إلى الصلاة ، وهي أضعف المراتب وإن كانت تدعو إلى الصلاة ، لكنها في الحقيقة تدعو إلى توحيد الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله . (١)

.. ..

---

(١) انظر روح البيان : ٢٥٨/٨

قال تعالى :

(لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوٰتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا
يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنٰثًا
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ
ذُكْرَانًا وَإِنٰثًا وَيَجْعَلُ مَنْ
يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (١)

(١) الآية : ٤٩ ـ ٥٠

المطلب الثالث

" الله عز وجل لا تصدر أفعاله عن غير حكمة جلية أو خفية "

إن جميع أفعاله سبحانه وتعالى وأقواله وتشريعاته مشتملة على الحكم والمصالح والرحمة والإحسان والعدل (١) ولم يكن يخلق الخلق باطلا ولا يفعل الشيء عابثا بل يخلق لحكمة ويأمر لحكمة وينهى لحكمة .

وهذا مذهب السلف(٢) إذا كل ماخلقه الله في هذا الكون فيه حكمة جلية وخفية ، لأجلها خلقه ولو لم يخلقه فاتت تلك الحكمة التي هي أحب إليه عز وجل وفي وجودها من الحكم والغايات الكثيرة ، ولذلك يجب على المؤمن التسليم والانقياد إليه سبحانه وتعالى وعدم الاعتراض على أفعاله وعدم طلب العلة لأنهما يخرجان الإنسان إلى الكفر(٣) سواء علم الحكمة أو لم يعلمها ، فإن خفيت عليه حكمته نسب الجهل إلى نفسه بقلة فهمه وقصر عقله ومعرفته وعلمه عن الاحاطة بتفاصيل حكمته عز وجل في أصغر مخلوقاته (٤) كعقل وفهم إبليس لعنة الله عليه حين عاب حكمة الله تعالى في خلق آدم عليه السلام وفضل النار على الطين، لأن عقله يرى أن النار أفضل من الطين .

ثبوت حكمته عز وجل ، ويظهر ذلك فيما يلي :

١- التصريح بلفظ الحكمة في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٥) ويراد بالحكمة في هذه الآية

---

(١) انظر طريق الهجرتين : ص١١٦

(٢) انظر دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيميه ٣٠٦/١ الطبعه الاولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م دار الانتصار .

(٣) انظر صيد الخاطر ٣٥٧/٣ لابن قيم الجوزيه الطبعه الاولى ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م دار الفكر تحقيق : ناجي الطنطاوي .

(٤) انظر شفاء العليل ص ٣٩٥ لابن قيم الجوزيه الطبعة الاولى

(٥) سورة البقرة : آية (٢٦٩)

العلم النافع والعمل الصالح، وسمى كليهما حكمة لوصولهما به الى الغاية، وكذلك لا يكون الكلام حكمة إلا اذا وصل الى المطلوب .

٢- بيان العلة التى من أجلها فعل وأمر كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (١) . . وقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٢) واللام في هاتين الآيتين ليست لام العاقبة كما في قوله تعالى : ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (٣) وإنما هى لام الحكمة والغاية المطلوبة ، لأنّ لام العاقبة في حق الإنسان ولا تكون في حق الله تعالى .

٣- الاتيان بأحد حروف التعليل منها :-

أ - (لعل) التى تفيد الترجي في حق الانسان، أما في حقه تعالى فهي للتعليل المحض كقوله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤)

وقوله : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (٥)

وهذا الحرف ذكر في القرآن أكثر من غيره .

ب - (من أجل) كما في قوله تعالى (مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا (٦) .

(١) سورة المائدة : آية (٩٧)
(٢) سورة البقرة : آية (١٤٣)
(٣) سورة القصص : آية (٨)
(٤) سورة المائدة : آية (١٠٠)
(٥) سورة طه : آية (٤٤)
(٦) سورة المائدة : آية (٣٢)

جـ - (كي) (١) كقوله تعالى : " فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ * (٢)

(أنواع الحكمة الإلهية في الأحكام ثلاثة)

(١) النوع الأول : الحكمة الجلية التى اطّلع عليها الخلق بنص ، مثل حكمة وجوب الصلاة ، وهي النهى عن الفحشاء والمنكر ، في قوله تعالى : * إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ * (٣) ومثل حكمة وجوب الزكاة ، وهي تطهير النفس والمال في قوله تعالى * خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ * (٤) وغير ذلك من الحكم التى نص عليها القرآن الكريم والحديث النبوى .

(٢) النوع الثاني : الحكمة الخفية التى استأثر الله بها كما في الحجر الأسود ففيه حكمة لا يعلمها إلا علام الغيوب سبحانه وتعالى وأمرنا بتقبيله عن طريق الوحي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وقبّل الحجر الأسود ، فلا يسعنا إلا أن نقبّله اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما فعل عمر بن الخطاب عند استلامه الحجر وقال : « والله إنّى لأقبّلك وإنّى أعلم أنك حجر وأنك لا تضر ولا تنفع

---

(١) انظر شفاء العليل : ص ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢
(٢) سورة الحشر : آية (٧)
(٣) سورة العنكبوت : آية (٤٥)
(٤) سورة التوبة : آية (١٠٣)

ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك) [1] فقبله عمر امتثالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصرف النظر عما روى عن علي رضي الله عنه قال له بلى يا أمير المؤمنين انه يضر وينفع ، فيأتي يوم القيامة وله لسان وعينان ويشهد لمن قبله [1] ، لأن عمر أقبل عليه ليقبله قبل أن يخبره علي رضى الله عنه بذلك .

(٣) النوع الثالث : الابتلاء والامتحان أولا ثم الحكمة ثانيا كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾ [3] هذه الآية تفيد الاختبار لمن يطيع الرسول صلى الله عليه وسلم . وقوله تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ [4] تفيد الحكمة في تحويل القبلة ، وهى تدل على عدم حجتهم ، لأن حكمته عز وجل تأبى أن يعطى فضله ، ورحمته وتوفيقه لمن لا يصلح وليس أهلا له كما تأبى أن يمنعه لمن يصلح له ويستحقه . [5]

وإذا اقتضت حكمته تبديل الحكم وتغييره ، فإنه لم يعد ما نهائيا ، بل يغيره ، ويبدله من حكم الى حكم ، ومن صورة إلى صورة ، وذلك لحكمة إلهية ، أخرى و هى أن الحكم الأول هو الذى يصلح لهؤلاء الناس وبعد مضى فترة من الزمن تنتهى الحكمة من هذا الحكم فيأتي الحكم الآخر لحكمة أخرى ، ومن ذلك حبس الزانية في البيت

---

(١) صحيح البخارى : ١/ ٢٨ : كتاب الحج ، باب تقبيل الحجر ، صحيح مسلم بشرح النووى : ٩/ ١٧ كتاب الحج ، باب استحباب تقبيل الحجر الاسود ، واللفظ للمسلم .

(٢) روى الهيثمى بنحوه عن عائشة رضى الله عنها في الزوائد : ٣/ ٢٢٢ وقال : رواه الطبراني في الاوسط وفيه الوليد بن عباد وهو مجهول وبقية رجاله ثقات ، الحديث ضعيف بهذا السند ، لهذا الرواوى مجهول .
ورواه الحاكم في المستدرك ١/ ٤٥٧ كتاب المناسك ، وسكت عنه ، وقال الذهبي في اسناده ابوهارون وهو ساقط .

(٣) سورة البقرة : آية (١٤٣)

(٤) سورة البقرة : آية (١٥٠)

(٥) انظر طريق الهجرتين : ص ١٢٧

حتى تموت في قوله تعالى : ﴿ وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ، فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ (١)

كان حبس الزانية في البيت حتى الموت العقوبة الأولى ، وهي الأصلح في وقتها لأنهم كانوا حديثي عهد بالجاهلية ثم لما قوى ايمانهم وخرجوا عن جاهليتهم أتى حكم آخر أغلظ من العقوبة الأولى ، ونسخ الحكم الأول بالحكم الثاني وهو الرجم والجلد في قوله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ (٢) وهكذا الأمر ، فكل عقوبة تأتي في وقت تتناسب مع أحوالهم ومصالحهم ثم تنتهى لوقت آخر لحكمة أخرى تتناسب مع أحوالهم ومصالحهم التي لا يصلحهم سواها (٣) ، وزعم بعض المتكلمين أن أفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض وليس فيها حكمة ، وهذا قول باطل ، لأنّ الله عز وجل لا يعمل شيئا إلا لحكمة تعود منافعها على العباد لا على الخالق ، لأنه غنى عن العالمين ، وجميع الخلق فقراء إليه غاية الفقر والحاجة (٤) يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٥) ويرد على الذين يعترضون على حكمة الله تعالى : ﴿ بأنهم ردوا حكمته بأفهامهم و بعقولهم فمن الذى أعطاهم هذين الأمرين ؟ أليس الله عز وجل هو الذى أعطاهم ، حاشا لله أن يعطى الكمال لغيره ويعطى النقص لنفسه - إذا الذى يعترض حكمته ليس إلا جاهلا جاحدا نعمة ربه ، وينظر في قضايا العقول

---

(١) سورة النساء : آية (١٥)
(٢) سورة النور : آية (٢)
(٣) انظر مفتاح السعادة : ٣٢/٢ ، ٣٣ ، ٣٤
(٤) انظر اضواء البيان : ٦٥٠/٤
(٥) سورة فاطر : آية (١٥)

التى يحكم بها على الظواهر (١) وخلق الأضداد في سائر المخلوقات، من كمال قدرته،مثل النور والظلام والليل والنهار والحر والبرد وغير ذلك ، ووضع كل نوع في الموضع اللائق به ، من كمال حكمته (٢) ، والنظر إلى حكم الشرائع الإلهية يؤدى إلى اثبات اليوم الآخر واحياء الثقلين مرة أخرى للجزاء والحساب ، لأن الحكمة تفرض على العقل أن هناك اليوم الآخر . . ولو لم يكن هناك حساب وجزاء تكون الحياة عبثا (٣)
يقول الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٤) . .

وإليك بعض الحكم التى لأجلها خلق الأشياء كلها :

١- ظهور آثار أسمائه التي تتضمنت التوبة والمغفرة والإحسان والعطاء والعفو،وما إلى ذلك،وكذلك ظهور صفاته وأفعاله وآياته .
٢- ظهور تدبيره وتصريفه للأمور الكونية .
٣- منها يأمر وينهى ويشرع الشرائع .
٤- منها يثيب المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته .
٥- منها بيان أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له .
٦- منها : تصديقه للصادق فيكرمه ، وتكذيبه للكاذب فيهينه .
٧- منها : عبادته وطاعته وتمجيده ومحبته وتذكيره وشكره .
٨- منها : كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته وما إلى ذالك من الحكم التى تضمنها الخلق . (٥)

---

(١) انظر صيد الخاطر : ٣/٥٥٤
(٢) أدب العبودية : ص ٦٩ (محمد مصطفى عبد الرحمن) مكتبة القاهره
(٣) انظر الايمان بعوالم الاخرة : ص ١٣ (العبد الله سراج) الطبعة الاولى ١٣٩٧-١٩٧٧ م .
(٤) سورة المؤمنون : آية (١١٥)
(٥) انظر شفاء العليل : ص ٤١٧

المبادئ العقدية

~~المبادئ العقيدة~~ والاجتماعية في المبحث السابع :

١- الانابة إلى الله دليل الهداية ، والهداية دليل المحبة ، والمحبة لازمة في كل الأحوال ، لأن الله أنعم علينا بنعمة الوجود ، وفي وجودنا أسبغ علينا نعما نعجز عن احصائها ، والانابة دليل على أننا نذكر هذه النعم والله يقول(هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ)[1] وإنابة القلوب لازمة كانابة الجوارح ، سواء بسواء وقد أثنى الله على المنيبين إليه بقلوبهم في قوله (مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ، لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)[2]

٢- وعد الله المنيب إليه بالبشرى في قوله(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ)والبشرى هى الجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة ، وتلاحظ اطلاق لفظ البشرى لنأخذ النفس فيها مذاهب شتى ، وفي ذلك سعادة للنفس باعثة على السكينة والرضا .

٣- فرق بين الانابة والتوبة فالتوبة هي الرجوع ، والانابة خجل وحياء من الله وشوق اليه ، وهي ثمرة التوبة .

والانابة عامة وخاصة ، فالعامة هي إنابة سائر الخلق للربوبية والخاصة هي إنابة المؤمنين لربهم ، والقيام بواجبهم نحوه طواعية واختيارا والإنابة تكون بالطاعة وترك المعصية ، والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه لاغير .

٤- بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس جميعا مايجب عليهم من الإنابة إلى ربهم ، والمؤمن ملتزم بها ، والملحد شارد لا يستجيب ، وهو بذلك لا يضر إلا نفسه ، ولله عليه الحجة البالغة ، وبلاغ رسول الله مبين لا لبس فيه ولم يكتم

---

(١) سورة غافر : آية (١٣)

(٢) سورة ق : آية (٣٣، ٣٤، ٣٥)

رسول الله شيئا فقد ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهار لا يزيغ عنها إلا هالك . وقد بلغ بالإنذار ، كما بلغ بالتبشير ولا عذر بعد هذا البيان لأحد .

٥- من لم تبلغه الدعوة معذور ، والمسلمون مكلفون بنشر الاسلام في سائر أقطار الأرض ، وعلى الناس الإستجابة ، وإلا فالحرب أو الجزية وعلى الداعية أن يلتزم في دعوته الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هي أحسن .

٦- قد يعوق الناس حكمة التشريع وقد لا يعرفون ، وما داموا قد آمنوا فيجب عليهم الخضوع ، وإن لم تصل عقولهم إلى حكمة التشريع . وواجبهم العلم بأن الله لا يفعل إلا ما فيه حكمة ، ومن أسمائه (الحكيم) والحكيم الذى يحكم الاشياء وتيقنها والحكم ذو الحكمة وهي معرفة أفضل الأشياء واتقانها (١) والله لم يخلق هذا الخلق عبثا ، أو يترك الناس سدى - حاشاه - فكل حركة وسكون بقدر ، في شئون الدين وشئون الدنيا ، والحساب على ما يقدم الناس يوم القيامه حتم (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ، وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) وكثرة الشواهد في الكون وفي النفس ناطقة بهذه الحكمة التى يهتدى بها العقلاء .

---

(١) النهاية : ١/٤١٩

(٢) سورة المؤمن : ١١٥

المبحث الثامن
الوحي الإلهي

ويتكون من المطالب التالية :

المطلب الأول : الوحي في اللغة وفي الشرع .

المطلب الثاني : أقسام الوحي .

المبحث الثامـــــن

" الوحــــي الالهـــي "

تمهـــــيد

جرت سنة الله عز وجل على جميع الرسل عليهم الصلاة والســـــلام أن ينزل عليهم الوحي ، الذى هو منبع يقين للمسلمين ، لأنه هو الفصـــــل الوحيد الذى يميز بين الانسان الذى يفكر من عنده ، ويشرع برأيــــــــه وعقله ، والانسان الذى يبلغ عن ربه دون أن يغير أو يزيد أو ينقـــــــص والله عز وجل هو الذى يشرع ويحكم ، وينزل الوحى على من يشاء ليكـــــون برهانا ساطعا وحجة قاطعة على صدق رسالته ، وأنه مرسل من عند اللــــه عز وجل ، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم أول رسول أوحى إليـــــه ، بل أوحى الله تعالى إلى الرسل قبله بمثل ماأوحى إليه بقوله تعالــــــى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (١) وكــــل ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وحيا قرآنا ، أو غير قـــرآن . بدليل قوله تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (٢) يقول الزمخشرى في تفسير هذه الآية : ﴿ وما آتاكم به من القرآن ليــــس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه وإنما هو وحي من عند الله يوحيه إليه ، ورأيـــه واضح ، في أن اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم في شتى مهمـــــات الرسالة ، هو وحي من عند الله كما أن التنزيل وحي . (٣)

ويقول ابن اسحاق: إن تتابع الوحي على رسول الله صلى الله عليـــــه وسلم وهو مصدق بما جاء منه ، وللنبوة أثقال ومؤنة لا يستطيع حملهـــــا إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يتحملون من أنــــواع

---

(١) سورة النساء : آية (١٦٣)
(٢) سورة النجم : آية (٣، ٤)
(٣) انظر تفسير الكشاف : ٢٨/٤

الأذى والشدائد ، ومايرد عليهم مما جاءوا به من عند الله تعالـــى [١] ، ومهماتهم هي إنقاذ البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومـــن الجهل إلى العلم ، وكل واحد منهم يأتي عقب الآخر ، ليتم مابــــدأ الأول ، فهم سلسلة في مدارج الاصلاح حتى اكتمل البناء الشامـــخ برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فكانت رسالته للناس تامة في كـــل عصر وفي كل مصر ،، وبمحمد صلى الله عليه وسلم انتهى الوحي ، وانقطعت النبوة وختمت رسالة الله تعالى .

والإسلام-كبقية الأديان السماوية - يستمد تعاليمه من السمـــاء ويعتمد في هديه وارشاده على القرآن الكريم وهو كتاب الله أوحى بـــه الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم،فكان هديا للعالمين ، وسورة الشـــورى تبين أنّ القرآن الكريم وحي من عند الله عز وجل،ويجب العلم أن الوحـــي أمر إلهي محض ،لا أثر فيه لسعي المرء أو كسبه .

(١) انظر السيرة النبوية : ١/١٢٧-٤٢٦

قال تعالى :

(وما كان لبشر أن يكلمه الله

إلا وحيا أو من وراء حجاب

أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه

ما يشاء إنه علي حكيم)[1]

(١) الآية : (٥١)

المطلب الأول

" الوحى في اللغة وفي الشـــرع "

الوحى في اللغة : الاشارة السريعة ، وتكون بما يأتي :

١- الكلام على سبيل الرمز والتعريض .
٢- الايماء ببعض الجوارح إلى معنى خفي .
٣- الصوت المجرد عن التركيب الذى يرمز إلى معنى في النفس . (١)
٤- كل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه .
٥- الكتابة .
٦- الرسالة .
٧- الالهام .

قال أبو اسحاق أصل الوحى في اللغة كلها إعلام في خفـــاء وإن اختلفت أسباب الاعلام فيه . (٢)

أما الوحي في الشرع فله عدة تعريفات :

١- الاعلام بالشرع ، وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منــه أى الموحي به ، وهو كلام الله المنزل على النبى صلى اللــه عليه وسلم . (٣)

٢- (إنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين ، بأنه من عند اللــه

---

(١) انظر المفردات : ص ٥١٥ - ٥١٦
(٢) لسان العرب ، ١٥/٣٧٩ ، ٣٨١
(٣) فتح البارى : ١/٩ .

سواء اكان الوحى بواسطة أم بغير واسطة) (١)

٣ - انه اعلام الله تعالى لنبى بين أنبيائه بحكم شرعى ونحوه (٢) ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر (٣)

٤ - (أخرج ابى حاتم عن الزهرى أنه سئل عن الوحى ، فقال الوحى ما يوحى الله به الى نبى من الأنبياء ، فيثبته فى قلبه فيتكلم به ويكتبه ، وهو كلام الله ، ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ، ولا يأمر بكتابته ، ولكنه يحدث به الناس حديثا ، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم اياه (٤) ، وهذا التعريف هو الذى أميل اليه لأنه جامع مانع نصا صريحا .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص٨٤ (محمد محمد أبو شهبة)
(٢) الوحى المحمدى : ص ٤٤
(٣) مناهل العرفان : ٦٣/١
(٤) الاتقان فى علوم القرآن : ٤٥/١ (للسيوطى) المكتبه الثقافيه

المطلب الثاني

أقسام الوحي

١- من الوحي كلام خفي يدرك بسرعة ، وهو مايلقيه الملك في روع[1] النبى صلى الله عليه وسلم وقلبه من غير أن يراه ، كما روى عن حذيفة قال : " قام النبى صلى الله عليه وسلم فدعا الناس ، فقال هلموا إلى ، فأقبلوا إليه ، فجلسوا فقال هذا رسول رب العالمين جبريل عليه السلام نفث في روعي ، أنه لا يموت نفس حتى تستكمل رزقها ، ولن أبطأ عليها ، فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله فإن الله لا ينال ماعنده إلا بطاعته) [2] وقال بعض المفسرين كالنووى [3] وأحمد الصاوى [4] ، إن قوله " إلا وحيا" يراد به الروءيا الصالحة في المنام ، لأن روءيا الأنبياء حق ، وذلك كما وقع لخليل الله إبراهيم عليه السلام حين أمر بذبح ولده في المنام ، ولرسول الله حين رأى أنه يدخل مكة ، فصدق الله روءياهما ، وكانت الروءيا الصادقة هي مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم ، وكان لا يرى روءيا الاجاءت مثل فلق الصبح [5] ، ووقعت له هذه الروءيا قبل مجيء الرسالة إليه ، لتكون مقدمة للرسالة ، وتمهيدا لنفسه ، وتقوية لإستعداده لتلقى الوحي الالهى الذى سيلقى إليه . ويشهد له ماروته عائشة رضى الله عنها قالت : أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الروءيا الصالحة في النوم ،

---

(١) الروع : بضم الراء ، وهو القلب والعقل ، ومعنى نفث في روعى ، في نفس وخلدى وبالى ، لسان العرب ١٣٧/٨ .

(٢) مجمع الزوائد ٤ / ٧١ كتاب البيوع ، باب الاقتصاد في طلب الرزق ، وقال الهيثمى : رواه البزار وفيه قدامه بن زائدة ، ولم اجد من ترجمة ، وبقية رجاله ثقات .

(٣) مراح لبيد ٢ / ٢٧٣

(٤) حاشية الصاوى .

(٥) انظر زاد المعاد : ١ / ١٨

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (١)، والرؤيا الصادقة ليست خاصة بالرسول ، فهي باقية للمؤمنين وإن لم تكن وحيا ، بدليل ما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم : يقول لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة " (٢)

يقول الامام الرافعي : إن القرآن الكريم ليس من بين هذا القبيل لأن جميع آياته نزلت يقظة ، خلافا من ادّعى نزول سورة الكوثر مناما لما روى أنس رضى الله عنه قال : " بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أظهرنا في المسجد إذ أغفي اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال : نزلت على آنفا سورة فقرأ " بسم الله الرحمن الرحيم ، إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ " (٣) وأورد الرافعي على من ادعى هذا القول بأمرين :

١- إن سورة الكوثر ربما خطرت له في النوم .
٢- أو عرض عليه الكوثر الذى وردت فيه السورة ، فقرأها عليهم وفسرها لهم ، وقال شيخ الاسلام البلقيني : إن كلام الامام الرافعي في غاية الاتجاه وهو الذى أميل إليه والتأويل الثاني أصح من الأول ، لأنّ قوله " نزلت على آنفا " يدفع كونها نزلت قبل ذلك وليس الإغفاء إغفاءة نوم ، بل الحالة التي كانت تعتريه عند الوحى . (٤)

---

(١) عمدة القارئ : ١ / ٤٦
(٢) صحيح البخارى ٩ / ٤٠ كتاب التعبير ، باب المبشرات .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٤ / ١١٢ كتاب الصلاة ، باب حجة من قال البسملة اية من كل سورة .
(٤) انظر كتاب سبيل الهدى والرشاد ٢ / ٣٥٤ (للامام محمد بن بن يوسف الصالحى) تحقيق (د. مصطفى عبد الواحد)

٢ - من الوحي نداء يسمع من وراء حجاب ، بلا واسطة ملك ، وهو ثابت لموسى عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١) ﴾ كما هو ثابت لنبينا صلى الله عليه وسلم في حديث الاسراء (٢) وليس في القرآن شيء من هذا القبيل ، وهذا النوع يسمى وحي سماع الكلام بلا واسطة (٣) ، والحجاب المذكور في السورة يرجع إلى الخلق دون الخالق، يقول الزمخشري إنّ معنى من (وراء حجاب) انه يسمع صوته من وراء حجاب ، ولا يرى شخصيته ، بلا كم ولا كيف، لأنّ الله عز وجل ليس كمثله شيء .

٣ - من الوحي ما ينزل به أمين الوحي جبريل عليه السلام، ويسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه بوضوح فيستقر في نفسه بيقين ، وذلك النوع هو أشهر الأنواع و أكثرها ، لأن آيات القرآن الكريم جميعها نزلت بهذه الصورة ، إذ تلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم من الملك جبريل عليه السلام مباشرة بلفظه وترتيبه ونزوله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخلو من حالتين:

١ - الحالة الأولى : - ينزل إليه خفية ، فلا يشاهده الحاضرون بل يظهر على الرسول أثر التغير والانفعال الذى يكون دليلا حسيا يراه الصحابة رضي الله عنهم بأنفسهم رأى العين ويعاينوه، مما يدل دلالة قطعية على حدوث أمر عظيم ، ليس كغيره من الأمور المعتادة ، ومن أثر هذا التغير منه صلى الله عليه وسلم ما يلي :-

---

(١) سورة النساء : آية (١٦٤) .
(٢) زاد المعاد ١٨/١ لابن قيم الجوزيه الطبعة الثالثه ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٣ م
(٣) عمدة القارئ : ١ / ٤٠ .

أ - إنّ جبينه صلى الله عليه وسلم يتفصد عرقا عند نزول الوحي حتى في اليوم الشديد البرد ، لقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : " لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم[1] عنه ، وإنّ جبينه ليتفصد عرقا . (٢)

ب - يحمر وجهه الكريم ، ويغط غطيط النائم ويشهد له ما رواه يعلى بن أمية أنّه كان يقول : " ليتني أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه الوحي ، فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة[3] ، عليه ثوب قد أظلّ عليه ومعه ناس من أصحابه إذ جاءه رجل متضمخ بطيب ، فقال يارسول الله كيف ترى في رجل أحرم في جبّة بعد ما تضمخ بطيب،فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءه الوحي فأشار عمر إلى يعلى أن تعال ، فجاء يعلى ، فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كما يغط البكر[4] كذلك ساعة ثم سرى عنه[5].

---

(١) يفصم : بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد ، معناه يقلع وينجلي النهاية ٣/٤٥٢ .

(٢) صحيح البخارى ١/٣ ، كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) الجعرانة : بكسر الجيم وسكون العين وفتح الراء والنون ، وهي موضع من مكة ، وفي الحل ، وميقات للاحرام . النهاية ١/٢٧٦ .

(٤) البكر: بفتح الباء وسكون الكاف والفتّى من الابل ،بمنزلة الغلام من الناس ، النهاية ١/١٤٩ .

(٥) صحيح البخارى ٦/٢٢٥ كتاب فضائل القرآن ،باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب .

صحيح البخارى ٣/٧ كتاب العمرة ، باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج .

جـ - يثقل بدنه حتى لا يحتمله البشر فقد ورد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : " أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى ، فكادت فخذه ترض[1] فخذى "[2] .

د - أن يأتيه مثل صلصلة الجرس ، وذلك أشد أنواعه ، أو كدوّى النحل ، والحاضرون عند النبي صلى الله عليه وسلم لا يفقهون كلاما ولا حديثا ، أما هو صلى الله عليه وسلم ، فيسمع ويفهم ويعى ما يوحى إليه ، ويعلم يقينا أنه وحي الله تعالى وإذا ذهب عنه الوحى وجد كل ما أوحى إليه قد نقش في قلبه وأثر فيه أعظم تأثير ، والحكمة في تقديم الصلصلة ، أن نزول الوحى أمر عظيم يجب التنبيه إليه والإهتمام به ، والأمر العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به وأمارات تدل عليه ، لذلك قدمت الصلصلة لتدل على مجيء أمين الوحى ، قال البلقينى وقع التشبيه بالجرس دون غيره من الآلات لأنه لا تحصل صلصلته إلا بتدارك ، ومن جهة القوة وقع التشبيه بينهما .[3]

---

(١) ترض : بضم التاء والضاد تدق وتكسرا ، والرض بمعنى الدق والكسر ، انظر لسان العرب ١٥٤/٧ ، والنهاية ٢٢٩/٢ .

(٢) أخرجه البخارى في الصلاة باب ما يذكر في الفخذ فتح البارى ٤٧٨/١ .

(٣) انظر سبل الهدى والرشاد ، ٣٥٧/٢ .

٢ - الحالة الثانية : ينزل إليه بصفات مختلفة كما يلي :-

أ - ينزل إليه في صورة رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر كما هو المشهور في حديث عمر بن الخطاب حين جاء جبريل عليه السلام يسأل عن الإسلام وعن الإيمان والإحسان .

ب - ينزل إليه في صورة دحية الكلبي ، وفي غير صورة دحية .

جـ - ينزل إليه في صورة الملكية ، وقد شاهده الرسول صلى الله عليه وسلم عيانا على هيئته التى خلقه الله عليها مرتين : مرة في الأرض عند تحنثه في غار حراء ، ومرة في السماء في ليلة الاسراء ، وهذه الحالات أشدّ من الحالات السابقة ، حيث يكون التناسب بين المتكلم والسامع ، ويأنس رسول النبوة إلى رسول الوحي ويطمئنّ إليه اطمئنان الإنسان لأخيه الإنسان ، وكلتا الحالتين مذكورتان في حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وفيه : (أنّ الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علىّ فيفصم عنّى[1] وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول)[2] " وعبر بالماضى

---

(١) يفصم : يقلع عن الوحي ، النهاية لابن الاثير : ٣/٤٥٢ .

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى : كتاب بدء الوحي حديث الحارث بن هشام ١/١٨ .

في قوله " وعيت " في الأول لأنه حصل قبل الفصم ، ولأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم قد تلبس بعض صفات الملائكة فإذا عاد إلى صفته الإنسانية وعى ما قيل له ، وعبر بالمضارع في الثاني لأنه حصل وقت المكالمة ، ولأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم على حالته البشرية لذلك وقع الاختلاف . (١)

.. ..

---

(١) انظر سبل الهدى والرشاد : ٢/٣٥٦-٣٥٧ .

المبادئ العقدية والاجتماعية في المبحث الثامن :

١- الوحي من أمر الله الذى شاءه وشرعه لخير عباده ، وجبريل هو الأمين على وحي الله بينه وبين رسله ، وكل ما وصل إلينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي يوحى ، فهو في موضع التقديس والاجلال فلا هوى ولا غرض ، ومهمة الوحي تقديم الدين ، وتقويم الدنيا .

٢- عند نزول الوحي قد تظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم حالة يعلم بها نزول الوحي ، وهي بعيدة عن الحالات المرضية كل البعد ، وفي اتباع وحي الله تكون الهداية ، وتتحقق سعادة الدنيا والآخرة .

٣- الوحي إعلام بشرع إلهي يثبت في القلب ويبينه الرسول للأمة ، ومنه كلام خفي ، ومنه نداء يسمع من وراء حجاب بلا واسطة ملك ، ومنه ما ينزل به جبريل على الرسول ولا يراه أحد ، وقد يراه الصحابة ، وقد ينزل على صورة رجل غير معروف أو على صورة رجل معروف كدحية بن خليفة الكلبى الصحابى الذى كان جميل الصورة حسن المنظر ، وذلك من أسباب اختيار نزول جبريل على صورته في بعض الأحيان وقد ينزل الملك على الصورة التى خلق عليها .

ويجب على الناس أفرادا وجماعات أن يؤمنوا بكل ما جاءهم عن طريق الوحى ، وهو من العقائد التى يلزم الإيمان بها وانكار الوحى او انكار ما جاء به الوحى زيغ وإلحاد وخروج عن الاسلام عقيدة ومنهجا .

. . . .

القسم الثاني

التفسير التحليلي للسورة الكريمة

قال تعالى : (حم عسق)

اختلف العلماء في المعنى المراد من هذه الحروف المقطعة في أوائل السورة اختلافا كثيرا ، وأكثر الآراء في هذا الصدد لا يرتاح اليه الضمير ، ولا يطمئن له الخاطر وسأذكر هنا بعض الآراء التى اخترتها من بين الآراء الكثيرة :

(١) قال بعض العلماء : انّ الحروف المقطعة هي مما استأثر الله بعلمه ، فيجب الايمان بها ، وقراءتها كما جاءت ، ولا يجوز الخوض فيها ، ويستدلون على هذا القول بما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه (للّه في كل كتاب سرّ ، وسرّه في القرآن أوائل السور) وما قاله على كرم الله وجهه (انّ لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي[١]) وهذا ما ذهب اليه الصحابة رضوان الله تعالى عنهم والتابعون كأبى بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعامر الشعبى وسفيان الثورى ، واختاره أبو حيان . [٢] .

٢- قال بعضهم : يجوز تفسيرها لنستفيد من معانيها .

واختلفوا في ذلك على أقوال عديدة :

١- قال بعضهم : انّ الكفار قد تواصوا فيما بينهم بالاعراض عن القرآن وعلى اللغو فيه ، فأنزل الله تعالى هذه الحروف في مفتتح كثير من السور ، لينشغل الكفار والمشركون بسماعها ، فينصرفوا عن القرآن ، واللغو فيه [٣] ، وقد ضعّف ابن كثير هذا الرأى ، ولو كان كذلك ، لكان

---

(١) الفخر الرازى ١ / ٣
(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٦ والبحر المحيط ١ / ٣٦
(٣) انظر تفسير الطبرى ١ / ٨٩

ذلك في جميع السورلأنّ أكثر أيات القرآن ، تدعو الكفار والمشركين إلى استماع القرآن وعدم إعراضهم عنه .

٢- قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : إنما هي أسماء السور فقط ، لأنّ المتبادر إلى فهم السامع ، من يقول مثلا قرأت (المص) يعنى سورة الأعراف ، لا مجموع القرآن كله .

٣- قال مجاهد : إنّما هي فواتح افتتح الله بها القرآن . (١)
وهذا الرأى مال إليه الأكثرون (٢) ، ويدل على ذلك ما روى أبو هريرة رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم : يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر (٣) (ألم تنزيل السجدة) (٤) و(هل أتى على الإنسان حين من الدهر) (٥) .

٤- قال ابن عباس : أقسم الله به ، وهو من أسمائه عز وجل . (٦)

٥- يقول الطبرى في تفسيره : الصواب عندى في تأويل مفاتح السور ، أنّ كل حرف من حروف المقطعة يدل على معان كثيرة ، لا معنى واحدا ، ويستدلّ على ذلك أنّ كلمة واحدة تطلق على معان كثيرة مثل كلمة (أمة) (٧) فإنّها تطلق ويراد بها الدين كقوله تعالى ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ (٨) وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا ﴾ (٩) ويطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى :

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١/٣٧
(٢) انظر اضواء البيان ٣/٣
(٣) صحيح البخارى ٢/١٥٩ كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ في صلاة الفجر وصحيح مسلم بشرح النووى ٦/١٦٨ كتاب الجمعة ، باب ما يقرأ في يوم الجمعة ، واللفظ للبخارى .
(٤) سورة السجدة : آية (١)
(٥) سورة الدهر : آية (١)
(٦) زاد المسير ٧/٢٠٦
(٧) انظر تفسير الطبرى ٢٥/٩٣
(٨) سورة الزخرف : آية (٢٢)
(٩) سورة النحل : آية (١٢٠)

﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾(١) وتطلق ويراد بها الحين من الزمان كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾(٢)

وابن كثير في هذا لا يقر ما ذهب إليه الطبرى في أنّ الحرف الواحد من الحروف المقطعة في أوائل السور ، يشترك في كلمات كثيرة ، ويقول أنّ اللغة العربية لا تساعد على ذلك ، لأنّها لا تستطيع أن تفضل كلمة فيها حرف الحاء على كلمة اخرى ، فيها نفس الحرف ، والفرق بين هذا الحرف والمعاني المتعددة بكلمة (أمة) فإنّ كلمة لها في المثال الواحد معنى واحد أمّا أن تأخذ حرف الهمزة أو العين والحاء وغيره ، وتجعله مشتركا في أسماء كثيرة فلا تملك أن تفضل كلمة على أخرى كأن تأخذ الحرف من (ألم) وتنصبه على كلمات كثيرة ، وهذا الذى ذهبت إليه يحتاج إلى توقيف ، ولن نجد هذا التوقيف ، ثم قال ابن كثير (إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور ، بيانا لإعجاز القرآن ، وعظمته ، بمعنى أن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التى يتخاطبون بها ، وهذا معلوم بالاستقراء والواقع في تسع وعشرين سورة) . (٣)

٧ ـ يقول الشوكانى فى تفسيره(٤) : الأقوال التى ذكرها العلماء عبارة عن اجتهاداتهم ، ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الفواتح شىء للتمسك به ولا أعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فى شىء من معانيها ، بل غاية ما ثبت عنه هو مجرد عدد حروفها كما روى ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ حرفا من كتاب الله ، فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف) . (٥)

---

(١) سورة القصص : آية (٢٣)
(٢) سورة يوسف : آية (٤٥)
(٣) تفسير القرآن العظيم : ٣٨/١
(٤) انظر فتح القدير ٣٢/١
(٥) سنن الترمزى ٣٤٨/٤ أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء فى من قرأ حرفا من القرآن ، ماله من الأجر ، وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

٨ـ يقول الشيخ مصطفي المراغي في تفسيره : (إنّ الحروف المقطعة التي جاءت في أوائل السور إنّما ذكرت (للتنبيه) نحو ألا ونحوهما ، يؤتي بها لإيقاع للسامع ، وتنبيهه إلى ما سيلقى إليه من الأمور العظيمة المشتملة عليها هذه السورة) (١)

وهذا ما ذهب إليه بعض المحققين من علماء الحديث كشيخ الاسلام ابن تيمية والحافظ المزى وعلماء اللغة كالفراء وقطرب وغيرهم ويؤيد هذا الرأى الشيخ رشيد رضا في تفسيره حيث يقول : إنّ عدم إعرابها يرجّح أنّ حكمة افتتاح بعض السور المخصوصة بها (للتنبيه) لما يأتي بعدها مباشرة من وصف القرآن ، والإشارة إلى اعجازه لأنّ المكي منها كان يتلى على المشركين والكفار للدّعوة إلى الاسلام. (٢)

بعد ما ذكرت بعض آراء المفسرين أرجح الرأى الذى يقول إنّ هذه الحروف انما ذكرت في أوائل السور للتحدى والإعجاز، ولإقامة الحجة على الذين قالوا إنّ القرآن من كلام البشر ، فكأنّه عز وجل يقول: هذه الحروف التى انتظم منها القرآن ، هي الحروف التى تنظمون منها

---

(١) تفسير المراغي ٢٥ / ١٣
(٢) انظر تفسير المنار ١ /١٠٣

كلامكم ، فلماذا عجزتم عن الاتيان بمثله؟ وذلك دال على أنه ليس من كـــلام البشر ، وهذا الرأى ذهب إليه جمع من المحقّقين . (١)

روايتان في تفسير حم عسـق
وقول العلماء في هاتين الروايتيـــن

الرواية الأولى : أخرجها الطبرى بسنده عن أرطأة بن المنذر قال :
جاء رجل إلى ابن عباس وعنده حذيفة بن اليمان فقال: أخبرني عن تفسيـــر (حم عسق) فأعرض عنه ثم كرر مقالته ، فأعرض عنه ، وكرّر مقالته ثم كـــرّر الثالثة ، فلم يجبه ، فقال له حذيفة أنا أنبئك بها وقد عرفت لم كرهـهـــا نزلت في رجل من أهل بيته ، يقال له عبدالاله أو عبدالله ، ينزل علـــى نهر من أنهار المشرق ، يبنى مدينتين ، يشق النهر ، بينهما شقـــا يجتمع فيهما كل جبّار عنيد ، فإذا أذن الله في زوال ملكهم ، وانقطـــاع دولتهم ، ومدّتهم بعث الله على أحدهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمـــة ، قد احترقت كأنّها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتـــت؟ فما هو إلاّ بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبّار عنيد منهم ثم يخســف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله (حم عسق) يعنى عزيمة من اللـــه ، وفتنة وقضاء (حم عين) يعنى عدلا منه (سين) يعنى سيكون (ق) يعني واقع بهاتين المدينتين . (٢)

هذه الرواية أخرجها ايضا ابن أبى حاتم عن أرطأة بن المنـــذر
الرواية الثانية أخرجها أبو يعلى وابن عساكر(٣) عن معاوية رضى الله عنـــه

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٨ وفتح البيان ١ / ٥٤
(٢) تفسير الطبرى ٢٥ / ٦،٥
(٣) انظر فتح القدير ٤ / ٥٢٤ وفتح البيان ٨ / ٣٥٠

قال: صعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه المنبر فقال (أيها الناس هل سمع أحد منكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر (حم عسق) فوثب ابن عباس رضي الله عنهما فقال أنا قال: حم اسم من أسماء الله تعالى ، فقال فعين قال عاين المولود عذاب يوم بدر قال فسين .
قال " سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، " قال فقاف فسكت فقام أبو ذرّ ففسر كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال: قاف قارعة ، من السماء تغشى الناس . (١)

-١ قال ابن كثير (في الحديث الأول إنّه غريب ، عجيب ، منكر ، وفي الحديث الثاني إنه أغرب من الحديث الأول) (٢)
-٢ قال السيوطي : في الحديث الثاني إنّه بسند ضعيف .
-٣ قال الشوكاني وصديق خان في تفسيرهما (٣) إنّ سندهما ومتنهما مكذوبان وضعهما أعداء الاسلام لحطّ شأن المسلمين والازراء عليهم .

قرأ ابن مسعود ، وابن عباس (حم عسق) بغير عين (٤)
وهذه القراءة شاذة) (٥)

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ١٠٦
(٢) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠٥-١٠٦
(٣) انظر فتح القدير ٤ / ٥٢٤ وفتح البيان ٨ / ٣٥٠
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١
(٥) مجمع البيان ٢٥ / ٣٦

قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ﴾
فيها عدة أقوال منها :

١- إشارة إلى هذه السورة أى كذلك نوحى إليك (حم عسق) كما أوحينا إلى الذين من قبلك من الأنبياء والمرسلين قاله أبو صالح عن ابن عباس . (١)

٢- (إشارة إلى أخبار الغيب ،أى كذلك نوحى إليك أخبار الغيب كما أوحينا إلى من قبلك قاله عطاء عن ابن عباس أيضا ، وذلك أن أمور الغيب لا يعلمها إلا الله عز وجل والنبى صلى الله عليه وسلم يعلمها عن طريق ربه تبارك وتعالى

٣- إشارة إلى العذاب ،أى كذلك نوحى إليك العذاب الذى سينزل إلى من كذبك ولم يؤمن بك كما أوحينا إلى من قبلك قاله مقاتل) (٢)

٤- إشارة إلى ما تضمنه القرآن ، من أوامر ونواه ،أى كذلك نوحي اليك جميع ما في القرآن ،كما أوحينا إلى من قبلك. (٣)

٥- إشارة إلى ما تضمنته هذه السورة من المعانى أى كذلك نوحي إليك

كل ما في هذه السورة كما أوحينا إلى غيرك من الأنبياء. (٤)
(المعنى :إنّ الله كرر هذه المعاني في القرآن ، في جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده) (٥)

---

(١) انظر زاد المسير ٧/ ٢٧٢
(٢) تفسير الخازن ٤/ ٩٠ وتفسير التبيان ٢٥/ ١٣٩
(٣) انظر كتاب التسهيل ٤/٢٩ (لابن جزى الكلبى) دار الكتب الحديثة تحقيق (محمد عبد المنعم يونس) ، و (ابراهيم عطوة عوض)
(٤) انظر تفسير ابى السعود ٨/ ٢١.
(٥) تفسير الخازن ٤/ ٩٠

٦- الإشارة إلى الوحي ، أى كذلك نوحي إليك الوحي ، كما أوحيناه إلى من قبلك .
٧- المقصود بهذه المماثلة أصول الدين أى كذلك نوحي إليك ، أصول الدين كما أوحينا إلى من قبلك . (١)

والرأى الراجح عندى ، هو الرأى الأخير ، وذلك أن الله عز وجل أوحى إلى جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام أصول الأديان ، وأهم هذه الأصول عبادة الله عز وجل ، وحده لا شريك له ، والايمان بكل ماجاء عنه .
وعبر بالمضارع في قوله (يوحى) مع أن الوحي إلى من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ماض ، لأنه قصد بذلك كون الوحي سنة الله عز وجل . (٢) ولفظ المضارع يدل على الاستمرار والتجدد ، والوحى لم ينقطع نزوله منذ أيام آدم عليه السلام إلى أيام آخر الرسل والأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم . (٣)

---

(١) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٢٠ للنيسابورى مطبعة مصطفى البابى الحلبى
(٢) المصدر السابق ؛ ٢٥ / ١٩
(٣) انظر فتح الرحمن بكشف مايتلبس في القرآن ص ٥٠٨ (لابى يحيى زكريا الانصارى دار القرآن الكريم تحقيق محمد على الصابونى .

اختلفوا في كسر الحاء وفتحها من (يوحى)

١- قرأ ابن كثير بفتح الحاء[1] (يوحى) مبنيا للمفعول ، على أن (كذلك) مبتدأ ، ويوحى خبره و(إليك) نائب فاعل ، ولفظ الجلالة فاعل بفعل مقدر كأنه قيل : من يوحى ؟ قيل : الله[2] ، وهذه القراءة ذهب إليها مجاهد وابن محيصن[3] وأبو عمرو[4] ،

والمعنى على هذه القراءة كذلك يوحى اليك يا محمد مثل ما يوحى إلى الأنبياء قبلك .

٢- قرأ أكثر القرّاء والجمهور بكسر الحاء[5] (يوحى) مبنيا للفاعل وهو (الله) و (إليك) متعلق بيوحى .

٣- قرأ أبو حيوة والأعمش وأبان بنون العظمة مع كسر الحاء (نوحي) ويكون المعنى نوحى إليك هذا ، وهذه القراءة شاذة[6]

ولما ذكر أنّ الكتاب حصل بالوحي ، بين أن الموحى هو الله عز وجل فقال : مبينا عزته وحكمته (الله العزيز الحكيم) أى العزيز في انتقامه من أعدائه الغالب بقهره ، الحكيم في أفعاله وأقواله وفي تدبير خلقه، وهو القوى القادر ، الحكيم الذى يوحى لمن يشاء وفق حكمته وتدبيره .[7]

ولما أخبر عز وجل أنّه هو الذى يأمر بإنزال الوحي على أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، علل ذلك بأنه هو صاحب الملك ، التام

---

(١) تحبير التيسير ص ١٧٣ (لابن الجزرى الطبعة الاولى)
(٢) المهذب في القراءات العشر ٢ / ٢٣٢ .
(٣) انظر فتح القدير ٤ / ٥٢٥
(٤) روح المعاني ٢٥ / ١١
(٥) انظر الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٥٠ لمكى بن أبى طالب مطبوعات مجمع اللغه العربيه بدمشق تحقيق د / محى الدين رمضان
(٦) انظر تفسير البيان ٢٥/ ١٣٩
(٧) انظر تفسير الطبري ٢٥/ ٦

العام والمتصرف المطلق [١] فقال مبينا ذلك (لَهُ مَا فِي السَّمَوٰتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) أى أن جميع ما في السموات وما في الأرض تحت ملكه وتصرفه ، يخضع له كل ما فيهما ويتصرّف فيهما كيف يشاء ، ومنها أفعال العباد ، لأنّها موجودة فيهما ، وليس المراد من كونها لله أنها مفعولة لأجله ولطاعته ، لأن بعضها بل أكثرها خلق لغرض الشهوة واللذة وغيرهما ، لا لغرض طاعته وعبادته ، وإنما المراد تكوينها وتخليقها لله تعالى [٢] والناس يظنون أنهم يملكون الأشياء التى بين أيديهم لمجرد أنهم يتصرّفون فيها ، ويستخدمونها كما يشاءون ، وهم في الحقيقة يخدعون بهذا الظن ، لأن الذى يملك هذه الأشياء ملكا تاما وحقيقيا هو الله عز وجل ، الذى يحيى ويميت ، ويعطى من يشاء ويحرم من يشاء ويذهب بما في أيديهم من أشياء ، ثم يضع في أيديهم بدلا من هذه الأشياء التى أذهبها أشياء أحسن وأفضل من الأولى ، أو بالعكس[٣] .

والمؤمنون يعتقدون أنّ هذه التى يملكونها مجرد أمانة ائتمنهم الله عليها ، ثم يأخذها صاحبها في وقت ما يشاء ، وإنما عبر بكلمة (ما) لأمرين :

١- للتغليب .

٢- أو لإيذان بأنّ العقلاء وغير العقلاء ، بالنسبة إلى عظمة الله عز وجل سواء [٤] ، وتدل الآية على كمال قدرته ونفوذ تصرفه في جميع مخلوقاته [٥] ، وإنّ الجميع عبيد له ، وملك له ، تحت قهره وتصرفه [٦] ، ليس هو الملك فحسب ولكنه

---

(١) انظر نظم الدرر ١٧ / ٢٤١
(٢) انظر الفخر الرازى ٢٠ / ٤٩
(٣) انظر ظلال القرآن ٥ / ٣١٤٠
(٤) روح المعانى ٤ / ٢٤
(٥) فتح القدير ٤ / ٥٢٦
(٦) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠٦

ملك العلو والعظمة على وجه التفرد ، لهذا قال[١] (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) اى الذى يعلو بسلطانه على كل سلطان الذى تدل لعظمته كل عظمة ، وكل عظيم[٢] ولما ذكر أنّ كل ما في السموات والأرض تحت ملكه وتدبيره ، بيّن عظمته وكبريائه فقال (تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ) .

(اختلف العلماء في سبب تصدعها وتشققها)

١- ذهب ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى[٣] وكثير من المفسرين[٤] كالفخر الرازى[٥] وصديق خان[٦] في تفسيرهما وغيرهما إلى أنّ السموات تكاد تتفطّر من عظمة الله وهيبته وجلاله وعلو شأنه ويدل عليه مجيئه بعد قوله[٧] (العلى العظيم) .

٢- قيل تكاد السموات تتفطّر من الكفر والشرك بالله من أهل الأرض[٨] ويدل عليه قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾[٩]

٣- قيل : يتشققن لكثرة وجود الملائكة عليها[١٠] ، ويدل عليه ماروى أبو ذرّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أطّت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها

---

(١) ظلال القرآن ٥/٣١٤٠
(٢) تفسير القرآن للقرآن ٣٥ / ١٨ (عبد الكريم الخطيب) دار الفكر العربى
(٣) انظر تفسير الطبرى ٢٥ /٧
(٤) انظر تفسير التبيان ٢٥ /١٤٢
(٥) انظر تفسير الفخر الرازى ٢٥ / ١٤٧
(٦) انظر فتح البيان ٨ /٣٥٢
(٧) انظر تفسير النسفى ٣ /١٠٠
(٨) انظر تفسير الخازن ٦ /١١٦
(٩) سورة مريم : آية (٨٨-٨٩-٩٠)
(١٠) انظر تفسير النسفي ٣ / ١٠٠ وفتح البيان ٨ / ٣٥١

موضع أربع أصابع الا وملك واضح جبهته لله ساجدا) [1] والرأى الأول هو الصواب [2] .

وليس المراد أن السموات تفعل شيئا أو تنكر شيئا ، وانما المراد أن السموات لو انشقت لمعصيته عز وجل لتفطرت استعظاما بكفر من كفر بالله ، وهذا على وجه التمثيل فقط . [3]

ووجه تخصيص ذكر جهة الفوق لأسباب منها :

١- لأن السموات فيها الآيات العظيمة كالعرش والكرسي . وغيرهما مما لا يعلم كنهه إلا الله عز وجل [4]

٢- لمبالغة عظيم هيبته وجلاله عز وجل . [5]

٣- لشناعة كلمة الكفر ، فإذا كانت السماء تتفطر من جهة الفوق فذلك يدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الأولى . [6]

٤- لما يترتب عليه من البلايا العظيمة ومن شدة الفظاعة والتمويل . [7]

---

(١) سنن الترمذى ٣/٣٨١ ابواب الزهد ، باب ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ، قال الترمذى ، هذا حديث حسن غريب ، ورواه الحاكم في المستدرك جزء ٤ ص ٥٧٩ كتاب الاهوال وقال : هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبى واللفظ للترمذى

(٢) انظر الفخر الرازى ٢٧/١٤٥

(٣) تفسير التبيان ٢٥/١٤٢ الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ

(٤) انظر جامع البيان ٢/٢٥٣

(٥) انظر حاشية الصاوى ٤/٣٢

(٦) حاشية الشهاب ٧/٤٠٩ (أحمد محمد الشهاب) دار صادر بيروت

(٧) انظر غرائب القرآن ٢٥/٢٠ ونظم الدرر ١٧/٢٤٣

وقد اختلفوا في الضمير في قوله ﴿ من فوقهن ﴾

١- فمنهم من قال : الضمير يعود الى جماعات الكفار أي من فوق الكفار وهو رأي بعيد الاحتمال (١) قاله على بن سليمان الأخفش الصغير. (٢)

٢- ومنهم من قال : الضمير يعود الى الأرض ، فإنها في معنى الأرضين لتقدم ذكر الأرض ، وهذا رأي بعيد الاحتمال (٣) .

٣- ومنهم من قال : الضمير يعود الى السموات، أي يتشققن من أعلاهن ، وهذا هو الرأي الظاهر. (٤)

وكلمة (من) تدل على ابتداء الغاية ، أي يبتدئ التفطر من جهة الفوق (٥) ولما أنّ الجسمانيات وأعظمها السموات يتصدع من هيبة وعظمة الله تبارك وتعالى بيّن أن الروحانيات وأعظمها الملائكة تنزه الله عن كل مالا يليق به من الصفات (٦)

فقال ﴿ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾

اختلف العلماء في قوله تعالى ﴿ الملائكة ﴾

١- قال مقاتل : يراد به الخصوص ، وهم حملة العرش .

٢- يراد به العموم أي جميع الملائكة ، وهو الرأي الظاهر (٧)

---

(١) انظر فتح البيان ٨ / ٣٠٢

(٢) انظر تفسير السراج المنير ٣ / ٤٢٧

(٣) انظر تفسير أبي السعود ٨ / ٢٢ وحاشية الشهاب ٧ / ١١٠

(٤) كتاب التسهيل ٤ / ٣٠

(٥) انظر فتح البيان ٨ / ٣٥٢

(٦) انظر الفخر الرازي ٢٥ / ١٤٥

(٧) انظر روح المعاني ٢٥ / ١٢

واختلفوا أيضا في معنى قوله ﴿ يسبّحون ﴾

١- التنزيه بمعنى ينزهونه عمّا لا يليق به .

٢- الخضوع بمعنى يخضعون لله لما يرون من عظمته ، وهو ما ذهب إليه ابن عباس (١)

٣- قيل : قولهم سبحان الله .

٤- قيل : معناه يصلّون بأمر ربهم . (٢)

٥- قيل : معناه التّعجّب أى يتعجبون من جرأة المشركين .

بدليل قول على رضي الله عنه (إنّ تسبيحهم تعجب مما يرون من تعرض البشر لسخط الله) (٣)

وأميل إلى الرأى الأول والثاني لأنهم يخضعون لله عز وجل تمام الخضوع ويطيعونه لما يرون من عظمته وينزهونه عن كل مالا يليق به ، من كفر وشرك ، وعن صفات النقصان ، وجميع الصفات التى يتصف بها المخلوق ، وعن صفات الحدوث أيضا .

أما الآراء الأخرى فهي داخلة في هذين الرأيين ، لأن التهليل وقولهم سبحان الله وصلاتهم بإذن ربهم ، كل ذلك داخل في الخضوع والطاعة ، والتعجب داخل في التنزيه ، والملائكة هم أهل طاعة مطلقة ، لأنّهم جبلوا على هذه الصفة ، ومع ذلك هم دائبون في تسبيح ربهم ، استشعارا لعلوّه وعظمته ، وخوفا من التقصير في طاعته وحمده ، واستنكارا لآية معصية تقع في ملكه ، بينما أهل الأرض الذين فيهم الخير والشر فمنهم من ينكر وجوده ، وينحرفون مع أنهم محتاجون إلى الطاعة والاستغفار

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٤

(٢) البحر المحيط ٥٠٨/٧ الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م بيروت الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض .

(٣) انظر الجامع لاحكام القرآن ٤/١٦

أكثر من غيرهم . (١)

وهنا سؤال ماعلاقة هذه الآية بالآية السابقة ؟

والجواب من وجهين :

١- إمّا أن يكون تسبيحهم تعظيما له عز وجل إن فسّرنا تفطر السموات لعظمته عز وجل وعلوّ شأنه .

٢- إما أن يكون تسبيحهم تنزيها لله تعالى عن كفرهم وشركهم وأقوالهم القبيحة إن فسّرنا تفطرها بكفر بعض بنى آدم. (٢)

وقدّم التسبيح على التحميد في هذه الآية ، لأنّ التسبيح عبارة عن كونه منزها عمّا لا يليق به، والتحميد عبارة عن كونه مفيضا لكل الخيرات ، والتنزيه يقدم على إفاضة النعم ، لهذا قدّم التسبيح على التحميد (٣) ، وضمير الجمع في قوله (يسبّحون) (إشارة إلى قوة التسبيح وكثرة المسبّحين) (٤)

ولما أنّ الملائكة يعبدون الله عز وجل بكل أنواع العبادة من التنزيه والتسبيح ، والتحميد ، بين أنّهم يطلبون المغفرة لأهل الأرض من المؤمنين - من شدّة تقصيرهم في الطاعة والعبادة ، لما يرون أن الاستغفار هو الأقرب الطريق إلى نيل رضاه عز وجل (٥) فقال ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾

---

(١) انظر ظلال القرآن ٤ / ٣١٤١

(٢) انظر كتاب التسهيل ٤ / ٣٠

(٣) انظر الفخر الرازى ٣٥ / ٣٤٨

(٤) السراج المنير ٣ / ٤٢٨ (للخطيب الشربينى) بالمطبعة الخيرية

(٥) انظر نظم الدرر ١٧ / ٢٤٤ - ٢٤٥

واختلفوا أيضا في معنى الاستغفار في هذه الآية على أقوال :

١- قيل : الاستغفار عام يشمل المؤمنين والكافرين، أما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم ، وأما في حق الكافرين فبطلب الهداية والايمان لهم (١)

٢- قال قتادة والسدى : الاستغفار هنا خاص بالمؤمنين وحدهم ، لأنه عموم يراد به الخصوص ، بدليل قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (٢)

أما الكفار فإنهم لا يستحقون الغفران لعدم انتفاعهم بالاستغفار بدليل قوله تعالى ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٣) وهذا الرأى هو الصواب (٤) لعدة أسباب :

١- لأنّ الدليل الموجب يصرفه عن العموم الى التخصيص .

٢- لأنّ في الكلام قيدا محذوفا تقديره (لمن في الأرض من المؤمنين) قاله ابو الحسين بن المنادى (٥) .

٣- القول الثالث : الاستغفار هنا بمعنى الشفاعة ، وهذا الرأى مجازى ، وبعيد عن الصواب ، لأنّ الاستغفار يكون في طلب المغفرة ، والشفاعة تكون في طلب قبول الرجاء ، وهي عامة ، قد تكون في الاستغفار وقد تكون في رفع

---

(١) انظر تفسير الخازن ٤ / ٩٠

(٢) سورة غافر : آية (٧)

(٣) سورة التوبة : آية (٨٠)

(٤) انظر زاد المسير ٤ / ٢٧٣

(٥) انظر نواسخ القرآن ، ص ٤٤٧ لابن الجوزى الطبعة الاولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

الدرجات فشتان بين هذا وهذه .

٤- القول الرابع بمعنى طلب الرزق ودفع البلاء عن الناس ، وهو ما ذهب إليه سليمان بن عمر العجيلي (١) ، واحتج على ذلك بعموم قوله تعالى ﴿ لمن في الأرض ﴾ لأنه يشمل المؤمنين والكافرين ، وهذا القول غير صحيح ، لأنّ الاستغفار معناه طلب المغفرة ، والرزق يأتي ثمرة للاستغفار ، كما يأتي بدون استغفار تفضّلا من الله على سائر الناس ، ودفع البلاء عنهم بيد الله وحده .

٥- القول الخامس : الاستغفار يكون للجماد وللحيوان ، وهو ما ذهب إليه الألوسي (٢) وهو قول مخالف لظاهر النص ، لأنّ الاستغفار لا يكون للجماد كما أنه لا يكون للحيوان ، ولا يقال شرعا أنّ كلاّ من الجماد والحيوان قد عصى الله حتى يستغفر لهما .

وزعم قوم منهم وهب ابن منبه والسدى ومقاتل بن سليمان وغيرهم أن هذه الآيةُ منسوخة بقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٣) وهذا قول غير صحيح لأن النسخ يكون في الأحكام ولا يكون في الأخبار ، وهاتان الأيتان خبر ، قاله المهدوى (٤) أقول : إنّ النسخ لا يكون إلا في حالة التعارض ، وعدم امكان الجمع بين الآيتين وهاتان الآيتان

---

(١) انظر الفتوحات الالهية ٤ / ٢٥

(٢) انظر روح المعانى ٢٥ / ٦٢

(٣) آية : (٥)

(٤) انظر الفتوحات الالهية ٤ / ٢٥ ، ونواسخ القرآن ص ٤٤١

يمكن الجمع بينهما ، بأن تكون الآية الأولى ، وهي قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ مخصوصة بالآية الثانية وهي قوله ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بمعنى أن يكون المراد بهم الذين آمنوا ، فالآية الأولى من قبيل العام المخصوص، وعلى ذلك فلا نسخ ما دام الجمع ممكنا ، وقد دلت الآية على أن الملائكة معصومون عن الأخطاء والذنوب ، ولما أن الملائكة يطلبون الاستغفار لأهل الأرض ، بيّن أنّ الله عز وجل هو صاحب المغفرة والرحمة لعباده ، التى لولا مغفرته ورحمته لعاجلهم بالعقوبة المستأصلة فقال ﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وقد دلّ على أن الملائكة وإن كانوا يستغفرون لمن في الأرض ، إلا أنّ المغفرة المطلقة والرحمة المطلقة بيده سبحانه وتعالى وحده ، ويؤكد ذلك مايلي :

١- أنّ الله عز وجل أذن للملائكة في طلب تلك المغفرة للبشر ، وإلّا لما أقدموا على ذلك الطلب .

٢- أنّ الملائكة عجبوا من خلق البشر بقولهم ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (١) وذلك لأنّ حكمة الخلق كانت خافية عنهم ، ثم بعد علمهم بحكمة خلقهم صاروا يستغفرون لهم ، لأنّهم لو كانوا مخطئين لاستغفروا لأنفسهم قبل استغفارهم لغيرهم - أهل الأرض - وتدل هذه الآية على أن الملائكة أفضل من الأنبياء ، باستغفار لهم . (٢)

(من الناس من يقول : إن استغفارهم للبشر اعتذار منهم على ما طعنوا في خلقهم بقولهم (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) الخ وقال بعض العلماء :

---

(١) سورة البقرة : آية (٣٠)

(٢) انظر الفخر الرازى ٢٥ / ١٤٧

لا طريق إلى القطع بأنّ الأنبياء أفضل من الملائكة أو العكس، لأنّ طريق ذلك خبر الله ورسوله ، أو اجماع الأمة ، وليس هاهنا شيء من ذلك) (١)

٣- حرف الاستفتاح الذى هو (ألا) وحرف التوكيد الذى هو (إنّ) فهما يدلّان على أن المغفرة والرحمة المطلقة لله وحده . (٢)

وفي وصفه تعالى بهذه الأسماء العظيمة بعد أن ذكر أنّه ينزل الوحي إلى جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام تدل على أنّ هذا الكتاب أعنى (القرآن الكريم) فيه الأدلة القاطعة والبراهين والايات العظيمة على أنّ صفات الكمال لله تعالى وحده ، وأن جميع أنواع العبادة الباطنة والظاهرة له عز وجل (٣)

ولما أن الله عز وجل غفور رحيم، وكان التقدير فالذين تولّوه وماتوا في ولايته فهو يغفر ذنوبهم، عطف عليه قوله (﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾) أى أنّ هؤلاء الذين جعلوا لله أندادا وشركاء يعبدونها ، فقد يعاقبهم على مااتخذوا عقابا شديدا يتناسب مع كل عمل عملوا ، ولما كان مافعلوه ذنب عظيم ، أخبر سبحانه وتعالى أنه لا يغفل عنهم طرفة عين ، معبرا عنه باسمه الصريح ليدل على وضوح ضلالهم وعظم تهديدهم ، وعدم إلحاق الفاء على اسمه ، لئلاّ يتوهم أن الحفظ مسبب عن الاتخاذ المذكور(٤) ثم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/١٨٩ - ٢٩٠
(٢) انظر أضواء البيان ٧/١٥٥
(٣) انظر تيسير الكريم الرحمن ٧/٩٤ للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى للبقاعى) الطبعة الاولى مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيــة .
(٤) انظر نظم الدرر ١٧/٢٤٧

بيّن وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال (اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)(أى الله حفيظ ورقيب و شهيد على أعمالهم وأحوالهم وقلوبهم ، ويحصيها ويعدّها عدًّا ، وأنت يا محمد ما عليك إلا البلاغ ، وعلينا الحساب والجزاء ، فلا تحزن عليهم،لأنك لست بموكل عليهم ، تهدى من تشاء هدايته منهم ، وإنما أنت نذير فحسب فقد بلغت ونصحت ، والله هو الوكيل عليهم يتولى أمرهم ، يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، فهذه الآية توبيخ للكفار وتسلية له صلى الله عليه وسلم)(1) . وأولياء الكفار والمشركين الذين اتخذوهم وعبدوهم من دون الله نوعان :

١- النوع الأول : الشياطين ، ومعنى عبادتهم للشيطان طاعتهم له ، فيما يزيّن لهم ، من الكفر والمعاصى ، فشركهم به شرك طاعة كقوله تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)(٢) .

٢- النوع الثاني : هو الأوثان والأصنام كما في قوله تعالى (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)(٣) وجعلوا أنّ أى شيء يعتمد عليه الإنسان في بعض شئونه ، أو يعتقد أنّ هذا الشيء يستطيع حمايته ، ومساعدته ، بدون أن يستمد هذه الحماية والنصرة من الله عز وجل ، ويعتقد أنّ قوته من تلقاء نفسه دون الله ، فهو في هذه الحالة صار مشركا ومتخذا أولياء غير الله ، قال القرطبى في تفسيره(٤) أنّ هذه

---

(١) حاشية الصاوى ٤ / ٣٢
(٢) سورة يس : آية (٦٠)
(٣) سورة الزمر : آية (٣)
(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٦

الآية (وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) منسوخة بآية السيف وهي قوله تعالى ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ (١) الآية وابن حجر رحمه الله يرى أن آية السيف (٢) قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ (٣) والصواب انها ليست منسوخة كغيرها من الآيات كما ذكرت سابقا . (٤)

ولما ذكر في مطلع السورة أن الله عز وجل أنزل الوحي على جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وذكر آنفا أنه كما أوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم أنه ليس بالحفيظ ، ولا بالوكيل على الناس أوحي إليه القرآن الكريم الذى فيه الهداية والخير والصلاح فقال : (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) وللآية معنيان :

١- أنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن بلغة قومك - لغة العرب - لأنا لا نرسل رسولا إلا بلسان قومه ، حتى يفهموا ما فيه من الحجج والبراهين والأدلة، وأن لا تكون حجة على الرسل ، بعد ذلك . (٥)

٢- كما أوحينا إليك وإلى الذين من قبلك هذه المعاني فكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا بلغة العرب . (٦)

ولما أن من الغرض من إنزال القرآن الكريم الانذار بعذاب أليم لمن يكفر بالله ورسوله ، قال مبينا لذلك ﴿ لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾

---

(١) التوبة : آية (٥)
(٢) روح المعاني : ١٠/ ٥٠
(٣) سورة التوبة : آية (٣٦)
(٤) في ص: ٣٣٤، ٣٣٥
(٥) انظر تفسير الطبرى ٢٥/ ٨
(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٦

أى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل الى الثقلين ، ينذرهم يعاقب الله وغضبه ، ويوم القيامة وأهوالها ، والنار ومافيها من ألوان العذاب والإنذار بيوم القيامة أكثر ذكرا في القرآن الكريم ، والمراد بأم القرى مكة المكرمة ،والمراد في هذه الآية أهلها ، وسميت بتلك لعدة أسباب منها :

١- لأنّها أول بلد خلقها الله عز وجل ،وهذا قريب من قول ابن قتيبة (١)

٢- قيل : سمّيت بذلك ، لما روى أنه دحيت الأرض من تحتها قاله الراغب (٢)

٣- لأنّها قبلة المسلمين في صلاتهم وحجّهم .

٤- سميت بذلك لشرفها ولعظيم شأنها لأنّ فيها الكعبة المشرفة ومقام إبراهيم عليه السلام . (٣)

٥- (لأنّها أشرف البقاع على وجه الأرض) (٤) بدليل ما روى الترمذى بسنده عن أبى سلمة عن عبدالله بن عدى بن حمراء قال (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على الحزورة (٥) ، فقال : والله إنّك لخير أرض الله ، وأحبّ أرض الله الى الله ، ولولا أنّى أخرجت منك ما خرجت) (٦)

وقد اختلفوا في المراد بقوله (ومن حولها) كما يلي :

---

(١) حاشية الصاوى ٤ / ٣٢

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٤

(٣) انظر مختصر لوامع الانوار ص ٤٦٧

(٤) تفسير النسفي ٣ / ١٠٠

(٥) الحزورة : بفتح الحاء وسكون الزاى وفتح الواو ثم راء على وزن قسوة ، موضع بمكة يلي البيت الحرام ،وكان سوقا لها .
قال الدارقطني : من شدد الواو فقد صحف،إنّما هو بالتخفيف
معجم مااستعجم للبكرى ١ / ٤٤٤

(٦) رواه الحاكم في المستدرك ٣ / ٧ كتاب الهجرة ، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي =

١- (يراد به العرب)(١) وخصّهم بالذكر ، لأنّ السورة مكية ، وهم أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢- خصّهم بالإنذار لدفع من يتوهم أنّ أهل مكة يطمعون في شفاعته ، صلى الله عليه وسلم بحق القرابة والجوار .(٢)

٣- ذهب البغوى ، والقشيرى (٣) ، إلى أنّ من حولها شامل لجميع أهل الأرض ، وهذا ما اختاره ابن كثير(٤) والشيخ أحمد الصاوى(٥) في تفسيرهما ، وهو الرأى الصواب ، وإن كان ظاهر اللفظ يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم أرسل إلى مكة المكرمة والقرى المجاورة لها وحدهم ، ويدل على ذلك دليلان :

(١) تقييده بالعرب لا ينافى عموم رسالته صلى الله عليه وسلم لأن تخصيص الشيء بالذكر ، لا ينافى عموم الحكم لما عداه (٦)

(٢) قد ثبت بالتواتر أنّ الإنذار لجميع الثقلين ، وأنه رسول إلى العالمين ، جميعا ، يقول عز وجل (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) (٧)

= ورواه الترمذى في سننه ٥ / ٣٨٠ أبواب المناقب ، باب فضل مكة ، وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح واللفظ للترمذى .

(١) تفسير أبى السعود ٨ / ٣٣

(٢) انظر حاشية الشهاب ٧ / ٤١٠ (احمد بن محمد الشهاب) دار صادر

(٣) انظر روح المعانى ٢٥ / ١٣

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠٧

(٥) حاشية الصاوى ٤ / ٣٢

(٦) حاشية محي الدين زادة ٤ / ٢٧٠

(٧) سورة الأعراف آية (١٥٨)

ومن المفسرين من قال : هذه الآية تدل على كونه رسولا إلى هؤلاء العرب خاصة، لأنّ دعوته صلى الله عليه وسلم ابتدأت بثلاث مراحل :

(١) المرحلة الأولى : ابتدأت في عشيرته الأقربين في قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾(١)

(٢) المرحلة الثانية : أنها في العرب عامة مثل هذه الآية ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾

(٣) المرحلة الثالثة :- أنها في أهل الأرض جميعا (٢) ، في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٣)

أقول : أنّ القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا فلابد من وضع النصوص بجانب بعضها، وهذه الآيات كلها تبيّنها الأحاديث النبوية، منها قوله صلى الله عليه وسلم (كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس كافة ﴾(٤)

ولما كان الإنذار الأول يشمل أمور الدنيا وأمور الآخرة ثم خص بالإنذار الثاني أمور الآخرة زيادة في الإنذار بها ، ولعظيم هولها وشديد نكالها ، لأنّ إفرادها بالذكر يدل عليه فقال (وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ) كلمة الإنذار تتعدى كثيرا بحرف الجر وهو الباء كقولك (أنذرت فلانا بكذا) فالأصل فيها أن يقال (لتنذر بيوم الجمع) (٥) وكذلك فيها محذوفان تقديره لتنذر أهل أم القرى

---

(١) سورة الشعراء : آية (٢١٤)
(٢) انظر الميزان في تفسير القرآن ١٨/٢٥ للطباطبائي ١٣٩٣ بيروت .
(٣) سورة سبأ، آية (٢٨)
(٤) صحيح البخاري ١/٩٢ كتاب التيمم .
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٧/١٤٩

بعذاب يوم الجمع ، والمراد بيوم الجمع هو يوم القيامة ، وسميت بذلك لعدة أمور منها :

١- (لأنّه مجمع الخلائق) .
٢- لأنّه يجمع بين الأرواح والأجساد .
٣- لأنّه يجمع بين العامل وعمله .
٤- لأنّه يجمع بين الظالم والمظلوم .[1]
٥- لأنه يجمع بين أهل الأرض وأهل السماء .
٦- لأنه يجمع بين الأولين والآخرين)[2]
٧- لأنّه يجمع بين الأنبياء وأممهم .
٨- لأنّه يجمع بين ثواب أهل الطاعة وعقاب أهل المعاصي ، وكل هذه الآراء صحيحة لأنّ يوم القيامة وقت يجمع فيه كل المخلوقات[3]

وسبب اقتصار الإنذار هذا ، مع أنّ الرسول الكريم بعث بالإنذار والبشارة معا ، لأنّ الحالة لم تكن محلا للبشرى ، وإنما كانت محلا للإنذار لوجود الكفار والمشركين في ذلك الوقت ، إلا فئة قليلة من الناس ، الذين بقوا على دين الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فالإنذار هو المناسب لهم[4] ولا تعارض بين قوله تعالى ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ وما سبقه من ظاهر الآية ، لأنّهم يجتمعون أولا في المحشر للحساب والجزاء وهذا هو المراد بقوله (يَوْمَ الْجَمْعِ) ثم بعد ذلك يصيرون فريقين بحسب أعمالهم في الدنيا ، وهذا هو المراد بقوله (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) . وقد دلت الآية على أنّ من أهم غرض الوحي والنبوّة ، هو الإنذار ، وخاصة الإنذار بيوم القيامة ، وما فيه

---

(١) فتح القدير ٤ / ٥٣٦
(٢) حاشية محي الدين زادة ٤ / ٥٣٦
(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٣٦
(٤) انظر حاشية الصاوى ٤ / ٣٢

من أنواع العذاب ، إذ لولا الانذار بيوم الجمع الذى فيه الجزاء والعقاب ، لما نجحت الدعوة ، ولما نفع التبليغ (١) .

ويجب العلم بأنّ أساس الدعوة والتبليغ هو الايمان بالله عز وجل، ومادام الانسان قد آمن بالله إيمانا صادقا فهو بالتأكيد يؤمن بكلّ أمر صدر عنه ، وهذا الانذار بيوم القيامة من هذا الأمر، ولما ذكر أنّ القرآن الكريم أنزل للإنذار، بيّن أنه قسمان :

(١) قسم لا يعرفه الانسان .

(٢) وقسم يعرفه ، لكنّه خالفه . بوجود الشّكّ فيه ، وعدم استعداده له. وعلى هذا نبّه على أن هذا من هذا القسم الثاني بقوله في جملة حالية (لَا رَيْبَ فِيهِ) أى أنّ هذا لليوم وهو يوم القيامة ويوم الجمع ، لابد منه ، فالانسان العاقل المؤمن يستعدّ لهذا اليوم ،لأنه لا يشك في مجيئه .

ولما ذكر أنّ جمعهم في يوم الجمع للعرض والحساب ، لابدّ من تفرّقهم فيه ، بسبب عاقبة هذا العرض والحساب فقال (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) سميت النار سعيرا لتهابها ، والابتداء بالنكرة في قوله (فريق) يدل على أمرين :-

١- للتفصيل .

٢- لتقرير الوصف (٢) .

وهذه الآية في مقام التعليل ،كأنه قيل : لماذا ينذرهم بيوم الجمع ؟

---

(١) انظر الفخر الرازى ٢٧ / ١٤٩

(٢) انظر نظم الدرر ١٧ / ٢٥٠

فقيل : لأنّه (لَا رَيبَ فِيهِ ، فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) أى لما كانوا مؤمنين صالحين دخلوا الجنة فضلا منه ورحمة ، ولما كانوا كافرين صالحين دخلوا النار عدلا منه .(١)

وقد بيّنت الآية انقسام الناس بعد جمعهم إلى قسمين : فريق من أهل الجنة ، وهم الذين آمنوا بالله ورسوله ، واتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه ، وفريق من أهل النار وهم الذين كفروا بالله ورسوله ، واجترءوا على نواهيه من الثقلين ، إنسا وجنّا .

(قال القشيرى : كما أنّهم في الدنيا فريقان ، فريق في الطاعة والعبادة ، وفريق في الشرك والكفر والشك ، كذلك في الآخرة فريقان : فريق أهل السعادة وهم في الجنة ، وفريق أهل البلاء والشقاء وهم في النار)(٢) فالناس يجتمعون في الموقف ثم يتفرقون في الدّارين، لأنّ اجتماعهم في زمان واحد لا ينافي افتراق أمكنتهم(٣) ، روى الترمذى بسنده ، خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان ، فقال : أتدرون ما هذان الكتابان ؟ فقلنا : لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا ، فقال : للذين في يده اليمنى ، هذا كتاب من ربّ العالمين ، فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ، ولا ينقص منهم أبدا ، ثم قال : للّذين في شماله ، هذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل النار ، وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ، فقال أصحابه : ففيم العمل يا رسول الله ان كان أمر قد فرغ منه ؟ فقال : سدّدوا وقاربوا ، فإنّ صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة ، وإن عمل أىّ عمل ، وإنّ صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أىّ عمل ، ثم قال

---

(١) انظر السراج المنير ٣ / ٤٣٨

(٢) نظم الدرر ١٧ / ٢٥١

(٣) انظر حاشية الشهاب ٧ / ٤١١

رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما ثم قال :
فرغ ربكم من العباد (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) (١) وهذا الحديث أورده ابن جرير (٢) وابن كثير (٣) وغيرهما (٤) ، ويقويه طرق كثيرة ، وقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه والكتاب في يديه .

لما أن أهل الجمع فريقان ، بيّن أنّ ذلك بمشيئة الله عزوجل، إذ لو لم يكن ذلك التفرق بمشيئته لجعل الناس أمة واحدة يدخلون يوم القيامة مدخلا واحدا قال مبيّنا (٥) (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) تقريرا للآية التى قبلها وهي قوله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) أى لا يكن في قدرتك أن تحملهم على الايمان (٦) (فلو أراد الله ذلك لجعلهم أمة واحدة بشريعة واحدة أو كتاب واحد ، ورسول واحد ، في جميع الأزمان والاعصار من غير تحويل وتبديل ونسخ (٧)) (لكنه تعالى فاوت بينهم، فهدى من يشاء إلى الحق ، وأضلّ من يشاء عنه، وله الحكمة العظيمة والحجة البالغة في ذلك) (٨)

---

(١) سنن الترمذى ٣ / ٣٠٤-٣٠٣ ، أبواب القدر ، باب ماجاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة ، وأهل النار وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وقال ابن العربي في عارضة الأحوذى ٨ / ٣٠٨ الحديث صححه أبو عيسى واتقنه وقال عن رواته كلهم عدل .
(٢) تفسير الطبرى ٢٥ / ٩
(٣) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠٧
(٤) انظر فتح البيان ٨ / ٣٥٤
(٥) انظر حاشية محي الدين زادة ٤ / ٢٧١
(٦) انظر الفخر الرازى ٢٧ / ١٤٩
(٧) فتح البيان ٣ / ٤٤
(٨) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠٨

وقد اختلف العلماء في معنى هذه الآية :

١- قال ابن عباس : المراد من جعلهم أمة واحدة كونهم على دين واحد (١) قال مقاتل : (على ملة الاسلام) (٢)

٢- قيل : في أنهم أمة كافرة (٣) بعدم إرسال الرسل عليهم كما في قوله تعالى (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) (٤) .

٣- قيل : «المراد هو تسوية دخولهم في الجنة جميعاً أو في النار .

٤- قيل : المراد هو عدم اختلافهم في أمور المعاش» (٥)

والرأي الصواب إنّ اختلاف الأمم في الأديان المختلفة بالمشيئة الإلهية والله عز وجل قادر على أن يجعل الناس على دين واحد ، إما دين الاسلام ، وإما دين الكفر، لكنه لم يشأ ذلك لعدة أسباب :

١- تمييزا للفريقين ، فريق أهل الجنة ، وفريق أهل النار - لأنّ الله عز وجل لما خلق الجنة والنار خلق أهلهما ، فلابد أن يدخل لكل منهما أهلها . (٦)

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢٥ / ١٠
(٢) تفسير الخازن ٤ / ٩١
(٣) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٢١
(٤) سورة البقرة آية (٢١٣)
(٥) الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ١٩
(٦) انظر حاشية الصاوى ٤ / ٣٢

١- إظهارا لفضل الله تعالى وعدله. (١)
٢- لعدم ابطال غرض التكليف ، لأنّ الإنسان يستحق الثواب والعقاب على قدر طاعته وعمله. (٢)
٣- لأنّ حكمته عز وجل اقتضت على أن يكونوا فريقين - فريق الصالحين المهتدين يهديه ، وفريق الطامحين المنحرفين عن دينه - (٣)

لما أنّ الله عز وجل لم يجعلهم على دين واحد ، وإنّما جعلهم على أديان كثيرة،بيّن أنه يدخل في رحمته من يشاء من عباده ويهتدى بهديه ، ويدخل في عذابه من يضلّه ، وهو معنى قوله (وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ) والظاهر أن يقال (ويدخل من يشاء في غضبه ونقمته) لكنه سبحانه عدل عنه لسببين :

١- إشارة إلى أنّهم لا أمل لهم في الشفاعة ، ومأواهم النار، و أما دخولهم في الغضب فأمر معلوم لا يحتاج إلى دليل . (٤)
وكونهم في النار أمر مفروغ منه ، فلا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، قاله الكرخي (٥) .
٢- للمبالغة في الوعيد ، لأنّ الذين كفروا بالله ، يعذبون في النار ، وليس لهم أحد يتولى أمورهم ويعينهم وينصرهم. (٦)

---

(١) انظر نظم الدرر ١٧/٢٥٢
(٢) انظر تفسير التبيان ٩/١٤٤
(٣) انظر تفسير الحديث ٥/١٦٠
(٤) انظر حاشية الصاوى ٤/٣٣
(٥) انظر فتح البيان ٨/٣٥٥
(٦) انظر محي الدين زادة ٤/٢٧١

قوله تعالى (وفي رحمته) قولان :

١- قال أنس بن مالك في دين الإسلام (١)

٢- في نعيمه وعذابه ، وفي شفقته ونقمته . (٢)

والظاهر هو قول أنس بن مالك ، لأنّ الإنسان ، إذا دخل في الإسلام ، وعمل بكل مقتضياته فإنّه يدخل في رحمته ونعيمه ، وقد أسند الرحمة إلى الله عز وجل دون العذاب للإشارة إلى أنّ الرحمة بفضله ، والعذاب بكسبهم وظلمهم (٣) ، والإنسان مهما عمل ومهما كان عنده من متاع ومال ، وغيرهما، فإنّ ذلك لا يوازي نعمة واحدة من نعم الله تعالى عليه كالسمع والبصر، فإذا دخل الجنة ، فإنّه بفضل الله وإحسانه عليه لا بعمله وجهده وتعبه ، وقد ورد في الحديث الصحيح (لا يدخل الجنة أحد بعمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ وقال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة) (٤)

ويدخل في رحمته ، لأنّ الله عز وجل يهدي به ويحمله على الطاعة والعبادة (٥) ، ومعنى الآية : إنّ الله عز وجل يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء أن يدخله فيه ، ودخول الفريقين في كل منهما تابع لحكمة الله عز وجل ومشيئته ، فهو يعاقب من يستحق العقاب ويدخله النار ، ويثيب من يستحق الثواب ، ويدخله الجنة ، ولا شك أنّ اختلاف الرحمة والعذاب أدّى إلى اختلاف الناس إلى فريقين . (٦) وعبر بالمضارع (يدخل) للدلالة على الاستمرار ،

---

(١) انظر زاد المسير ٧ / ٣٧٤ والبحر المحيط ٧ / ٥٠٩

(٢) انظر مراح لبيد ٢ / ٢٦٦ ونظم الدرر ١٧ / ٣٧٤

(٣) انظر حاشية الشهاب ٧ / ٤١١

(٤) صحيح البخارى ٨ / ١٢٣ كتاب الرقاق ، باب القصد والمداومة على العمل .

(٥) انظر جامع البيان ٢ / ٢٥٣

(٦) انظر تفسير أبى السعود ٨ / ٢٣

لما بيّن أنّ الله عزّ وجل هو صاحب المشيئة الإلهية ، يهتدى ويرحم من يشاء و يضلّ ويعذب من يشاء ، وأنّ المهتدين يدخلون في رحمته، بيّن أنّ المضلّين ليس لهم معين و لا نصير من عذابه ، وسخطه فقال (وَالظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) ذكر الرحمة أولا في قوله (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) ثم الظلم ثانيا في هذه الآية ، لذكر السبب الحقيقي لأهل السعادة والطاعة ، وهو حملهم علي مزيد من الشكر ، ولأهل الشقاء هو نهيهم عن الكفر[1] وإنما قيل (والظالمون) لبيان أنهم دخلوا النار ، بسبب ظلمهم وسوء اختيارهم[2] ، وذلك أنّ الله تعالى قد أعطى المشيئة للإنسان - تفضلا منه وكرما - تقود فطرته السليمة و تتفق مع مشيئة الله ، لكنه أساء استعمال هذه المشيئة ، وأفسد فطرته ، وانحرف عن الطريق القويم ، وهذا الظلم والفساد والانحراف في باطنه بمشيئة الله تعالى ، وفي ظاهره بكسب الإنسان .[3]

(والمراد بالظالمين هنا ، هم الكافرون)[4] (وأطلق عليهم صفة الظلم إشارة إلى نفى الظلم عن المؤمنين)[5] أمّا الظالمون بمعنى العاصين بغير الكفر فلهم ولي ونصير يدفع عنهم العذاب[6] ، لما في الحديث (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى)[7].

(وقوبل بين الادخال في رحمته ونفى الولي والنصير للإشارة

---

(١) انظر نظم الدرر ١٧ / ٢٥٣

(٢) انظر تفسير أبي السعود ٨ / ٢٣ (لابى السعود العامرى)

(٣) انظر تفسير القرآن للقرآن ٢٥ / ٢٢

(٤) تفسير الطبرى ٢٥ / ١٠

(٥) تفسير القاسمي ١٤ / ٥٢٢٣

(٦) حاشية الصاوى ٤ / ٣٣

(٧) المستدرك ١ / ٦٩ وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ ، وسكت عنه الذهبي ، وله شواهد في المستدرك .

إلى أنّ هؤلاء الذين تولّاهم الله هم الداخلون في رحمته ، وأمّا الذين أولياؤهم غير الله فهم لا يدخلون في رحمته ، وانتفاء الولي والنصير يلازم السعير ﴾ (١) لما حكى الله عنهم أولا أنّهم أشركوا بالله باتخاذهم الأولياء دونه ، ثم طلب من نبيه الكريم أن يتركهم على شأنهم إن أعرضوا عن دعوته ، لأنّ هدايتهم بيده وحده ، وأنّه صلى الله عليه وسلم ليس عليهم بوكيل ، ولا حفيظ، بيّن أنه أنكر على أهل الشرك قائلا (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ) أى ينكر الله على المشركين الذين جعلوا الأصنام والأوثان والشياطين ، وغيرهم أولياء من دونه عز وجل مع أنهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا (٢) والذى يستحق الولاية والتقرب إليه هو الله تعالى دون سواه لأنّه هو الذى يحيى الموتى ، وهو القدير على كل شيء ، وفي قوله (وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ) إشارة إلى البعث ، وأنه حقيقة لاشك فيه ، وأن المشركين يبعثون ويحاسبون حسابا شديدا ، ولا ينفعهم انكارهم بهذا اليوم وفي قوله(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) تأكيدا للبعث ، وأن احياء الموتي واقع في قدرة الله تعالى ، التى لا يعجزها شيء . (٣)

وهذه الآية تدل على الإنكار ، والفاء في قوله (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) جواب شرط مقدر كأنه قيل : إن أرادوا أولياء بحق يدفعون عنهم السيئات ، ويجلبون لهم الخيرات ، فالله هو الولى بالحق (٤)، وهو الذى لا تكون العبادة إلا له وحده ، والقادر على احياء الموتي وهو على كل شيء قدير ، وغيره من الأولياء لا يقدرون على شيء قط (٥) ،

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ١٩/٢٥
(٢) انظر تفسير الطبرى ١٠/٢٥
(٣) انظر تفسير القرآن للقرآن ٢٣/٢٥
(٤) انظر الفخر الرازى ١٤٩/٢٧
(٥) انظر تفسير القرآن العظيم ١٠٨/٤

ويجوز أن يكون الفاء للعطف أو لتعليل لإنكار المأخوذ من الاستفهام كقولك (أتضرب زيدا فهو أخوك) . أى لا ينبغى لك ضربه فإنه أخوك ، واستعمال الواو فيه أحسن وأكثر، واستعمال الفاء في جواب الشرط أكثر وأفضل . (١)

وهذه الآية مستأنفة مقدرة لما قبلها من انتفاء الولاية والنصرة للظالمين (٢) و(أم) بمعنى بل للإنتقال من معنى إلى معنى آخر ، والجملة في قوله (فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ) تفيد الحصر ، أى أنّ الولاية الحقيقية لا تكون إلا لله عز وجل، وإن قلت : كيف يقال: لا ولي إلّا الله مع أن في بعض الناس أولياء بنص القرآن الكريم في قوله (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٣) .
والجواب : أنّ الولاية لله عز وجل تختلف تماما عن الولاية بالنسبة للعبد، فالولاية بالنسبة لله عز وجل تعنى أنه المعبود بحق ، وذلك لا يتصف به غيره ، وهذا هو معنى الولاية في هذه الآية ،أما الولي في الآية الأخرى فهو الشخص المنهمك في طاعة الله عز وجل ، الذى يتولى الله أمره ،وهذا معنى الولاية في العباد . (٤)

ولما منع تعالى نبيّه محمدا صلى الله عليه وسلم من التحزن على من كفر بدعوته وعدم حمله على الإيمان ، منع المؤمنين من الاختلاف والتخاصم والتنازع ، في شأن من شئون الدين والدنيا ، الذى يؤدى صاحبه إلى الكفر، وكفر بعضهم ببعض ، وإن اختلفوا وتنازعوا ، فعليهم الرجوع إلى حكم الله تعالى ورسوله فقال (٥) (وَمَا اخْتَلَفْتُم

---

(١) انظر حاشية الشهاب ٧ / ٤١١ .
(٢) انظر فتح القدير ٤ / ٥٢٧ وتفسير أبى السعود ٨ / ٣٤
(٣) سورة يونس : آية (٦٢)
(٤) انظر حاشية الصاوى ٤ / ٣٣
(٥) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٢١١ للنيسابورى مطبعة مصطفى البابى ، تحقيق ابراهيم عطوه عوض .

﴿فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ اختلف العلماء في تفسير معنى قوله (وما اختلفتم فيه) .

١- قيل : المراد به وما اختلفتم فيه من الآيات المتشابهات فارجعوا في بيانه الى المحكمات من كتاب الله ، أو الى الظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

٢- وقيل : وما اختلفتم فيه من أمور الغيبيات التي لا تتصل بتكليفكم ، ولا طريق لكم إلى علمه ، فقولوا الله أعلم ، كمعرفة الروح ، وغيره ،

٣- اختلاف المسلمين مع الكفار في أمور الدين ، فحكم ذلك المختلف فيه مفوض إلى الله لأنه هو الذى يثيب المحقين ويعاقب المبطلين من هؤلاء (١) ، وهذا ما اختاره أبو حيان (٢) في تفسيره .

٤- وما اختلفتم في شيء من الخصومات والمنازعات ، فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنّ حكمه هو حكم الله تعالى ، ولا تؤثروا حكم غيره على حكمه . (٣)

٥- يقول البيضاوى يكون اختلافهم في ثلاثة أمور :

١- اختلافهم في القرآن .

٢- اختلافهم في الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣- اختلافهم في الدين . (٤)

ولا يجوز اختلافهم في هذه الأمور الثلاثة ، لأنّ الأدلة والبراهين على القرآن قد قامت على أنّهم عجزوا عن الاتيان بمثله ، وكذلك قد قامت الأدلة والمعجزات على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) غرائب القرآن ٢٥ / ٢١

(٢) انظر تفسير البحر المحيط ٧ / ٥٠٩

(٣) انظر تفسير أبي السعود ٨ / ٢٤

(٤) انظر حاشية الشهاب ٧ / ٤١٢

بأنّه رسول من عند الله ، وكذلك الدين قد بينت الأدلة الكثيرة على أنه هو الدين الحق .

٦- قال ابن كثير في تفسيره (هذا عام في جميع الأشياء) [1] ، وهو الظاهر ، وأكدّه الشوكاني ، فقال : (هذا عام في كل ما اختلف فيه العباد من أمر الدين، وهذا هو الذى أميل إليه) .
وقوله (فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) فيه ثلاثة أقوال :

(١) مردود إلى كتابه ، وهو القرآن) . [2]

(٢) (علمه عند الله)

(٣) قال مقاتل : هو الذى يحكم فيه ، وذلك أنّ أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن وآمن بعضهم ، فقال الله عز وجل أنا الذى أحكم فيه) [3]

والخطاب في هذه الآية موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بتقدير كلمة (قل) أو موجه لسائر المكلفين ، إلى أن تقوم الساعة ، وهذا هو الرأى الصواب . [4]

ومن المفسرين من قال : إنّ الاختلاف يكون في طرق عباداتهم وفي أعمالهم وفي أمور معاشهم وشئون حياتهم، واختلافهم في العبادات والأعمال اختلاف تشريعي، لا يرفعه إلا الأحكام والقوانين الشرعية ، وحكمه تعالى يكون في أمرين :

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠٨

(٢) فتح القدير ٤ / ٥٢٧

(٣) زاد المسير ٧ / ٢٧٥

(٤) انظر التفسير الحديث ٥ / ١٦٣ ، (محمد عزت دروزة) دار احياء الكتب العربيه ، مطبعة عيسى البابى الحلبى .

(١) في التشريع ، كالتكاليف ، وفي اعتقاد العمل بها ، كقوله تعالى (﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾) . (١)

(٢) في حكم العباد يوم القيامة فيما يختلفون فيه (٢) ، وفي ذلك يقول الله تعالى عنهم (﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾) (٣)

(وظاهر هذه الآية يتناول أمور الدين والدنيا لكن قوله (فحكمه إلى الله) يظهر منه أنّ المراد أمور الدين دون أمور الدنيا ، ولا يراد به سائر أمور الدين ، بل أمور الدين التي لم ينص عليها نصّا صريحا من الأمور المختلف فيها كندب الوتر وضمان العارية وغيرهما من الأحكام ، و(الرد إلى الله) هو الرد إلى كتابه العزيز و(الرد إلى الرسول) هو الرد إلى سنته المطهرة ، بعد موته ، وأما في حياته فالرد إليه سؤاله) (٤) وفي الآية جواز الاجتهاد ، لأنّ الآية لا تنفي ذلك ، إنما النهي عن الاختلاف في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي حياته ، أما بعد وفاته فيجوز ، وقد أجمع العلماء قديما وحديثا أنّ عدم الاختلاف يكون بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ، ولا يحل لأحد معارضة ذلك ولا مخالفته ، فإن وجد ذلك الحكم في كتاب الله أخذ به وإن لم يوجد فيه ففي سنة رسوله ، فإن لم يوجد ففي الاجتهاد بدليل حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنّ رسول الله

---

(١) سورة يوسف : آية (٤٠)
(٢) انظر الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٢٣-٢٦
(٣) سورة البقرة : آية (١١٣)
(٤) فتح البيان ٢ / ٣٠٦

صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن قال (كيف تقضي ؟ فقال أقضي بما في كتاب الله ، قال: فإن لم يكن في كتاب الله ، قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أجتهد رأيي، قال الحمد لله الذي وفق رسوله رسول الله صلى الله عليه وسلم) . (١)

(وبهذا لا يلتفت عند وجود الحكم فيهما أو في أحدهما الى غيرهما من الآراء، فإنه يكون مشاقة لله ولرسوله من بعد ما تبين له الهدى) (٢)

والمقصود من الرجوع الى حكم الله عز وجل ورسوله قطع الاختلاف (٣) ولا قطع مع القياس ، والاجتهاد . إذا وجب الرد إلى نصوص الله تعالى ، ورسوله ، وكلام النيسابوري يفيد جواز الرجوع

---

(١) سنن الترمذي ٢/٣٩٤ أبواب الأحكام ، باب ماجاء في القاضي كيف يقضي وقال الترمذي : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس اسناده عندي بمتصل ، وانظر سنن أبي داود ٢/٢٧٢ وعون المعبود شرح سنن أبي داود ٩/٥١٠ ومابعدها تجد لهذا الحديث شواهد موقوفة عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس ، وقد اخرجهما البيهقي في سننه قال ابن القيم في إعلام الموقعين ١/٢٢١ ماخلاصته : هذا الحديث ورد عن أصحاب معاذ ، وذلك يدل على شهرته وهو لم يرد عن واحد فقط ، وأصحاب معاذ اشتهروا بالعلم والفضل والدين والصدق وليس فيهم واحد متهم ، أو كذاب أو مجروح ، ويكفي لصحة هذا الحديث أن شعبة حامل لوائه ، وهو من هو ، وقد قال بعض أئمة الحديث إذا رأيت شعبة في اسناد حديث فاشدد يديك به ، وانتهى ابن القيم كلامه بصحة هذا الحديث.

(٢) فتح البيان ٣/٣٠٩

(٣) انظر حاشية الشهاب ٧/٤١٢

الى القياس ، واستدل على ذلك (١) بحديث (اختلاف أمتي رحمة) (٢)
ولما أمرهم بالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله عند الاختلاف ، أنتج
أنه لا إله إلا هو ثم بيّن أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يتوكل على الله
وينيب إليه في كل شأن من شئونه ، فقال (ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) .
في قوله (ذلكم) الخ إضمار تقديره قل لهم يا محمد ذلكم الله الذى
يتصف بهذه الصفات عن الإحياء والإماتة والحكم بين المختلفين هو
ربي وحده (٣) لا آلهتكم التى تعبدونها من دون الله ، عليه توكلت
في دفع كيد الأعداء ، وفي جميع شئوني وأموري وإليه أرجع في كل الأمور
والأحوال (٤) ولاحظ أنّ قوله (عليه توكلت) يفيد الحصر أي لا أتوكل
إلا عليه عز وجل وهو إشارة الى بطلان من اتخذ غير الله وليا وآلها (٥)
يقول سيد قطب : إذا استقرّت هذه الحقيقة (حقيقة التوكل والإنابة)
في نفوس المؤمنين ، فإنّها تنير لهم طريقهم وتحدد لهم معالمهم ،

---

(١) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٢١

(٢) المقاصد الحسنة ، للسخاوى ص٢٦ ، الحديث وعزاه الى البيهقي في المدخل عن ابن عباس ، والطبراني والديلمى في مسنده ، وقال ضعيف جدا وفي لفظ (اختلاف أصحابي رحمة لأمتي) وهو مرسل ضعيف ، وهو حديث مشهور على الألسنة وقد أورده ابن الحاجب في المختصر ، قال السخاوى ، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له ، لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطردا وقال : اعترض على هذا الحديث رجلان أحدهما ماجن ، والأخر ملحد ، وهما اسحاق الموصلى ، وعمرو بن بحر الجاحظ ، وقالا جميعا ، (لو كان الاختلاف رحمة لكان الإتفاق عذابا) ، قال السخاوى : ثمّ تشاغل الخطاب بردّ هذا الكلام ولم يقع في كلامه شفاء في عز هذا الحديث ، ولكنه أشعر بأن له أصلا عنده .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٧

(٤) انظر تفسير المراغي ٢٥ / ٢١

(٥) انظر الفخر الرازى ٢٧ / ١٥٠

وتسكب الطمأنينة والأمان إلى طريقهم،والثقة في جميع أمورهم وأحوالهم وخطواتهم،ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، فإنّه أفضل الخلق وأقربهم إلى الله ، ومع ذلك فهو يتوكل عليه وينيب إليه في جميع أموره وأحواله. (١) ثم وصف نفسه بصفات الكمال والجلال تأكيد الصحه أحكامه ، وبيانا للأسباب التى تحمله على أن يلتجيء إليه (٢) فقال (فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرضِ) .

هذه الآية دلت على كمال قدرته عز وجل ، لأنّه خالق السموات والأرض ، وما فيهما،فهو سبحانه وتعالى خالقهما ومبدعهما ومخترعهما على الاطلاق من غير مثال سابق ، والمراد (بذكر السموات والأرض ، العالم كله) (٣)

لما ذكر أن الله عز وجل خلق الأشياء من غير مثال سابق ، وأعظمها السموات والأرض ، بيّن أنّه خلق من كل شيء زوجين فقال (جَعَلَ لَكُم مِّن أَنفُسِكُم أَزوٰجًا ، وَمِنَ الأَنعٰمِ أَزوٰجًا) الخ وعبر بالفعل (جعل) للإيذان بوجوب الايمان بأنّ الله تعالى وحده لا شريك له (٤) ، ويفيد قوله (جعل لكم) الخ أنّ من أهم حكمة الزواج هو كثرة النسل والذرية .

والمراد بالأزواج في قوله (جَعَلَ لَكُم مِن أَنفُسِكُم أَزوٰجًا) الإناث (٥) كما في قوله تعالى (وَمِن ءَايٰتِهِ أَن خَلَقَ لَكُم مِّن أَنفُسِكُم أَزوٰجًا ،

---

(١) انظر ظلال القرآن ٥ / ٣١٤٦
(٢) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٢٢
(٣) الجامع لاحكام القرآن ١٤ / ٤١٩
(٤) انظر نظم الدرر ١٧ / ٣٥٦
(٥) انظر حاشية محي الدين زادة ٤ / ٢٧١ وحاشية الصاوى ٤ / ٣٣

لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) (١) وإنما قال من أنفسكم ، لأنّ الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام (٢) ، قال مجاهد : (نسلا بعد نسل) (٣) . (ومن الأنعام أزواجا) أى خلق للأنعام من جنسها إناثا ، وجعل أزواجا والإبل والمعز اثنين ذكورا وإناثا ، وإنما ذكرت بعض أسماء الأنعام على سبيل المثال فقط ، يقول الشنقيطى: (جعل للآدميين إناثا من جنسهم ، وجعل للأنعام إناثا من جنسهم ، والمراد بالأزواج الذكور والإناث منهما معا) (٤)

وقوله (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) فيه عدة أقوال :

١- يبثكم من الذرأ ، وهو البث .

٢- يخلقكم .

٣- ينشئكم .

٤- قال الفراء والزجاج وابن كيسان يكثركم ، ويجعلكم أزواجا ، لأنّ ذلك سبب النسل (٥) والآراء الثلاثة متقاربة المعانى ، أما الكثرة في قوله الفراء وغيره فيمكن،لأنّ الكثرة يكون فيها الانتشار .

قد اختلفوا في الضمير في قوله (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ)

١- منهم من قال : يرجع إلى البطن ، أى يخلقكم في بطون الإناث .

---

(١) سورة الروم : آية (٢١)
(٢) انظر تفسير الطبرى ٢٥/ ١١
(٣) فتح القدير ٤/ ٥٢٨
(٤) اضواء البيان ٧/ ١٧٥ .
(٥) انظر فتح البيان ٨/ ٣٥٨

٢- قال ابن قتيبة : يرجع إلى الزوج .

٣- قال البغوى (يرجع إلى الرحم) [١] والرأى الصواب هو يرجع إلى المذكور في الآية من الذكور والاناث من بني آدم والأنعام ، أما قول من قال : يرجع إلى البطن أو إلى الرحم وغيرهما من الآراء المذكورة فخلاف الصواب، والخطاب في قوله (يذرؤكم) يرجع إلى العقلاء ، وهذا هو الظاهر ، إلا أنه من باب التغليب ، أي تغليب الآدميين على الأنعام في ضمير المخاطبين [٢] ، وانما قال (يذرؤكم فيه) ولم يقل (به) لسببين :

(١) (لأنه جعل هذا التدبير منبعا ومعدنا للتكثير) [٣] كقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [٤] .

(٢) (لأنّ حروف الجر يقام بعضها مقام البعض) [٥]

(وهنا سؤال : لماذا أفرد الضمير المجرور وهو (فيه) وجمع الضمير المخاطب وهو (يذرؤكم) وجوابه : أنّ من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن رجوع الضمير، أو الاشارة بصيغة الافراد إلى مثنى أو جمع باعتبار ما ذكر كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ﴾ [٦] فالضمير في قوله (به) مفرد مع أنه يرجع إلى السمع والأبصار والقلوب) [٧] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠٩
(٢) انظر روح المعاني ٢٥ / ١٧
(٣) تفسير النسفي ٣ / ١٠١
(٤) سورة البقرة : آية (١٧٩)
(٥) غرائب القرآن ٢٥ / ٢٢
(٦) سورة الأنعام : آية (٤٦)
(٧) اضواء البيان ٧ / ١٧٥

ولما ذكر بعض صنعه الدال على قدرته أرشد إلى بعض صفاته العظيمة فقال (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ) وقد اختلفوا فيه :

١- ذهب أكثر المحققين ، وأكثر السلفيين إلى أنّ المثل بمعنى الذات ، وهو من باب المبالغة في النفى ، بطريق الكناية ، نحو قولك (مثلك لا يبخل) أى أنت لا تبخل (١) ، هذا قصدك ، لكن من باب المبالغة والكناية .

٢- قال ثعلب وغيره: إنّ المثل زائدة جاءت للتأكيد ، كزيادتهما (٢) في قوله تعالى (فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ) (٣) وهذا القول بعيد الاحتمال ، قاله أبو حيان: وذلك أنّ زيادة الأسماء غير جائزة ، ومثل اسم ، وذلك ، بخلاف الكاف فإنه تجوز زيادته لكونه حرفا من الحروف ، وهذا ما ذهب إليه الزجاج وابن جنّي (٤)

٣- العرب تقيم المثل مقام النفس ، كقولك (مثلى لا يقال له هذا) أى أنا لا يقال لي ، قاله ابن قتيبة) (٥)

٤- قال الطبرى وغيره: أنّ المثل ليست بزائدة ، لكن وضع موضع هو أى ليس هو كشيء . (٦)

٥- المشهور عند النحويين (أنّ الكاف زائدة للتأكيد) . (٧)

---

(١) انظر تفسير القاسمي ١٤/ ٥٢٢٥

(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن ١٦/ ٨

(٣) سورة البقرة : آية ١٣٧)

(٤) انظر روح المعاني ٢٥/ ١٨

(٥) فتح البيان ٨/ ٣٥٧

(٦) انظر تفسير الطبرى ٢٥/ ١٢ والتسهيل ٤/ ٣١

(٧) الفتوحات الالهية ٤/ ٥٤

٦- (أجمع المفسرون على أن الكاف والمثل يراد بهما التشبيه، لكن هذا الحكم عليهما هنا محال، وذلك لأن فيه اثبات مثل لله). (١)

٧- (قال الزجاج : إنّ الكاف مؤكّدة، أى ليس مثله شيء) (٢)
أقول : ان الزجاج قال : ان الكاف مؤكدة بدلا من كلمة زائدة، أدبا مع القرآن لأن القرآن الكريم ليس فيه كلام زائدة، أو حرف زائد، إلا اذا جاء للتأكيد، والعرب يأتون بحروف زائدة، لكنهم اتوا بها للتأكيد، والرأى الراجح من هذه الآراء، هو الرأى الأول، رأى المحققين بأن المثل بمعنى الذات، ومذهب السلف أن ذات الله لا تشبهها ذوات المخلوقين كما ان صفات الخالق عز وجل لا تشبه صفات المخلوق، لأنّ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض وهو عز وجل منزه عن ذلك، فجميع اسمائه كلها حسنة وجميع صفاته كلها كمال، وجميع أفعاله كلها خير ومصلحة، اذ ليس كمثله شيء لانفراده بالكمال من كل الوجوه قال الواسطي (ليس كذاته ذات، لا وكاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفه الا من جهة موافقة اللفظ، وهذا مذهب أهل الحق والسنة والجماعة) (٣) أقول : ان صفة المخلوق تشبه صفة الخالق في الاسم دون المعنى الحقيقى، مثل الكلام والسمع، والبصر، فالخالق والمخلوق متصف بهذه الصفات لائقة بكماله وجلاله، والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم، وغيرهما لكن الله عزوجل له صفات لائقة بكماله وجلاله، والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم، وكل هذا حق ثابت لا شك فيه، فإن قيل : هذه الآية

---

(١) البحر المحيط ٧ / ٥١٠
(٢) زاد المسير ٧ / ٣٧٦
(٣) الجامع لاحكام القرآن ١٦ / ٩

تتعارض مع قوله تعالى : (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ)(١) لأنها تدل على اثبات المثل ، وقول (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) تدل على نفي المثل فما الفرق ؟

الجواب : لا تعارض إطلاقا ، لأنّ هناك اختلافا في الآيتين وهو أنّ المثل في آية الشورى بكسر الميم (مِثْلٌ) وفي آية الروم (مَثَلٌ) بفتح الميم ، وَمِثْلٌ بكسر الميم له معنيان :

١- (ليس له نظير

٢- ليس لذاته مثيل ، فقوله (ليس كمثله شيء) معناه ليس له نظير كما قاله ابن عباس ، أو يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل ، وقوله (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) معناه وله الوصف الأعلى الذى ليس لغيره مثله ، ولا يشاركه فيه أحد)(٢)

ويفيد قوله تعالى : (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الإيمان بجميع صفاته عز وجل التى لا تشبه صفات المخلوقين ، وأنّ الله عز وجل يسمع أقوال المخلوقين ، على اختلاف لغاتهم وحاجاتهم ، كأنّ أصواتهم لديه صوت واحد ، فهو يسمع السر والعلن والقريب والبعيد .

وسمعه نوعان : ١- سمعه العام من جميع المخلوقات في الكون
٢- سمعه الخاص من السائلين له فقط كالدّاعين والعابدين ، ومنه قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾(٣) وهو أيضا يبصر كل شيء دون حواجز وأستار ، (٤) .

فإن قيل : هذا يفيد الحصر مع أن المخلوقين موصوفون بالسمع والبصر

---

(١) سورة الروم : آية (٢٧)
(٢) تفسير الخازن ٤ / ٩٢
(٣) سورة ابراهيم : آية (٣٩)
(٤) انظر الكواشف الجلية ص ١٤٧

والجواب : أنّ المراد من الحصر : أنه لا يتصف بصفة السمع والبصر كاملة إلا الله عز وجل ، لأنّ الكمال في كل الصفات ليس إلا الله تعالى (١)
وهذه الآية (رد على نفاة الصفات من جهمية ، أو معتزلة ، أو قدرية ، وأشاعرة وغيرهم ، وهم جعلوا هذه الآية حجة لهم في رد الأحاديث الصحيحة التى تخالف قواعدهم وآراءهم تلبيسا منهم وتدليسا على من هو أعمى قلبا منهم ، وتحريفا لمعنى الآيات عن مواضعها ، ففهموا معنى الصفات بما لم يحبه الله ورسوله) (٢)

أقول : أنّ استدلالهم بهذه الآية على رد الأحاديث الصحيحة استدلال باطل لأنّ الله عز وجل أثبت لنفسه هذه الصفات ، فيجب الايمان بما أثبت الله ورسوله عن نفسه ، ويجب على العبد بمقتضى هذه الصفات،

١- أن يحفظ لسانه ، لأنّ الله يسمعه .
٢- أن لا يسمع المنهيّات .

لأنّ الله خلق له السمع، ليسمع به كتابه العزيز ، وسنة رسوله الكريم والأمور التى توافق الشرع .

٣- إنّ الله خلق له البصر للنظر والتأمل في الآفاق والأنفس .
٤- أن يراقب الله تبارك وتعالى في كل حركاته صغيرة أو كبيرة حتى خواطره [illegible] ، وعليه أن يعتقد أنه بمرأى من الله ومسمع منه . (٣)

ولما ذكر أنّ الله عز وجل هو الخالق والمدبر في الكون ، بيّن أرزاق المخلوقين بيده عز وجل بقوله (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ) ،

---

(١) انظر السراج المنير ٣ / ٤٣٠
(٢) شرح الطحاوية ص ٣٩ - ٣٤١
(٣) انظر روح البيان ٨ / ٢٩٣

وللعلماء آراء في معنى (المقاليد).

١- قال قتادة، والحسن ومجاهد، له مفاتيح أرزاق السموات والأرض، وأسبابها، فتمطر السماء بأمره، وتنبت الأرض بإذنه.

٢- قال السدى: له خزائن السموات والأرض.(١)

٣- قال الآخر: خزائن السموات المطر، وخزائن الأرض النبات

٤- قيل: الطاعة يقال ألقى إلى فلان بالمقاليد، أى أطاعه فيما يأمره فمعنى الآية على هذا: له طاعة في السموات والأرض(٢) وهذا القول قريب من قول البقاعى: إنّ المقاليد الحقيقية هي عبادة الله عز وجل كما في قوله تعالى عن نوح عليه السلام (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ)(٣) وهذا يدل على أنّ الرزق قد يكون سببه وتيسير تحصيله الاستغفار والتوبة والعمل الصالح(٤).

٥- قال الراغب: أى ما يحيط بها، وهذه المعانى كلها تشير إلى معنى واحد وهو قدرته تعالى عليها، وحفظه لها(٥)، وأنّ الله عز وجل بيده مفاتيح خزائن السموات والأرض، ومغاليق الخير والشر ومفاتيحها، ومفاتيح الرحمة والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فهو المعطى النافع، والمانع الضّار الذى لا تعطى النعمة إلا منه، ولا يدفع الشر إلا هو سبحانه وتعالى (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ)(٦) ولهذا قال تعالى ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ أى (يوسع الله ويعطى أصناف

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢٥/١٤ ومجمع البيان ٢٥/٤٢
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٧٥
(٣) سورة نوح : آية (١٠-١١-١٢)
(٤) انظر نظم الدرر ١٧/٢٦٢
(٥) انظر المفردات في غريب القرآن ص ٤١٣
(٦) سورة فاطر : آية (٢)

الرزق لمن يشاء ، ويضيق ويقبض عمن يشاء) (١) .

قال ابن عباس (لو وسع الله المال على عباده لطلبوا منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ، ومركبا بعد مركب ، وملبسا بعد ملبس) (٢) ، وقيل : لو جعلهم سواء في الرزق لما انقاد بعضهم لبعض ، ولتوقفت الأعمال ، لأن الطمع طبيعة البشر (٣) ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لو كان لابن آدم واديان من مال ، لابتغى ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب) (٤)

ومن حكمة عدم بسط الرزق كما بينتها الآية :

١- أن سعة المال تحمل الناس على البغي والظلم والعصيان ، لأن من طابع أهل سعة المال البطر والكبر والطغيان ، كما قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (٥)

٢- امتحان لهم على مدى صبرهم وتحملهم ، ومدى إيمانهم بالقضاء والقدر .

ومن حكمة بسطه مايلي :

(١) أن طبيعة البشر ، لا يستغنى بعضهم عن بعض ، فالغني يحتاج إلى الفقير ، والفقير يحتاج إلى الغني ، ومن هنا يتحقق التعاون والتكافل الاجتماعي بينهم ، وتتحقق الأخوة الإيمانية الصادقة التي تجعلهم كجسد واحد .

(٢) إمتحان لهم أيضا ، هل هم يشكرونه أم يجحدونه بقولهم إنهم أخذوه عن جهدهم وقدرتهم كما قال قارون ،

---

(١) تفسير الطبري ٢٥/١٤-٢٧٥

(٢) مراح لبيد ٢/٢٧٠

(٣) انظر فتح القدير ٤/٣٥

(٤) صحيح البخاري ٨/١١٥ كتاب الرقاق ، باب مايتقى من فتنة المال وصحيح مسلم بشرح النووي ٧/١٣٩ كتاب الزكاة باب كراهة الحرص على الدنيا .

(٥) العلق ، ٦-٧ .

أقول : المال على حسب صاحبه فان كان غنيا شاكرا ومطيعا ومتواضعا كاف أفضل وأحب عند الله وعند الناس من الغنى المتكبر الظالم مع كون كل واحد منهما يأخذ جزاءه ، ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (نعم المال الصالح للمرء الصالح) (١) بل الغالب أن المال يؤثر على صاحبه تأثيرا شيئا ، ولا شك أن البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب وأعلم أن الغنى والفقر لا علاقة لهما بالكفر والايمان . بدليل أنه قد يوجد الكافر موسعا عليه دون المؤمن ، ويوجد المؤمن مضيقا عليه دون الكافر ، فلو كان للغنى والفقر علاقة بالكفر والايمان لاغنى المؤمنين دون الكافرين ، وهذه الدنيا دار ابتلاء ، وسجن للمؤمنين كما أن الغنى والفقر لا علاقة لهما بفضل أو هوان فالغنى لا يدل على فضل الانسان ولا الفقر على هوانه وانما هما أمران متعلقان بمشيئة الله وقضائه وقدره فعلى الانسان أن يقتصد ويسبق بالخيرات، ويترك الامر لله تعالى وقد اختلفوا في معنى الرزق في الآية ، فمنهم من قال ، هو الرزق الخاص ، وهو المطر ، ومنهم من قال : هو الرزق العام ، وهو جميع أنواع الرزق ، وهذا هو الظاهر والأولى . (٢)

ولما بين أن بسط الرزق وقبضه ، بيده عز وجل اتبعه بذكر سبب ذلك فقال : (٣) (انه بكل شيء عليم) اى انه عليم بأحوال الناس وبعواقب امورهم ، فهو يقدر لهم أرزاقهم على وفق مصالحهم (٤) ويقدر أحوالهم على ماتقتضيه حكمته ، ومشيئته ، فلو أغناهم لبغوا ، ولوأفقرهم

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤ / ١٩٧ كما رواه ابو يعلى قال الهيثمى في مجمع الزوائد ٤ / ٦٤ ، ٩ / ٣٥٣ ورجال احمد وأبى يعلى رجال الصحيح ورواه الحاكم في المستدرك ٢ / ٢ كتاب البيوع وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، انما أخرجاه في اباحة طلب المال . وسكت عنه الذهبى واللفظ للامام احمد .

(٢) انظر فتح البيان ٨ / ٣٧٦

(٣) انظر نظم الدرر ١٧ / ٢٦٣

(٤) مراح لبيد ٢ / ٢٧٠

جميعا لهلكوا (١) (وهو يعلم أنّ منهم من لا يصلحه إلا الغنى ومنهم من لا يصلحه إلا الفقر) (٢).

لحديث طويل رواه أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل (وإنّ من عبادى المؤمنين لمن يسألنى الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك، وإنّ من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادى المؤمنين لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك) (٣)

قال قتادة: (كان يقال خير العيش ما لا يطغيك، ولا يلهيك). (٤)

قال تعالى (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (٥) وقوله (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا) (٦) وقوله (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ) (٧)

فإن قيل: هذه الآيات تفيد أنّ الله هو المنفرد بالقبض والبسط، كما انفرد بالخلق والأمر، فما وجه انفراد آية القصص وآية العنكبوت في قوله * من عباده * وقوله * ويقدر له * ولم يرد ذلك في سورتى الرعد والشورى؟

---

(١) انظر غرائب القرآن ٢٥/٣٣

(٢) زاد المسير ٧/٢٨٧

(٣) تفسير البغوى ٤/١٢٧ (ابى محمد الحسين بن مسعود) دار المعرفة
هذا الحديث رواه الهيثمى نحوه في مجمع الزوائد ١٠/٢٧٠
وقال رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم.

(٤) الدر المنثور ٦/٩

(٥) الرعد : آية (٢٦)

(٦) القصص : آية (٨٢)

(٧) العنكبوت : آية (٦٢)

والجواب : أنّ آية الرعد ، لا تفيد تخصيص المؤمنين وتشريفهم لأنّ الفرح بمتاع الدنيا ، ليس من شأنهم وإنّما فرحهم بلقاء ربهم ، وأخذ مايرجونه في الآخرة ، والفرح من شأن الكافرين ، والغافلين عن ربهم .

أما آية القصص فهي إشارة إلى أنّ القائلين (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) هم الذين تمنّوا مال قارون ، وقد قالوه عالمين بأنّ الله هو القابض والباسط ، كما بسط لقارون ، أما آية العنكبوت ﴿ من عباده ويقدر له ﴾ فإنها خصصت العموم التي قبلها ، وهو قوله تعالى ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ، اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ (١) تشريفا للمؤمنين ليذكروه في حال القبض والبسط ، وليستأنسوا بما يجرى لهم من الأمرين ، أما هذه الآية في سورة الشورى فإنها تفيد العموم بقوله (له مقاليد السموات والأرض) ومادامت له مقاليد السموات والأرض فإنه لا يرزق المؤمن والكافر إلا من عنده سبحانه وعلم بذلك أنه لم يقصد في آتي الرعد والشورى تخصيص المؤمنين وتشريفهم ، كما قصد في آية العنكبوت ، وبهذا السبب زادت فيها كلمة ﴿ من عباده وكلمة يقدر له ﴾ في سورتي القصص والعنكبوت ، لأنّ القصد فيهما يختلف عن قصد الأيتين السابقتين .

ومعنى (مقاليد السموات والأرض) (أى مايحيط بها . وقيل خزائنها وقيل مفاتحيها ، وكلها تشير على معنى واحد . وهو قدرة الله عز وجل) (٣)

(وَيَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ) بمعنى يوسعه لمن يشاء ويضيقه على من يشاء ، ولماعظم وحيه إلى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله

---

(١) سورة العنكبوت : آية (٦٠)

(٢) انظر ملاك التأويل ٢/٧٠٣ ـ ٧٠٦ احمد بن ابراهيم الثقفى الغرناطى الطبعة الا ولى دار الغرب الاسلامى .

(٣) المفردات فى غريب القرآن ص ٤١١

(كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ذكر تفصيل ذلك فقال (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا) الآية ، والمراد بيّن الله وسنّ لكم دينا قويا واضحا ، تطابقت على صحته جميع الأنبياء والرسل ، والخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم[1] وهنا سؤال تلاحظ فيه أنّ ما شرعه الله للرسول صلى الله عليه وسلم عبّر عنه بكلمة الإيحاء فقال (كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ) بينما ما شرعه لغيره من الرسل السابقين عبّر عنه بكلمة التوصية فقال (مَا وَصَّىٰ بِهِ) الخ . فما هو السر في ذلك ؟ والجواب يتلخص فيما يلي :

١- جاء ذلك (إشارة إلى أنّ شريعته صلى الله عليه وسلم هي الشريعة الكاملة الناسخة لما قبلها من الشرائع الخالدة إلى قيام الساعة .

٢- جاء ذلك إعلانا برسالته وردّا على من ينكرها من الكفار)[2]

٣- جاء تعظيما لشأنه صلى الله عليه وسلم .

٤- جاء تشريفا للرسول صلى الله عليه وسلم ولشريعته .[3]

٥- إشارة إلى أنّه صلى الله عليه وسلم على درجة من كمال العقل والذكاء والفطنة ، بحيث إنّ المخاطب ، بالوحي يكون بالإشارة دون العبارة ، والذى يخاطب بالإشارة يدل على أنه يتمتع بقوة العقل والذكاء والوعى الكامل .

٦- الوحي معجزة ، وينزل على دفعات كثيرة حسب الحوادث والمناسبات ولا يعرفه إلا الأنبياء والرسل ، والتوصية ، ليست معجزة ، وهى صريحة واضحة الدلالة ، يفهمها كل أحد ، وتعطى كلماتها مرة واحدة .

٧- الوحي يجب اتباعه وتدبره ، وأخذ الأدلة والبراهين والعبر والحكم منه .[4]

---

(١) انظر حاشية الصاوى ٤/٣٤

(٢) فتح البيان ٨/٣٥٩

(٣) انظر حاشية الشهاب ٧/٤١٣

(٤) انظر تفسير القرآن للقرآن ٢٥/٢٨-٢٩

وقد خص هؤلاء الأنبياء الخمسة بالذكر لأسباب :

١- لأنهم أكابر الأنبياء .
٢- لكونهم أصحاب الشرائع العظيمة .
٣- لكثرة أتباعهم .
٤- لأنهم أولو العزم . (١)
٥- (لعظيم شهرتهم .
٦- لعلو شأنهم) (٢)
٧- لاستمالة قلوب الكفار إلى أتباعهم .
٨- لاتفاق كلمة أكثرهم على نبوتهم . (٣)

وترتيب ذكرهم في هذه الآية وفق ترتيب زمنهم ، فنوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم الصلاة والسلام ، وقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم لتشريفه وتفضيله ، كما في قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) (٤) وقدم ذكره على ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام في الآية إشارة إلى أنّ رسالته هي مجمع رسالات الأنبياء السابقين ، وأنّ كتابه الذى أنزل عليه هو المهيمن على الكتب السماوية ، وقدم نوح عليه السلام على غيره دلالة على أنّ دعوة الإسلام ، دعوة قديمة ، منذ أن بلغ الإنسان مبلغ الخطاب والتكليف (٥) ولكونه أول الرسل ، ولدلالة قدم شريعته ، وطول عهدها (٦)

---

(١) انظر حاشية محى الدين زادة ٤ / ٢٧٢
(٢) روح المعانى ٢٥ / ٣٠
(٣) انظر تفسير أبى السعود ٨ / ٣٥

(٤) سورة الأحزاب : اية (٧)
(٥) انظر تفسير القرآن للقرآن ٢٥ / ٢٩-٣٠
(٦) انظر الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٢٨

وقد اختلف العلماء فيما شرعه الله للرسل .

١- (قيل : تحليل الحلال وتحريم الحرام ،

٢- وقيل : تحريم الأمهات والبنات والأخوات ،

٣- وقيل : بعث الأنبياء كلهم بإقامة الدين ، والألفة والجماعة)

٤- وقال مجاهد : لم يبعث الله نبياً إلا أوصاه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والإقرار بالوحدانية والطاعة له ، فذلك دينه الذى شرع لهم) (١)

(والمراد بالدين الذى وصى به جميع الأنبياء ، هو أصل الأديان ، كالإيمان بالله وحده لا شريك له ، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر واكتساب مكارم الأخلاق ومحامد الصفات ، أما الأحكام الفرعية ، فهي تختلف باختلاف الشرائع) (٢)

والشرائع قسمان :

١- شرائع باقية خالدة ، في جميع الأديان ، لا يدخل فيها النسخ ، نحو مكارم الأخلاق من حسن الصدق وإخلاص العمل ، والإحسان وقبح الكذب والظلم وغير ذلك .

٢- شرائع تختلف باختلاف الأديان ، كالصيام والصلاة ونحوهما وقد احتج بعضهم بقوله (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا) على أنّ النبى صلى الله عليه وسلم في أول الأمر كان مبعوثاً بشريعة نوح عليه السلام ، وهذا احتمال بعيد لأنّ الشريعة المقصودة في هذه الآية هي الشريعة المتفق عليها الجميع ، بدليل عطف سائر الأنبياء عليه ، وليس المقصود شريعته

---

(١) روح المعانى ، ٢٥ / ٢١

(٢) التسهيل ٤ / ١٨

هو(١) واعلم أنّ لكل نبي شريعة خاصة ، والشريعة المحمدية نسخت من الشرائع السابقةمايخالفها ، والشريعة التى ارتضاها الله للأنبياء هي أصول الدين التى لاتتغير من عهد نوح عليه السلام إلى أن تقوم الساعة . وبعد بيان ذلك ، فصّل ماشرعه بقوله (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) أى (شرع لكم ولمن قبلكم إقامة جميع شرائع الدين أصوله وفروعه)(٢) (وترك الفرقة ، والمراد بإقامة الدين إعلام شعاره وإعلام مناره ، والدوام على اعتقاده ، والثبات على العمل بواجباته)(٣) (وتعديل أركانه ، وحفظه من أن يقع فيه زيغ ، والمواظبة عليه باحياء شروطه وحدوده وما إلى ذلك)(٤) .

قال ابن عباس (أن أقيموا الدين) أى اعملوا به على ماشرع وفرض لكم ، وقال أبو العالية : إقامة الدّين هو الإخلاص ، وأميل إلى قول ابن عباس لأنّ سياق الآية يدل على ذلك (٥) ، ولما أمر بالاجتماع في إقامة الدين ، أردفه بالنهي عن الافتراق والاختلاف بقوله (وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) أى لا تختلفوا في الأصول التى اتفقت عليها دعوة الأنبياء والرسل ، كالتوحيد والصلاة والزكاة والحج والتقرب بصالح الأعمال كصلة الرحم والوفاء بالعهد ، وعدم إيذاء الخلق ، وكل هذا اتحد فيه الرسل ، وإن اختلفوا في تفاصيله أمّا الفروع والشرائع ، فيجوز فيهما الاختلاف ، لأنّ الفروع من باب الاجتهاد ، وهو مظنّة الخلاف ، والشرائع تختلف باختلاف مصالح الأمم . (٦)

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازى ٢٧/١٥٧-١٥٨
(٢) تيسير الكريم الرحمن ٧/٩٦
(٣) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص ٣١٦ ابى الحسن بن الحسين مطبعة المعارف .
(٤) حاشية محي الدين زادة ٤/٢٧٢
(٥) انظر تفسير الطبرى ٢٥/١٥
(٦) انظر فتح البيان ٨/٣٦٠

قال السدى: لا تختلفوا في الدين، كما اختلفت الأحزاب من قبلكم، [1] وقال أبو العالية: لا تتعادوا به [2]، وقال مقاتل: لا تختلفوا فإنّ كل نبي صادق فيما يبلغه عنه ربه [3]، وقال قتادة: تعلّموا أنّ الفرقة هلكة وأنّ الجماعة قوة [4] وللإتحاد والإتفاق فوائد شتى منها:

١- قوة التأثير على المعارضين به.
٢- فيه المصلحة العامة، لأنّ الاختلاف يؤدى إلى الفوضى والقتل والعداوة وهذه الأمور ضدّ المصلحة العامة،
٣- يحصل المقصود من الأمر المتفق عليه بسرعة وسهولة [5]،

ومن مظاهر الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة كاجتماع الحج، والعيدين، وصلاة الجمعة والصلوات الخمسة في المساجد والجهاد، وغير ذلك من العبادات التى لا تتم ولا تكمل إلا باجتماع لها، وعدم التفرق فيها.

ثم حكى حسد أهل الشرك وبيّن أنّ ما شرعه من الدين شق وعظم على المشركين بقوله (كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) من توحيد الله والإخلاص له، وترك الأوثان والأصنام وغيرهما من الآلهة والأنداد، قال قتادة: (أنكر المشركون وكبر عليهم شهادة أن لا إله إلا الله وصدّهم عنها إبليس وجنوده، فأبى الله تعالى إلا أن يظهّرها وينصرها) [6]
وقيل: (شق عليهم رسالتك ودعوتك) [7] من عبادة الله وحده،

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن ٧/٩٦
(٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن ص ٣١٦
(٣) انظر البحر المحيط ٧/٥١٢
(٤) انظر تفسير الطبرى ٢٥/١٥
(٥) انظر تفسير الفخر الرازى ٢٧/١٥٨
(٦) تفسير الطبرى ٢٥/١٥
(٧) الميزان في تفسير القرآن ٢٥/٣١

وطاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه ، ودليل مشقته عليهم أنهم كانوا يكرهون ماأنزل الله ، ويجتهدون في عدم سماعه ، لشدّة كراهيتهم له) (١)

وقال سيد قطب : كبر وشق على المشركين أن ينزل هذا الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، من بين أظهرهم ، وكانوا يريدون أن ينزل هذا الوحي على أصحاب السلطان ، ذوى المال والجاه من روءسائهم ، ولم يكفهم نسب الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته الكريمة ، كما كبر عليهم أن ينتهي سلطانهم الديني بانتهاء عهد الوثنية والأصنام والأساطير التى تعتمد عليها مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية ونحوهما من المنافع الدنيوية (٢)

وبعد أن أرشد الموءمنين إلى التمسك بالدين ، بيّن أنه أرشدهم إلى ذلك لأنّه اصطفاهم من بين خلقه (٣) ، وأجاب عن شبهتهم بأنّ الاصطفاء في الرسالة لا يكون بالرغبة والنسب والمال والجاه وإنما يتعلق بمشيئة الله تعالى وأن الأمور كلها بيده بقوله (٤) (ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ) فيصطفي لدينه من يشاء من عباده ، ويعلم أنه يصلح للاجتباء لرسالته وولايته ، وهو يعلم حيث يجعل رسالته .

قال قتادة (يوفق لدينه ، ويستخلص لعبادته من يرجع إلى طاعته ويقبل على عبادته) (٥) وقال مجاهد (من أقبل على طاعته

---

(١) اضواء البيان ٧ / ١٨٠
(٢) انظر ظلال القرآن ٥ / ٣١٤٨
(٣) انظر الفخر الرازى ٢٧ / ١٥٨
(٤) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٢٣
(٥) فتح البيان ٨ / ٣٦١

ورجع إليه بالتوبة من معاصيه ويهدى إليه من ينيب بالإرشاد والتوفيق) [(١)]
(وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم بأنّ منهم من يستجيب لدعوته) [(٢)]
وهنا نسأل علام يعود الضمير في قوله (إليه)
والجواب : الضمير إما أن يعود

١- إلى لفظ الجلالة .
٢- إلى الدين .
٣- إلى ما يدعو إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأول والثاني متقاربان ، والأظهر عود الضمير إلى لفظ الجلالة ، لأنّه أقرب مذكور ، وهو الأول ، وأكثر فائدة [(٣)] ، ولما أمر الله عز وجل المؤمنين بعدم اختلافهم وتفرقهم في الدين أخبر أنّ أهل الكتاب هم الذين تفرقوا واختلفوا فيه بعد علمهم بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم للآيات والبراهين التي تدل على وحدانيته عز وجل ، وعلى صدق نبوة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام [(٤)] كما أخبر أنّ الذى دعاهم إلى ذلك هو البغي بينهم ، وكأنّه عز وجل أجاب عن سؤال قد يخطر بالبال ، لماذا تفرق الناس في الدين ، مع أنهم أمروا بإقامته ، وعدم التفرق فيه [(٥)] ؟ فقال (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) أى أنّ الله تعالى أخبر أنّ أهل الكتاب ، تفرقوا بعد ما قامت عليهم الحجة والبيان بأنّ الله وحده لا شريك

---

(١) انظر تفسير الخازن ٤ / ٩٢
(٢) روح المعاني ٢٥ / ٢٢
(٣) انظر حاشية الشهاب ٧ / ٤٢٤
(٤) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٣٢
(٥) انظر الفخر الرازى ٢٧ / ١٥٨

وأنّ محمدا عبده ورسوله الى الناس جميعا ، كما أخبر بأنّ سبب تفرقهم هو البغى والعناد والمشاقة والحسد، وهذه الأمور التى تمنعهم من الاتفاق والخضوع لأمر الله الذى أكد وجوب عدم التفرق في الدين ويحتمل أن يكون البغى مصدر بغاه ، بمعنى طلبه ، ويكون المعنى تفرقوا طلبا للدنيا والرياسة. (١)

واختلفوا على مايعود الضمير في قوله (وما تفرقوا) ؟

١- قال ابن عباس : هم قريش ، الذين تفرقوا من بعد ما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢)

٢- قيل : المراد هم أمم الأنبياء السابقين ، كأمة نوح وأمة هود وأمة صالح وأمم أخرى ، بحيث أنهم اختلفوا لما طال عليهم الأمد ، فآمن بعضهم وكفر بعضهم(٣) .

٣- قال ابن عباس أيضا : هم اليهود والنصارى(٤) بدليل قوله تعالى (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ) (٥) ونصّت الآية بأنّ الذين تفرقوا هم أهل الكتاب لأنّ قوله تعالى (إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ) لائق بأهل الكتاب ،(٦) (وهذا القول ذهب إليه أكثر المفسرين كابن عباس والنسفي)(٧) أما القول بأنّ المراد بهم قريش فهو قول باطل

---

(١) انظر حاشية محي الدين زادة ٤ / ٢٧٢

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٢ والبحر المحيط ٧ / ٥١٢

(٣) انظر حاشية الصاوى ٤ / ٣٤

(٤) انظر تفسير أبى السعود ٨ / ٢٦

(٥) سورة البينة (٤)

(٦) تفسير الخازن ٤ / ٩٢

(٧) تفسير النسفي ٣ / ١٠٢

للوجه المذكور ، ولأنّ قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَٰبَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ (لا يليق بالعرب لأنّ الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم أهل الكتاب)[1] .

والرأى الذى أميل إليه أن المقصود بهم الأمم السابقة ، لأن الكلام عنهم في الآية السابقة (شرع لكم من الدين) الخ ويدخل فيهم أهل الكتاب ، وكون المراد بهم الأمم السابقة هو ما رجحه البيضاوى .[2]

---

(١) الفخر الرازى ٢٧/١٥٩

(٢) انظر حاشية الشهاب ٧/٤١٤

وماتفرق هؤلاء (إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) ويراد به :

١- (من بعد ماعلموا أنّ الفرقة ضلالة ، متوعد عليها ،
٢- من بعد ماجاءهم القرآن بغيا بينهم على محمد صلى الله عليه وسلم) (١)
٣- (من بعد ماعلموا ببعثته وصحة نبوته ، بدليل قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ (٢)
٤- من بعد ماعلموا صحة ماأمروا به) (٣)
٥- من بعد ماعلموا بالكتب السماوية (٤) ،

وأميل إلى المعنى الثاني والثالث لأنّ سياق الاية يفيد ذلك ، والآراء الأخرى محتملة ، وأشار إلى أنّ البغي خاص بهم بقوله (بَغْيًا بَيْنَهُمْ) ووقع منهم لإتّباع أهوائهم وأخذ حظوظ أنفسهم . (٥)
ثم ذكر أنّ هؤلاء كانوا يستحقون العذاب المعجّل على سوء أفعالهم ، ولكن حكمته تعالى اقتضت تأخيره ليوم معلوم ، لأنّ لكل عذاب عنده أجلا مسمى (٦) فقال (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ) معناه :

١- ولولا وعد الله ، بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة ، وهو الأجل المسمى لعجّل لهم العقوبة في الدنيا باهلاك المبطلين وإثابة المحقين ، وبإنزال العذاب على الكافرين

---

(١) زاد المسير ٧/٢٧٧
(٢) سورة البقرة : آية (٨٩)
(٣) غرائب القرآن ٢٥/٢٣
(٤) جامع البيان ٢/٢٥٥
(٥) انظر نظم الدرر ١٧/٢٦٨
(٦) انظر الفخر الرازى ٢٧/١٥٩

والمكذبين) (١) .

٢- (يقضى بينهم باستئصال المكذبين ، كما فعل بمكذبي الأمم السابقة لكنّه لم يفعل الاستئصال ، لأنّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة ، ولأنّ مكة كانت مهاجر الأنبياء والمرسلين ، ومهبط الملائكة المقربين ، فلو وقع فيها الاستئصال لكانت مثل ديار عاد وثمود ، ووقعت النفرة لقلوب الناس ، وقد دعا إبراهيم عليه السلام بقوله (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) (٢) فكان من حكمته - سبحانه - أن لا يجعل الحرم المبارك الأمين من مصارع السوء ، وأن يقيه من نتائج سخطه) (٣) .

(ومن حكمة تأخير العذاب أنّ الدنيا دار ابتلاء وامتحان ، وليست دار جزاء وعقاب) (٤) ثم ذكر أنّ تفرقهم في الدين مستمر مع شكوكهم في كتابهم ، فقال (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ) .

(الكتاب) هو : ١- التوراة والإنجيل ، إذا كان المراد بالذين أورثوا الكتاب هم اليهود والنصارى الذين كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، قاله السدى (٥)

(ومعنى (من بعدهم) من بعد أنبيائهم (٦) (أو من بعد المتخلّفين في الحق) (٧) .

---

(١) انظر تفسير الخازن ٤ / ٩٢

(٢) سورة ابراهيم : آية (٣٧)

(٣) روح البيان ٨ / ٢٧٤

(٤) حاشية الصاوى ٤ / ٣٥

(٥) انظر تفسير التبيان ٩ / ١٤٩

(٦) زاد المسير ٧ / ٢٧٨

(٧) الجامع لاحكام القرآن ١٦ / ١٢

٢- (القرآن الكريم : إذا كان المراد بالذين أورثوا الكتاب ، هم المشركون بمكة ومعنى (من بعدهم) من بعد اليهود والنصارى)[1] (والضمير في قوله (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ) .

(١) يرجع إلى القرآن الكريم .

(٢) يرجع إلى الدين .

(٣) يرجع إلى سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، وهو خلاف الظاهر ،

(٤) يرجع إلى كتابهم)[2] ومعنى الشك مماثلة الضدين عند الإنسان[3] ، والمراد به هنا (مطلق التردد والتخيير)[4] والرأى الذى أميل إليه هو عود الضمير إلى القرآن ، أو إلى الدين ، وهو الواقع لأنّ من عنده شك في القرآن يكون عنده شك في الدين ، فكلا الرأيين يمكن أن يكون رأيا واحداً لأنّ الدين من القرآن ، والقرآن هو الدين ، ولما ثبت زيغهم عن هذا الكتاب، بيّن وجوب إزالة هذا الزيغ والشك

بقوله (فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) واختلفوا في المراد لقوله (فلذلك)

(١) قال الفراء والزجاج : إنّ اللام بمعنى إلى أى إلى ذلك الدين الذى أوحينا به إلى الأنبياء ، (فادع) الناس[5] ، والإشارة في ذلك إلى قوله (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ) الآية ، أو إلى قوله (مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) .

---

(١) انظر تفسير النسفي ٣ / ١٠٣

(٢) انظر البحر المحيط ٧ / ١٥٣

(٣) انظر المفردات ص ٢٦٥

(٤) فتح البيان ٨ / ٣٦٢

(٥) حاشية محي الدين زادة ٤ / ٢٧٢

٢- أو يعود للشك ، والمعنى لأجل ذلك الشك أدع الناس إلى اليقين [١] .

٣- قيل : إنّ اللام بمعنى (لأجل) والإشارة إلى التفرق والاختلاف ، أي لأجل ماحدث من الاختلافات الكثيرة في الدين أدع إلى الله ليكون الناس على منهج واحد . [٢]

٤- أو يعود للكتاب المذكور في قوله (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ) .

٥- يعود إلى القرآن ، وهو الظاهر [٣] ، وهو ما ذهب إليه ابن السائب .

٦- قال مقاتل يعود إلى التوحيد [٤] .

٧- (أو يعود لإقامة الدين ، أي فادع لدين الله ، وإقامته لا تحتاج إلى تقدير اللام بمعنى لأجل ، لأنّ دعا يتعدى باللام) [٥]

٨- أو يعود للدين ، وهو الرأي الراجح لأنّه جامع لسائر الآراء ويغني عنها [٦]

(والاستقامة تكون في أمر الله ، أي استقم على أمر الله كما قال قتادة ، وقال سفيان : الاستقامة تكون في القرآن ، أي استقم على القرآن ،

---

(١) انظر تفسير ابى السعود ٢٧/٨

(٢) انظر الفخر الرازى ١٥٩/٢٧

(٣) حاشية الشهاب ٤١٥/٧

(٤) زاد المسير ٢٧٨/٧

(٥) البحر المحيط ١١٣/٧

(٦) انظر تفسير التبيان ١٥٠/٢٥

وقال الضحاك : هي تكون في التبليغ ، أي استقم على تبليغ الرسالة) (١) .

وقال الراغب : (الاستقامة هي لزوم المنهج المستقيم) (٢) أقول : إنّ الاستقامة تكون في أمور الدنيا والدين . (٣)

قال ابن كثير في معنى الآية : (استقم أنت يا محمد ومن اتبعك على عبادة الله ، وطاعته ، وتبليغ رسالته كما أمركم الله). (٤)

ولما أمر الله تعالى بالاستقامة في كل شيء ، أردفه بالنهي بعدم اتباع الأهواء ، لأنّ الاستقامة لن تكون مع الهوى فقال(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)(أي الكفار وأهواءهم فيما يحبونه من أمور الكفر والباطل ولا تتبع أهواء المشركين فيما اختلفوا فيه وكذبوا به وافتروه ، من عباده الأوثان وأهوائهم الباطلة)(٥) ، وقد استدل بهذه الآية من طعن في عصمة الأنبياء ، وقال:لو كانوا معصومين لما قال هذه الآية ، والصحيح أنّ ذلك مقدور له ، ولكن لا يفعله وقيل : الخطاب له والمراد غيره (٦) . وتدل هذه الآية على أنّ الإنسان يفعل ما يؤمر به ، ويترك ما ينهى عنه ، لأجل أنّ الله تعالى طلب منه ذلك لا لأجل أنه يهواه . (٧)

ولما كان أهل الكتاب تفرقوا وشكوا ، أمره بما يخالف أمرهم فقال (وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ) أي (قل يا محمد آمنت

---

(١) فتح القدير ٤ / ٥٣
(٢) المفردات ص ٤١٨
(٣) انظر الفخر الرازي ١٨ / ٧٠
(٤) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠٩
(٥) انظر التسهيل ٤ / ١٩
(٦) انظر الفخر الرازي ١٢ / ١٢-١٣
(٧) انظر نظم الدرر ١٧ / ٢٧٢

بجميع الكتب السماوية التى أنزلها الله على رسله ، ولا تكن كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وتفيد هذه الآية وجوب الإيمان ، لجميع الكتب السماوية واتفاق كلمة الرسل في أصول الأديان) [1] .
وتنكير الكتاب في قوله (من كتاب) وجرّه (بمن) للإشارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم مؤمن بكل كتاب نزل من عند الله) [2]

ولما أنّ الإيمان يتبعه العمل [3] ، قال (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ) أى أمرت بالعدل بينكم ، ويكون العدل في الأمور التالية :

١- في فرائض كما أمر الله تعالى بها ، قاله ابن عباس . [4]
٢- (في دعوة الإسلام) [5]
٣- قال أبو العالية : العدل في الدين بالإيمان بجميع الكتب والرسل . [6]
٤- العدل في القضاء بين المتخاصمين باعطاء كل حق ذى حق حقه .
٥- العدل في الرسالة [7] .
٦- العدل في كل الأحوال ، والأشياء ، وهذا الرأى الراجح لأنّ ظاهر الآية العموم ، والمعنى أمرت لأعدل بينكم في كل شيء ، والرسول صلى الله عليه وسلم مطالب أن يسوّى ويعدل ، بينهم في كلّ شيء ، وهذا الخطاب وإن كان ظاهره للرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنّه له ولأمته ، والأمر عام ، إلا إذا ورد دليل على التخصيص . [8]

---

(١) انظر فتح البيان ٨/٢٦٢
(٢) تفسير القرآن للقرآن ٢٥/٣٤
(٣) انظر نظم الدرر ١٧/٢٧٤
(٤) انظر تفسير الخازن ٤/٩٣
(٥) التسهيل ٤/١٩
(٦) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦/١٣
(٧) انظر زاد المسير ٧/٢٧٩
(٨) انظر تفسير المراغي ٢٥/٢٩

ولما أمر بالإيمان بجميع الكتب السماوية،وبالعدل علل ذلك بقوله (اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) وتفيد هذه الآية أنّ إله الكل واحد ، وهو الله تعالى ، فلهذا أمرنا بالعدل على سبيل العموم ،لأنّ الكل عباده ،وكل امرئ مسئول عن عمله ويجازى به ، (لنا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) أى لناأعمالنا سواء كان جزاؤها ثوابا أو عقابا ، ولكم أعمالكم ، لا تنتفع بحسناتكم ولا تضرنا سيئاتكم ونحن براء منكم (١) ، كما قال تعالى ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

ولما ثبت الحق ثبت اعجاز هذا القرآن ،كانت نتيجة ذلك (لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) قال الأكثرون على أنها منسوخة بآية القتال ، والصحيح أنها محكمة ،ولا نسخ بين الآيتين لإمكان الجمع في ذلك ،فآية السيف حين يكون العدوان علينا ، أما حيث يكون السلم وعدم العدوان ،فلا نحاربهم، بل يكفى أن نأخذ من أهل الكتاب الجزية ،وبذلك فلا نسخ ،إلا إذا تعذر الجمع بين الآيات .
قال البيضاوى : (ليس في الآية مايدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة بآية القتال)(٣) والمخاطبون في هذه الآية هم اليهود قاله ابن عباس ، ومجاهد ،وقيل هم الكفار جميعا ، واحتج من قال بالعموم ، أن السورة مكية ،واحتج من قال بأنهم أهل الكتاب بقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ) قال: هم اليهود والنصارى ،وأميل إلى أنّ الخطاب لليهود والنصارى ، قال

---

(١) انظر تفسير أبى السعود ٨ / ٢٧
(٢) سورة يونس : آية (٤١)
(٣) حاشية الشهاب ٧ / ٤١٥

ابن تيمية : محاجة الكفار للمؤمنين ، بمعنى الظلم والعدوان وقول الباطل ، والمراد بقوله (لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) لا تظلمون ولا تعتدوا علينا بحججكم الباطلة ، وليس المراد بذلك نحن لا نجادلكم ولا نحاجكم بل ندعوكم إلى الحق بالحجج الصحيحة(1) ، وليس المراد من هذه الآية تحريم المحاجة ، لأنّ المحاجة مطلوبة شرعا لبيان الحق من الباطل والهدى من الضلال ليهتدى الراشد، ولتقوم الحجة على الضال وكيف تكون المحاجة حراما إذا كان الغرض منها اثبات الحق ، وتكون بالحكمة والموعظة الحسنة (٢) ، والله يقول (وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) (٣) ويقول (وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) (٤) ولما نهى الله تعالى عن ترك مجادلة الكفار بعد ظهور الأدلة والبراهين وإقامتها عليهم، بيّن أن نتيجة مجادلتهم يحاسبون عليها في يوم معلوم يظهر فيه الحق ، وهو يوم يجمع الكفار والمسلمين ، بقوله ﴿ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أى الله يجمع بيننا يوم القيامة ، فيقضى بالحق فيما اختلفنا فيه ، بأن يثيب الطائع على طاعته ، ويعاقب العاصى على معصيته ، وإليه المرجع دون سواه فيجازى كل واحد بعمله ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر(٥) ثم أخبر عن وعيد المخاصمين في أمر دين الله وأنّ حجتهم زائفة باطلة ، بقوله (وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ) الضمير في قوله (له) يرجع إلى لفظ الجلالة

---

(١) انظر الجواب الصحيح ٢ / ٣٥-٣٧ لابن تيميه مكتبة المدنى
(٢) انظر الفخر الرازى ٢٧ / ١٦٠
(٣) سورة النحل : آية (١٢٥)
(٤) سورة العنكبوت : آية (٤٦)
(٥) انظر تيسير الكريم الرحمن ، ٧ / ٩٩

أى من بعد ما شهدوا له بالوحدانية وهو ما ذهب إليه ابن جزى ، وقال هو الأظهر والأحسن (١) ، أو يرجع إلى الدين، وهذا ما ذهب إليه صديق خان وقال هو الأولى (٢) ، وقيل : يرجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم أى من بعد ما استجيب لمحمد صلى الله عليه وسلم (٣) ، والآراء الثلاثة صحيحة، وكل منها شامل لغيره ، والضمير في قوله (يحاجون) يعود إلى كفار قريش الذين طمعوا في ردّ المؤمنين إلى الجاهلية (٤) ، وهو ما ذهب إليه مجاهد (٥) (وابن عباس ، وقال قتادة : هم اليهود والنصارى) (٦) ومعنى (الآية ، الذين يخاصمون في دين الله ، من بعد ما دخل الناس فيه أفواجا حجتهم باطلة عند الله تعالى ، وتلك المخاصمة ، هي أنّ اليهود كانوا يقولون : ان رسالة موسى عليه السلام هي الصادقة . (٧) .

وأما رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم فهي غير صادقة ، واستدلوا على ذلك بقولهم للمسلمين : كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ، فنحن خير منكم، وادّعوا أنّ رسالة موسى عليه السلام ، قد إتفق بأنّها صحيحة ، وأما رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، فغير صحيحة لاختلاف الناس فيها (٨) ، وحجتهم باطلة لأسباب :

١- إنّ الله أمر بالإيمان بجميع الرسل دون تفرقة ، أو تخصيص بينهم .

---

(١) انظر التسهيل ٤ / ٣٦

(٢) انظر فتح البيان ٨ / ٣٨٤

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٤

(٤) انظر البحر المحيط ٧ / ٥١٣

(٥) انظر زاد المسير ٧ / ٢٧٩

(٦) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١١٠

(٧) مراح لبيد ٢ / ٢٦٨

(٨) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٢٤

فإيمان اليهود برسالة موسى عليه السلام ، وانكارهم لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام باطل وفاسد .

٢- يجب الإيمان بكل أصحاب المعجزات ، لأنّ الله أيّد جميع رسله بالمعجزات، فكونهم آمنوا بمعجزات موسى عليه السلام دون غيره باطل وضلال .

٣- التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام فيها البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم باسم أحمد ، ومع ذلك أنكروه ، وهو ثابت في كتابهم ، وبهذا يتبين بطلان حجتهم ، لأنّهم صدقوا بعض قوله وأنكروا بعض قوله . (١)

وتلاحظ إسناد الفعل إلى غير فاعله في قوله ﴿مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ ولم يقل (من بعد ما استجابوا) فيه دلالة على أنّ استجابتهم ، لم تكن استجابة خالصة من الشك والارتياب ، ولهذا لم يسند فعل الإستجابة إليهم (٢) .

(وفي التعبير عن مخاصمتهم وأباطيلهم بالحجّة ، مجاراة لهم على زعمهم الباطل) (٣) حتى يعاودوا النظر فيها ، لعلهم يرجعون إلى رشدهم ولا يزعمون أنّها حجة . وعبّر هنا بكلمة (عند) إشارة إلى شدة بطلان حجتهم . (٤) وفي سبب نزول هذه الآية .

قال عكرمة : لما نزل قوله تعالى ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ السورة

---

(١) انظر حاشية محي الدين زاده ٤ / ٢٧٣
(٢) انظر تفسير القرآن للقرآن ٢٥ / ٣٦
(٣) تفسير أبى السعود ٨ / ٣٨
(٤) انظر تفسير النسفي ٣ / ١٠٣

ودخل الناس في دين الله أفواجا ،غضب المشركون ، وطلبوا من المؤمنين أن يخرجوا من بين أظهرهم،وقالوا لهم: فعلام تقيمون بين أظهرنا ، فنزلت الآية . وقال الحسن : أنّها نزلت في أهل الكتاب الذين يرون لأنفسهم الفضيلة بأنهم أهل كتاب ، وأنهم أولاد الأنبياء ، وبذلك تفاخروا وتكبروا بكتابهم ونبيهم وقالوا: لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ، ونحن أولى بالله منكم لاننا خير منكم. (١) .

وقيل : نزلت في نفر من قريش حيث كانوا يجادلون في دين الاسلام ، ويطمعون في رد المؤمنين إلى الجاهلية(٢) ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي اللَّهِ ﴾ الآية .

وقيل : إنّما نزلت في قوم من اليهود ، خاصموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في دينهم وطمعوا أن يصدّوهم عنه ، ويردوهم عن الاسلام إلى الكفر(٣) ، أقول إنّ الآية عامة في كل من جادل بالباطل وجحد بالحق ، ولا نظر إلى خصوص السبب ، ثم أخبر عن جزاء الذين يمارون بالباطل بعد ما تبين الحق ، عنادا واستكبارا فقال (وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) أى (وعليهم من الله غضب ، ولهم في الآخرة عذاب شديد ، وهو عذاب النار) (٤) وفي الآية إشارة إلى أنّ أقل عذابهم قطع إحسان الله تعالى عنهم ، وأخذهم بالعذاب الأليم .

وسرعان مايظهر بطلان أقوالهم لكل عاقل ، فيورثهم الخزى في

---

(١) انظر لباب النقول ص ١٨٧
(٢) ،، البحر المحيط ٥١٣/٧
(٣) تفسير الطبرى ١٩/٢٥
(٤) المصدر السابق

الدنيا والعذاب في الآخرة،وحربهم بكل شدة لسوء منزلتهم عند الله تعالى (١) ، وكيف يجادلون في هذا الدين (اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ) والألف واللام في الكتاب للاستغراق ، ويراد به جميع الكتب المنزلة على جميع الرسل .

وقيل : إنها للعهد ، ويراد بالكتاب القرآن الكريم ، وهذان الرأيان صحيحان ،والباء للملابسة بمعنى أنزله متلبسا بالحق ، وفي (الميزان) آراء :

١- (ذهب أكثر المفسرين (٢) كابن عباس ومجاهد ، وقتادة إلى أنه هو العدل ، والانصاف ومعنى إنزال العدل،الأمر به في الكتب المنزلة ،والامتثال بأوامر الله واجتناب نواهيه .

٢- ذهب ابن زيد ومجاهد : إلى أنّ هو الميزان نفسه الذى بأيدى (٣) الناس ومعنى، إنزاله الوزن به بالحق ، والنهى عن الظلم والبخس ، وهذا القول مندرج في العدل ، لأنّ اقامة الوزن بالقسط من العدل والانصاف والله يقول : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾(٤)

قال القشيرى : إذا حملناه على الميزان المعروف ،فيكون المعنى (أنزلنا الكتاب ووضعنا الميزان) .

٣- قال الحسين بن الفضل : هو القرآن لأنّه بيّن كل مايحتاج إليه البشر (٥) .

---

(١) انظر نظم الدرر ١٧/٢٧٩ - ٢٨٠
(٢) حاشية الشهاب ٧/٤١٥ وفتح القدير ٤/٥٣١
(٣) انظر التسهيل ٤/٣٣
(٤) سورة الحديد : آية (٢٥)
(٥) انظر الجامع لاحكام القرآن ١٦/٢٦٠

٤- قيل : (هو الشرع من حيث توزن به الحقوق سواء كانت حقوق الله أو حقوق العبد) (١) (ويسوّى بين الناس) (٢) .

٥- قيل : هو العقل ، لأنّ به توزن الأمور ، ويفرق بين الخير والشر والحق والباطل ،(٣)

٦- قيل : مابيّن في الكتب المنزلة ، مما يجب على كل إنسان أن يعمل به .

٧- وقيل : هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب(٤)

وأميل إلى رأى أكثر المفسرين بأن المراد بالميزان العدل والإنصاف أما المراد بالميزان في سورة الرحمن فهو الميزان المعروف الذى في أيدى الناس ، من حيث عبر عنه بالوضع بقوله تعالى (﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾) ثم اتبعه بعد ذلك بقوله تعالى (﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾) (٥) . ومما يدل على أنّ المراد به آلة الوزن المعروفة التى في أيدى الناس ، بخلاف الميزان في سورتي الشورى والحديد (٦) ، فقد عبر عنها بالانزال دون الوضع(٧) ثم أردف بعد ذلك ذكر يوم القيامة ، للاستعداد له ، باتباع شرع الله تعالى وترك مخالفته ، كقيام العدل والحق ، وترك الظلم والباطل ، فقال : (﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾) أى ما الذى يعلمك ويدريك لعل وقت الساعة التى تقوم فيها القيامة قريب ، فاعمل بأوامر الله ، واجتنب نواهيه قبل أن يفاجئك اليوم ، الذى

---

(١) حاشية محي الدين زاده ٤ / ٢٧٤

(٢) مراح لبيد ٢ / ٢٦٨ محمد نووى الجاوى مطبعة احياء الكتب العربيه

(٣) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٢٤

(٤) انظر الفتوحات الالهية ٤ / ٥٨

(٥) سورة الرحمن : آية (٧ الى ٩)

(٦) ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾)

(٧) أضواء البيان ٧ / ١٨٤

توزن فيه أعمالك ويوفي جزاءك) (١)

وسميت القيامة لأسباب :

١- (لوقوعها بغتة ،

٢- لكون الحساب الواقع فيها يتم وينقض في ساعة يسيرة لأنّه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ،

٣- لأنّها على طولها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق ، وتكون ساعة قيام الناس من القبور) (٢)

وإنما قال (قريب) مع تأنيث الساعة لأسباب :

١- (لأنّ الساعة تأنيث غير حقيقي ،

٢- لأنّ المراد به وقت الساعة ،

٣- لأنّ المقصود بالساعة البعث ، والمعنى : لعل مجيئها قريب ، أو اتيانها قريب) (٣) (والاستفهام إنكاري يراد به التقرير ، والإنذار بقرب الساعة ، وأنّ المؤمنين بها على رجاء اللقاء بها ، وسبب اخفاء وقت مجيئها عن العباد ، ليخافوا أهوالها وشدائدها ، ليتوبوا قبل مجيئها) (٤) (ووجه مناسبة ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتب والميزان ، أنّ الساعة يوم الحساب ووضع الميزان بالعدل) (٥) .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٥ / ٢٠

(٢) روح البيان ٣ / ٢٩١

(٣) فتح البيان ٨ / ٣٦٦

(٤) تفسير التبيان ٢٥ / ١٥٣

(٥) تفسير النسفي ٣ / ١٠٤

ولما أفادت الآية السابقة أنّ الله تعالى حثّ المؤمنين على اكثار الطاعة والعبادة ، والعمل الصالح والتقرب إليه بكل أنواع القربات بيّن أنّ الكفار يسخرون من ذكر يوم القيامة لاستبعادهم وقوعه ، وقد دفع الله ذلك بقوله (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) أى (إنّ الذين لا يوقنون بمجيئها يستعجلونها ظنا منهم أنها غير آتية) (١) ، والمراد من استعجالهم يوم القيامة السخرية ، والتّحدّى والإنكار ، والاستخفاف ، وعدم علمهم بما فيه من الأهوال والشدائد ، ولجهلهم بما ينتظرهم من أنواع العذاب (٢) ، ولأنهم محجوبون (٣) ، قال ابن كثير يقولون ذلك تكذيبا وكفرا وعنادا واستبعادا (٤) .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (يارسول الله متى قيام الساعة ؟ فقام النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ، فلما قضى صلاته قال : أين السائل عن قيام الساعة ؟ فقال الرجل: أنا يارسول الله فقال ماعددت لها ، قال يارسول الله ماأعددت لها كبير صلاة ولا صوم ، إلا أنّى أحب الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحبّ وأنت مع من أحببت ، فما رأيت فرح المسلمون بعد الاسلام فرحهم بها) (٥) وتلاحظ أن رسول الله

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢٥ / ٢٠

(٢) انظر تفسير التبيان ٢٥ / ١٥٣

(٣) انظر ظلال القرآن ٥ / ٣١٥١

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم ٤ / ١١٠

(٥) رواه البخارى في كتاب الأدب ٨ / ٣٦٦ باب علامة حب الله ، ورواه مسلم فيَ كتاب البر ١٦ / ١٨٧ باب المرء مع من أحب ، ورواه الترمذى في الزهد ٤ / ٢٢ باب المرء مع من أحب ، واللفظ للترمذى ، وقال : حديث صحيح .

صلى الله عليه وسلم لم يجبه عن وقت الساعة، بل أمره بالاستعداد لها، ولما ذكر انكار الكافرين بيوم القيامة، بيّن علم المؤمنين به، وتيقّنهم باتيانه [1] وأنهم يخافونه هيبة من عظمة الله تعالى وتحذيرا من تقصير طاعتهم وأعمالهم الصالحة، إلاّ أنّ خوفهم به مقرون بالرجاء [2].
فقال (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ) اى أنّ المؤمنين خائفون من مجيئها مع اعتنائهم بها، واهتمامهم بشأنها لتوقعهم مافيها من الثواب [3] (ولعلمهم أنّ التوبة تمتنع عندها، وأنهم محاسبون ومجزيون بأعمالهم في الدنيا) [4]. والله عز وجل قال (يستعجل بها) وكلمة (يستعجل) فعل مضارع يتعدى بنفسه، ولا يتعدى بالباء كما في قوله تعالى (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) [5] ولكننا نلاحظ أنه تعدى بالباء، وسر ذلك أنّ الله تعالى ضمن هذا الفعل معنى يطالب، وآثر الاستعجال على الطلب إشارة إلى أنّ القوم يقصدون تعجيز النبى صلى الله عليه وسلم، وماعلموا أنّ كل شيء خلقه الله بقدر، كما نلاحظ أنّه قدم الايمان على الاشفاق، وقدم الاشفاق على العلم، مع أنّ الانسان يعلم ويتأكد من الأمر أولا ثم يخافه والسر في تقديم الايمان على الاشفاق أنّ العبد لايكون مشفقا من اليوم الآخر إلا إذا كان مؤمنا بالله عزوجل، فهو يؤمن أولا ثم يخاف، وأمّا سر تأخير العلم عن الاشفاق أنّ العلم يحتاج إلى الأدلة والبراهين التى تدل على صحة الدعوى، ولا يأتي العلم

---

(١) إنظر نظم الدرر ١٧/ ٢٨٣
(٢) انظر غرائب القرآن ٢٥/ ٢٥
(٣) انظر حاشية محي الدين زاده ٤/ ٢٧٤
(٤) مراح لبيد ٢/ ٢٦٨
(٥) النحل : آية (١)

بطريق عابرة وسريعة ، انما يأتي بالتفكر والتريث ، وصدق الأدلة[١] ،
كما أن السر في تقديم الإشفاق على العلم التنبيه على العاقل أنه
ينبغي له أن يخش ما يمكن وقوعه ،

قال البقاعي في تفسير هذه الآية ، إنهم يخافون يوم القيامة ،
لأنّ الله هداهم بإيمانهم الذى ملأ صدورهم بمعادن المعارف ، والعلوم
ونورّ قلوبهم بمنابع الأنوار ، فأيقنوا بما فيها من الأهوال والشدائد[٢] ،
لأنهم هم الذين يؤمنون بربهم وباليوم الآخر إيمانا كاملا .
(والاشفاق عناية مختلطة بخوف ، فإذا عدّى (بمن فمعنى الخوف
فيه أظهر ، واذا عدّى (بفي) فمعنى العناية فيه أظهر)[٣]
كقوله تعالى : (قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ)[٤] .

وسبب نزول الآية على نحو ما قاله مقاتل : أنّ النبى صلى الله
عليه وسلم ذكر ذات يوم الساعة ، وأهوالها ومجيئها بغتة من حيث
لا يشعرون وعنده بعض المشركين فقالوا استهزاء وتكذيبا متى تكون
هذه الساعة ؟ فأنزل الله فيهم[٥] (يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَا)
ولما ذكر أنّ أمر الساعة ثابت وحق ، بيّن ضلال المجادلين فيها بقوله
(أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ) أى إنّ الذين
يجادلون ويشكون في قيام الساعة لفى ضلال بعيد عن الصواب ، لأنّ
البعث غير مستبعد عن قدرة الله ، ولقد قامت الأدلة القاطعة

---

(١) انظر تفسير القرآن للقرآن ٢٥/٣٨ ، ٣٩
(٢) انظر نظم الدرر ١٧/٢٨٣
(٣) المفردات ص ٢٦٤ .
(٤) سورة الطور : آية (٢٦)
(٥) انظر تفسير الخازن ٤/٩٣

على وقوع البعث ، والمنطق والعقل السليم شاهدان على أنّ لابد من دار الجزاء ، لئلا يكون التكليف عبثا) (١) .

ولما ذكر الله عز وجل أنه أنزل الكتاب إلى الناس هداية ورحمة لهم وأرسل إليهم الرسول بشيرا ونذيرا (٢) ، وأخبر أنّ الذين يمارون الساعة يستحقون العذاب الشديد ، أخبر أنّه مع هذا العذاب لطيف بعباده (٣) فقال (اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) كثير البرّ بهم بدليل تنكير لطيف ، وصيغة (فعيل) للمبالغة (٤) ، ولاسمه (لطيف) عدة معان منها :

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما (حفي بهم أى مكرم لهم .

(٢) وقال عكرمة بارّ بهم .

(٣) وقال السدى : رفيق بهم (٥)) .

(٤) وقال مقاتل (لطيف بالبار والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا .

(٥) وقال القرظي : لطيف بهم في العرض والحساب) (٦) وهذه المعانى كلها صحيحة .

(٦) وقال الراغب (يعبر بالطف عن لحركة الخفيفة ، وعن معرفة بدقائق الأمور ،

وبهذا الوجه الأخير يوصف الله بأنّه لطيف لعلمه بخفايا الأمور ، ودقائقها) (٧)

---

(١) انظر حاشية محي الدين زاده ٤ / ٢٧٤
(٢) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٢٥
(٣) انظر الفخر الرازى ٢٧ / ١٦١
(٤) انظر روح المعاني ٢٥ / ٢٦
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٦
(٦) الفتوحات الالهية ٤ / ٥٩
(٧) انظر المفردات ص ٤٥٠ .

وأقل لطف الله تعالى بالكافر أنه يؤخّر عنه العذاب ، والنعم التى يتمتع بها[1] ليس معناها لطف الله تعالى به ، وانما هى استدراج[2] ، ثم يأخذ الله أخذ عزيز مقتدر[3] ،

ولما كان الله لطيف بعباده بيّن لمن سأل عن كيفية اللطف بقوله ﴿ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ ﴾ قال جعفر بن محمد الصادق : اللطف في الرزق من وجهين :

١- أنه أعطاهم رزقهم من الطيبات .
٢- أنه لم يعطهم هذا الرزق دفعة واحدة .[4] والتخصيص في الرزق يكون بنوع البر لا بجنسه .

وكل واحد له النصيب الخاص في الرزق ، وتفيد هذه الآية أنّ الرزق قسمان :

١- قسم عام لكل ذى روح ، في قوله تعالى (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزۡقُهَا)[5] .
٢- قسم خاص لمن يشاء ، وهذا هو المقصود في هذه الآية[6] ، ومن هذا الرزق الايمان والهداية قاله الخطيب في تفسيره[7] ،

---

(١) انظر نظم الدرر ١٧ / ٢٨٥
(٢) سبق بيان معناه في ص (١٥٥)
(٣) البحر المحيط ٧ / ٥١٣
(٤) السراج المنير ٣ / ٤٣٤
(٥) سورة هود : آية (٦)
(٦) انظر التسهيل ٤ / ٣٤
(٧) انظر تفسير القرآن للقرآن ٢٥ / ٤

أى أنّ الله يرزق العبد بالايمان والهداية .

أقول : هذا القول بعيد الإحتمال ، لأنّ الرزق شامل لجميع أصناف البر والإحسان ، ولا يقال لمن آمن واهتدى ، الله رزقه الايمان والهداية ، وإنما يقال أرشده الله إلى الطريق المستقيم ، بإيمانه وهدايته ، قال الطيبي إنّ هذا الرزق خاص بعباده المؤمنين ، لأنّ الإضافة اضافة تشريف[1] في قوله (بعباده) أى عباده المؤمنين، والظاهر أنّ المراد بهم جميع الخلق ، وهذا هو الراجح ، لأنّ سياق الآية يفيد ذلك، ثم يعلل الله اللطف بعباده بقوله (وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) كأنه قيل إنّما يلطف الله بعباده دون غضب عليهم بمحض إرادته ، لأنّه قوى قادر على أن يختص برحمته وكرامته من يشاء من عباده ، عزيز غالب لا يمنعه أحد عما يريده ، وفي هذه الآية إشارة إلى أنّ لطفه جل وعلا مقرون بقهره) [2] .

ولما بيّن أنّ الرزق بيده وحده وأنّه لطيف بعباده كثير الإحسان اليهم أشار إلى أنّ الإنسان لابد له أن يسعى في طلب الخيرات وأن يحترز عن القبائح والسيّئات، فإنّ لطفه تعالى وإحسانه وإن لم يكن مقدرا بقدر سعى العبد وعمله ، إلا أنّ الثواب أو العقاب كان منوطا بسعى العبد وكسبه[3] ، فقال (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) من كان يبتغى بأعماله ثواب الآخرة نزد له ثوابه أضعافا مضاعفة ، فنجعل له بالواحد عشرا إلى ماشاء الله له من الزيادة[4] ، والحرث في الأصل (إلقاء البذر في الأرض وتهيئتها للزرع)[5] ثم استعمل في ثمرات [illegible]

---

(١) انظر روح المعاني ٢٥/ ٢٧

(٢) غرائب القرآن ٢٥/ ٣٥

(٣) انظر حاشية محي الدين زادة ٤/ ٢٧٥

(٤) انظر تفسير الطبرى ٢٥/ ٢٠

(٥) المفردات ، ص ١١٢

الأعمال ونتائجها على سبيل الاستعارة ، لأنّ الحارث يعمل ويتعب في الحرث والزرع ثم يجد نتيجة عمله وتعبه أيام الحصاد ، فكذلك من يتعب ويعمل في الدنيا ، يقصد بعمله وجه ربه ، فإنّه يجد ثمرات أعماله في الآخرة ، وكأنّ الأعمال الصالحة بذور وما تنتجه في الآخرة حرث[1] وفي التعبير بإرادة الحرث إشارة إلى اشتراط العمل لما يريده في الدنيا والآخرة وسبب تسمية العمل في الدنيا وفي الأخرة حرثا ، لأنّ منافع الدنيا والآخرة لا تحصل إلا بتحمل المشاق والمتاعب .

وقد اختلفوا في معنى قوله (نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) على أقوال :

١- الزيادة له في التوفيق والعون ، وتسهيل سبل الحياة والطاعات عليه ،

٢- وقال مقاتل : كثرة الثواب له ومضاعفته[2] كما قال تعالى : (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)[3] وهذا ما اختاره السدى وابن زيد ، وهو يفيد أنّ العمل الذى يقصد به ثواب الآخرة يضاعف أجره .[4]

٣- وقيل : حرث الآخرة الطاعة ، أى من أطاع الله ورسوله فله الثواب .

٤- وقيل : الآية في الغزو ، أى من أراد بغزوه ابتغاء وجه الله فله الثواب ومن أراد بغزوه الغنيمة وغيرها أوتى منها ،

---

(١) انظر الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٤٠
(٢) انظر الفخر الرازى ٢٧ / ١٦٣
(٣) الانعام : آية (١٦٠)
(٤) انظر تفسير الطبرى ٢٥ / ٢١

٥- وقال القشيري : ظاهر الآية في الكافر ، يوسع له في الدنيا ، اى لا ينبغى له أن يغتر بذلك ، لأنّ الدنيا تزول وتفنى . (١)

أقول : لا داعى لمن جعلها مقيدة ، ذلك أنّ ظاهرها العموم ، فكل عمل أريد به وجه الله تعالى ، فلعامله الثواب ، فإنّ الغزو مثلا إن قصد به مرضاة الله تعالى فللغازى الثواب والجزاء عند الله ، فلا داعى لمن خصصها بالكافر ، فالحق أنّ الآية عامة لكل من أراد بعمله وجه الله تعالى ، والعادة تصبح عبادة يؤجر المرء عليها إن كانت نيته حسنة ويقصد بها وجه ربه . (٢)

وأهل الارادة ثلاثة أقسام (٤) :

١- مريد للدنيا ، وعلامته أن يحبّ الدنيا ويهتم اهتماما شديدا بمتاعها ولذاتها وشهواتها أكثر من دينه ، ويعرض عن الفقراء ، ويقتصر دعاؤه على حاجات الدنيا بأنواعها وأصنافها فقط ،

٢- مريد للآخرة ، وعلامته أن يحب أنواع الطاعات والعبادات ويهتم بالأعمال الصالحة ، وأمور الآخرة أكثر من أمور الدنيا ، ويحسن الى الفقراء والمساكين ويدعو دائما ربه أن يكون من أهل جنته .

٣- مريد للحق عزوجل كما قال تعالى (يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) (٣) وعلامته أن يستغرق أوقاته في توفيه حقوق الله عزوجل وحقوق الخلق ، امتثالا لأمره تعالى فقط ، وليس طمعا في جنته ، أو خوفا من ناره . أقول : الانسان إذا فعل الأمر الالهى لمجرد كونه أمرا ، أو ينتهى عنه لمجرد كونه نهيا ، لا ليطمع في جنته ولا يخاف من ناره يخالف منهج المؤمنين ، لأنّهم يمتثلون أوامر ربهم

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٨

(٢) انظر حاشية الصاوى ٤/ ٣٦

(٣) سورة الانعام : آية (٥٢)

(٤) انظر نظم الدرر ١٧/ ٩٪٢

ويجتنبون نواهيه طمعا في دخول جنته وخوفا من ناره كما قال تعالى ﴿ أُدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١) وأرى أن القسم الثاني يدخل في القسم الثالث ، وذلك أن المرء لا يحب الآخرة إلا إذا كان محبا لله عز وجل ، ولما ذكر مريد الآخرة بيّن مريد الدنيا فقال (وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ) أى من كانت همّته وغايته مقصورة على الدنيا ، وقدّم السعى فيها على الإيمان ، فهو مخلد في النار ، وليس له في الآخرة نعيم أصلا ، أما إذا كان مفرطا في قضاء حاجاته وأعماله إلا الايمان كان يرائي بأعماله غرضا لطلب الدنيا فهو مسلم عاص ، له نعيم في الآخرة غير كامل (٢) والآية وعد منجز ، أى إنّ عمل لوجه الله تعالى ولآخرته فيثاب عليه في الآخرة ، أما هذه الآية فمقيدة بإرادة الله تعالى ، أى إتيان نتيجة وثمرة اعماله في الدنيا بمشيئة الله . إن شاء أعطى وإن شاء منع ، والخطاب إما أن يكون للكفار ، وإما أن يكون لمن كان يريد الدنيا ولا رغبة له في الآخرة(٣) ، وأميل : إلى أنّ الخطاب لمريد الدنيا فقط ، لأنّ الكفار أصلا ليس لهم نصيب في الآخرة ، إلا العذاب والعقاب ، ومن الأحاديث التى تدل على هذه الآية :

١- ما رواه أبيّ بن كعب رضي الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (بشّر هذه الأمّة بالسنا والرفعة والنصرة والتمكين في الأرض ، مالم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة ،

---

(١) سورة النحل : آية (٣٢)
(٢) انظر حاشية الصاوى ٤/ ٣٧
(٣) انظر كتاب التسهيل ٤/ ٢٠

فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب) [١] .

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ) ثم قال يقول الله تعالى (يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى ، وأسد فقرك ، وإلّا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسدّ فقرك) [٢] وتلاحظ أنّ الله سبحانه قدّم مريد حرث الآخرة في الذكر لكونه أفضل من مريد الدنيا ، وللتنبيه على أنّ حرث الآخرة هو سبب دخول الجنة ، وحرث الدنيا فقط ، هو سبب دخول النار ، ومريد الآخرة يرى ثواب عمله أضعافا مضاعفا بينما مريد حرث الدنيا يعطيه بعض ما يطلبه ، وليس كل ما يطلبه لأنّ كلمة (من) في قوله (نؤته منها) للتبعيض [٣] كما يلاحظ أنّ طالب الآخرة يزيد ثوابه كلما تزيد طاعته وعبادته لله عز وجل ، وكلما كانت طاعته وعبادته أصعب وأشد كان ثوابه أكثر ، بينما طالب الدنيا ينقص ما جمعه ويفنى ثمرة أعماله [٤]

وقد اتفق العلماء على أنّ قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) محكم ، واختلفوا في قوله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) هل هو محكم أو منسوخ ؟ وللمفسرين فيه قولان :

١- قال ابن عباس رضي الله عنهما : إنها نسخت بقوله تعالى :

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤ / ٣١١ كتاب الرقاق وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٢) رواه الترمذي في سننه ٤ / ٥٨ أبواب صفة القيامة ، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب .
والحاكم في المستدرك ٣ / ٤٤٣ وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٣) انظر الفخر الرازي ٢٧ / ١٦٣

(٤) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٣٥

﴿ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَانَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾(١) وهذا ما ذهب اليه مقاتل وغيره .

٢- ذهب أكثر العلماء إلى أنها محكمة،واستدلوا على ذلك بدليلين :

١- إنه خبر ، والخبر لا يدخله النسخ ، ٢- إنهم قالوا ما من أحد إلا ولهنصيب مقدر في الدنيا،ولا يفوته هذا النصيب،فمن كانت همته ثواب الدنيا أعطاه الله منها ما قدر له ، وذلك هو الذى يشاؤه الله ، وهو المراد بقوله (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَانَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ) ولم يقل يؤته منها مايشاؤه ، ويمكن أن يكون المعنى (لمن نريد) أن نفتنه أو نعاقبه وهذا ما ذهب اليه قتادة (٢) والرأى الصواب أنّ الآية محكمة مادام الجمع ممكنا ، والآية الثانية مقيدة بالمشيئة وعلى ذلك فلا نسخ ،وفي الآيتين الرّدّ على من يرون أنّ الرزق والقوة دليل على حظهم الطيب عند الله،وفيهما أنّ ضيق العيش ، وسعته مظهر من مظاهر سنن الله في الكون ، وكثرة الأولاد والأموال ، وقوة السلطان والجاه لا تنفع الإنسان ،ولا تدفع عن عذاب الله تعالى ، اذا لم يقصد بها وجه الله ولم يعد نفسه لحساب الآخرة بالايمان ، والعمل الصالح (٣) .

وسبب نزول الآية أنّ اليهود والنصارى جادلوا المسلمين في ربهم وتفاخروا بكتابهم ونبيهم ، فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾(٤)

---

(١) سورة الاسراء : آية (١٨)
(٢) انظر نواسخ القرآن ص ٢٤٦ - ٤٥٠
(٣) انظر التفسير الحديث ٥/١٧٣
(٤) انظر الدر المنثور ٦/٤

ولما بيّن تعالى أعمال الآخرة والدنيا أردفه للتنبيه إلى ما هو الأصل في باب الضلال والشقاوة فقال (أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ اللَّهُ) (الهمزة تدل على التفريع ، والتقرير، والتوبيخ ومعنى التقرير التحقيق والتثبت)(١) ، (وقيل ، أم منقطعة وتقديره بل ألهم شركاء ، وقيل هي المعادلة لألف الاستفهام ، وفي الكلام اضمار تقديره ، أيقبلون ما شرع الله من الدين أم لهم آلهة) (٢)

وللشركاء ثلاثة معان :

١- (الشياطين الذين شاركوهم في الكفر والعصيان ،

٢- الأصنام والأوثان ،أوكلّ من جعلوه شريكا لله تعالى ، وإضافتها إليهم لأنّهم الذين جعلوها شركاء لله عز وجل ، واسناد الشرع إليها ، لأنّها سبب ضلالهم وفتنتهم) (٣)

٣- (زعماء الباطل ودعاة الضلال ، وفي اطلاق الشركاء عليهم إشارة إلى أنهم يدينون بهذه الشريعة الباطلة) (٤) (ويعود الضمير في قوله [شرعوا] إلى الشركاء ويعود الضمير في " لهم " إلى الكفار وهم كفار مكة) (٥) وهذا هو الظاهر ، ويحتمل أن يعود الضمير في (شرعوا) إلى الكفار ، ويعود الضمير في (لهم) إلى الشركاء أى شرع الكفار لأصنامهم ،

---

(١) غرائب القرآن ٢٥ / ٤١٧

(٢) تفسير النسفي ٣ / ١٠٤

(٣) البحر المحيط ٧ / ٥١٥

(٤) تفسير القرآن للقرآن ٢٥ / ٤٢

(٥) تفسير الخازن ٤ / ٩٤

ومعبوداتهم أحكاما في المعتقدات ، كقولهم إنّ آلهتهم وعبادتهم لها تقربهم إلى الله تعالى ، قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام) (١)
أقول : إنّ هذه المعانى الثلاثة صحيحة كلها تحتمل هذه الآية (وسبب عدم استجابتهم لهذا الدين الذى شرعه الله لهم ، هو أنهم على شريعة شرعها لهم آباؤهم وأجدادهم ورؤساؤهم ، وهي شريعة باطلة من مبتدعات أهوائهم ، لم يأذن بها الله ، ولم يرسل بها رسولا من عنده) (٢) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ﴿ هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم ، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة (٣) والسائبة (٤) والوصيلة (٥) والحام (٦) وتحليل أكل الميّتة ، والدّم والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات وأمور الباطلة التى كانوا اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم ، والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة) (٧)

---

(١) السراج المنير ٣ / ٤٣٥

(٢) تفسير القرآن للقرآن ٢٥ / ٤٢

(٣) البحيرة : هي الناقة التى إذا ولدت عشرة أبطن شقوا أذنها وتركوها ، فلا تركب ولا يحمل عليها ولا تنحر، المفردات ص ٣٧ .

(٤) السائبة : الناقة التى تترك من غير حلو ، ولا ترد عن حوض إذا ولدت خمسة أبطن . انظر المفردات ص ٢٤٦ .

(٥) الوصيلة : الناقة التى إذا ولدت في السابعة ذكرا أو أنثى قيل وصلتْ أخاها ، فلا يذبحوها من أجلها ، وتجرى مجرى السائبة انظر المفردات ص ٥٢٥

(٦) الحام : فحل الإبل الذى ولد عشرة أبطن يقال حمى ظهره فلا يركب ، انظر المفردات ص ١٣٣ .

(٧) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١١١

والحق أنّ الآية عامة في كل شيء لم يأمر به الله ورسوله ، ويدخل فيه التقليد الذى أحدثه الجهّال والعوام ، في العبادات والأحكام ، فرحم الله امرأ سمع الحق فاتبعه وسمع الباطل فتركه وأدمغه (١) ، وفي الآية إنذار للمشركين والظالمين على ما ظهر منهم من الجرأة . (٢)

ثم بيّن الله تعالى أنه يؤخر عذاب هؤلاء المبتدعين والمشركين ليوم معلوم فقال (﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾) أى ولولا القضاء السابق بتأخير الجزاء والعقاب إلى يوم القيامة حيث قال تعالى (﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾) (٣) أو الى آخر أعمارهم (٤) ، (أو لولا الوعد بأنّ الفصل يكون بينهم يوم القيامة) (٥) لقضي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم في الدنيا (٦) .
يقول البيضاوى : إنّ هذا العذاب يكون في الآخرة ، ولا يدخل فيه عذاب الدنيا (٧) ولما كانوا ينكرون وقوع العذاب عليهم قال مؤكدا وقوع العذاب عليهم حتما (٨) ، (﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) أى إنّ الذين ابتدعوا أمورا لم يأذن بها الله ورسوله يعذبهم في الدنيا بالقتل والأسر والنهب ، ويعذبهم في الآخرة بالنار (٩)

---

(١) انظر فتح البيان ٨ / ٣٦٩
(٢) انظر التفسير الحديث ٥ / ١٧٤
(٣) القمر : آية (٤٦)
(٤) انظر روح المعاني ٢٥ / ٢٨
(٥) السراج المنير ٣ / ٥٣٥
(٦) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٢٦
(٧) انظر حاشية الشهاب ٧ / ٤١٧
(٨) انظر نظم الدرر ٢٧ / ٢٩٢
(٩) انظر البحر المحيط ٧ / ٥١٥

ويراد بالظالمين هنا المشركون [1] ، وأقام المظهر مقام الضمير ، للإشارة الى أنهم لا يفوتونه تعالى ، فإن لم يقضي بينهم ولم يعذبهم في الدنيا ، فإنّه بلا شك يعذبهم عذابا أليما في الآخرة [2] ، وليسجل عليهم الظلم ، ودلالة على أنّ العذاب الأليم إنما يحلقهم بسبب ظلمهم وانهماكهم فيه ، وفي الآية أنّ الكفار ابتدعوا وشرعوا أمورا لم يرضى بها الله ورسوله من مخالفات الشريعة وقواعدها ، كأهل الحرب شرعوا للأسارى من المسلمين عند استيلائهم عليهم ماليس في دينهم من أكل لحم الخنزير وشرب الخمر وغيرهما من الأمور المحرمة . [3]
ولما ذكر أنّ العذاب يكون في الآخرة بيّن حال الفريقين فيها ، وبدأ بأحوال الكافرين وعقابهم فقال (تَرَى الظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) .

والظالمون هنا هم الكافرون بدليل ذكر حال الكافرين أولا ثم ذكر حال المؤمنين ثانيا [4] ، والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعنى الآية ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة خائفين أشد الخوف من عذاب الله تعالى على ماكسبوا في الدنيا من كفرهم بالله ورسوله ، وانكارهم البعث والعذاب ، وهم ذائقوه لا محالة سواء أشفقوا أو لم يشفقوا [5] ، وقال الألوسي ، الخطاب لكل أحد يصلح منه الرؤية ، للتنبيه على شدة سوء حالهم [6] وهو غير

---

(١) انظر زاد المسير ٧/٢٨٣
(٢) انظر الميزان في تفسير القرآن ٢٥/٤١
(٣) روح البيان ٨/٣٨
(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٠
(٥) انظر تفسير الطبرى ٢٥/٢٢
(٦) انظر روح المعاني ٢٥/٢٨

مختص بروءية راء دون راء[1]، وهذا القول هو الذى أميل اليه، لأنّ أهل الجنة يشاهدون أهل النار ويسألونهم عن أنواع الذنوب الذى اقترفوها حتى أدخلتهم النار، كقوله تعالى ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾[2] وخوف الكافر في يوم القيامة زيادة على عذابه الأليم، أما المؤمن فليس له خوف في الآخرة لأنّه يحصل فيها جزاءه وأمنه واستقراره[3] وأقام الضمير مقام المظهر في قوله (وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ) بدلا من قوله (وهو واقع بهم) ليدل على شدته وعظيم قوله، كما أنه أشار إلى أنّ ما ورد عن العذاب في الدنيا ليس إلا دلالة عليه، وأمّا ما غاب عن أعينهم منه فسيعرفونه حين يلقونه ويعيشون فيه.[4]

ولما ذكر حال الكافرين وعذابهم بيّن حال المؤمنين ونعيمهم فقال (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) أى إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات مستقرين في أطيب بقاع الجنة وأنزهها وهم يشتهون من صنوف النعم وأنواع اللذات[5]، وينالون ما يشتهون، وفي هذه الآيه إشارة إلى أنواع النعم التى أعدّها الله لهم[6]، كما أنّه اختصهم بالقرب والكرامة وفيها تنبيه على أنّ في الجنة منازل غير الروضات، هي لمن هو دون هوءلاء الذين عملوا الصالحات[7]، وأنّ الذين آمنوا ولم يعملوا الصالحات في الجنة، غير أنهم ليسوا في الأعلى ولا في الأطيب،[8]

---

(١) تفسير أبي السعود ٨/٢٩ .
(٢) سورة المدثر : آية (٤٣) .
(٣) انظر حاشية الصاوى ٤/٣٧ .
(٤) انظر تفسير القرآن للقرآن ٢٥/٤٣ .
(٥) انظر تفسير أبي السعود ٨/٣٠
(٦) انظر روح المعاني ٢٥/٢٩ .
(٧) تفسير الخازن ٤/٩٤ .
(٨) حاشية الصاوى ٤/٣٧ .

وأن عصاة المسلمين من أهل الجنة ،لأنه حق الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم في روضات الجنات ، ولابد أن يكون في الجنة غيرها [١] ، ثم قال (لهم مايشاءون عند ربهم) (وهو يدل على أن تلك الاشياء حاضرة عنده مهيأة ، ثم قال في تعظيم هذه الدرجة) [٢] (ذلك هو الفضل الكبير) (اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين ، وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه) [٣] يقول الخطيب : (ذلك هو الفضل الكبير) اشارة الى أنواع النعم التي يحصلها المؤمنون ، وفضل الله واحسانه لهم، فذلك هو الفضل الكبير حقا [٤] ، ولن تعرف العقول كنه صفته ، لأن الله تعالى اذا قال كبير، فمن الذى يقدر قدره [٥] .

قال الطبرسي ان قوله (الفضل الكبير) يعني الزيادة التي لا تعد لها شيء في كثرتها [٦] ، ويدل قوله (ذلك الفضل الكبير) على أن روضات الجنات ، ووجود كل ما يريدونه ويطلبونه ، انما كان جزاء ايمانهم وأعمالهم الصالحات ، ويدل ايضا على أن الثواب على الله غير واجب والجزاء الذى يترتب على الايمان والعمل الصالح انما يحصل بطريق الفضل والاحسان لا بطريق الاستحقاق [٧] ، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم (سددوا وقاربوا وأبشروا ، فانه لا يدخل أحد الجنة احداعمله ، قالوا ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا الا أن يتغمدني الله منه ورحمة) [٨] .

---

(١) انظر فتح البيان ٨/٣٧٠
(٢) الفخر الرازى ٢٧/١٦٤
(٣) تفسير ابي السعود ٨/٣٠
(٤) انظر تفسير القرآن للقرآن ٢٥/٤٣ .
(٥) انظر الجامع لاحكام القرآن ١٦٨/٢٠
(٦) انظر تفسير التبيان ٩/١٥٦ .
(٧) انظر الفخر الرازى ٢٧/١٦٤
(٨) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧/١٦١ كتاب صفات المنافقين باب لن يدخل احد الجنه بعمله ، وصحيح البخارى ٨/١٢٢ كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل واللفظ للمسلم.

ولما ذكر أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يتمتعون بأنواع النعم الكثيره في روضات الجنات بين أن ذلك النعيم حاصل لهم لا محالة بشارة منه لهم فقال (ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) أى هذه النعم والكرامة التي أعددتها للذين آمنوا وعملوا الصالحات هي البشرى التي اخبرتهم عنها [1]، واسم الاشاره يعود الى الفضل الكبير، أوالى الثواب المفهوم من السياق ،أوالى التبشير الذى بشر الله به عباده . [2]

قال ابو حيان لا يمكن عود اسم الاشاره الي التبشير لعدم تقدم ذكر لفظ البشرى في الآية ولا مايدل عليه [3]، وهذا غير صحيح ، لأن الذى ذكرناه عن منزلتهم في روضات الجنات وأن لهم ما يشاؤون عند ربهم، تكفي لكونها بشرى للمؤمنين [4] وذهب البيضاوى الى أنه يرجع الي الثواب الذى يبشرهم الله به [5]: ، وهو ما أذهب اليه ، لكونه قولا جامعا للآراء ، وقد ذكرت البشرى ، واقسامها في القسم الموضوعي [6]

وفي هذه الآيه اشارة الى أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم المبشرون بتلك البشارة [7]، وقد اشارت الآية الى التنبيه بمصيرهم السعيد ، والى عظيم الثواب الذى ينالونه يوم القيامه بأربعة وجوه :

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢٥ / ٢٢

(٢) انظر تفسير غرائب القرآن ٢٥ / ٢٦ .

(٣) انظر البحر المحيط ٧ / ٥١٦

(٤) انظر روح المعاني ٢٥ / ٣٠

(٥) حاشية الشهاب ٧ / ٤١٨

(٦) ص : ٢٨٢

(٧) انظر تفسير المراغي ٢٥ / ٣٨

١- إذا ترتب على الطاعة والعبادة الصعبة جزاء فإنما يدل على أن ذلك الجزاء لا يعرف قدره إلا الله تعالى، لأنه رتب على الإيمان والعمل الصالح روضات الجنات التي لا يعلم كنهها إلا هو .

٢- إن رغبتهم في الجزاء غير متناهية ومحدودة بدليل قوله (لَهُم مَا يَشَآءُونَ) ولا ينال الإنسان درجة الجزاء إلا ويريد غيرها .

٣- نصّ الله على عظيم فضلهم نصا صريحا ، في قوله (ذَٰلِكَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) .

٤- إنه تعالى أعاد البشارة على سبيل التعظيم فقال (ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ) وذلك يدل أيضا على غاية العطاء . (١)

وبعد أن ذكر الله عز وجل هذه الأحكام التي بلغها الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته وأخبرهم أنّ هذه البشارة للمؤمنين العاملين بالأعمال الصالحة، أمره أن يخبرهم بأنّه لا يطلب منهم الأجر على هذا التبليغ والنصح بقوله (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) أي إنّ الله عز وجل أمر رسوله الكريم أن يبلغ للناس رسالته دون أن يسألهم على مهمته أجرا ، ولا يقصد نفعا خاصا ، بل كل ما يطلبه هو هدايتهم ، ومودته وعدم ايذائه ، وعدم صدّه عن دعوته، وهذا المعنى تدل عليه الآية الأخرى (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٢)) وغيرها من الايات .

---

(١) انظر الفخر الرازي ٢٧/١٦٥ .

(٢) سورة ص : آية (٨٦)

والخطاب إما لقريش وهو الظاهر،لأنّ السورة مكية أو لسائر العرب لقرابته عليه الصلاة والسلام منهم جميعا [١] ، أو لسائر المسلمين الى أن تقوم الساعة ، والراجح العموم لأنّ سائر الناس يجب عليهم مودة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظا لحقه ، كما يجب عليهم مودة قرابتهم ، والخارجون عن الاسلام محاسبون على كفرهم ومحاسبون على تفريطهم فيما يجب عليهم من صلة الرحم ، وغير ذلك من فروع الشريعة ، وإذا قلنا بالعموم فيجب دخول قريش والعرب دخولا أوليا .

وفي تفسير قوله (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) أربعة أقوال :

١- القرابة هنا بمعنى قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بدليل ما رواه البخارى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عباس : (عجلت [٢] إنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش ، إلا كان له فيهم قرابة، فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة) [٣] ويكون المعنى : إن لم تتبعوني فاحفظوا حق قرابتي منكم ، وصلوا رحمي بيني وبينكم ولا تؤذوني . [٤]

---

(١) انظر روح المعاني ٣٠/٢٥

(٢) المقصود بقوله عجلت : أسرعت في التفسير .
انظر فتح البارى ٥٦٤/٨ .

(٣) صحيح البخارى ١٦٢/٦ كتاب التفسير ، سورة الشورى ، باب قوله (إلا المودة في القربى) .

(٤) انظر حاشية الصاوى ٣٨/٤ .

٢- ان القربى ، بمعنى القرب والتقرب إلى الله ، والتودد إليه بالعمل الصالح ، قاله الحسن وقتادة ، ويكون المعنى ، إلا أن تتودّدوا إلى الله تعالى ، وتتقربوا إليه بالعمل الصالح والطاعة .[1]

٣- قيل : المراد : مودة أقاربه* صلى الله عليه وسلم[2] ، بدليل ما روى عن سعيد بن جبير (أنه قال حين نزلت ، قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم لقرابتك ، فقال (على وفاطمة وابناهما)[3] ويكون المعنى الا أن تودوا اقاربي وتحفظوني .

٤- قال الضحاك والحسين بن الفضل: إنّ هذه الآية منسوخة ، بقوله تعالى ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ[4] ﴾ لأنّ آية الشورى نزلت بمكة حين كان

---

(١) انظر زاد المسير ٧/٢٨٥

(٢) انظر التسهيل ٤/٣٥ .

(٣) ذكره الألوسي في روح المعاني ٢٥/٣١ بصيغة التمريض قبيل وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق ابن جبير عن ابن عباس وقال : وسند هذا الخبر على ما قاله السيوطي في الدر ضعيف ، وقال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف فيه حسين الاشقر ضعيف ساقط . انظر الكافي في الكشاف في نهاية الكشاف ص ١٤٥ .

(٤) سورة سبا : آية (٤٧) .

المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرهم الله بمودة نبيه صلى الله عليه وسلم و صلة رحمه[1] ، والقول بأنّ المراد التقرب إلى الله بالطاعة ضعيف ، لأنه من فرائض الدين [2] ، أما القول بأن المراد مودة أهل بيته ، فهو صحيح ، لأنّ أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم تجب مودتهم وترك أذيتهم من أجل النبي صلى الله عليه وسلم ، ورواية سعيد بن جبير غير صحيحة لأسباب :

١- يبطل ابن كثير هذا الحديث ، لأنه من وضع الشيعة ، وقال في تفسيره (إسنادها ضعيف ، فيه مبهم لا يعرف عن شيخ شيعي مختلق[3] وهو حسين الأشقر، ولا يقبل خبره[4]) ، وقال الحافظ بن حجر إنه ضعيف ساقط[5] ، وقال في كتابه [6] « صدوق ، يهم ويغلو في التشيع » .

وابن كثير لم يعترض على هذا الرأى ، وإنما اعترض على الحديث فقط ، لأنّ الرأى صحيحا ، ولكن الرواية باطلة وليس من المعقول أن يقول ابن كثير لا توجد المودة بين علي وفاطمة وابناهما وبين المسلمين .

٢- إن هذه الآية نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين عديدة لأنّ عليا تزوج بفاطمة بالمدينة بعد غزوة بدر ،

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٢/١٦

(٢) انظر تفسير الخازن ١٢٢/٦

(٣) المختلق : الكاذب والمفترى : قاله الفرّاء . انظر لسان العرب ٧٥/١٠ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ١١٢/٤

(٥) انظر زاد المسير ٢٨٥/٧ .

(٦) تقريب التهذيب ١٧٥/١ . لابن حجر العسقلاني تحقيق عبد الواهاب عبد اللطيف الناشر : دار المعرفه .

والحسن ولد في السنة الثالثة ، والحسين في السنة الرابعة من الهجرة ، وهذه الآية مكية باتفاق،فكيف يفسر النبي صلى الله عليه وسلم الآية بوجوب مودة قرابة لا تعرف ولم تخلق .

٣- ولو كان المراد مودة أهل بيته صلى الله عليه وسلم لما دخل حرف الجر في الآية (إلا المودة في القربى) ولقد وردت في القرآن جميع التوصية بالأقارب كلمة (ذوى القربى)(١) كقوله تعالى ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾(٢) وقال في آية آخرى ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾(٣) فلما ذكر في هذه الآية كلمة (المودة) بالمصدر دون الاسم ، دل على أنه لم يرد ذوى القربى ولو أراد لقال (المودة لذوى القربى) ولا يقول من طلب المودة لغيره أسألك المودة في فلان ، ولا في قربى فلان ، وإنما يقول أسألك المودة لفلان ، والقول بأن الآية منسوخة بقوله ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ قول باطل ،لأن الاستثناء منقطع،أى لا أسألكم عليه أجرا قط، ولكن أسألكم أن تودوني لقرابتى فيكم ،وليست المودة أجرا ، والله عز وجل أمرنا بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وبمودة أقربائه الذين آمنوا به ، وكف الأذى عنهم (٤)، ولا ريب أن البر والمحبة بالصالحين المتقين من أهل بيته ،واحترامهم ومودتهم واجب مسلم به(٥) ،

---

(١) تفسير القاسمي ١٧٨/٥

(٢) سورة البقرة : آية (١٧٧)

(٣) سورة الحشر: آية (٧)

(٤) انظرا المنتقى من منهاج الاعتدال ص٤٣٢ .

(٥) انظر تيسير الكريم الرحمن ٩٧/٧ .

ولكن لم يثبت وجوبها بهذه الآية ، ولا محبتهم تكون أجرا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فمن جعل محبة أهل بيته أجرا له يوفيه إياه فقد أخطأ خطأ عظيما (١)، والصواب من الآراء ما قاله ابن عباس ومعناه (إلا أن تودوني في قرابتي منكم ، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم) وهو ما ذهب إليه جمهور المفسرين كالطبرى (٢) ، وابن كثير (٣) ، والبيضاوى (٤) وغيرهم .

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية :

١- أخرج الطبراني بسند فيه ضعيف عن ابن عباس قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، كانت تنوبه نوائب وحقوق لا يسعها ما في يديه ، فجمع الأنصار المال ، وأتوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له يارسول الله إنك ابن أختنا وقد هدانا الله على يديك ، وتنوبك نوائب وحقوق ، ومالك سعة ، فخذ هذا المال تستعين به على ما ينوبك ، فنزلت هذه الآية (٥) .

٢- أخرج ابن جرير وغيره من طريق مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما (قال: قالت الأنصار فعلنا وفعلنا وكأنهم افتخروا ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما ، لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم

---

(١) تفسير القاسمي ١٤/٥٢٣٧
(٢) انظر تفسير الطبرى ٢٥/٢٦
(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/١١١
(٤) حاشية الشهاب ٧/٤١٨
(٥) انظر أسباب النزول ص ٢٨٠ .

في مجالسهم ، فقال : يا معشر الأنصار ، ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال ألم تكونوا ضلا لا فهداكم الله بي ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : أفلا تجيبوني ؟ قالوا : ما نقول يارسول الله ؟ قال : ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك ؟ أولم يكذبوك فصدقناك ؟ أولم يخذلوك فنصرناك ؟ فمازال يقول حتى جثوا على الركب ، وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ورسوله ، قال فنزلت هذه الآية .

٣- قال قتادة : اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمدا يسأل أجرا على ما يتعاطاه ، فنزلت هذه الآية (١) ، وهذا هو الظاهر والراجح ، أما الأول والثاني فهما باطلان ، لأن السورة مكية والأول من رواية الكلبي ، وهو كذاب .

ثم أردف بعد ذلك بيان جزاء المودة ، ولاشك أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم ومودته من أعظم الحسنات فمن أحبه فقد نال ثوابا عظيما فقال (وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) .

(أى من يعمل عملا فيه طاعة الله ورسوله نزد له أجرا عظيما (وقال بعض السلف إنّ من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة السيئة بعدها) (٣)

---

(١) انظرالجامع لاحكام القرآن ١٦ / ٢٤ والبحرالمحيط ٧ / ٥١٦ .
(٢) تنزيه الشريعة ١/١٠٤ بيروت .
(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١١٤

وقد اختلف المفسرون في معنى (حسنة) على ثلاثة أقوال :

١- (المودة في قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس والسدى)[١]

٢- (قيل الطاعة)[٢]

٣- (أيّ حسنة كانت)[٣] (والظاهر العموم في كل حسنة وهو الراجح)[٤] والاقتراف يستعمل غالبا في الشر، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾[٥]

واستعماله هنا في مقام الإحسان ، إشارة إلى أنّ اليد التي تفعل الشر باستطاعتها أن تبدلها بالحسنة ، وكذلك الإنسان باستطاعته أن يغير طريقة السيء الذى سلكه بطريق الخير[٦]، ولما كان من يفعل حسنة يضاعف أجره ، إلى ما شاء الله ، بيّن أنّ من ارتكب ذنبا وفعل سيئا ، ثم تاب إلى الله فإنه يغفر له ، فقال

---

(١) روح المعاني ٢٥/١٨
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٤
(٣) تفسير النسفي ٣/١٠٦
(٤) غرائب القرآن ٢٥/٢٨
(٥) سورة الأنعام آية (١٢٠)
(٦) انظر تفسير القرآن للقرآن ٢٥/

فقال (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) أى إنّ الله عز وجل كثير المغفرة للمذنبين ، كثير الشكر للمطيعين ، قال قتادة : غفور للذنوب شكور للحسنات [١] وفي هذه الآية دعوة إلى التوبة وإلى فعل الحسنات والطاعات ، بعد ارتكاب السيئات والذنوب .

ولما ذكر في أول السورة أنّ هذا القرآن إنما حصل بوحى الله ، في قوله (كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) بينّ هنا أن الكفار زعموا أن القرآن ليس بوحي من الله وإنما هو افتراء من الرسول صلى الله عليه وسلم فأنكر الله عز وجل عليهم هذا الافتراء ووبخهم على زعمهم الباطل [٢] بقوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ) (الهمزة للانكار التوبيخى ، كأنه قيل : أيقع في قلوبهم ، ويجرى على ألسنتهم أن ينسبوا مثل محمد إلى الافتراء على الله ، الذى هو أقبح الكذب وأفحشه) [٣] (ويقولون افترى محمد صلى الله عليه وسلم بدعوى النبوة ، أو القرآن) [٤] وهذا الذى يتلو علينا ماهو إلا اختلاق من قبل نفسه ، وليس بوحي من عند ربه ، كما يدّعى ، وقد اختلف المفسرون في معنى قوله (فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ) ١- قال قتادة : وابن عطية : [٥]

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢٥ / ٢٧
(٢) انظر غرائب القرآن ٢٥ / ٣١
(٣) الفخر الرازى ٢٧ / ١٦٨
(٤) روح المعاني ٢٥ / ٣٢
(٥) انظر فتح القدير ٤ / ٥٣٥

إن يشأ الله يمسك القرآن أو الوحي عنه ، ٢- قال البيضاوي في معناه ، لو أنّ النبي صلى الله عليه وسلم افترى القرآن أو شيئا منه على الله-وحاشاه أن يفعل ذلك - إنه إن فعل ذلك فإنّ الله عز وجل يختم على قلبه ، بمعنى يخذله ولا ينصره [1] ،

٢- (وقال مجاهد ومقاتل والزجاج : إن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة أو حزن من قولهم) [2]

٣- (قيل : معناه لو حدثتك نفسك بأن تفترى على الله كذبا لطبعت على قلبك ، وأذهبت الوحي الذى آتيتك به ، لأنى أمحو الباطل وأحق الحق) [3] ،

٤- قيل : الخطاب له والمراد الكفار ،أى إن يشأ الله يختم على قلوب الكفار ، ويعاجلهم بالعقوبة ، قاله القشيرى [4] ، وأتى (بإن) مع أن عدم مشيئته تعالى مقطوع به ، للإشعار بعظمته تعالى ، وأنه سبحانه غني عن العالمين [5] ، وقال البيضاوى : أتى (بإن) بدلا من كلمة (لو) لأنّ كلمة(إن)تفيد الشك في وقوع الجواب ، والاستبعاد ، و(كلمة) لو تفيد الامهال ، والعقاب ، ومعناها استبعاد الافتراء من الوسول صلى الله عليه وسلم [6] . ثم

---

(١) انظر حاشية الشهاب ٤١٩/٧
(٢) غرائب القرآن ٣٢/٢٥
(٣) تفسير التبيان ١٥٧/٩
(٤) انظر فتح القدير ٥٤٥/٤
(٥) انظرروح المعاني ٣٤/٢٥
(٦) انظر حاشية الشهاب ٤١٩/٧

أكد استبعاد الافتراء منه وزاده إيضاحا فقال (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) (أى لو افتريت على الله كذبا لختم على قلبك ومحا الباطل الذى كنت تفتريه لو افتريت، لأنه عز وجل يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه، أو بقضائه ، الذى لا مرد له أو بوعده) (١) وقال الخازن : إن الله عز وجل أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم أن ما يقولونه باطلا وافتراء ، والله عز وجل يمحو الباطل وهو الكفر ، ويثبت الحق وهو الاسلام ، وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم ، وأعلى كلمة الاسلام (٢) (والمراد (بكلماته) كلماته التكوينية وهي مقتضى إرادته ، وكلماته التشريعية التى يوحيها إلى رسله عليهم الصلاة والسلام) (٣) (وعبر بالمضارع (يمح ويحق) للدلالة على الاستمرار أى محو الباطل واحقاق الحق سنة جارية له) (٤) (ويمحو الله الباطل) (ليس معطوفا على قوله (يختم) بل هو مرفوع على الابتداء ، وحذفت منه الواو في قوله (يمح) كما حذفت من قوله) (٥) (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) (٦) ولما كانوا يدعون أنه صلى الله عليه وسلم على الحق وهم على الباطل ، بين أنهم يظنون أن الله تعالى لا يعلم مكرهم وأفعالهم ، فقال مؤكدا أنه يعلم كل تصرفاتهم ونواياهم (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أى يعلم ما تكنه الضمائر وتنطوى عليه السرائر ، وتجرى الأمور بحسب علمه الواسع المحيط بكل شيء (٧) ، ولما أخبر بضلالهم وبطلان أعمالهم ،

---

(١) حاشية الشهاب ٧ / ٤٢٠
(٢) انظر تفسير الخازن ٤ / ٩٥
(٣) تفسير المنار ٧ / ٤٦٤
(٤) الميزان تفسير القرآن ٢٥ / ٥٠
(٥) تفسير الطبرى ٢٥ / ٢٧
(٦) العلق : آية (١٨)
(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ٤ / ١١٤

ووبخهم على افترائهم على الرسول صلى الله عليه وسلم رغبهم في التوبة رحمة وكرما منه ، فقال (وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) .

قال الطيبي : إنّ الله عز وجل من شأنه قبول التوبة عن عباده ، إذا تابوا والعفو عن سيئاتهم ، بمحض رحمته ، وعن (هنا) بمعنى (من) وعبر بكلمة (عن) إشارة إلى أنّ هذا الفعل (يقبل) متضمن لفعل آخر وهو الحمل ، أى أن الله هو الذى يحمل التوبة عن عباده التائبين إن جاءت توبتهم محملة بالذنوب مثقلة بالأوزار[(١)]

وقد اختلف العلماء في معنى التوبة :

١- قال علي كرم الله وجهه هى ١- الندم من الذنوب .
٢- ردّ الحقوق والمظالم إلى أصحابها .
٣- الاستمرار في الطاعة .
٤- البكاء ندما من فوات الثواب (٢)

٢- وقال السدى : هى صدق العزيمة على ترك الذنوب والرجوع إلى الله تعالى .

٣- قيل : أن لا يكون الذنب حلاوة في قلبه ، لأنّ الفرح بالمعصية والذنب يتنافي ، مع التوبة (٣) ويقبل الله عز وجل التوبة عن ثلاثة أمور :

١- يقبل توبة الكافر .
٢- يقبل توبة الظالم ، الذى رد الحقوق لأصحابها واستحلهم

---

(١) روح المعاني ٢٥ / ٣٦
(٢) انظر تفسير أبى السعود ٧ / ٣١
(٣) انظر تفسير النسفي ٣ / ١٠٦

٣- يقبل توبة المعاصي ، وتوبة المظالم الذي لم يرد الحقوق ولم يستحلهم منها، فالصحيح أن توبته مقبولة بدليل هذه الآية ، وقيل : إن توبته تحت المشيئة الإلهية ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. (١) .

(لما كان قبول التوبة في المستقبل وعفو السيئات في الماضي (٢) قال : (وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ) (صغائرها وكبائرها عمن يشاء ، فهو تارة يعفو بالتوبة ، وتارة يعفو ابتداء من غير توبة) (٣) يقول الرسول صلى الله وسلم (إتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها) (٤)

وذهب أهل السنة إلى أن الله يعفو عن جميع السيئات ما عدا الشرك ، والمذنب إذا تاب إلى الله توبة نصوحا مع أخذ جميع شروطها كاملة فإن الله يغفر له ويعفو عنه ، دون أن يقول تبت إلى الله (وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) فهو مطلع ورقيب على أعمال العباد من خير وشر فيجازيهم عليها بالثواب أو العقاب (٥) (وفي هذه الآية حث على التوبة ، وتحذير عن اقتراف السيئات) (٦) (ودعوة إلى العصاة والمذنبين أن يتوبوا إلى الله نادمين على ما فرط منهم ، فالله تعالى يلقاهم بالمغفرة والرحمة) (٧)

---

(١) انظر التسهيل ٤ / ٤١
(٢) انظر نظر الدرر ١٧ / ٣٠٥
(٣) الفخر الرازي ٢٧ / ١٧٠
(٤) سنن الترمذي ، ابواب البر ، باب ما جاء في معاشرة الناس وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .
(٥) انظر روح المعاني ٢٥ / ٣٦ .
(٦) الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٥٠
(٧) تفسير القرآن للقرآن ٢٥ / ٥١

ولقد ساق أكثر المفسرين ، بعض الأحاديث النبوية التى فيها دفع قوى على التوبة منها (١) في الصحيحين : عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال (لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكه معه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فنام فاستيقظ وقد ذهبت ، فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال : ارجع إلى مكاني الذى كنت فيه فأنام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت ، ، فاستيقظ وعنده راحلته ، عليها زاده وطعامه ومشربه فالله أشدّ فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده) (٢)

وفي البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : والله إنى لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) (٣)

وقوله (ويعلم ماتفعلون)

فيها قراءتان :

١- القراءة الأولى : القراءة بالياء في قوله (يفعلون) وهي قراءة ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبى بكر وابن عامر وأبى عمرو (٤) وحجتهم في ذلك أنّ الله عز وجل أخبر عن عباده المذكورين في سياق الكلام فكأنّه قال: وهو الذى

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/١١٤ وتفسير الخازن ٤/١٢٤

(٢) صحيح البخارى ٨/٨٤ كتاب الدعوات، باب التوبة وصحيح مسلم ١٧/٦١ كتاب التوبة ، واللفظ له .

(٣) صحيح البخارى ٨/٨٣ كتاب الدعوات باب استغفار النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) انظر كتاب السبعة في القراءات، ص ٥٨١ ابى بكر احمد بن مجاهد الطبعة الثانية دار المعارف.

يقبل التوبةعن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعل عباده .

٢- القراءة الثانية : القراءة بالتاء في قوله (ويعلم ما تفعلــــون)
وحجة من قرأ بالتاء أنّ الخطاب يدخل فيه الغائب والحاضر. [1]

ولما رغب في العفو زاد بالإكرام فقال (وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ) .

وقد اختلف العلماء في معنى الاستجابة في هذه الآية علــــى النحو التالــي :

١- يجيب الله دعاء المؤمنين إذا سألــوه . [2]

٢- (يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصحالحات لربّهم إلى الإيمان والعمل بطاعته إذ دعاهم إلى ذلك) [3]

٣- قيل (يجيب المؤمنون دعاء بعضهم لبعــض ، فكلّ منهــــم يلبى دعاءغيره .

٤- قال ابن عباس : يشفعهم في إخوانهم ، بمعنى يشفع كل منهم لغيره) [4]

(والرأى الأول هو الظاهر والراجح بدليل قوله تعالى (وَيَزِيدُهُــم مِّن فَضْلِهِۦ) ومعناه يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك) [5] وهــذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين ، كالبيضاوى [6] ، وابن الجــوزى [7] ،

---

(١) الحجة في القراءات ، ص ٣٢١ لابن خالويه الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م دار الشــروق
(٢) انظر غرائب القرآن ٣٢/٢٥
(٣) تفسير الطبرى ٢٩/٢٥
(٤) الجامع لاحكام القرآن ٢٦/١٦
(٥) تفسير القرآن العظيم ١١٥/٤
(٦) حاشية الشهاب ٤٢٠/٧
(٧) زاد المسير ٢٧٩/٧

وصديق خان (١) ، وذهب أبو حيان إلى الرأى الثاني وقال : هو الظاهر (٢) ولم يقل (ويستجيب للذين آمنوا) تنبيها على زيادة برّه وصلتهم به (٣) ، ولما ذكر المؤمنين ومالهم من الثواب الجزيل ، ذكر الكافرين ومالهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد ، (٤) فقال (وَالْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) على كفرهم به ، فالمؤمنون يقبل دعاءهم ويزيدهم من فضله ، وهؤلاء لايستجيب لهم دعاء (وَمَا دُعَاءُ الْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ) (٥) وإذا كان الله يجيب دعاء الكافرين فإجابته لهم تكون على سبيل الاستدراج ، أما إجابة دعاء المؤمنين فتكون على سبيل التكريم والتشريف ، وفي هذه الآية إنذار ووعيد للكفار . (٦)

ولما بيّن أنّ الله عز وجل يجيب دعاء المؤمنين ، ونرى كثيرا منهم يعيشون في شدة وفقر ثم يدعون ربهم أن يوسّع عليهم الرزق ، وأن يكشف شدتهم فلا يشاهدون أثر الإجابة ، بيّن هنا أن السبب في عدم إجابة دعائهم هي حكمة إلهية فقال (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ) أى لو أنّ الله عزوجل وسّع الرزق لعباده فأعطاهم فوق حاجاتهم لحملهم ذلك على البغى والطغيان من بعضهم

---

(١) فتح البيان ٨/٣٧٥

(٢) انظر البحر المحيط ٧/٥١٧ .

(٣) نظم الدرر ١٧/٣٠٦

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/١١٥

(٥) سورة الرعد : آية (١٤)

(٦) انظر الفخر الرازى ٢٧/١٧٠

على بعض شرا وبطرا (١) واعلم أن المال إذ أكثر البغي ، لأن المال من أسباب البغي ، والبغي لا يؤثر كثيرا في حالة الفقر. (٢)

ولما كان عدم البسط لحكمة إلهية لا بحسب ما يشتهون ، قال : وَ(لَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ) اى أن اللهعز وجل يقسم الارزاق بين الناس حسب مشيئته الالهية ، ولما أخبر أن بعض الناس يتساءلون فيما بينهم .

لماذا لم يوسع اللهعليهم الرزق كما وسع على الآخرين ؟

فقال معللا ما أخبر به في أسلوب التأكيد (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) إشارة ما إلى أن الله تعالى لم يوسع عليهم الرزق ، لأنه يعلم جميع ظواهر وبواطن أمورهم ، فيغني من يستحق ويفقر من يستحق ، مقدر لما هو أصلح لهم . (٣).

واختلفوا في سبب نزول هذه الآية :

١- قال خباب بن الأرت : فينا نزلت هذه الآية ، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني النضير ، وبني قريظة وبني قينقاع ، فتمنيناها فأنزل الله (٤) هذه الآية (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ ، لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ) الآية .

٢- قال علي : نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة وذلك أنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا الدنيا . (٥)

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢٥ / ٣١

(٢) انظر الفخر الرازى ٢٥ / ٢٧

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم ٤ / ١١٥

(٤) اسباب النزول ص ٢٨١

(٥) اخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، المستدرك ٢ / ٤٤٥

٣- قيل : (نزلت في العرب ، كانوا إذا أخصبوا تحاربوا وإذا أجدبوا انتجعوا) (١)

ولما بيّن أن حكمته الإلهية اقتضت عدم توسيع الرزق على جميع الخلق ، ذكر هنا أنه لا يمنع عنهم ما يحتاجون إليه ، وإن بلغ أمرهم إلى حد اليأس والقنوط فقال (وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا ، وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ) (أى الله عز وجل وهو الذى ينزل المطر الذى يغيثهم من الجدب ، من بعد يأسهم من نزوله (٢) ،

وذكر المطر لأنه أرفع أنواع الرزق وأعمها فائدة ، وأكثر منفعة (٢) وسمى المطر في هذه الآية غيثا ، لأنه نزل بعد يأس وأى شدة أصعب من اليأس ، وسبب إنزاله بعد اليأس والقنوط لتذكيرهم بكمال نعمته تعالى على خلقه ، (٤) ولأن الإنسان يذكر ربه ويشكره أكثر في وقت الفرج بعد الشدة ، وفي وقت الفرح بالنعمة بعد البلاء والمصيبة ، وإقدام صاحبه على الشكر في مثل هذه الحالات أكثر وأعظم (٥) ،

واختلفوا في معنى الرحمة :

١- قال مقاتل : والسدى : هي المطر .

٢- وقال المهدوى وأبو سليمان الدمشقي : هي الشمس بعد المطر . (٦)

---

(١) تفسير أبى السعود ٨/٣٢

(٢) مراح لبيد ٢/٢٧٠

(٣) فتح البيان ٨/٣٧٦

(٤) انظر تفسير أبى السعود ٨/٣٢ .

(٥) انظر تفسير الفخر الرازى ٢٧/١٧٢ .

(٦) انظر زاد المسير ٧/٢٨٨

٣- قيل : (العموم في كل رحمة) (١) (ماعدا المطر) (٢) فالرحمة هنا عام بعد خاص .

٤- وقيل : بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان (٣) وهو الراجح لأنه يشمل سائر الآراء التي ذكرت .

ولما أنكر الله تعالى عليهم اتخاذهم الأولياء من دونه في قوله (أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) (٤) أثبت هنا أنه لا وليّ غيره فقال (وَهُوَ الْوَلِيُّ) يتولى عباده الصالحين بالإحسان إليهم فجلب المنافع لهم (ودفع الشدائد عنهم (الْحَمِيدُ) المستحق للحمد منهم على إنعامه .

وفي سبب نزول الآية :

قال مقاتل : حبس المطر عن أهل مكة سبع سنين ، حتى يئسوا من ذلك ، ثم أنزل الله عليهم المطر بعد هذه المدة الطويلة ، فأنزل الله فيهم هذه الآية (٥)

ولا شك أن بسط الرزق وقبضه وإنزال الغيث وحبسه من آيات الله الدالة على قدرته العظيمة ، فلذلك عطف عليها قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ)

---

(١) كتاب التسهيل ٤/ ٣٧٧
(٢) غرائب القرآن ٢٥/ ٣٣
(٣) حاشية الصاوى ٤/ ٣٩
(٤) آية : (٩)
(٥) فتح البيان ٨/ ٣٧٦

الدالة على عظمته وسلطانه القاهر (خَلْقُ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضِ) وما فيهما لأنه لا يقدر على ذلك غيره (١) (وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ) والدابة ما له دبيب والدبيب هو المشي الخفيف ، ويستعمل فيما لا تدركه الحواس (٢) (ويحتمل أن يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الإنسان) .

لأن الدبيب هو الحركة ، والملائكة لهم حركة أيضا (٣) (وكما يحتمل أن تكون في السماء دواب لا يعلمها إلا الله عز وجل ، يدبون كما يدب الحيوان في الأرض) (٤) بدليل قوله تعالى (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٥) وإن كان هذا بعيد الاحتمال لكونه خلاف العرف والواقع (ولأن الشيء إنما يكون آية إذا كان معلوما ظاهرا) (٦) ، وظاهر الآية أن الدواب ما يدب على وجه الأرض (٧) ، فإن قلت لماذا قيل (فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ) مع أن الدواب في الأرض كما نرى ؟ (والجواب : المراد في أحدهما لأنه عز وجل أطلق المثنى وأراد المفرد ، كقوله تعالى (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) (٨) مع أن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من واحد منهما ، وهو البحر ، وهذا هو الرأي الراجح) (٩)

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٩
(٢) المفردات ص ١٦٤
(٣) انظر تفسير الخازن ٤ / ٩٧
(٤) غرائب القرآن ٢٥ / ٣٣
(٥) سورة النحل : آية ٨)
(٦) فتح البيان ٨ / ٣٧٧
(٧) انظر حاشية الصاوى ٤ / ٣٩
(٨) الرحمن : آية (٢٢)
(٩) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٩

وذهب إليه الفراء وهو الواقع وما دون ذلك احتمال ، وقال أبو علي : حذف المضاف في هذه الآية ، لأن التقدير (وَمَا بَثَّ فِي أَحَدِهِمَا) وقوله (يَخْرُجُ مِنْهُمَا) أي من أحدهما ، ومعنى الآية أن الله تعالى نشر وفرق في الكون ما خلق من دواب على اختلاف أشكالها وألوانها ولغاتها ، وطباعها وأجناسها .(١)

ولما كان الغرض من خلق الدواب متفرقة لمصلحة قال : (وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) أي مع تفريق الدواب بأنواعها في أرجاء أقطار السموات والأرض ، فإنه يجمع الأولين والآخرين منهم وسائر الخلائق في صعيد واحد ، فيحكم فيهم بحكمة العدل ، وإنما قال (عَلَىٰ جَمْعِهِمْ) ولم يقل (على جمعها) لأن المراد من هذا الجمع الحشر والمحاسبة) (٢) .

والضمير يعود على الناس ، لأن المحاسبة لا تكون لغير المكلفين ، وقيل يعود إلى الدواب ، والظاهر أنه يعود إلى الناس (٣)

ثم بيّن حال المكلفين ، وأن ما يصيبهم من ألم ومكروه ، وبلاء عقوبة على معاصيهم ، وأن الله يعفو عن كثير من ذنوبهم فلا يعاجلهم بالعقوبة رحمة وإحسانا منه ، فقال (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) أي الذي يصيبكم في أنفسكم وأهليكم وأموالكم من المصائب التي هي نتيجة لما كسبته أيديكم ، قال ابن عباس يعجل الله هذه المصائب للمؤمنين في الدنيا عقوبة لهم ، وكفّارة لذنوبهم ، لكن لا يؤاخذون ولا يعاقبون بها يوم القيامة (٤)

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٤/ ١١٦

(٢) الفخر الرازي ٢٧/ ١٧٢

(٣) انظر روح المعاني ٢٥/ ٤٠

(٤) انظر تفسير الطبري ٢٥/ ٣٣

قال (وَمَا أَصَابَكُمْ) على ضمير الخطاب، ولم يقل (وَمَا أَصَابَهُمْ) على ضمير الغيبة، لأنّ السامع المطيع يستجيب ويتقرب أكثر[1]. (والكسب ما يتحراه الانسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ ككسب المال، وقد يستعمل في فعل الحسنات والسيئات)[2] كقوله تعالى في الحسنات (أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا)[3] وفي السيئات (وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ)[4] (وفي لفظ (كسبت) إشارة إلى أنّ النفوس مطبوعة على النقائص)[5] وعبر بالكسب عن اليد في جانب الإنسان لأنّ أكثر الأفعال تكون باليد.[6]

والمصيبة إما أن تكون عامة شاملة كالجدب والقحط والغلاء والوباء والزلازل والفيضانات وغير ذلك، وإما أن تكون خاصة وهي ما يصاب به الإنسان في نفسه أو ماله أو ولده أو أهله أو عرضه، بالاضافة إلى المعصية التي أتي بها (٧). ولذلك قال الحسن البصرى :

المصيبة هي المعصية، وقال الضحاك : المصيبة هي نسيان القرآن و (ما تعلم الرجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب) ثم قرأ هذه الآية وقال : أى مصيبة أعظم من نسيان القرآن، ويلحق بالقرآن نسيان السنة المطهرة وترك العمل بها[8] وأقول : إنّ رأى الضحاك يتفق مع رأى الحسن، لأنّ نسيان القرآن معصية.

---

(١) انظر نظم الدرر ١٧/٣١٥
(٢) المفردات ص ٤٣٠ .
(٣) سورة الانعام آية (١٥٨)
(٤) سورة الانعام آية (٧٠)
(٥) السراج المنير ٣/٤٤
(٦) انظر فتح البيان ٨/٣٧٨ .
(٧) انظر الميزان في تفسير القرآن ٢٥/٥٩
(٨) تفسير القرآن العظيم ٤/١١٦ .

قال صديق خان في تفسيره: بان المراد بهذه المصائب الأحوال المكروهة مثل الأسقام والصواعق والغرق وغير ذلك، ومن العلماء من قال : هذه الآية خاصة بالكافرين، وذلك لأن المصائب التي تصيبهم ليست عقوبة على ذنوبهم لأن عقوبتهم تكون في الدنيا والآخرة ، والرأى الراجح أن تكون المصائب عامة (١)، وقد ثبت بالأدلة الصحيحة أن جميع ما يصاب به الإنسان المؤمن في الدنيا ، يؤجر عليه ، ويكفر عنه من ذنوبه منها قوله صلى الله عليه وسلم (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه (٢)) ومنها ما روت عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا كثرت ذنوب العبد ، ولم يكن له ما يكفرها من العمل ابتلاه الله عز وجل بالحزن ليكفرها عنه (٣)) والمصائب التي تصيب المؤمن من باب الامتحان والاختبار، أما المصائب التي تصيب الأنبياء ، والأطفال والمجانين فهي لرفع درجاتهم ، وقيل في الأطفال لرفع درجاتهم ولتكفير سيئات أبويهم (٤)) أما المجرمون الذين لا تصيبهم المصائب فحسابهم عند الله يوم القيامة ، وهم تحت المشيئة الالهية إن شاء عاقبهم وإن شاء عفا عنهم (٥) ، أما مصائب

---

(١) انظر فتح البيان ٨/ ٣٧٩

(٢) صحيح البخارى ٧/ ١٤٨ كتاب المرض ، باب ما جاء في كفارة المرض، وصحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ١٣٠ كتاب البر، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ، واللفظ للبخارى .

(٣) مسند أحمد ٦/ ١٥٦ ، ٢٩١/٢ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٩٢ فيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس وبقية رجاله ثقات ،

(٤) الفخر الرازى ٢٧/ ١٧٤ .

(٥) انظر تفسير المراغي ٢٥/ ٤٧ .

الكفار في الدنيا فهي تعجيل لبعض عقوبتهم .

واختلفوا في المصائب هل هي عقوبات للذنوب أم لا ؟

١- قال بعض العلماء : المصائب التى تصيب الناس في الدنيا ليست بعقوبة ذنوبهم ، وأستدلوا على ذلك بما يأتي :

(١) قوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ (١) وهى تفيد أن الجزاء والعقاب يكون في يوم القيامة .

(٢) مصائب الدنيا عامة لكل الناس مؤمنهم وكافرهم وصالحهم وطالحهم متساوون في وقوع المصائب عليهم ، بل أكثر ما يبتلى الصالحون المتقون (٢) روى الترمذى بسنده عن سعد بن أبى وقاص (قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء ، قال الأنبياء ثم الأمثل ، فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه) (٣) الحديث .

(٣) ان الدنيا دار تكليف ولو لم يكن الدنيا دار تكليف لما وجد الجزاء في الآخرة .

٢- قال آخرون : ان المصائب التى تصيبهم بعقوبة ذنوبهم ، واستدلوا على ذلك بما يلي :-

(١) هناك أحاديث كثيرة تدل على أن المصائب التى تصيب الانسان بسبب الذنوب التى ارتكبوها ، كما تقدم قبل قليل .

(٢) قوله تعالى : ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ﴾ وكلمة (بما كسبوا)

---

(١) سورة غافر : آية (١٧)

(٢) انظر البحر المحيط ٥١٩/٧

(٣) سنن الترمذى ، أبواب الزهد ، باب الصبر على البلاء ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

تصريح واضح بأنّ ذنوبهم وكسبهم هو سبب اهلاكهم[1] ، والباء هنا للسببية ، وقيل : لأبي سليمان الداراني: مابال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم ؟ قال : إنهم علموا أنّ الله إنما ابتلاهم بذنوبهم وقرأ هذه الآية)[2]

وقد ردّ أصحاب هذا القول على أدلة القائلين بأن المصائب ليست بسبب الذنوب التي ارتكبها الإنسان بما يلي :

(١) قولهم بأنّ الجزاء يكون فقط في الآخرة ، باستدلالهم بقوله تعالى ﴿ اليَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ لا ينافي وصول بعض الجزاء إلى المكلف في الدنيا ، ولهذا قال علي رضى الله عنه" هذه أرجى آية للمؤمنين في كتاب الله) لأنّ الله تعالى قسم ذنوب المؤمنين إلى قسمين :

١- قسم يكفّر عنهم بالمصائب فيعجل العقوبة عليه في الدنيا

٢- قسم يعفو عنهم في الدنيا وهو أكثر[3] (والله عز وجل كريم لا يرجع في عفوه ، وأما الكافر فإنّه لا يتعجل عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة فهذه سنة الله مع المؤمنين والكافرين)[4]

وقولهم تمتنع المصائب أن تكون عقوبة الذنوب ، لأنّ مصائب الأنبياء والصالحين المتقين أشد وأكبر من غيرهم ، فمصائب الأنبياء والصالحين

---

(١) انظر الفخر الرازى ١٧١/٢٧

(٢) زاد المسير ٢٨٨/٧

(٣) انظرمراح لبيد ٢٧٠/٢

(٤) السراج المنير ٤٤١/٣

ليست عقوبة وإنما هي من باب الامتحان ، ومن باب رفع الدرجات وإعطاء الفضائل والخصوصيات التي لا يصلون إليها إلا بها (١) ، روت عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم (إنّ الصالحين يشدد عليهم وأنّه لا يصيب مؤمنا نكبة من شوكة فما فوق ذلك ، إلا حطت به عنه خطيئة ، ورفع بها درجة) (٢) وعلى ذلك فالمصائب التي تصيبهم تكون بسبب ذنوبهم ، وأقل هذه الذنوب التقصير ، روى عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر ، وإنّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه) (٣) قال ابن عطاء : من لم يعتقد أنّ المصائب والفتن التي تصيبه نتيجة عمله ولا يعلم أنّ الله صاحب فضل عظيم عليه ، وأنه يعفو عن أكثر الذنوب ولا يعاقب إلا على أقلها ، فإنّه قليل النظر في إحسان ربه إليه ، (وقال محمد بن حامد: والله يطهر عبده من ذنوبه ومعاصيه بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله يوم القيامة ، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة) (٤) .

ولما ذكر عدله أتبعه فضله فقال (وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) فمهما عملتم من الذنوب والمعاصي ، فالله عز وجل لا يؤاخذكم إلا عن القليل مما تستحقون ، لأنّه يعاملكم بالعفو والتجاوز عن الكثير من الذنوب والسيئات ، وليس معنى العفو عن الذنوب إبطال الجزاء يوم القيامة

---

(١) انظر نظم الدرر ٣١٦/١٧ .

(٢) مسند احمد ١٦٠/٦ واللفظ له ، ورواه الحاكم في المستدرك ٣٤٦/١ . وصححه وأقره الذهبي .

(٣) سنن ابن ماجه ١٣٣٤/٢ كتاب الفتن ، باب العقوبات . والمستدرك ٤٩٣/١ كتاب الدعاء ، وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤) تفسير النسفي ١٠٨/٣

وإنما العفو سنة الله في عباده المؤمنين ، إذ لو أخذ الناس بذنوبهم لأهلكهم جميعا (١) ، كما يقول عز وجل (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى (٢)).

وكذلك لم يعجل الله عز وجل جزاء الظالمين ليمهلهم ويمد لهم في الضلالة ، وليزدادوا إثما اقرأ قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا (٣))

ويجوز أن يكون المراد بالكثير في قوله (وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ) كثير من الناس والظاهر والراجح هو المعنى الأول ، لأنّ الأدلة والاخبار تشهد له (٤) ، وقيل : الخطاب للكفار ، بقولهم حيث يصيبهم الشر ، هذا بشوءم محمد ، فرّد عليهم ، وقال بل ذلك ، بشوءم كفركم ، والراجح والظاهر أنّ الخطاب للموءمنين (٥) ، قال أبو حيان: إنّ هذه الآية مخصوصة بالمذنبين من المسلمين كما هو ظاهر الآية (٦) ، وردّ عليه البيضاوى بقوله : لا وجه لكونها مخصوصة بأصحاب الذنوب ، لأنّ الانبياء والصالحين والأطفال والمجانين يصيبهم المصائب ، وهم غير مذنبين (٧) ، ولما ظن المشركون أنهم يفلتون من عقاب الله تعالى وأنه عاجز عن ملاحقتهم قال ردا عليهم (وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) أيها العصاة ، والظالمون أنتم لاتستطيعون الهرب في الأرض ولا في السماء ، بل ما قضاه الله عليكم من المصائب وغيرها لا حق بكم ، أينما تكونوا واقع بكم لا محالة ولا مفرمنه

---

(١) انظر الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٧١
(٢) سورة النحل : (٦١)
(٣) آل عمران(١٧٨)
(٤) انظر روح المعاني ٢٥ / ٤١
(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٣١
(٦) انظر البحرالمحيط ٧ / ٥٨ وتفسيرأبي السعود ٨ / ٣٢ .
(٧) انظر حاشية الشهاب ٧ / ٤٢٣ .

لأنه محيط بكم ، قادر عليكم فليس لكم وليّ يمنع عنكم ما قضاه ولا يدفع عنكم عقوبته ، ولا نصير ينصركم من عذابه في الدنيا ولا في الآخرة[(١)] ، ولا يمكنكم النجاة من عذابه إلا بطاعته ، فاحذروا معاصيه واتقوا مخالفة أوامره ، وفي هذه الآية دعوة إلى عبادة الله ، وترغيب في كل ما أمر به ، وتحذير عما نهى عنه [(٢)] (وانذار لهؤلاء الكفار والعصاة)[(٣)] ، فإن قيل : نقرأ في سورة العنكبوت قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ[(٤)]) ؟

فما السر في زيادة قوله (ولا في السماء) دون سورة الشورى ؟ .

والجواب: السر في ذلك أن آية العنكبوت تقدمت عليها آية تفيد الوعيد الشديد بما حاصله أنه لا يفوته سبحانه أحد ولا مهرب منه تعالى إلا إليه، وهذه الآية السابقة من سورة العنكبوت هي قوله عز وجل ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ[(٥)] ﴾ .

ولما كان الأمر كذلك ناسب هذا قوله (وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء) الآية ، كما قال ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا[(٦)] ﴾ .

أما الآية في هذه السورة " سورة الشورى " فإنه لم يرد من أول السورة إلى هذه الآية مثل هذا الوعيد الشديد ، فلما لم

---

(١) انظر فتح البيان ٣٨/٨ .
(٢) انظر تفسير التبيان ١٦٣/٢٥ .
(٣) زاد المسير ٢٩٠/٧
(٤) العنكبوت آية (٢٢)
(٥) سورة العنكبوت آية (٤)
(٦) سورة البقرة آية (١٤٨) .

سبقها مثل ما سبق آية العنكبوت ، لم تتطلب هذا التعميم المصحوب بالوعيد الشديد (١) ، ولما ذكر الآيات الدالة على عظمته وقدرته في قوله (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ) أتبعه دليل آخر ليدل على توحيده وصدق ما وعد به فقال (وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ) (أي من دلائل قدرته ، وباهر حكمته ، وعظيم سلطانه هذه السفن الجارية كالجبال في ضخامتها وارتفاعها فوق سطح الماء ، وسميت السفينة جارية ، لأن شأنها ذلك ، وإن كانت واقفة في الساحل) (٢)

واختلفوا في اثبات الياء وحذفها في قوله (الجوار) إتفقت المصاحف على حذفها خطًا ، واختلف القراء في اللفظ بها

١- فمنهم من يحذف " الياء " في حالة قراءة الوقف والوصل كابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ، وحجتهم في ذلك أنّ النكرة هي الأصل ، والمعرفة فرع من هذا الأصل ، وقد حذفت الياء في النكرة لإثبات التنوين ، ثم لما دخلت الألف واللام دخلتا على كلمة قد حذفت الياء منها ، أصلا ولا يلزم إعادتها لأنّ الأصل أقوى من الفرع (٣) .

٢- (ومنهم من يثبت الياء في قراءة الوقف والوصل كابن كثير ويعقوب ، وحجتهما في ذلك أنّ الياء إنّما حذفت لوجود التنوين ، فلما زال التنوين بدخول الألف واللام ، عادت الياء إلى أصلها) (٤)

---

(١) انظر ملاك التأويل ٢ / ٩١٦-٩١٧
(٢) فتح البيان ٩ / ٢٢٦
(٣) انظر الحجة ص ٣١٨ - ٣١٩
(٤) المهذب ٢ / ٣٣٦

٣- ومنهم من حذفها في قراءة الوقف ،كنافع وأبي عمرو،[1] وحذف الياء واثباتها قراءتان متواترتان .

ولما ذكر أنّ هذه السفن من آيات الله العظيمة بيّن هذا أنّ الله تعالى يخوف الناس من هذه الآيات ويعرفهم أنّ جميع الخلق تحت ملكه وتدبيره وقدرته فقال (إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ) إن يشأ الله يسكن الريح التي تجري بها الجواري فيصرن ثوابت على ظهر البحر ،لا تتقدم ولا تتأخر[2] (والمقصود من الآية تعديد النعمة في ارسال الرياح ، أو التهديد باسكانه)[3] والاستدلال على قدرة الله

ويجب العلم أن الاعتماد على الرياح وحدها في سير السفينة وتوقفها شرك بالله في توحيد الأفعال ،لأنّ الرياح لا تتحرك إلا بمن يحركها وهو الله ، ولما كان حال السفن في سيرها وركودها آية من آيات الله تعالى بيّن هنا أنه لا يتعظ بآيات الله ولا يصبر عند البلايا والمصائب ، ولا يشكر على إحسانه إلا المؤمن الصابر الشاكر.
فقال (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (لمن كان كثير الصبر ، كثير الشكر ، وذكر الصبر والشكر بعد الفلك فيه أتم مناسبة ، لأنّ الراكب فيه لا يخلو عن الصبر والشكر)[4] (والمؤمن يكون بين الأمرين على السواء ، إن كان في الضراء كان من الصابرين ، وإن كان في السراء كان من الشاكرين .

---

(١) انظر كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٨١
(٢) انظر روح المعاني ٢٥/٤٣
(٣) الدر المنثور ٦/١٠
(٤) انظر روح المعاني ١١/١٠٥

قال قطرب : الشاكر الذى إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر) [١]
(عن الشعبى رضى الله عنه : قال : الشكر نصف الايمان ، والصبر نصف الايمان واليقين الإيمان كله وقرأ هذه الآية) [٢] (والصبر عنوان المؤمن) [٣] والصبر على المشتهيات وعلى الطاعات من الفضيلة التامة ، فالصبر كالدواء المرّ وفيه نفع ، والشكر على النعم استعمالها في طاعة الله وعبادته ، فشكر السمع عدم إستماع المنهيات ، وشكر البصر عدم النظر إلى المحرمات ، والنظر الشرعي يكون بنظرة العبرة ، وتصفيته عن الأخلاق الذميمة ، ولا يحب إلا الله عز وجل [٤] .

فإن قيل : إنّ هذا التذكير آيات للكل ؟ فلماذا خصّ الصبار الشكور بها ؟

والجواب : لأنّ الصبار الشكور لما كان هو المنتفع بتلك الآيات ، صارت كأنها ليست إلا له كما في قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [٥] ويحتمل أن يكون الانتفاع الحقيقي بهذا التذكير للصبار الشاكر أما غيره فانتفاعه قليل ، فصار كأنّه لم يكن ، وقدّم الصبار على الشكور ، لأنّ الشكر عاقبة الصبر ، وتفيد هذه الآية أنّ المؤمن يجب أن لا يغفل عن دلائل قدرة الله عز وجل في الآفاق وفي الأنفس وأن لا يخلو عن أحد الأمرين ، إن كان في حال المحنة والبلية ، كان صابرا ، وإن كان في حال المنحة والعطية كان شاكرا [٦] .

---

(١) فتح البيان ٨ / ٣٨١
(٢) الدر المنثور ٦ / ١٠
(٣) تفسير القاسمي ١٠ / ٨
(٤) انظر روح البيان ٧ / ٩٩
(٥) سورة البقرة : آية (٢)
(٦) انظر تفسير القاسمي ١٠ / ٩ ، والفخر الرازى ١٩ / ٨٦

ثم أورد الله تعالى ببيان حال السفينة وأهلها فقال (أَوْيُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ) أى أنّ هذه السفن التى تجرى على الماء لا ممسك لها إلا الله ، فهو إن يشأ يهلكهم بالإسكان أو الاعصاف فينجي بعضهم بعوم ، أو غير ذلك يغرق بعضهم ، أو يغرقون جميعا [١] (لكن يرسل السفينة بالرياح بقدر الحاجة ومعنى (بماكسبوا) بما عملوا من الذنوب والشرك . والهلاك في البحر يشمل المؤمن والكافر) [٢]
(وأسند الهلاك إلى الجوارى تأكيدًا لإرادة العموم في هلاك الركاب) [٣] أى كل من السفن مؤمنا أو مشركا لابد أن يغرق في وقت الهلاك إذا شاء الله (وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ) من أهل الذنوب ، لأنّه لو أخذهم بذنوبهم لأغرق كل من ركب البحر [٤] ، والغرض من ذكر السفن أمران :

(١) أن يستدل بها على قدرة الله تعالى ، لأنّها تجرى وتقف بالرياح ومحرك هذه الرياح ومسكنها هو الله عز وجل، وأنها لا تغرق مع كونها ثقيلة بالركاب وأمتعتهم ونعلم أن الشيء الثقيل لا يطفو على وجه الماء ، وهذا دليل أكبر على قدرته تعالى .

(٢) معرفة ما فيها من النعم العظيمة والفوائد الكثيرة كحصول التعاون وتبادل المنافع بين البلاد ، كما أنها أكبر وسيلة للتجارة وكسب الخيرات . [٥]

---

(١) انظر التسهيل ٤ / ٣٨
(٢) تفسير القرآن للقرآن ٢٥ / ١١٧
(٣) فتح البيان ٨ / ٣٨١
(٤) انظر الميزان ٢٥ / ٦١
(٥) انظر الفخر الرازى ٢٧ / ١٧٥-١٧٦

ولما ذكر آيات الله الباهرة في هذه السفن بيّن حال المجادلين المنكرين فيها ، فقال (وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ) سيعلمون أنهم لم ولن يهربوا من قدرة الله عز وجل وعقابه في الأرض ولا في السماء .

وللمفسرين في معنى الآية قولان :

١- قال السدى وقطرب : إنّ الذين يخاصمون في آيات الله لم يهربوا من عذاب الله في كل مكان في الدنيا .

٢- يحتمل أن يراد بعد بعثهم يوم القيامة لن يفتلوا من العذاب. (١)

٣- (الظاهر العموم ، أى لا مهرب لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة وهذا هو الرأى الراجح وعبر بالمضارع في (يعلم) لإفادة استمرار العلم لكل مجادل ،أنه لن يفلت من العذاب) (٢)

وفي هذه الآية قراءتان :-

١- القراءة الأولى : برفع الميم في قوله (ويعلم) وهذه قراءة نافع وابن عامر وأبى جعفر .

٢- القراءة الثانية : بفتح الميم في قوله (يعلم) وهذه قراءة ابن كثير وأبى عمرو وعاصم وحمزة والكسائي (٣) ، والقراءة برفع الميم لوجهين :

أ - لأنه استئناف .

ب - لأنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره (٤) (هو يعلم) .

---

(١) انظر زاد المسير ٧/٠ ٧٩

(٢) نظم الدرر ١٧/ ٣١٣

(٣) انظر كتاب السبعة ص ٥٨١ وتحبير التيسير ٢/ ٢٥٢

(٤) الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٥٢

وقراءة نصب الميم لوجهين ،

(١) لأنه محول من مجزوم إلى منصوب عند الكوفيين .

(٢) لأنه منصوب (بأن) المقدر عند البصريين .(١)

وأقول : إن النصب والرفع قراءتان صحيحتان ،

وبعد ذكر أدلة التوحيد وعظيم قدرته عز وجل أردف بذكر تحقير الدنيا وشأنها لأنّ الذى لا ينتفع بالأدلة ولا يتأمل ولا ينظر إلى البراهين والآيات ، كان محبا للدنيا ومتاعها الزائلة طلبا للجاه والمال ، وأما الذى يصغر الدنيا في عينيه فهو الذى ينظر إلى الآيات ، وينتفع بالأدلة كما بيّن أنّ ماعند الله هو خير وأبقى وأن ماسواه فهو فان ، وزائل فقال (فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ)

مهما أعطيتم وحصلتم وجمعتم من اللذات والشهوات وسعة المال والجاه وغير ذلك في الدنيا ، فلا تغتبرّوا به ، فإنّما هو مجرد متاع تتمتّعون به أياما قليلة تنقضى وتزول سريعة، وماعند الله من ثواب الطاعات والنعيم المقيم خير من متاع الدنيا وزينتها ونعيمها الفاني لأنّها خسيسة ، ودليل خسها وقلتها وحقارتها تسميتها بالمتاع(٢) (وإضافة المتاع إلى الحياة الدنيا للإشارة إلى انقطاعه)(٣) (وكون ماعند الله خيرا ، لأنّه خالص ، من الألم والكدر ، وكونه أبقى لأنّ نعيمه دائم لا ينقطع، وهذه الآية تنبيه على تحقير الدنيا وزينتها

---

(١) تفسير التبيان ٢٥ / ١٦٢ وقيل الآية ان يشأ يسكن الريح آية (٣٢)

(٢) انظر الفخر الرازى ٢٧ / ١٧٧

(٣) الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٦٢

والخطاب في قوله (فما أوتيتم) إما أن يكون :

١- (للمشركين [١])

٢- (أو أنه عام لكل الناس ، وهذا هو الظاهر في الآية) [٢] وهو الرأى الراجح .

أقول : النعيم قسمان :

١- قسم معنوى : وهو الأثر المعنوى للعمل .

٢- قسم مادى: وهو المال وغيره،أما الأثر المعنوى للعمل فيبقى ويدوم ، أما الأثر المادى كالمال فإنّه يفنى ، والأثر المعنوى لهذا العمل الذى يقوم به إن كان موافقا لما جاء به الشرع يبقى في الدنيا وفي الآخرة ، أمابقاؤه في الدنيا فبالذكر الحسن له وزيادة إيمانه بشعوره بهذا الفعل الطيب ، أمابقاؤه في الآخرة فبالثواب ودخول الجنة ، ونقرأ في سورة القصص قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ، وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) [٣] وهنا نسأل ما سر الزيادة في قوله (وزينتها) ؟ ولماذا ذيلت بقوله (أفلا تعقلون) في سورة القصص ؟ .

وفي هذه السورة (سورة الشورى) ليست فيها هذه الزيادة وذيلت بقوله (لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ؟

والجواب : سر الزيادة في قوله (وزينتها) أمران :

(١) لأنّ سورة القصص تضمنت قصة قارون الذى أوتى زينة الحياة الدنيا وهو المال كما يقول الله تعالى (فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) [٤]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٥

(٢) البحر المحيط ٧/ ٥١٩

(٣) سورة القصص : آية (٦٠)

(٤) سورة القصص : آية (٧٩)

٢- لأنّ الذين اغتروا بماله - منوا مثل الذى أوتيه في قوله (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) غافلون عن آخرتهم ، وما أعد الله فيها للمؤمنين وفي هذه الآية من سورة القصص تنبيه للغافلين وعبرة للمؤمنين ، أما هذه السورة (سورة الشورى) فلم يرد فيها من أولها إلى آخرها ذكر بسط حال دنيوى لأحد ، بل تضمنت حقارة الدنيا وقلة رزقها ، وأنه مقدور غير مبسوط للأكثرين ، لذلك لم تذكر فيها الزينة وقوله (أفلا تعقلون) في سورة القصص جاء ليخير[٣] الإنسان بين ما وعده الله به في الدنيا ، وبين ثوابه في الآخرة ولاحظ الجملة وما بعدها (أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ ، كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) (١) واقرأ ما قبلها (وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) فكأنه قال أفلا تعقلون ، ما بين الأمرين ، فشتان بين هذا وذاك ، أما هذه السورة (سورة الشورى) ففيها قوله (تَرَى الظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ) وقوله (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) وغيرهما من الآيات ، ولما كان الأمر على هذا النحو من الوعيد والتهديد ، ناسب هذا المتقدم من التخويف ما ينبىء المؤمنين المستجيبين بمضمون قوله (وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) أى صدقوا بكل هذا ، وعلى انفراده سبحانه وتعالى بالخلق والأمر . (٢)

---

(١) سورة القصص : آية (٦١)
(٢) انظر ملاك التأويل ٢/٩٢ - الى ٩١٠

وسبب نزول الآية :

(ماورد عن علي رضي الله عنه قال : اجتمع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله ، فلامه المسلمون وخطأه الكافرون ، فنزلت)[1] (فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) .

وبعد ذكر تحقير الدنيا وشأنها والترغيب في الأعمال الصالحة لما لها من الثواب العظيم ، بيّن هنا أنّ الذين يحصلون هذه الخيرات ويجدون عند الله ثوابا كبيرا هم الذين يتصفون بهذه الصفات :

١- (لِلَّذِينَ ءَامَنُوا : أي هم الذين صدقوا الله ورسوله ، واللام في اللذين) للملك)[2] .

٢- وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ : أي هم يفوضون أمورهم وأحوالهم إليه سبحانه وتعالى ، ولا يلتفتون إلى أحد سواه ، ولاحظ القصر في قوله (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ) فهم لا يتوكلون إلا عليه سبحانه وتعالى ، والتوكل هو الأثر المباشر للإيمان به ، لأنّه عمل على مقتضى الإيمان وتصديق لما وقر في القلب بتنفيذ ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه .

٣- (وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ) من صفات المؤمنين اجتنابهم كبائر الذنوب ، وكلمة اجتناب ذكر بصيغة المضارع للتكرار أو التجدد ، والكبائر في الآية إشارة إلى المقدار والفواحش إشارة إلى الكيفية ، وقد اختلفوا العلماء في الكبائر والفواحش على أقوال عديدة :

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٣٦

(٢) الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٦٢

ففي كبائر الاثـم :

١- (ماترتّب عليه الوعيد .

٢- مايوجب الحد .

٣- كلّ مانهى الله تعالى عنه) (١)

٤- قال ابن عباس هو الشرك .

٥- مايتعلق بالبدع واتباع الشهوات . (٢)

٦- وقال الراغب: الإثم هو الذى يمنع صاحبه عن أخذ الثواب .

أما الفواحش فهي جمع فاحشة ، وهي ماعظم (قبحه من الأفعال والأقوال (٣)

وقال البقاعي : هي ماأنكره الشرع والعقل والطبع من قول أو فعل . (٤)

(وصورتها البالغة في الفحش تتمثل في الزنا ، ولهذا غلب على الزنا الوصف بالفاحشة)(٥) وقد اختلف العلماء في معنى الفواحش :

١- قال : (مقاتل هي موجبات الحدود .

٢- قال السدّي : هي الزنا ، فعطفها من عطف الخاص على العام والبعض على الكل ، إذا الكبائر قد لاتوجب الحد كالغيبة (٦) والنميمة (٧) .

٣- قيل ماهو مايتعلق بالقوة الشهوانية .

٤- الفواحش من الكبائر ، والأظهر أنها من أشنعها ، لأنّ الفاحشة

---

(١) روح المعانى ٢٥ / ٤٥

(٢) انظر الفخر الرازى ٢٧ / ١٧٧

(٣) انظر المفردات ٣٧٤

(٤) انظر نظم الدرر ١٧ / ٣٢٩

(٥) تفسير القرآن للقرآن ٢٥ / ٦٤

(٦) الغيبه (معناها أن يذكر الانسان في غيبته بسوء وإن كان فيه ، فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت والبهتان) النهاية ٣ / ٣٩٩

(٧) النميمة معناها (نقل الحديث من قوم إلى قوم ، على جهة الافساد والشر)النهاية ٥ / ١٢٠

هي الخصلة المتناهية في القبح)(١) وهذا هو الرأى الراجح ، وكبائر الاثم ليست محدودة في عدد معين ،وقد جاء تعيين بعضها فى أحاديث كثيرة منها ما رواه البخارى في صحيحه عن أنس رضى الله عنه قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكبائر فقال(الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وشهادة الزور) ومن أبى بكر رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا ، الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ثم جلس وكان متكئا فقال: ألا وقول الزور، قال: فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)(٢)

أقول : إنّ هذين الحديثين لا يحصران الكبائر وإنما يضربان الأمثال ولذلك فهما فقط يبيّنان نوعا منها ، وأمثلة لما تكون عليه الكبائر وإن كبائر الاثم نوع خاص من الذنوب ، يختلف عن الفواحش والجامع لذلك كله هو الاثم ، وهو ينقسم إلى صغائر وكبائر وإلى فواحش منها ما ظهر منها ما بطن

وفي كبائر الاثم قراءتان :

القراءة الأولى : بالجمع(كبائر) وهذه قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وأبى عمرو(٣) ، واستدلوا على ذلك ما يلي :

١- (إنّ الله تعالى ضمن غفران السيئات والصغائر باجتناب الكبائر ، إذ ليس باجتناب كبيرة واحدة تغفر الصغائر.

٢- لأنّ قوله (الفواحش) بالجمع فوجب أن تكون الكبائر

---

(١) اضواء البيان ٧/١٩٥-١٩٦.
(٢) صحيح البخارى ٨/٥٠٤ كتاب الأدب ،باب عقوق الوالدين من الكبائر .
(٣) انظر السبعة ص ٥٨١

بالجمع ليتفق المعنيان واللفظ) (١)

٣- لأنّ أنواع الفواحش واختلاف أجناسها كثيرة .

القراءة الثانية بالافراد (كبير) وهذه القراءة اختارها حمزة والكسائي وخلق العاشر (٢) .

واستدلوا على ذلك بدليلين :

١- لأنه مفرد يقصد به معنى الجمع بإضافته إلى المصدر وهو الإثم بمعنى الآثام (٣) كقوله تعالى (وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا) (٤) .

اى رفقاء بدليل قوله (أولئك) وكقوله تعالى (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (٥) أى النعم .

٢- لأنه جنس يقع على القليل والكثير (٦) .

٣- لأنه أراد به الشرك بالله فقط ، لأنّ الله يغفر الذنوب جميعا إلا الشرك وقراءة الجمع والافراد في قوله (كبائر الاثم) قراءتان متواترتان

٤- الصفة الرابعة قوله تعالى (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) فمن صفات المؤمنين للعفو والصفح لمن أساء إليهم ، وليس من طبائعهم الانتقام ، وخص الغضب بالغفران ، لأنّه من النار ومقاومته شديدة وصعبة .. ولهذا السبب خصه بهذا اللفظ (٧) وتقديم الغضب إشارة إلى ضرورة زواله واطفائه ، وإشارة إلى أنّ العفو لا يكون إلا عند الغضب والاستثارة (٨) ، ولا يغفر عند الغضب إلا من شرح الله صدره (٩)

---

(١) الكشف ٢ / ٢٥٣

(٢) انظر السبعة في القراءات ص ١٨١ والنشر في القراءات العشر .

(٣) انظر الكشف ٢ / ٢٥٣

(٤) سورة النساء : آية (٦٩)

(٥) سورة النحل : اية (١٨)

(٦) الحجة في القراءات السبعة ص ٣١٩

(٧) انظر الفخر الرازى ٢٧ / ١٢٨

(٨) انظر البحر المحيط ٧ / ٥٢٢

(٩) فتح البيان ٨ / ٣٨٣

والعفو في الغضب محمود ، لأنه يأتي من مجاهدة النفس ومغالبتها ، وهو من أخص صفات المؤمنين، لذلك لم يقل (يغفرونه إذا غضبوا) بل قدم الغضب على المغفرة ، وقرن المغفرة بالغضب ، أبلغ من قرنها بالاساءة لأنه قد يساء للإنسان ولا يغضب ولا ينتقم (١) ، والعفو يكون فيما عدا الحدود ، أما الأمور التي فيها الحد فلا يجوز للإمام تركها ، ولا العفو عنها كالمرتد ومن يجرى مجراه (٢) إن رفعت إليه .

وفي هذه الآية إشارة إلى كسر الغضب وقد قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم (أوصنى قال لا تغضب ، قال زدني قال: لا تغضب قال: زدني قال لا تغضب) (٣) .

وفي سبب نزول الآية :

١- (قال ابن عباس شتم رجل من المشركين أبا بكر رضي الله عنه فلم يرد عليه شيئا فنزلت (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) .

٢- وقيل : نزلت في عمر بن الخطاب حين شتم بمكة) (٤)

٥ - الصفة الخامسة قوله (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ) من صفات المؤمنين امتثالهم لأوامر الله تعالى واجتنابهم نواهيه والاستجابة تمام الانقياد . (٥)

---

(١) انظر تفسير القرآن للقرآن ٢٥/ ٦٥

(٢) مجمع البيان ٢٥/ ٥٦ .

(٣) صحيح البخارى ٨/ ٣٥ كتاب الادب ، باب الحذر من الغضب .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٦ .

(٥) انظر السراج المنير ٣/ ٤٤٢ .

٦- الصفة السادسة قوله (وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ) أى من امتثالهم لأمره إقامتهم لصلاة ، والصلاة عامة تشمل الواجبات والسنن ، وليس شرطا في حصول الثواب إقامة الفرائض فقط ، بل كل عمل يقصد به مرضات الله عز وجل فيه المثوبة ، فالسنن يحبها الله عز وجل لما رواه البخاری بسنده في الحديث القدسي (وما تقرب إليّ عبدى بشیء أحب إلى مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) . (١)

٧- الصفة السابعة قوله (وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ) من صفات المؤمنين التشاور فيما بينهم فهم لا يبرمون أمرا حتى يتشاورون فيه ، قال الضحاك : جاء لفظ شورى نكرة إشارة إلى العموم ، فكل مسلم ومسلمة أهل للشورى، إذا توافر لدى كل منهما شروط الشورى (٢) وهذه الآية خبر يراد به الأمر، وتلاحظ أن الشورى توسطت أعظم فريضتين من فرائض الإسلام ، وأهم ركنين من أركانه بعد الإيمان بالله ورسوله ، هما الصلاة قبلها وإيتاء الزكاة بعدها ، وذلك لعظيم منزلتها في الإسلام ولذلك كان حكم الشورى حكمهما من حيث الوجوب والالزام (٣) ، وقد قرنت الشورى باقام الصلاة لأمور منها:

---

(١) صحيح البخاری ١٣١/٨ كتاب الرقاق ، باب التواضع.
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٣٦/١٦ .
(٣) انظر الميزان في تفسير القرآن ٦٨/٢٥

١- الصلاة أقوال وأفعال ، وكذلك الشورى فإنها أفعال بعد الأقوال .

٢- المؤمن إذا صلى مع الجماعة ، لا يجوز له أن يخرج من صلاته مع الإمام ، ويستجيب لرغبته في القيام والركوع والسجود والطول والقصر، وكذلك الشورى لا يجوز له أن يخرج برأيه إذا أنضم إلى رأى الجماعة واجتمع عليه المسلمون بعد تشاورهم فيه .

٣- الصلاة فريضة تجب على كل مسلم ومسلمة، وكذلك الشورى أمر ملزم عليهم بقوله تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[1] والرسول أسوة لأمته يجب اتباعه .

٤- وجوب الطهارة قبل دخول الصلاة ،كذلك الشورى تجب فيها طهارة النفس من الهوى والغش والنفاق وغير ذلك ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة" قلنا لمن يارسول الله : قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" [2] ولن تؤتي النصيحة ثمرتها إلا إذا جاءت من قلب سليم ونية خالصة لوجه الله تعالى .

٥- بأنّ للصلاة وقتا معينة وكذلك الشورى لها وقت معين ، فإنه إذا حزب المسلمين أمر اجتمعوا له وتشاوروا فيه ،[3] قال الضحاك : تشاور الأنصار على الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته حين سمعوا بظهوره ، وقال الزجاج : كانوا لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه .

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٥٩)

(٢) صحيح مسلم ٢ / ٣٧ كتاب الايمان باب الدين النصيحة .

(٣) انظر الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٦٨ ـالى -٨٢

قال كثير من المفسرين الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة هم الأنصار لما استجابوا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم [1] (فأثنى الله عليهم بما أثنى ، وعليه فهو من ذكر الخاص بعد العام لبيان شرفهم لإيمانهم دون تردد ، والآية إن كانت مدنية فالأمر ظاهر ، وإن كانت مكية فالمراد بالأنصار من آمن بالمدينة قبل الهجرة ، أو المراد أصحاب العقبة) . [2]

وذهب الشوكاني إلى أنها نزلت في الأنصار حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم اثنى عشر نقيبا فاستجابوا للإيمان [3] ولا منافاة في ذلك مع كون السورة مكية لأنّ المكي ما نزل قبل الهجرة .

٨- الصفة الثامنة قوله تعالى * وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * من صفات المؤمنين الانفاق في سبيل الله على سبيل الخير والبذل فيما يعود نفعه على الفرد والمجتمع ، وتحث هذه الآية على بذل المال لمرضاة الله تعالى .

وإذا عرفت أنّ الشورى قرنت بالصلاة لأمور ، فاعلم أن الشورى قرنت بالانفاق لأمور منها :

١- هذه الآية وقد عبرت عن الزكاة بلفظ الانفاق ، وكذلك الشورى انفاق من رزق الله تعالى ، وهو العقل والعلم والمعرفة ، والحكمة وحسن التدبير الذى وهبه الله للإنسان .

---

(١) انظر فتح البيان ٣٨٣/٨ .
(٢) روح المعاني ٤٦/٢٥ .
(٣) فتح القدير ٥٤٠/٤ .

٢- أطلق الإنفاق هنا ليشمل المال وغيره من رأى وعلم .

٣- لم يحدد الإنفاق بقدر معين ، لأنه في مقام الشورى ، حيث يبذل المرء في سبيلها كل ما عنده ، غير ممسك بشيء من رأيه وجهده واجتهاده .

٩- الصفة التاسعة : قوله ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ من صفات المؤمنين الانتصار على الظلم والبغي ، لأن دفع الظلم ورد البغي هدف من أهداف الجهاد الأساسية ، فهم يحاربون الظالمين والباغين ، بأى سلاح ، يقدرون عليه سواء كان دفاعا عن أنفسهم ، أو عن غيرهم ، فإذا عجزوا عن منعه بأيديهم أو بمالهم فلينكروا ما يفعلونه بقلوبهم ، فإن ذلك أدنى منازل الحرب على الظالمين (١) ، (والآية تبين أن الانتصار عند البغي فضيلة، ومدح الله هؤلاء المنتصرين عليه ، لأن الذلة ليست من صفات المؤمنين الذين جعل الله لهم العزة) (٢) في قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) (قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون للمؤمنين أن يذلوا أنفسهم فتجترئ عليهم الفساق) (٤) والضمير في قوله (هم ينتصرون) يؤكد أن من وقع عليهم البغي يجب أن يكونوا هم أول المتصدين له، العاملين على دفعه ، وفي التعبير بفعل المضارع (ينتصرون) بدلا من التعبير (يدفعون أو يردون) إشارة إلى وجوب رد الظلم والبغي

---

(١) انظر الميزان في تفسير القرآن ٢٥/٦٨ الى ٧٧
(٢) فتح البيان ٨/٣٨٤
(٣) سورة المنافقون : آية (٨)
(٤) زاد المسير ٧/٢٩٣ .

وفيه إشارة إلى أنهم إن فعلوا ذلك فسينصرهم الله الذى وعدهم بالنصر، وقد صرح القرآن بذلك في قوله (ذٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ[1]) وفي إسناد الفعل إلى الجمع (ينتصرون) إشارة إلى أنه لا يمكن تمام الزجر والانتصار على البغي والظلم إلا بالجماعة [2]، قال السدى في معنى (هم ينتصرون) أى ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا عليهم ، وقد تدل هذه الآية على أنّ الانتصار على الظالم والباغي المصر على ظلمه وبغيه أفضل [3] ، فإن قلت لماذا ذكر الانتصار في صفات المدح في هذه الآية والمباح لا مدح فيه ولا ذم؟

والجواب : ذلك لأسباب ثلاثة :

١- فقد يمدح المباح لأنّه دفاع عن الحق ودفاع عن النفس .
٢- المدح في أنه لم يبدأ بالظلم .
٣- المدح في قتال أهل البغي ،لأنّ قتالهم واجب [4] ، بقوله تعالى ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي ﴾(٥) وإن قلت كيف نجمع بين هذه الآية التي ظاهرها مدح الانتصار وبين الآيات التي تدل على أنّ العفو أفضل ؟

والجواب : يمكن الجمع بينهما بما يلى :

١- الآيات التي تدل على أنّ العفو أفضل يعمل بها إذا كان الظالم نادما ومعتذرا عما فعله وغير مصر على ظلمه وبغيه ،

---

(١) سورة الحج : آية (٦٠)
(٢) انظر نظم الدرر ٢٣٥/١٧ .
(٣) انظر احكام القرآن ٣٨٦/٣
(٤) انظر التسهيل ٣٩/٤
(٥) سورة الحجرات : آية (٩)

وبعفوه عن المسيء يكون مانعا للفتنة وللتمرد ، والشر دافعا الى تهدئة النفس (١) ، والآيات الكثيرة تدل على ذلك منها قوله تعالى ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (٢) وقوله تعالى ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٣) أما هذه الآية (آية الشورى) التي تدل على أنّ الانتصار أفضل ، فيعمل بمقتضاها إذا كان الظالم مصرا على الظلم والبغي ، لأنّ العفو عنه يكون سبب جرأته في تماديه وقوة غضبه (٤) .

٢- انتصار المسلمين على الكافرين إذا كانوا يظلموننا ويحاربوننا ، وذلك من الجهاد ، والانتصار والتناصر لأجل الدين واجب (٥) بقوله تعالى ﴿ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ (٦)

٣- الانتصار بالدفاع عن النفس وغيره ، إذا لم يكن المنتصر بادئا ولم يخرج عن أمر مباح شرعا ، وإن كان العفو أفضل .

٤- انتصار المؤمن على الفاسق ، إذا اعتدى عليه واجب ليرفع الظلم عن نفسه وليكن عزيزا لا ذليلا ، لأنّ عدم الانتصار عليه مذلة ومهانة ، ولا يرضى المؤمنون الذل لأنفسهم لأنّ العزة منهجهم ، وبهذه الأمور يمكن الجمع بين الانتصار للنفس والعفو عن المسيء . (٧)

---

(١) انظر تفسير المراغي ٢٥ / ٥٣

(٢) سورة البقرة : آية (٢٣٧)

(٣) سورة النور : آية (٢٢)

(٤) انظر الفخر الرازي ٢٧ / ١٧٨ .

(٥) الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٦٤ .

(٦) سورة الانفال : آية (٧٢) .

(٧) انظر زاد المسير ٧ / ٢٩٣ .

وفي هذه الآية انقسم العلماء في كونها منسوخة أو محكمة إلى فريقين :

١- الفريق الأول : القائلون بأنها في المشركين ، ذهبوا إلى نسخها بآية السيف [(١)]، قاله ابن زيد وغيره ، وهذا بعيد الاحتمال لعدم التعارض ، ولإمكان الجمع ، ولكونها خبرا .

٢- الفريق الثاني : القائلون بأنها للمسلمين ولهم قولان :

١- أنها نسخت بقوله تعالى ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾

٢- أنها لم تنسخ لأن الصبر والغفران فضيلة ، والانتصار مباح فعلى هذا تكون محكمة وهو الصحيح . [(٢)]

وبعد أن بين أن الانتصار مع كونه محمودا فإنه مقيد برعاية المثل بقوله (وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا) وهذه الآية تبين أن الانتصار يكون بالمثل دون زيادة ، لأن الزيادة ظلم ، والظلم حرام ، وتسمية الجزاء سيئة لأمرين :

١- لأنه يسوء من وقع عليه .

٢- على طريق المشكلة لتشابه الجزاء والسيئة في الصورة [(٣)]، وفي هذه الآية :

١- (قال مقاتل : هي في الجراحات والدماء ، والحكم أنه يقتص بمثل ما جنى عليه ، .

٢- وقال مجاهد والسدى في جزاء القبيح ، إذا قال لك أحد أخزاك الله فقل له أخزاك الله ولا تزد ، وإذا شتمك فاشتمه

---

(١) وآية السيف هي : (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) سورة التوبة : آية (٥) .

(٢) انظر نواسخ القرآن ص ٤٥٢ .

(٣) انظر تفسير الخازن ٤ / ٩٩

بمثلها من غير أن تعتدى(1) .

٣- وظاهر الآية العموم ، وهذا هو الرأى الراجح، لأنّ رد الاعتداء بالمثل دون زيادة ، مطلوب في كل شيء ، وفي هذه الآية رد الاعتداء على النفس أو المال بالمثل ، وحرمة التعدى على الغير(2) ، وزعم البعض أنّ هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) وهذا القول غير صحيح ، لأنّ الجمع ممكن ، ومعنى الآية أن من عاقب مسيئا فليعاقبه بمثل إساءته ، ومن عفا عنه فهو أفضل (3) ، ولما ذكر الله عز وجل أنه أباح الانتصار على الظالم ، ندب إلى العفو عنه لينال صاحب الحق المثوبة العظيمة ويعيش حياة هادئة خالية من المشاكل الكثيرة فقال (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) .

أى إذا كان الشرط في الجزاء المماثلة ، فالأولى العفو والإصلاح مع القدرة عليه وذلك لتعذر المماثلة غالبا ، وفي قوله (وأصلح) (إشارة إلى أنّ من تمام العفو الاصلاح)(4) ، (وتضمين الأجر في العفو والاصلاح إشارة إلى أنّ العفو أفضل من الانتصار، وقيل الانتصار أفضل ، والأول أصح)(5) ، أقول : ينظر إلى حال

---

(1) فتح البيان ٨/٣٨٥
(2) انظر تفسير أبى السعود ٨/٣٤
(3) نواسخ القرآن ص٤٥٣
(4) حاشية الصاوى ٤/٤٢
(5) التسهيل ٤/٤٨٥

المعتدى ، فإن ندم فالعفو أفضل ، وإن أصرّ فالانتصار أفضل ، لكي لا يستمر على ظلمه ، وليكون مستقيما ومعتدلا في حياته ، وأبهم الأجر تعظيما لشأنه وزيادة في الترغيب في العفو والحث عليه [1] ، ويراد بالاصلاح قولان :-

(١) الإصلاح بين العبد وربه باجتناب نواهيه وتقربه إليه بأنواع النوافل والقربات .

(٢) الإصلاح بين المظلوم وبين ظالمه بالعفو والتسامح . [2]

وبعد جواز الانتصار ، أخبر الله تعالى عن عدم محبته للظالمين ليحذروا وينبّه المنتصرين على عدم زيادة الانتقام فقال (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّٰلِمِينَ) لتجاوزهم حدود الله اعتدائهم على حقوق غيرهم ، ومع كونهم كثيرا ما يبدأون بالظلم ، يندب العفو عنهم قاله سعيد بن جبير [3] وأقام الضمير مقام الظاهر في قوله (إنه) إشارة إلى أنّ رعاية المماثلة لا يعلمها إلا الله عز وجل [4] ، ثم بيّن أنّ من انتصر بعد ظلمه فلا حرج عليه ، لأنه أتى بما أبيح له فقال (وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ) أى لا لوم ولا حرج على من انتصر بعد ظلمه لأنه أخذ حقه من ظالمه من غير زيادة ولا ابتداء [5] ، واللام في قوله (لمن) لام القسم ، و يجوز أن يكون لام الابتداء ، أتى بها للتأكيد (ومن) شرطية أو موصولة . [6]

---

(١) انظر روح المعاني ٢٥/٤٧

(٢) انظر الميزان ٢٥/٨٤

(٣) انظر الجامع لاحكام القرآن ١٦/٤١ والفخر الرازى ٢٥/١٨٢

(٤) انظر نظم الدرر ١٧/٣٣٧

(٥) حاشية الصاوى ٤/٤٣

(٦) انظر روح المعاني ٢٥/٤٨

قيل معناه : لا يلام المسلم إذا انتصر من الكافر ، لأنّ انتصاره عليه واجب ويحمد (١) فإن قلت ما الفائدة في قوله (بَعْدَ ظُلْمِهِ) مع أنّ الانتصار لا يكون إلا بعد الظلم ؟ والجواب : لا يقال لمن انتصر لحق غيره لا سبيل عليه ، بل يقال له الثواب والأجر ، وقد أتى بقوله (بعد ظلمه) ليتعين أنّ المراد الانتصار لنفسه فقط ، ونسأل لماذا عبر (بعلى) ولم يعبر (بإلى) في قوله (ما عليهم من سبيل) والجواب : حرف الجر ، (على) يستعمل في الضرر كقوله تعالى (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) (٢) والمقصود هنا نفي الضرر عنهم إذا هم طلبوا حقوقهم ، ولذا عبر بعلى دون إلى (٣) ، وقد عبر بالإفراد في قوله (وَلَمَنِ انتَصَرَ) إشارة إلى أنّ الإذن في الانتصار على الواحد لئلا تكبر الفتنة وجمع في قوله (أولئك) دلالة على أنّ نصرة المظلوم واحدا كان أو جماعة ليست هي سبب الفتنة وإنما سببها الظلم واقراره . (٤)

ولما نفى اللّوم والعقاب على من انتصر بعد ظلمه بيّن من عليه العقاب ، والمؤاخذة ، فقال (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) إنّما الحرج واللوم والإثم على الذين يبدءون بالظلم ، ويتجاوزون الحد الذى أبيح لهم أو يتكبرون في الأرض بغير حق ، فهؤلاء لهم عذاب أليم يوم القيامة بسبب عدوانهم على غيرهم أو بقتلهم وسلب أموالهم والنيل منهم بالقول والعمل ، والبغى في قوله (وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) [نوع من أنواع الظلم ، خصه بالذكر تنبيها

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٤١/١٦

(٢) سورة فصلت : آية (٤٦)

(٣) انظر فوائد مشكل القرآن ص ٢٢٩ (عز الدين بن عبد السلام) الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م تحقيق د . سيد رضوان على الندوى دار الشروق .

(٤) انظر نظم الدرر ٣٣٨/١٧

على قسوته وسوء حاله)[1] ، قال مقاتل : بغيهم عملهم بالمعاصي قال الأكثرون : بغيهم في النفوس والأموال ، وإذا بغى مؤمن على مؤمن فلا يجوز له أن ينتصر منه بنفسه ، بل يرفع ذلك إلى الإمام أو نائبه [2] ، والقول بأنّ المؤمن إذا بغى عليه يرفع أمره إلى القاضي ، لا يكون ذلك في كل الحالات وإنما يكون في بعض الأوقات والحالات ، لأنّه لو كان الأمر كذلك فإنّ الحاكم لن ينتهي من الخلافات ، وقيّد البغي بقوله (بِغَيْرِ الْحَقِّ) إشارة إلى أنّ البغي قد يكون مصحوبا بالحق كالانتصار المقترن بالتعدي .
قال قتادة : هذا في الخلافات التي تكون بين الناس ، فإن ظلمك رجل فلا تظلمه وإن فجر بك فلا تفجر به ، وإن خانك فلا تخنه ، فإنّ المؤمن هو صاحب الوفاء ، وإن الفاجر هو الخائن الغادر[3] .

ولما بيّن أفعال الظالمين ذكر جزاءهم فقال (أُولَٰئِكَ) الموصوفون بالظلم والبغي بغير الحق (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) عقاب شديد بسبب ظلمهم لغيرهم .[4]

ثم رغب سبحانه في العفو والصبر ، لأنّ الخطأ في العفو أولى من الخطأ في الانتقام ، ومن صبر عن الانتقام أحسن حالا ممن انتصر[5] فقال (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) وعزم الأمور هو موجبها ولازمها ولكل أمر عزيمة ، ويراد بالصبر هنا الإصلاح المذكور

---

(١) الدر المنثور ٦/١١
(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن ١٦/٤١ والبحر المحيط ٧/٥٢٣
(٣) انظر الدر المنثور ٦/١١
(٤) تفسير أبي السعود ٨/٣٥
(٥) انظر نظم الدرر ١٧/٣٣٩

آنفاً وعبر عنه بالصبر لأنّه من شأن أولي العزم(١) ومعنى الآية من صبر عن الانتصار من غير انتقام ولا شكوى ، فإنّه فعل ما يستوجب عقد العزم عليه ، فإنه فعل ما يشكر عليه ويستحق به الأجر ، وجزيل الثواب ، والواو للقسم ، واللام واقعة في جواب القسم ، والإشارة إلى الصبر والغفران (٢) وعاقبة الصبر دائما محمودة ، إن كان الصبر ناشئا عن القدرة لا عن العجز(٣) .

ولم يترتب عليه مفسدة وإن ترتب عليها المضرة والمفسدة فالانتصار أفضل (٤) .

قيل :(إنّ الصابر يؤتى بصبره الثواب لكن الرغبة في الثواب أتم عزما ،

قال أبو سعيد القرشي : الصبر على المكاره من علامات الانتباه ، فمن صبر عن مكروه يصيبه ، ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضاء ، وهو أجل الأحوال ومن جزع من المصيبات وكله الله إلى نفسه ثم لم تنفعه شكواه)(٥) والدعوة إلى الصبر والعفو ليست إبطالا لحق الانتصار ، وإنما هي ارشاد إلى فضيلة من أعظم الفضائل ، وهي الصبر والمغفرة ، وتفيد الآية أنّ العفو أمر مندوب إليه ، لكن تركه في بعض الأحوال يكون مندوبا إليه ، ومن ذلك كفّ زيادة البغي وقطع مادة الأذى ، قال ابن زيد هذه الآيات في المشركين ثم نسختها آية الجهاد (٦) ، وقال قتادة : الظاهر العموم (٧) ، وهذا هو الرأى الراجح ، ولا نسخ في

---

(١) انظر روح المعاني ٢٥ / ٤٨
(٢) تفسير القرآن للقرآن ٢٥ / ٨٠
(٣) فتح البيان ٨ / ٣٨٧
(٤) حاشية الصاوى ٤ / ٤٣
(٥) تفسير الخازن ٤ / ٩٩
(٦) انظر الجامع لاحكام القرآن ١٦ / ٤٤
(٧) فتح البيان ٨ / ٣٨٧

الآية ، فإن قلت لماذا وجدت اللام في خبر إنّ ، في قوله (إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) في سورة الشورى ، بينما في سورة آل عمران وسورة لقمان ذكرت هذه الآية بدون اللام (إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) فالجواب السّرّ في ذلك اختلاف الأمر على الصبر في هذه الآيات ، ففي آيتي آل عمران ولقمان ينحصر الصبر فقط في ثلاثة أمور أشار إليها بقوله (إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) ففي سورة آل عمران يأمر الله بالصبر على الابتلاء في الأموال والأنفس وسماع الأذى في قوله تعالى ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (١) . أما في سورة لقمان فإنّه يأمر بالصبر على إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصائب في قوله تعالى ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (٢) أما في سورة الشورى فإنّ قوله (إِنَّ ذَٰلِكَ) إشارة إلى الأمور الكثيرة الكثيرة المطلوبة وهي الإيمان والتوكل واجتناب الكبائر والصغائر والاستجابة والصبر وإقامة الصلاة والشورى وانفاق الأموال والانتصار من الظالم والجزاء بالمثل ، والعفو ، وبعد هذه الخصال قال تعالى في التزامها (إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) فناسب كثرة هذه الخصال الجليلة، زيادة اللام المؤكدة ولما لم يكن في سورتي آل عمران ولقمان كثرة ناسبها عدم زيادة اللام . (٣)

ولما ذكر الظلم والبغي في الآيات السابقة بيّن هنا أنهما يأتيان نتيجة الكفر بالله عز وجل والضلال عن سبيله ، وأنّ المضلّ

---

(١) آل عمران آية (١٨٦)
(٢) لقمان آية : (١٧)
(٣) انظر ملاك التأويل ١ / ٣٢٧ - ٣٢٨

لا يجد عونا ولا نصيرا يحميه من العذاب فقال (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ) فمن خذله الله باقترافه الآثام والمعاصي ، فليس له ولي يهديه سواء السبيل ، ولا أحد يتولى هدايته ويأخذ بيده إلى طريق الفوز والنجاة بعد إضلال الله إياه ، إنه ماشاء الله كان ولا راد له ، ومالم يشأ لم يكن، فمن هداه الله فلا مضل له ، ومن يضلله فلا هادي له [1] ، والضمير في قوله (من بعده) .
أما أن يعود إلى لفظ الجلالة ، وإما أن يعود للخذلان المذكور في قوله [2] (يضلل) والأول هو الظاهر لأنه مذكور ، وهو الراجح [3]
ولما ذكر المضلين بيّن أنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا فقال (وَتَرَى الظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ) تبين هذه الآية حال المشركين المكذبين بالبعث ، والكافرين يوم القيامة وهم في أشد اليأس والندم والكرب لهول مايشاهدونه ، من العذاب ويتمنون الرجعة إلى الدنيا حينئذ ليؤمنوا وليصلحوا أحوالهم ويتوبوا إلى الله ، وينظر بعضهم إلى بعض في يأس شديد ، متسائلين هل هناك من سبيل إلى الخروج مما نحن فيه الآن ؟ ولكن هيهات ، هيهات [4] والخطاب في قوله (ترى) خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من يصلح للخطاب ، وصيغة الماضي في قوله (لما رأوا) إشارة الى التحقق ، وتنكير (مرد من سبيل) لتهويل مايلقونه [5] ، وفي رؤيتهم للعذاب آراء :

١- (بمعنى في يوم القيامة) [6]

---

(١) انظر تفسير النسفي ٣ / ١١٠
(٢) انظر روح المعاني ٢٥ / ٥٠
(٣) انظر حاشية الشهاب ٧ / ٤٢٦
(٤) تفسير القرآن للقرآن ٢٥ / ٨٢
(٥) انظر روح المعاني ٢٥ / ٥٠-٥١
(٦) السراج المنير ٣ / ٤٤٤

٢- (بمعنى النار). (١)
٣- (بمعنى العذاب عند الموت) (٢)

ثم ذكر حالهم عند عرض النار عليهم فقال (وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ) بعد ذكر حال الكافرين الذين يتمنون العودة إلى الدنيا بعد اليأس ومشاهدة العذاب يوم القيامة ذكر حالهم هنا بأنهم في الحساب والجزاء بعد كفرهم وعنادهم بالله تعالى في الدنيا ، حين يعرضون على النار خاشعين ، متذللين ينظرون إلى النار من طرف خفي من هذا الهول العظيم ، والمقصود بهؤلاء المشركون جميعا حين يعرضون على جهنم عند اطلاعهم عليها ، قاله الأكثرون، قال أبو الحجاج : تعرض عليهم ذنوبهم في قبورهم ويعرضون على العذاب في قبورهم ، وقيل لآل فرعون ، قاله ابن مسعود(٣) والظاهر العموم ، ومعنى (يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ) .

١- قال ابن عباس(٤) (نظرة الذل ، لأن نظرة الذليل بمهانة واستكانة) (٥)

٢- قال قتادة وسعيد بن جبير والسدى ومحمد بن كعب القرظى (٦) والحسن (سرقة النظر ، أى أنهم ينظرون بسرعة شديدة إلى النار من شدة الخوف لما يرون من هول النار وأنواع العذاب) (٧)

٣- قال أبو عبيدة : ينظرون ببعض العين . (٨)

---

(١) فتح البيان ٨ / ٣٨٧
(٢) الجامع لاحكام القرآن ١٦ / ٤٥
(٣) انظر المصدر السابق .
(٤) انظر روح المعانى ٢٥ / ٥١
(٥) التسهيل ٤ / ٤١
(٦) فتح البيان ٨ / ٣٧٨
(٧) تفسير التبيان ٦ / ١٧٠
(٨) انظر زاد المسير ٧ / ٢٩٤

٤- قال يونس (من) بمعنى الباء أى ينظرون بطرف ضعيف[١]

٥- قيل : (من) لابتداء الغاية ،أى يبتدئ نظرهم إلى النار[٢]

٦- (قيل : نظرة القلب ،أى ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنّهم يحشرون عميا ، فلم يروها بأعينهم ، والنظر بالقلب خفي ، [٣]) ، واستبعد هذا ابن عطية والزمخشرى) [٤] (والصواب قول ابن عباس ومجاهد ، هو نظرة الذل) [٥] ، فإن قلت هذه الآية تتعارض مع قوله تعالى ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ [٦]

قلت ليس هناك تعارض بين الآيتين لسببين :

الأول : أنهم كانوا مبصرين في البداية ثم أعماهم الله تعالى بعد ذلك في الآخرة .

الثاني : يحتمل أن يكون الكلام في النظر لقوم والكلام في العمى لقوم آخرين [٧] .

ولما وصف حال الكافرين بيّن هنا ما يقوله المؤمنون فيهم ، فقال (قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) هنا يصف المؤمنون حال الكافرين يوم القيامة فيقولون لا يكون الخسران الحقيقى هو ما يفوت الانسان من حظوظ الدنيا في نفسه وفي ماله وفي أهله ، وإنما الخسران الحقيقى في الآخرة بجمعه

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢٥ / ٤٢
(٢) انظر حاشية الصاوى ٤ / ٤٣
(٣) تفسير الخازن ٦ / ١٢٥
(٤) التسهيل ٤ / ٤١
(٥) تفسير الطبرى ٢٥ / ٤٢
(٦) سورة الاسراء آية (٩٧)
(٧) انظر الفخر الرازى ٢٥ / ١٨٣

بين الخسران النفس والأهل ، ومايذوقه يوم القيامة من أصناف العذاب ، خسروا أنفسهم بالحكم عليهم بالخلود في النار ، وخسروا أهليهم لأنهم إن كانوا في النار ، فلا ينتفعون بهم ، وإن كانوا في الجنة فقد حيل بين أهل الجنة وأهل النار ، وقيل خسران الأهل ، لو كانوا آمنوا لكان لهم أهل في الجنة من الحور العين [١] ، (والقائلون بهذا هم المؤمنون الكاملون الناطقون بالصواب الذين أذن الله لهم بالكلام) [٢] في قوله (لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحمن وَقَالَ صَوَابًا) [٣] وعبر بالماضي في قوله (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا) دلالة على أنّ المؤمنين يعرفون معرفة اليقين في الدنيا ، مايذوقه الكافرون من ألوان العذاب يوم القيامة [٤] ، وفي قولهم هذا إشارة إلى ابتهاجهم وفرحهم بما رزقوا يومئذ من الكرامة والنجاة من الخسران [٥] و(يوم القيامة) (ظرف لخسروا ، فالقول في الدنيا ، أو ظرف لقال ، فالقوم يوم القيامة أى يقولون حين يشاهدونهم على تلك الحال ، والفعل (خسروا) بصيغة الماضي ، للدلالة على حقيقة وقوعه) [٦] ثم صدقهم ربهم فيما قالوا فقال (أَلَا إِنَّ الظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ) وهو إما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى [٧] .

وأقام المظهر مقام الضمير في قوله (الظالمين) بيانا لظلمهم ، وأنّ العذاب المقيم هو بسبب ظلمهم وانهماكهم فيه [٨] ، ثم بين يأسهم .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٤٦

(٢) فتح البيان ٨ / ٣٧٨

(٣) سورة النبأ : آية ٣٨

(٤) انظر تفسير القرآن للقرآن ٢٥ / ٨٣

(٥) انظر الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٦٦

(٦) تفسير أبى السعود ٨ / ٤٦

(٧) المصدر السابق

(٨) انظر روح المعاني ٨ / ٣٠٨

من الخلاص من عذاب الله بأى وسيلة من وسائل النجاة ، فقال (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ) فهم لا يجدون أنصارا وأعوانا ينقذونهم مما حل بهم من العذاب دون الله ، فأصنامهم التى كانوا يعبدونها ، لا تستطيع أن تشفع لهم وتحميهم من العذاب ، وهذا يدل على أنّ الكافرين يدوم عذابهم ، لأنّ لفظ الظالم إذا أطلق في القرآن أريد به الكافر لقوله تعالى (وَالْكَٰفِرُونَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ) (١) .

ثم قال (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ) أى ومن يضلل الله لما علم من استعداده للشر والفساد وارتكاب الآثام - فلا سبيل له إلى الحق ، في الدنيا ، والجنة في الآخرة ، لأنّه قد سدت عليه طرق النجاة وعميت بصيرته عن الحق (٢) ، والهدى .

وهذه الآية تفيد أنّه لا سبيل إلى السعادة الحقيقية إلا في سبيل الله الذى شرعه لعباده عن طريق الرسالة فلا سعادة إلا باتّباع كتابه العزيز وسنة رسوله الكريم ، فمن أضلّه عن سبيله لكفره وتكذيبه برسله فلا سبيل له يهتدى به إلى سعادة العقبى والتخليص من العذاب والهلاك (٣) ، كما تفيد بأنّ المضل والهادى هو الله عز وجل ولما أطنب الله عز وجل في الوعد والوعيد ذكر ما هو الغرض (٤) فقال (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) تدعو هذه الآية الظالمين المنحرفين عن طريق الحق والهدى ، والكافرين إلى الاستجابة لله وقبول ما دعاهم إليه من الايمان به وبرسوله من قبل أن يأتيهم العذاب ، إذ ليس لهم مفرّ يلتجئون إليه من هذا العذاب المحيط

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٥٤)
(٢) انظر الجامع لاحكام القرآن ١٦ / ٤٦
(٣) انظر الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٦٧
(٤) الفخر الرازى ٢٧ / ١٨٣ .

بهم في كل مكان ،و(من الله) يفيد أنه لا يستطيع أحد على الإطلاق رد هذا العذاب يوم القيامة ، لأنه ليس بيدهم وإنما بيد الخالق عز وجل ، .

وما المراد بذلك اليوم ؟

(١) قيل : يوم ورود الموت .
(٢) قيل يوم القيامة ، لأنه يوم الهول الأكبر وهو ظاهر الآية[1] ، وهو الرأى الراجح . ومامعنى (مَالَكُمْ مِّن نَّكِيرٍ) ؟
(١) (قال مجاهد : مالكم من ناصر ينصركم .
(٢) قال ابن أبي حاتم : النكير بمعنى المنكر ، أى لا أحد ينكر على الله عز وجل فعله .
(٣) قال الزجاج : لا يستطيعون انكار ذنوبهم ومعاصيهم .
(٤) قيل لا أحد ينكر وقوع العذاب عليهم ، لأن العذاب واقع عليهم بالفعل)[2] والرأى الأول والثانى متقاربان ، ولذلك قال مؤلف فتح البيان إن الرأى الراجح هو الأول . [3]

تلاحظ في سورة الروم قوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ وهنا سؤال لماذا قيل : في سورة الروم ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ وفي سورة الشورى ﴿ مَالَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ ؟ والجواب : وجه تعقيب آية الروم بقوله (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) إشارة إلى تفصيل حال الفريقين ، يوم القيامة في قوله ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾[4] فكل منهما يأخذ جزاء عمله وكسبه في الدنيا

---

(١) الفخر الرازى ٢٧ / ١٨٤
(٢) روح المعاني ٢٥ / ٥٢
(٣) انظر فتح البيان ٨ / ٣٨٩
(٤) سورة الروم آية (٤٣ - ٤٤)

إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، وإن كان من أهل الجنة ، سيدخل الجنة ، وإن كان من أهل النار سيدخل النار، وعلى ذلك فالمراد يومئذ يفترقون إلى ما أعد لكل منهم بحسب حاله في كفره وإيمانه ،

أما الآية في هذه السورة (سورة الشورى) فهي إشارة إلى أنّ من كفر بالله وضلّ عن طريق المستقيم ، فإنّ الأولياء الذين اتخذوهم غير الله في الدنيا لا ينفعونهم ، ولا يدفعون عنهم عذاب الله يوم القيامة ، فقال (وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ) ولذلك أمرهم بالاستجابة له قبل أن يأتيهم العذاب وقبل انقطاع الطمع ، والرجاء في التخليص ، لأن هذا اليوم ليس لهم فيه ملجأ أو نصير يدفع عنهم أو ولي يرجعون إليه ، ولا يستطيعون الانكار أيضا بما كسبوا أو اقترفوا، ولذا جاء في سورة الشورى (مَّا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ)(1) . وهذا هو الفرق بين هاتين السورتين .

ولما ذكر فيما سبق أنّ جميع الرسل دعوا إلى الايمان بالله عز وجل وحده لا شريك له ، كما دعوا إلى مكارم الأخلاق ، وبيّن عقوبة الكافرين وجزاء المؤمنين حتى لا يبقى أدنى شك وشبهة في أى شيء يكون سببا في تهديدهم عن الإعراض عنه ، وتسلية رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال معرضا عن خطابهم إيذانا بشديد الغضب (فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ) إن أعرض الكفار والمشركون عما أرسلناك به فأتركهم على حالهم ، لأنّك لست رقيبا وحافظا على جميع تصرفاتهم - ظاهرا وباطنا - ولست محاسبا على أعمالهم ، وحاكما عليهم فما عليك إلا البلاغ ، والإنذار بعقابه وغضبه ، والتبشير

---

(1) انظر ملاك التأويل ٢/٩٣٩ - ١٤٠ وغرة التنزيل ص ٤٢٩ .

برحمته وفضله وثوابه وإحسانه ، (فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ المُبِينُ)[1] فإن هم استجابوا إلى دعوتك فقد نجحوا وفازوا ، وإن هم أبوا وأعرضوا عنك فقد خسروا وضلوا ، فليس لك أن تجبرهم على الإيمان بك، لأنّ الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء .

(لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)[2] قال بعض المفسرين إنّ قوله (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) الآية نسخت بآية السيف[3] لنزولها قبل الأمر بالجهاد ، والرأى الراجح أنها ليست منسوخة ، لإمكان الجمع بينهما ، فالحرب لها مواقف ، وآيات الجهاد تناصرها ، والعفو له مواقف أخرى ، وآياته تؤيده[4] .

ولما بيّن في هذه الآية مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم أتبعه بما جبل عليه الانسان من حب الفساد والشر والفرح بفوز مطالب الدنيا فقال (وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ، وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ) تفيد هذه الآية: أنّ وجود أسباب وأنواع المتاع لدى الإنسان هو المصدر الأول في كفره وجحوده بالله عز وجل وغروره ، وتكبره وعدم القياده للحق[5]

وهذا الكفر والجحود في وقت حصول النعمة ، واليأس في وقت حصول المصيبة والضرر من طبيعة الانسان الذى إن أصابته نعمة أشر وبطر، ونسى الله الذى أعطاه النعمة ، وإن أصابته محنة يئس وقنط وجحد وكفر، والانسان في قوله (فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ) فيه قولان :

---

(١) سورة النحل : آية (٨٢) .
(٢) سورة الغاشية : آية (٢٢) .
(٣) سبق ذكر آية السيف في ص ٤٤٩ .
(٤) انظر البحر المحيط ٥٢٥/٧ .
(٥) انظر الفخر الرازى ١٨٥/٢٧

١- القول الاول : يراد به الجنس لوجوه :

١- مفهوم هذه الآية موافقة لقوله تعالى ﴿إِنَّ الإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الخَيرُ مَنُوعًا [1] ﴾

٢- جبل الإنسان على الضعف والعجز والحزن حين يقع عليه الشر، وقد يتظاهر بالشجاعة والقوة، لكن واقعه عكس ذلك ، وجبل أيضا على الفرح حين يحصل على النعمة .

٣- هناك آية أخرى دلت على هذه المعاني ، لكن استثنت منها الصابرين الصالحين ، يقول الله تعالى ﴿ وَلَئِن أَذَقنَا الإِنسَٰنَ مِنَّا رَحمَةً ثُمَّ نَزَعنَٰهَا مِنهُ ، إِنَّهُ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ، وَلَئِن أَذَقنَٰهُ نَعمَاءَ بَعدَ ضَرَّاءَ مَسَّتهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّـَٔاتُ عَنِّي ، إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ، إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ [2] ﴾ الآية .

والاستثناء يخرج من الكلام ، لولاه لدخل ، وهذا ما ذهب إليه الشوكاني [3] والبيضاوى [4] ، (وهو الرأى الظاهر والصواب، لأنّ سياق المعنى يدل على ذلك، واسناد الكفر إلى الجنس لغلبتهم وكثرتهم [5]).

---

(١) سورة المعارج : آية (١٩ - ٢٠ - ٢١) .
(٢) سورة هود : آية (٩ ، ١٠ ، ١١) .
(٣) انظر فتح القدير ٥/٤٤ .
(٤) انظر حاشية الشهاب ٧/٤٢٧ .
(٥) روح المعاني ٢٥/٥٢ .

٢- القول الثاني : يراد به الكافر لوجوه :

١- الأصل في المفرد المحلي بالألف واللام، حمله على المعهود السابق ، لولا المانع ، وههنا لا مانع، فيلزم حمله عليه ، والمعهود السابق هو الكافر .

٢- وصفه بالفرح لا يليق إلا بالكافر[1] بدليل قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾[2] وهذا ما اختاره ابن الجوزى في تفسيره[3] ، وأميل الى الرأى الأول أن المراد بالانسان الجنس أى المؤمنون والكافرون أما المؤمنون حق الايمان فهم في الضراء والسراء على السواء ، يقول تعالى ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[4]

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (عجبا لأمر المؤمن إنّ أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له)[5]

قال ابن جريج في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ، إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴾[6] يا ابن آدم إذا نزلت بك نعمة من الله فأنت كفور، فإذا نزعت منك فيئوس كفور، وبدأ بحرف (إذا) التى بالكثرة مع اسناد الذوق إلى نون العظمة للتنبيه على كثرة وقوع النعمة وتحققها ، وعبر بالذوق لسببين :

---

(١) انظر الفخر الرازى ٢٧/ ١٩٠

(٢) سورة القصص : آية (٧٦)

(٣) انظر زاد المسير ٧/ ٢٩٩

(٤) سورة البقرة آية (١٧٧)

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ١٢٥ كتاب الزهد، باب في احاديث متفرقة .

(٦) سورة هود ،آية (٩)

١- السبب الأول : للإشارة وللتنبيه على أنّ هذه النعم التي أسبغها الله ، على الانسان عظيمة وكثيرة لا تحصى ولا تعد إلا أنها في جانب نعم الله تعالى في الآخرة لاتعد شيئا ، والدليل على ذلك أنه عز وجل عبر عنها بالذوق الذى يستعمل في الشيء اليسير، وأنت ترى من يذوق شيئا فهو لايذوق منه إلا القليل . (١)

٢- السبب الثاني : الإنسان يتمرد ويطغى إذا حصل على أقل شيء من الخيرات العاجلة ، وكذلك يقنط ويجحد ويكفر، إذا حصل على أقل شيء من المحنة والبلية (٢) ، ولهذ ين السببين عبر بالذوق ، فسبحان من أحكمت آياته وهنا نسأل لماذا ذ مهم على الفرح بالرحمة مع أنه مأمور به في قوله تعالى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ (٣) والجواب : الفرح بالرحمة المأمور بها هو الفرح بالنعمة التى جاءته من عند الله عز وجل برحمته وبفضله لعباده اعتقادا منه بأنه يفرح بهذه النعمة ، ليرى عليه آثار نعمته عز وجل، وهذا الفرح لايخرج عن حد الشرع الذى حدده ، أما الفرح المذموم فهو الفرح بالنعمة التى لا تستعمل فيما وجدت من أجله ، ولا يقوم من لحقت به بواجب الشكر عليها لربه واهب النعم (٣) وعبر بإن في قوله (وإن تصبهم سيئة) للإشارة إلى ندرة وقوع السيئة بجانب كثرة النعم

---

(١) انظر الفخرالرازى ٢٧/ ١٨٥
(٢) انظر الفخر الرازى ١٧/ ١٩٠
(٣) سورة يونس : آية (٥٨)
(٤) انظر الفخر الرازى : ٢٥/ ١٢٤

والمراد بالسيئة المصيبة التي تصيب الناس ، (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) إشارة إلى أنّ المصائب التي تصيبهم تكون بسبب ما اقترفوه من الذنوب [(١)]) (وعبر باليد لأنّ أكثر العمل بها) [(٢)]

وهنا سؤال لماذا جاء قوله (فَرِحَ بِهَا) على الإفراد وقوله (وَإِن تُصِبْهُمْ) على الجمع ؟ والجواب جاء الأول على الإفراد باعتبار لفظ الانسان ، وجاء الثاني على الجمع باعتبار معناه [(٣)] ، ووضع الظاهر موضع المضمير فقال : (فَإِنَّ الإِنسَانَ) ولم يقل (فَإِنَّهُ كَفُورٌ) للدلالة على أنّ الكفر والجحود طبيعة الانسان [(٤)] ، ووقوع الذم واللوم عليه بذكر اسمه صراحة [(٥)] ، وجاءت صيغة (كفور) للمبالغة ،أى بليغ الكفران ، ويراد به كفران النعمة ، كما يراد به الكفر بالله تعالى [(٦)] ، وقال البيضاوى : المراد به كفران النعمة وليس المراد به الكفر بالله تعالى [(٧)] (وكلاهما صحيح ، لأنّ الانسان كفور بكونه لا يشكر الله على النعم وكفور بكونه يكفر بربه عز وجل

---

(١) حاشية الصاوى ٤ / ٤٤
(٢) نظم الدرر ١٧ / ٣٥٠
(٣) انظر تفسير النسفي ٣ / ١٠٩
(٤) انظر تفسير ابي السعود ٨ / ٣٦
(٥) انظر الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٦٨
(٦) انظر تفسير الخازن ٤ / ١٠٠
(٧) انظر حاشية الشهاب ٧ / ٤٢٧ .

وتفيد هذه الآية أنّ المؤمن لا يقنط عند فقدان النعمة لاعتقاده أنّها فضل من الله وإحسانه ، أما الكافر فهو عكس المؤمن تماما ، فإنّه ييأس ويقنط عند فقدانها ، لاعتقاده أنه حصلها بجهده وتعبه وجدّه.لذلك يكون عند زوالها يؤوسا ، وعند حصولها كفورا . (١)

كما تفيد هذه الآية أنّ من صفة المؤمنين إذا أصابتهم النعمة لا يفرحون بها غاية الفرح ولا ينسون المنعم بها ، ولا يبطرون بها ، لكنهم يشكرون ربهم واهب هذه النعم ، وإذا أصابتهم المحنة لا يكفرون ، ولا يجزعون ، بل ينيبون إلى مبتليهم .

وبعد أن أضاف الشر والضر إلى كسب الناس ، وأضاف الخير إلى الله تعالى جاء قوله ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ، إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ دفعا لوهم الناس أنّ الشر والضر من دونه عز وجل وتقرير أنّ كل ما في السموات والأرض وما يجرى فيهما من أمور هو من عند الله تعالى ، وأنّه يقسم النعمة والبلاء كما يشاء بحكمته البالغة ، ليس كما يشاء الإنسان بهواه (٢) .

ومعنى الآية : إنّ الله عز وجل خالق السموات والأرض ، وما لكهما والمتصرف فيهما ، يخلق ما يشاء ، ويهب لمن يشاء ،

---

(١) انظر الفخر الرازي ١٩٠/٢٧
(٢) انظر روح المعاني ٥٣/٢٥ .

ويمنع عمن يشاء ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما اعطى ، ولا معطي لما منع ، وما دامت النعم منه ، فليجتهد العبد في طاعته له .

وتلاحظ أنّ الله سبحانه قسّم في هذه الآية حال الزوجين إلى أربعة أقسام :

١- القسم الاول : يرزق الاناث فقط ،

٢- القسم الثاني : يرزق الذكور فقط .

٣- القسم الثالث : يرزق الذكور والإناث معا .

٤- القسم الرابع : لا يرزق الذكور ولا الإناث ، وقد خص ابن عباس هذه الآية بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فجعل المقصود بقوله (يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا) شعيبا ولوطا عليهما الصلاة والسلام ، لأنهما لم يرزقا إلا البنات ، وجعل المقصود بقوله (وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ) إبراهيم عليه السلام ، لأنه لم يكن له إلا الذكور وجعل المقصود بقوله (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) محمد صلى الله عليه وسلم لأنّه جمع بين الإناث والذكور معا ، وجعل المقصود بقوله (وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا) يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام (١) وقال أكثر المفسرين الظاهر العموم ، لأنّ مقصود الآية بيان نفوذ قدرة الله عز وجل في تكوين الأشياء ، كيف يشاء ، فلا وجه لتخصيص الأنبياء .

---

(١) انظر فتح البيان ٨/ ٣٩ .

وقد وردوا على سبيل المثال فقط في تفسير الآية (١) ، وفي بيان معناها :

١- قال أكثر المفسرين منهم ابن عباس (٢) (ومجاهد أن تلد المرأة مرة ذكورا و مرة اناثا .

٢- قال محمد بن الحنفية: أن تلد المرأة ذكرا وذكرا أو أنثى وأنثى .

٣- قال ابن زيد : أن تلد المرأة توأمين ذكرا وأنثى . (٣)

٤- (قال الزجاج (يزوجهم) يقرنهم .) (٤)

وقدم الإناث على الذكور لعدة أسباب منها :

(العناية بهن لضعفهن والإحسان إليهن ، والاهتمام بصونهن) (٥)
وفي الحديث (من ابتلى بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له سترا من النار) (٦)

---

(١) انظر فتح البيان ٣٩/٨
(٢) انظر الفخر الرازى ٢٨٥/٢٧
(٣) المراغي ٦٢/٢٥
(٤) تفسير القرآن للقرآن ٨٨/٢٥
(٥) البحر المحيط ٢٥/٧
(٦) صحيح مسلم ١٧٩/١٦ كتاب البر، باب فضل الإحسان إلي البنات .

٢- لشرفهن لأنّهن سبب لتكثير مخلوقاته . (١)

٣- قال ابن القيم للتنبيه أن لا اعتراض على مشيئة الله تعالى . لأنه هو المتصرف في ملكه يفعل كما يشاء .

٤- (بدأ بالصنف الذى يشاؤه وحده دون الأبوين .

٥- لأنّ العرب في جاهليتهم يعتبرون البنات أعظم البلايا .(٢)

لأنّ البنت لا تكتسب ولا تتاجر ولا تحارب ،ولا تدافع عن الأسرة والقبيلة ، ومن العلماء من يقول تنكير الإناث لانحطاط رتبتهن عن الذكور(٣) ، أقول : ليس المراد بانحطاط الأنثى في الرتبة أنّها محقرة وأقل شأنا من الرجل في العمل ، إنما المراد بأنّ الرجل له القوامة على المرأة بدليل قوله تعالى ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ (٤)﴾ من حيث إنه يتولى الدفاع عنها ، والإنفاق على الأسرة وغير ذلك ، والمرأة كالرجل تماما في الثواب والعقاب والعبادات إلا في بعض الأمور الخاصة له مثل القوامة ، والميراث والشهادة بقوله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً (٥)﴾

وتعريف الذكور بالألف واللام لسببين :

---

(١) انظر تفسير ابي السعود ٨/ ٣٦

(٢) التفسير القيم ص ٤٣٣

(٣) انظر تفسير ابي السعود ٨/ ٣٧

(٤) النساء : آية (٣٤) .

(٥) سورة النحل : آية (٩٧) .

١- السبب الأول (الإشعار بأنهم لشدة محبتهم، هم في خواطر آبائهم، فكأنه قيل : يهب لكم أولئك الفرسان الأعلام المعهودين في الأذهان)(1)

٢- السبب الثاني (للدلالة على عظيم شرفهم ورفع قدرهم)(2) (وقدم ذكر الذكر في قوله (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا) لأن الذكر أكمل وأفضل من الأنثى، والأفضل الأكمل يقدم(3)) ثم بعد ذلك بيّن أنه يعلم بمصالح العباد وغيرها فقال (إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)

ولما بدأ السورة بذكر الوحي ختم هنا ببيان طريقة هذا الوحي، وصورة الثلاثة فقال (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) تفيد هذه الآية أقسام الوحي، وأن البشر لا ينبغي أن يكلم ربه عز وجل، إلا بإحدى طرق ثلاث :

١- الطريق الأول : الوحي بدون واسطة بحيث لا يعرف دلالته إلا الرسول وحده (وأظهر اسم الجلالة في موضع الاضمار تعظيما للوحي وتشريفا له)(4) .

٢- الطريق الثاني : الوحي من وراء حجاب بحيث يسمع صوته عز وجل ولا يرى ذاته .

---

(1) حاشية الشهاب ٧/ ٤٢٨
(2) فتح البيان ٨/ ٣٩
(3) انظر الفخر الرازي ٢٧/ ١٨٦
(4) التسهيل ٤/ ٤٢

٣- <u>الطريق الثالث :</u> الوحي بواسطة الملك ، وهو جبريل عليه السلام . (أو يُرسِلَ رسُولاً فيُوحِيَ بِإذنِهِ ما يشَآءُ) فالله تعالى يرسل رسوله من الملك إلى رسوله من البشر بأمره تعالى وتيسيره ما يشاء أن يوحيه إليه من أمر ونهي ، كما كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الأنبياء(١)

ولما كانت الأقسام الثلاثة دالة على العظمة الباهرة كانت النتيجة ردا لطعنهم في التوحيد وفي القرآن وفي الرسول في مضمون الجملة(٢) (إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) على عن صفات المخلوقين ، يفعل ما تقتضيه حكمته، فيكلمه تارة بواسطة ، وتارة بغير واسطة ، إما إلهاما وإما خطابا من وراء حجاب ، تلاحظ اختلاف آخر الآيتين ففي الأولى (عَلِيمٌ قَدِيرٌ) و في الثانية : (عَلِيٌّ حَكِيمٌ) فما السر في ذلك ؟

والجواب : أن الآية الأولى : لما تضمنت الإعلام بانفراده سبحانه وتعالى يملك السموات والأرض ، وقهره جميع من فيهن وما فيهن ، وأنه الخالق لكل شيء فلا اختيار ولا مشيئة لمخلوق ، وكل صادر في الكون منه ، فهو يعطي لمن يشاء إناثا أو ذكورا أو العكس أو يجعل من يشاء عقيما ، فكل هذه الأفعال لا يشاركه فيها أحد، بل يفعل في ذلك كله ما أراده ، فلما تضمنت الآية قهر العباد وانفراده سبحانه وتعالى بالخلق والأمر، ناسبها الختام بقوله (إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) أي عليم بوجه الحكمة في ذلك قدير على ما يريده ، أما الآية الثانية : فهي تفيد كماله تعالى وتنزيهه عن

---

(١) نظم الدرر ٣٦١/١٧

(٢) انظر روح المعاني ٥٥/٢٥

سمات الحدوث ، وأنّ الوحي الذى ينزل إلي الرسل ثلاثة أقسام فقط ، وبهذه الطرق الثلاث ، وصل الوحي إليهم من الله عز وجل وقد حصل من ذلك الإعلام ، بتنزيهه عز وجل ، وتعاليه عن التكييف ولما كان الأمر كذلك ناسب هذا ختام هذه الآية بقوله (إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) أى على عن مشابهة البشر حكيم في أفعاله .[1]

وقد ورد أنّ الآية نزلت حين طلب اليهود من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمه الله تعالى وينظر إليه ، كما كلمه موسى عليه السلام ، ونظر إليه ، وقالوا له لم نصدقك في نبوتك حتى تفعل ذلك ، ونشاهدك أنت تكلمه وتنظر إليه ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام إنّ موسى عليه السلام لم ينظر إلى الله عزوجل[2] فأنزل الله تعالى فيهم (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا)الآية.

ولما ذكر أقسام الوحي ، بيّن هنا أنه أوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى الأنبياء قبله ، وأنّ الوحى روح صرح به فقال[3] (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) (واسم الاشارة فى قوله (كذلك) يعود إلى الوحي بأنواعه الثلاثة)[4] .

إذا عرفنا ذلك فما معنى (روحا من أمرنا)؟ والجواب :

١- قال ابن عباس[5] (ومالك ابن دينار والضحاك هو القرآن[6]) سمي روحا ،لأ ن القلوب تحيا به .

---

(١) انظر ملاك التأويل ٢/١١٠ - الى ١١٢
(٢) انظر تفسير ابي السعود ٣٧/٨
(٣) انظر نظم الدرر ٣٦١/١٧
(٤) الميزان في تفسير القرآن ٧٥/٢٥
(٥) انظر عمدة القارى ٢/١٥٦
(٦) الجامع لأحكام القرآن ٥٤/١٦ .

٢- قال ابن عباس : هو النبوة .

٣- قال السدى : هو الوحي سمى روحا ، لأنه مدبر الروح كما أن الروح مدبر للبدن .

٤- قال الربيع هو جبريل عليه السلام ويصير (أوحينا) بمعنى أرسلنا الوحي إليك) (١)

٥- قيل : الروح الأمر ، وهو كلمة (كن فيكون) (٢) يقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (٣)

٦- (قال الحسن وقتادة هو الرحمة ، وهو بعيد الاحتمال ، لكونه لا يعتمد على الدليل والرأى الصواب هو قول السدى ، أن المراد بالروح هنا الوحي ، لأنّ سياق الآية يدل عليه ، ورجحه البيضاوى) (٤) ومما يدل على أنّ المراد بالروح الوحي ما أتبعه بعده من قوله (مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ) لأنّه لا يعلم الكتاب ولا تفاصيل الايمان إلا بعد نزول الوحي عليه و (روحا) بالتنوين للإشارة إلى التعظيم ، أى روحا عظيما ، ومن في قوله (من أمرنا) دالة على التبعيض ، أتى به ، لأنّ الموحى إليه لا ينحصر في القرآن بل يشمل الحديث القدسي والحديث النبوى . (٥)

---

(١) روح المعانى ٢٥ / ٥٨
(٢) انظر البحر المحيط ٧ / ٥٢٥
(٣) سورة النساء : آية (١٧١)
(٤) حاشية الشهاب ٧ / ٤٣٠
(٥) انظر فتح البيان ٨ / ٣٩٢

ثم ذكر حال نبيه صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي بقولـــه (مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَـٰبُ وَلَا الْإِيمَـٰنُ) وكان الرسول صلى اللـــه عليه وسلم لا يعرف شيئا عن هذا القرآن قبل نزول الوحي عليه ، ولا تفاصيل الشرع ، على النهج الذى أوحاه الله إليه يقول تعالى (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـٰذَا الْقُرْآنَ ، وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِـــنَ الْغَـٰفِلِيـــنَ) (١) (فإن قلت ظاهر قوله (مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَـــابُ) الآية .

يفيد عدم الاتّصاف بالايمان قبل الوحى ؟ والجواب : أن الآية لا تفيد ذلك ، ولا يصح لأنّ الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام كلهـــم مؤمنون بالله قبل الوحى وهم معصومون عن الكفر باجماع) (٢) وللعلماء في معنى قوله (ولا الايمان) أقوال :

١- هو تفاصيل الشرع ، وخص الايمان بالذات ، لأنه أساسهـــا قاله القشيرى وهو ما عناه أبو بكر القاضى بقوله هو الفرائـــض والأحكام . (٣)

٢- من باب حذف المضاف وتقديره (ماكنت تدرى ما الكتـــــاب ولأهل الايمان) اى هذا الذى يؤمن ، ومن الذى لا يؤمـــن ذكره الحسين بن الفضل . (٤)

٣- (هو الدعوة إلى الايمان ، وقراءة القرآن ، قاله أبو العالية ،

٤- هو الصلاة ، قاله أبو خزيمة) (٥) (وابن قتيبة) (٦) في قولـــه

---

(١) سورة يوسف : آية (٣)
(٢) روح المعاني ٥٨/٢٥
(٣) انظر الجامع لاحكام القرآن ٥٨/١٦
(٤) انظر فتح البيان ٣٩٢/٨
(٥) حاشية الصاوى ٤٥/٤
(٦) زاد المسير ٢٩٧/٧

تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ (١) اى صلاتكم ،

٥- (هو التصديق بأنه رسول من عند الله عز وجل ، لأنّه لم يعلم ذلك إلا بعد الوحي ، وهذا ما ذهب إليه الكرخي وغيره) (٢)

واعلم أنّ نفي علم النبى صلى الله عليه وسلم بالإيمان قبل الوحي ليس على اطلاقه ، وإنما هو نفي لتمام العلم بالايمان كله عقيدة وشريعة ، لذلك عبر بكلمة (ماكنت تدرى) بدلا من قوله (لم تكن مؤمنا) فليس المراد بالايمان هنا الإفراد بالله عز وجل لأنّه يوحد الله قبل النبوة ، بأدلة عقلية ، ولأنّ أباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله عز وجل ويحجون له البيت مع عبادتهم للاصنام والأوثان ، وهذه الآراء كلها صحيحة ، لكن الرأى الراجح هو الرأى الأول الذى يراد به شرائع الايمان ومعالمه ، وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين (٣) ، حيث لم يكن رسول الله يعلم أحكام الصلاة والزكاة والحج وغيرها إلا بعد نزول الوحى (٤) ، وكذلك صفات الله التى لا تعرف إلا بالدلائل السمعية ، ولم تكن معروفة لديه قبل النبوة ، وفي قوله (ماكنت تدرى) أربعة أقوال :

١- في المهد .

٢- قبل البلوغ .

٣- قبل الوحي .

٤- قبل البعث ، والرأى الصواب هو قبل الوحي .

أى (ماكنت تدرى قبل نزول الوحى) وهو شامل لما بعده من آراء مع

---

(١) سورة البقرة : آية (١٤٣)
(٢) الميزان في تفسير القرآن ٢٥/٧٧
(٣) انظر زاد المسير ٧/٢٩٨
(٤) انظر تفسير الخازن ٤/١٠١ وحاشية الصاوى ٤/٤٥

التنبيه على أنّ الأول والثاني خلاف الظاهر ، كما نبه عليه الشهاب، ثم بينّ هذا الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فقال (وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا) جعلنا هذا القرآن نورا عظيما ، نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا ونرشده إلى الدين القويم ، وهنا نسأل علام يعود الضمير في قوله (جعلناه) ؟ والجواب ، إما :-

١- أن يعود إلى الايمان ، وهذا مارجحه الشهاب[1] لأنه أقرب مذكور ، واختاره ابن عباس والضحاك .[2]

٢- وإما أن يعود إلى الروح الذي هو الوحي ، وهو ما رجحه ابن القيم في تفسيره .[3]

٣- قيل يعود إلى الأمر في قوله (من أمرنا) .

٤- يعود إلى الكتاب والإيمان معا ، لأنّ مقصودهما واحد كما في قوله تعالى (وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ) [4]

وهذا هو الرأي الراجح ، وإليه ذهب أكثر المفسرين كالألوسي [5] والفخر الرازي [6] وغيرهما ، ومعنى الآية : جعلنا ذلك الروح الذي أوحيناه إليك نورا ، وسماه روحا لما يحصل به من الحياة الطيبة والعلم والقوة ، وجعله نورا ، لما يحصل به من الاشراق وهما متلازمان ، لا يفترقان ولأنّ النور يهتدى به ، في الظلمات الحسية ، وكذلك القرآن يهتدى

---

(١) انظر الجامع لاحكام القرآن ١٦/ ٦٠
(٢) انظر تفسير القيم ص ٤٣٤
(٣) التوبة آية : آية (٦٢)
(٤) انظر روح المعاني ٢٥/ ٦٠
(٥) انظر الفخر الرازي ٢٧/ ١٩٧ .
(٦) حاشية الصاوي ٥/ ٤٥

به في الظلمات المعنوية (١)، وقوله (نَهْدِي مَن نَشَاءُ) إشارة إلى هذا النور الذى لا يهتدى به إلا من شاء الله له الهداية من عباده، فهو رزق من رزق الله (٢)، وعبر بصيغة المضارع (نهدى) لأمرين :

١- للاستقبال، ٢- للاستمرار، والأول هو الظاهر، (٣) ثم بين أن الرسول صلى الله عليه وسلم نور من هذا النور، لأنه يهدى الناس إلى الحق فقال (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قال قتادة والسدى ومقاتل : وإنك لتدعو إلى الاسلام، فهو الصراط المستقيم (٤)، وقال علي : إلى كتاب مستقيم (٥)، وهذه الآية تدل على أن السنة المطهرة - قولية وفعلية - هي من هذا النور السماوى، كما تدل على أن هداية الرسول صلى الله عليه وسلم هي هداية من الله تعالى (٦)، ثم فسر هذا الصراط بقوله (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) فهذا الطريق هو الطريق الذى شرعه الله مالك السموات والأرض، والمتصرف فيهما، والحاكم الذى لا معقب لحكمه.

و(صراط الله) هو القرآن، كما قال علي، أو هو الاسلام الذى هو دين الله القويم (٧)، كما يقول الله تعالى (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ) (٨) الآية وكلاهما صحيح، لأن القرآن كتاب الاسلام، وطريق الاسلام هو القرآن، وأضيف الصراط إلى لفظ الجلالة تعظيما له، وتفخيما لشأنه (٩)، و تقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه. (١٠)

---

(١) حاشية الصاوى ٤٥/٤ ص

(٢) تفسير القرآن للقرآن ٦٩/٢٥

(٣) حاشية الشهاب ٤٣١/٧

(٤) فتح البيان ٣٩٤/٨

(٥) للجامع لاحكام القرآن ١٠/١٦

(٦) انظر الميزان ٧٨/٢٥

(٧) الجامع لاحكام القرآن ٦٠/١٦

(٨) سورة الانعام آية (١٥٣)

(٩) فتح البيان ٣٩٤/٨.

(١٠) تفسير أبى السعود ٣٨/٨

(ألا الى الله تصير الامور) فكل أمور الخلائق ، يوم القيامة ترجع إلى الله لا إلى غيره ، فيضع كلا منهم في موضعه الذى يستحقه من نعيم أو جحيم ، (وألا) أداة استفتاح يؤتى بها للاهتمام بما بعدها (١) ، وكلمة (إلى) تفيد انتهاء الغاية ، وإذا كانت (الى) لانتهاء الغاية ، فما المراد بها هنا ؟ والجواب المراد بها لا مالك في يوم الدين إلا الله عز وجل ، والامر كله بيده عز وجل كما يقول الله تعالى (وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) (٢) وعبر بالمضارع تصير (لأمرين) .

١- للاستمرار .

٢- للاستقبال ، والرأى الراجح هو الأول .

أما الثانى فبعيد الاحتمال لأنّ الأمور منوطة به تعالى ، في كل وقت (٣) والآية تفيد الحصر ، فالأمور تصير إليه وحده، لا إلى غيره وأتى بهذه الجملة إشارة إلى أنّ كل شيء من الله ، وإلى الله (٤) وفي هذه الآية وعد بالمثوبة للمهتدين ، ووعيد بالعقوبة للظالمين .

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ٢٥ / ٧٨

(٢) سورة الانفطار : آية (١٩)

(٣) فتح البيان ٨ / ٣٩٤

(٤) حاشية الصاوى ٤ / ٤٦

الخاتمَة

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني وأعانني على إتمام هذا البحث الذي يتعلق بكتابه العزيز وبسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وبهما تكون الهداية والرشاد والفلاح في الدارين وبغيرهما يكون الضلال والشقاء والبلاء.

وفي هذا البحث قد بينت كيف أن الله عز وجل جعل الإسلام ديناً خالداً بما حوى من مبادئ صالحة لكل زمان ومكان، وكيف لا يكون كذلك.. فالشورى من أسسه والعلم والعدل من دعائمه والعمل الصالح المثمر من غرسه وحسن السلوك من آثار الإيمان به.

أهم النتائج التى توصلت إليها من هذا البحث وهى كالتالي :

١- إنّ دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من نبى الله آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واحدة ، وهي دعوة التوحيد والأصول التى لا بد منها لكل دين شرعه الله .

٢- إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وخاتمهم ، وأنّ الكتاب المنزل عليه ، أفضل من سائر الكتب المنزلة على غيره .

٣- لا يكون الإنسان مؤمنا إلا اذا آمن بتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية معا ، وهذان أمران متلازمان لا يفترقان أبدا .

٤- يعرف أهل الجنة وأهل النار بخواتم أعمالهم فمن ختم عمره على المعاصى والمنكرات حتى مات عليها ، فهو من أهل النار ، وإن كان صالحا من قبل .
وكذلك من ختم عمره على الطاعة والأعمال الصالحة فهو من أهل الجنة وإن كان غير صالح من قبل .

٥- الكرامة والفضل عند الله تعالى لا تكون بالنسب ولا بالمنزلة ولا بالمال والجاه وإنما تكون بالتقوى ، وأفضل الناس وأكرمهم عند الله أتقاهم .

٦- الله عز وجل ليس كمثل شىء لا فى أفعاله ولا في صفاته ولا في أسمائه وهو منزه عن كل نقصان ، تعالى الله عما يشركون .

٧- إن تفاوت الأرزاق بين الناس ، وتفاضلهم قوة وذكاء وخلقا حقيقة إلهية ، يقررها القرآن الكريم ، ويؤكدها في أكثر من آية ، كما أنّ بسط الرزق وقبضه وكلاهما يتعلق بمشيئة الله تعالى وحكمته ، فمن يبسط الله له الرزق فلا يقدر

أحد على قبضه،ومن ضيق الله عليه فلا يستطيع أحد بسطه وعلى ذلك لا عبرة بمن يقول إن سعة مال العبد من جهده وتعبه .

٨- وجوب الخوف من الله تعالى والرجاء في رحمته ولا يكون الرجاء إلا باتيان الطاعات والأعمال الصالحة .

٩- امتثال الأوامر واجتناب النواهي سبب دخول الجنة ، لكن المؤمن يدخلها بفضل الله ورحمة منه ، لا بطريق الاستحقاق .

١٠- من كان يريد بأعماله الآخرة ، فإنّ الله تعالى يضاعف له حسناته ويعينه عليها بنيته ويبارك له فيها ، أما من يريد بأعماله الدنيا فإنّ الله يعطيه بعض ما يريد . ولم يكن له نصيب في الآخرة ، فهو لم يعمل للآخرة شيئاً ينتظر عليه ذلك النصيب .

١١- وجوب توبة العبد قبل اتيان الأوقات التى لا يقبل الله فيها توبته - والعياذ بالله - فالله سبحانه وتعالى يغفر ذنوب العبد مهما كثرت إذا أخلص في توبته قبل لحظاته الأخيرة في الدنيا .

١٢- إن بسط الرزق للمؤمن قد يحمله على ارتكاب المعاصى لأنّ من طبيعة أهل سعة المال ، الكبر والطغيان وفعل المعاصي .

١٣- المصائب والشدائد التى تنزل بالمسلم نتيجة لذنوبه ويثاب عليها إن صبر .

١٤- ابتلاء الله تعالى لعبده المؤمن دليل على محبته له ، وكفارة لذنوبه .

١٥- المؤمنون لا تغرنّهم الحياة الدنيا وما فيها من متاع لعلمهم أنه وسيلة وليس غاية ، وهو زائل بذهاب هذه

الحياة ، ولا يوزن بما أعده الله لهم في الجنة من النعم والخيرات .

١٦- وجوب العدل في كل شيء ، ومنه اعطاء الأجير أجره قبل أن يجف عرقه .

١٧- على المسلم أن يفوض أمره إلى الله فى كل شيء ، بعد أن يأخذ بالأسباب ، ويعتمد عليه دون أن ينظر إلى النتائج التى ستنتج عن الأخذ بالأسباب .

١٨- الغضب المأمور به هو الغضب لأجل الله تعالى ولدينه والحق والعدل ، أما ماعدا ذلك فهو الغضب المذموم .

١٩- دفع السيئة بالحسنة يترتب عليه مصالح كثيرة منها المحبة والمودة .

٢٠- على المؤمن أن يتصف بالعفو ، ليكسب المثوبة العظيمة عند الله تعالى وليقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم وبصحابته الكرام .

٢١- يكون العفو في حالة اعتذار المسيء واعترافه مع القدرة على الانتصار ، ولا يكون عند الضعف والعجز .

٢٢- وجوب تطبيق مبدأ الشورى في كل نواحي الحياة ، للوصول إلى الحق وإلى الرأى الصواب ، لما فيها من الألفة وجمع الكلمة والوصول إلى أحسن النتائج في أكثر الأحيان .

٢٣- أباح الله الانتصار من الظالم المصر على ظلمه ورد عدوان الباغي بالمثل حتى لا يتجرأ ويتمادى في عدوانه ، حين لا يجد رادعا يكفه عن الافساد فيمضي في طريقه آمنا مطمئنا .

٢٤- القاعدة العامة في الشريعة الاسلامية هى العفو عن المسيء ودفعه بالتي هي أحسن ، لينال من يصفح عنه - ابتغاء وجه ربه - المثوبة الحسنى كما وعد الله

في قوله : ﴿ وليعفو وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ وقوله ﴿ ولمن صبر وغفر ،ان ذلك لمن عزم الأمور﴾ (١)

٢٥- هذه هى اهم المبادئ العقدية والاجتماعية التى توصلت اليها ، ومن تأملها ووعاها واقتفي اثرها ، وعمل بمقتضاها فاز بسعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

---

(١) سورة الشورى : الآية (٤٣)

بعض الوصايا والمقترحات التي رأيتها من خلال معايشتي لهذا البحث :-

١- الاهتمام بدراسة القرآن الكريم دراسة تحليلية وموضوعية لأنها تفيد المتخصصين وغيرهم ، ممن يمكنهم الانتفاع بقراءة كنوز القرآن والسنة ، في صورة علمية ، وواضحة خالية من التعقيد .

٢- أرجو أن يتجه كل الطلاب والطالبات وغيرهم ممن يدرسون ومن لا يدرسون إلى مثل هذه الدراسة حتى ينهلوا من معين القرآن الكريم الشافي الذى يهدى الناس للتى هي أقوم .

٣- وجوب التزام المسلمين بمبدأ الشورى وتطبيقه في كل زمان ومكان لتتحقق لهم المصالح والخيرات في جميع أمورهم ويكون مجتمعهم مجتمعا متماسكا ، ومتعاونا ومتناصحا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ويكونوا خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

٤- ومن مبدأ الشورى يجب ألا يبخل أحد بآرائه ، مشاركة منه في تحمل المسئولية وفي بيان النصح ، والتذكير تصحيحا أو تأييدا .

٥- وصيتى لكل أخ وأخت ألا يأتى أمرا ذا أهمية إلا إذا استشار أصحاب الرأى السديد ، ولا شك أنه سيعرف محاسنه ومساوئه بعد أخذه بمشورتهم .

٦- وصيتى لكل معتل ، مريض ، متألم بفقدان الأهل أو الولد أو المال أن يصبر ويحتسب ، ويرضى بما قدر الله له لأنه لا مفر من قضائه ، وقدره ، وأن يضع نصب عينيه قوله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾(1) وليعلم أن الله تعالى يحبه بهذا الابتلاء ، ولولا محبة

---

(1) سورة التوبة : آية (٥١)

الله له لم يجعله محلا لابتلائه لقوله صلى الله عليه وسلم " إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط "(١)
وأنه عز وجل يكفر خطاياه وذنوبه كما ثبت في الأحاديث الصحيحة .(٢)

٧- وصيتي لكل من وسّع الله عليه الرزق ألا يتكبر ولا يظلم ، لأنّ كثرة ماله ليست دليلا على حب الله له ، وأن يصل رحمه باحسانه لهم وأن ينفقه في سبيل الله تعالى ، وفي سبل الخير ، ليعلم أنه يعاقب عليه إن لم يحسن التصرف فيه حدود ما يرضى الله ورسوله .

٨- هناك عادة متفشية بين الناس ، وهي أن يغضب منك صديق أو قريب لك إذا قلت له الحق أو كشفت له الحقيقة ، وهذه عادة سيئة جدا يجب التخلص منها .

٩- وصيتي لكل من حرم نعمة الولد ، الصبر والرضى بما قسم الله له من النعم حيث جعل الله لكل شيء حكمة لا يعلمها إلا هو ، وليعلم أن الإنجاب والعقم بيد الله عز وجل وحده لا بيد الأطباء ولا غيرهم ، وكم من زوجين أنفقا مالا طائلا في سبيل حصولهما على ولد ومع ذلك لم يحصلا على أمنيتهما ، وتلك الوصية مقتبسة من الآيات التي ختمت بها سورة الشورى وفيها إشارة إلى أنّ الأمر كله لله .

---

(١) سبق تخريجه في ص (٢٠٩)
(٢) انظر ص (٢٠٩)

وأسأل الله تعالى أن ينفعني بهذه الرسالة وأن ينفع بها قارئها ، وأن يوفق المسلمين للعمل على تطبيق المبادئ العقدية والاجتماعية التي دعت إليها سورة الشورى كي يظفروا بسعادة الدنيا وسعادة الآخرة .

اللهم اجعل التقوى زادنا واجعل الجنة مآبنا ، وارزقنا شكرا يرضيك عنا ، وورعا يحجزنا عن معاصيك ، آمين .

وبالله اعتصمت وتوكلت عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وحسبي الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

.. ..

تراجم الأعلام

حرف الألـف

ابراهيم بن اسحاق ص ٣٠٨

ابراهيم بن اسحاق بن بشير ، بن عبدالله البغدادى الحربي ابو اسحاق ، من اعلام المحدثين ، كان حافظا للحديث ، عارفا بالفقه ، بصيرا بالاحكام ، قيما بالأدب ، زاهدا ، جماعا للغة ، ولد سنة ١٩٨هـ وماتسنة ٢٨٥ هـ(١) .

ابراهيم بن خالد ص ٢٣١

ابراهيم بن خالد بن ابي اليمان ، أبو ثور الكلبى الفقيه البغدادى ويقال : كنيته أبو عبدالله ، وأبو ثور لقبه .
قال النسائي : ثقة مأمون ، وقال الحاكم : كان فقيه أهل مكة ومفتيهم ، في عصره ، واحد أعيان المحدثين المتقنين بها .
وقال الخطيب : كان أبو ثور يتفقه بالرأى ، حتى قدم الشافعي إلى بغداد فاختلف إليه ، ورجع عن مذهبه ، مات سنة ٢٤٠هـ(٢)

---

(١) انظر الاعلام ٢٤/١ الزركلى الطبعة الثالثة وطبقات الحفاظ ص ٢٦٣ للسيوطى الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م دار الكتب العلمية بيروت .

(٢) انظر تهذيب التهذيب ١١٨/١، ١١٩ لابن حجر العسقلانى الطبعة الأولى مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية فى الهند .

ابراهيم بن السـرى ص ٣٥٨ - ٣٦١ - ٣٨٠ - ٤٧٨

إبراهيم بن السرى بن سهل أبو إسحاق الزجـاج (بفتح الزاى والجيم المشددتين) قال الخطيب : كان من أهـل الفضل والدين ، حسن الاعتقاد (1) له المصنفات الكثيرة والمفيـدة منها معانى القرآن وغيره ، وكان أول أمره يخرط الزجاج ثم انصـرف عنه ، ومالى إلى النحو، ولزم المبرد ، حتى صارعالها من علمـاء النحو ، مات سنة ٣١١ هـ (2)

إبراهيم بن عمر ص ٣٦٤ - ٣٩٤

(إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ، (بضم الراء وتخفيف الباء) بن على بن أبي بكر البقاعي ، (أبو الحسن) برهان الديـن مؤرخ ،أديب ، أصله من البقاع في سورية ، وسكن دمشـق ، وتوفى فيهـا .

ولد سنة ٨٠٩ هـ ومات سنة ٨٨٥ هـ) (3)

---

(١) بغية الوعاة ٤١١/١ وما بعدها للسيوطى الطبعة الاولى ، مطبعـة عيسـى البابى الحلبى .

(٢) انظر البداية والنهاية ١٥٩/١١ لابن كثير) الطبعة الثالثـة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م دار الكتب العلمية .

ابراهيم بن محمد

(ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران ، كان يلقب(بركن الدين) وهو أول من لقب من الفقهاء ،نشأ في اسفرايين (بين نيسابور وجرجان) ثم خرج الي نيسابور، وبنيت له فيها مدرسة عظيمه)[١] ليس لها مثيل فدرس بها ، وكان ثقة في رواية الحديث ، وله مناظرات مع المعتزلة[٢] ، ويقال : أنه بلغ رتبة الاجتهاد ، و مات بنيسابور ودفن في بلده اسفرايين سنة (٤١٨)هـ[٣]

إبراهيم بن المنذر ص ٢٣١

إبراهيم بن المنذر بن عبدالله بن المنذر بن المغيرة بن عبدالله الاسدى الخرامي ،أبو اسحاق المدني ، صدوق ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال الساجي : بلغني أن أحمد : كان يتكلم فيه ويذمه [٤] ، لأجل القرآن ، مات سنة ٢٣٦ هـ [٥]

---

(١) الاعلام ١/ ٥٩
(٢) انظر معجم المؤلفين ١/٨٣ (عمر رضا كحالة) الناشر : مكتبة المثنى دار احياء التراث العلمي ،و المغني فى ضبط الاسماء ص ٣٠ (محمد بن طاهر الهندى) .
(٣) انظر شذرات الذهب ٣/ ٢٠٩ _ ٢١٠ لابن العماد

ابراهيم بن يزيـــد ص ٢٦٦

ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود ، أبو عمران النخعي ، الكوفي الامام المشهور الزاهد العالم)[١] (الفقيه ثقة ، الا انه يرسل كثيرا)[٢] .

كان مفتي أهل الكوفة ، وكان رجلا صالحا ، خيرا فى الحديث .

قال أبو حاتم : لم يلق أحدا من الصحابة غير عائشة وأنس رضي الله عنهما ، ولكنه لم يسمع منهما ، مات سنة ٩٦ هـ[٣] .

أبان بن تغلـب ص ٣٢٦

(الامام المقرئ ، أبو سعد ، وقيل أبو أمية الربعى الكوفي ، الشيعي ، وهو صدوق في نفسه ، عالم كبير ، وبدعته خفيفه ، لا يتعرض للكبار)[٤] ويقال : إنه لم يختم القرآن على الأعمش إلا ثلاثة منهم أبان ، مات سنة ١٤١ هـ)[٥] .

---

(١) طبقات القراء ١ / ٢٩ لابن جزى الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ - بيروت
(٢) تقريب التهذيب ١ / ٤٦
(٣) انظر تهذيب التهذيب ١ /١٧٧ - ١٧٨
(٤) سير اعلام النبلاء ٦ /٣٠٨
(٥) طبقات القراء ١ / ٤

احمد بن ابراهيم

(أحمد بن ابراهيم بن الفرج ، أبو العباس، الواسطى ، المقرئ، المفسر، الشافعي ، كان فقيها ، عارفا بالقراءات ووجوهها وبصيرا بالعربية واللغة)[1] (ودينا وورعا وزاهدا ، وخطيب جامع دمشق)[2] .

(ولد سنة ٦١٤هـ ومات سنة ٦٩٤هـ)[3]

احمد بن جعفر ص ٣٣٣

أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيدالله ،أبو الحسين البغدادى ، المعروف بابن المنادى (بالدال المكسورة) الامام المشهور حافظ، ثقة) متقن ، ضابط)[4] (قال الداني : مقرئ جليل ، فصيح اللسان ، عالم بالآثار والعربية)[5] (وكان أمينا ، حجة ، صادقا ، صنف كثيرا ، وجمع علوما جمة ، ولم يسمع الناس منها إلا اليسير وذلك لشراسة أخلاقه)[6] .

ولد سنة (٢٥٦هـ) وفي رواية (٢٥٧) ومات سنة (٣٣٦) وفي رواية (٣٣٣ هـ) وقيل غير ذلك .[7]

---

(١) طبقات المفسرين ٢٨/١ وما بعدها (للداوودى) الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م دار الكتب ـ بيروت .

(٢) البداية والنهاية ٣٦٢/١٣

(٣) طبقات القراء ٣٥/١

(٤) الاكمال ٣٢٣/٧

(٥) طبقات القراء ٤٤/١

(٦) طبقات المفسرين ٣٥/١

(٧) معجم المؤلفين ١٨٣/١

أحمد الصاوى ص ٣١٠ - ٣٤٠

أحمد بن محمد الصاوى ، المالكي ، عالم مشارك ، ولد سنة (١١٧٥) ومات سنة ١٢٤١ هـ بالمدينة المنورة.[١]

أحمد بن عمارة ص ٣٣٤ - ٤٢٧

أحمد بن عمارة ، أبو العباس المهدوى ، النحوى ، المفسر ، كان مقدما في القراءات والعربيـة ، أصله من المهديـة[٢] ، ودخل الأندلس ، وألف كتبا مفيدة منها (الهداية في القـراءات السبعة ، قال الذهبي : مات بعد سنة ٤٣٠ هـ[٣] .

---

(١) انظر معجم المؤلفين ٢ / ١١١ والاعلام ١ / ٢٤٦

(٢) والمهدية بفتح ، فسكون ، مدينة بأفريقية ، شمـال القيروان أسسها المهدى العباس ، وإليها تنسب الثياب المهدية ،
معجم البلدان ٥ / ٢٣٠ لياقوت الحموى دار صادر

(٣) انظر طبقات المفسرين ٢ / ٥٦ ، ٥٧ .

أحمد بن محمد ص ٣٨٩ - ٤٧٨

(أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن زيد الحنبلي ، الموصلي ، الدمشقي ، ويعرف بابن زيد (شهاب الدين ، أبو العباس) نحوى ، مفسر ، محدث ، مؤرخ ولد سنة (٧٨٨) هـ ومات سنة ٨٧٠ هـ)[١]

أحمد بن محمد

(أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار بن أبي بكر، الاسكندراني ، المالكي ، القاضي ، ناصرالدين أبو العباس بن المنير، كان إماما في النحو والأدب والأصول والتفسير، ولد سنة ٦٢٠ هـ ومات سنة ٦٨٣ هـ)[٢]

أحمد بن يحيى ص ٣٦٠

أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد بن سيار النحوى الشيباني ، المعروف بثعلب، كان ثقة حجة ، صالحا مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة)[٣] (إمام الكوفيين في النحو واللغة، ولد سنة ٢٠٠ هـ ومات سنة ٢٩١ هـ)[٤]

---

(١) معجم المؤلفين ٢ / ٦٥
(٢) بغية الوعاة ١ / ٣٨٤
(٣) وفيات الاعيان ١ / ١٠٣ ، ١٠٤ (لابن خلكان) بيروت
(٤) طبقات القراء ١ / ١٤٨ .

أبي بن كعب ص : ١١٦ - ٤٠٠

أبي (بضم الهمزة وفتح الباء وتشديد الياء) بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية الانصارى النجارى ،أبو المنذر وأبو الطفيل سيد القراء ، وهو أول من كتب في آخر الكتاب (وكتب فلان بن فلان) وكان ممن شهد بدرا ، ومن أصحاب العقبة الثانية .

وعمر بن الخطاب يقول : إنه سيد المسلمين ، مات في خلافة عثمان بن عفان سنة (٣٠)هـ (١) .

أرطاة بن المنذر ص ٣٢٢

أرطأة بن المنذر بن الأسود بن ثابت الالهانى (بفتح الهمزة وسكون اللام) (٢) أبو عدى الحمص ، قال أحمد: ثقة ، وقال أبو حاتم : لابأس به، وقال ابن حبان : ثقة ، حافظ، فقيه، مات سنة (٦٣)هـ (٣) .

---

(١) انظر الاصابة ١/ ١٦ لابن حجر العسقلانى الناشردار الكتاب العربى
(٢) المغنى في ضبط الاسماء ص ٣١
(٣) انظر تهذيب التهذيب ١/ ١٩٨

اسماعيل بن عبدالرحمن ص ٢٦٨ - ٣٢٨ - ٣٣٣

اسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمه السدى (بضم السين وكسر الدال المشددتين) أبو محمد القرشي ، مولاهم الكوفى ، وهو السدى الكبير، سمى بالسدى ، لأنه كان يجلس في سدة باب الجامع بالكوفة ، فنسب إليها والسدة بالضم باب الدار . (١)

قال ابن عدى : له أحاديث يرويها عن عدة شيوخ ، وهو عندى مستقيم الحديث ، صدوق لابأس به ، قال العجلي : عالم بالتفسير راوية له ، وقال ابن حبان : الطبرى لايحتج بحديثه . (٢)

وقال ابن حجر: (صدوق ، يهم ، ورمى بالتشيع ، مات سنة ١٢٧ هـ) (٣)

أصحمة بن بحر (النجاشي) ص ٢٥

في بعض الروايات (مصحمة) وفي بعضها أصحم ، وأرجح القول (أصحمة) بفتح الهمزة وسكون الصاد وفتح الحاء والميم ، (٤) لأنّ الامام مسلم رحمه الله نص عليه في صحيحه فيما رواه جابر

---

(١) القاموس مادة : س . د . د
(٣) انظر تهذيب التهذيب ٣١٣/١ وما بعدها .
(٣) تقريب التهذيب ٧٢/١
(٤) المغنى في ضبط الاسماء ص ٢٤ .

بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مات اليوم عبدالله صالح أصحمة، فقام فأمنا وصلى عليه).[1]

هو مالك الحبشة الذى أكرم المهاجرين، وأمنهم في بلده ، ورد رسول قريش صفر اليدين، وكان عبدا صالحا لبيبا ذكيا عادلا عالما، نعاه الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال ابن كثير مات بعد فتح خيبر، وقال السهيلى : مات سنة تسع من الهجرة ، وفيه نظر .[2]

.. ..

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٣/٧ كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنازه .

(٢) انظر السيرة النبوية ٢٩/٢، ٣٠

حرف البـــاء

بشر بن نمير ص : ٧٤

بشر بن نمير القشيرى البصرى، قال يحيى : كان ركنا من أركان الكذاب وقال أحمد : يحيى بن العلاء كذاب يضع الحديث وبشر بن نمير أسوأ حالا منه، وقال البخارى : منكر الحديث ، وقال أبو حاتم : متروك الحديث ، مات بين الأربعين إلى الخمسين ومائة.[1]

بحيرى الراهـــب ص ٢٥

بحيرى (بفتح الباء وكسر الحاء وفتح الراء)[2] كان راهبا نصرانيا ، يقيم في صومعة له ببصرى ، (بضم الباء وسكون الصاد وفتح الراء)[3] وهي من أرض الشام مثل (كبرى) وهو الذى أخبر أبا طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون له شأن عظيم ، حين خرج به عمه أبو طالب إلي الشام للتجارة ، ومر بصومعته فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد فيه كل الصفات التي قرأها في كتابه كما رأى خاتم النبوة بين كتفيه ، فطلب من أبي طالب أن يحتفظ به وأمره أن يعود به إلى مكة قبل أن يعرفه قومه .[4]

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ١/٤٦٠، ٤٦١

(٢) القاموس مادة ب . ح . ر

(٣) القاموس مادة ب . ص . ر

(٤) انظر البداية والنهاية ٢/٢٦٣ الى ٢٦٦

حرف الجيـــــم

جبير بن مطعم ص : ٢٦

(ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشي ، أبو محمد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشرك في فداء أسارى بدر ، فلما سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الطور (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) (١) دخل في قلبه الاسلام ثم أسلم عام خيبر ، وقيل يوم الفتح ، والأول أصح) (٢) .

مات سنة (٥٨) وقيل (٥٩) (٣)

جعفر الصادق ص : ٣٩٦

(جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب الهاشمي ، أبو عبدالله ، المعروف بالصادق ، صدوق ، فقيه (٤) (قال عمرو بن أبي المقدام : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : كان من سادات أهل البيت فقها وعلما وفضلا ، يحتج بحديثه من غير رواية أولاده عنه ، ولد سنة (٨٠) ومات سنة (١٤٨) هـ (٥)

---

(١) الآية : ٣٥
(٢) البداية والنهاية ٨/٤٨
(٣) انظر تهذيب التهذيب ٢/٦٤
(٤) تقريب التهذيب ١/١٣١
(٥) تهذيب التهذيب ٢/١٠٣،١٠٤

الجنيـــــــد

(الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز ، ويقال له القواريري ، أصله من نهاوند ، ولد ببغداد ونشأ بها ، على مذهب سفيان الثوري وطريقة ، مات سنة ٢٩٧هـ)[1]

. . ..

---

(١) الاعـــلام ٣ / ١٧٣

حرف الحـــاء

الحر بن قيـــس ص ٢٥٢

(الحر بن قيـس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ،
ابن أخي عيينة بن حصن ، وهو أحد الوفد من بني فزارة الذيـــن
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من غزوة تبوك ، وهو
أصغرهم سنا ، وكان للحر ابن شيعى (١) ، وابنة حرورية، (٢) وامـرأة
معتزلة (٣) وأختى مرجئة (٤) ، فقال لهم الحر: أنا وأنتم كما قـــال
الله تعالى (٥) ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ (٦)

---

(١) الشيعة: هم الذين شايعوا عليا ، وقالوا إنه الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده. التعريفات للجرجاني ص ١٢٩

(٢) الحرورية: اتباع نجدة بن عامر الحرورى الحنفي من بني حنيفة انفرد عن الخوارج بآراء ، وسمى نفسه أمير المؤمنين ، والحرورى نسبة إلى حروراء ، موضع على ميلين من الكوفة، وهي بفتحتيـن وسكون الواو وراء أخرى ، الاعلام ٨ / ١٠ ، معجم البلدان ٢ / ٢٤٤ والحرورية عتبوا على على قبول الحكمين ، وقالوا لا حكم الا الله فجادلهم على وبعث إليهم ابن عباس ليناقشهم ، فرجع منهـم أربعة آلاف ، البداية والنهاية ٧ / ٢٩٢ .

(٣) أما المعتزلة فهم أتباع واصل بن عطاء ومذهبهم معروف .

(٤) والمرجئة هم القائلون لا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، التعريفات ص ٢٠٨ .

(٥) الاصابة ١ / ٣٦٣ وأسد الغابة ١ / ٤٧١ ، ٤٧٢ .

(٦) سـورة الجن : ١١

حسين الاشقر ص : ٤١٣

(الحسين بن الحسن الاشقر الفزارى بفتح الفاء والزاى ،

الكوفي ، قال ابن حجر: صدوق يهم ويغلو في التشيع ، مات

سنة ٢٠٨هـ) [1]

الحارث الأعور ص : ٤٩

الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني[2] ، أبو زهير

الكوفي .

قال ابن حبان : كان غاليا في التشيع، واهيا في

الحديث .

وقال الشعبي : كان كذابا ، لكنه لايكذب في الحديث

وإنما يكذب في رأيه.

وقال ابن حجر: في التقريب في حديثه ضعف ، مات

سنة ٦٥ هـ . [3]

---

(١) تقريب التهذيب ١٧٥/١

(٢) بسكون الميم من همدان : المغنى في ضبط الاسماء ص ٢٧٣ .

(٣) انظر تهذيب التهذيب ٢/ ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، والتقريب ١٤١/١ .

الحسن البصري : ص : ١٨٣ - ٣٦٤

(بن أبي الحسن يساره البصري ، أبو سعيد ، مولى زيد بن ثابت وقيل : جابر بن عبد الله ، وقيل أبو اليسر .

ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ..

قال أبو بردة : أدركت الصحابة فما رأيت أحدا أشبه بهم من الحسن) (١)

قال محمد ابن سعد : كان جامعا رفيعا فقيها ، ثقة مأمونا ، عابدا ، فصيحا وسيما .

مات سنة (١١٠) هـ وعمره حين توفي يقارب ٨٨ سنة (٢)

الحسين بن الفضل : ص ٣٨٩ - ٤١٢ - ٤٨٤

(بن عمير البجلي الكوفي ، النيسابوري ، أبو علي ، المفسر ، الاديب ، إمام عصره في معاني القرآن ، كان من العلماء ، الكبار العابدين مات سنة ١٨٢هـ) (٣)

---

(٢) انظر تهذيب التهذيب ٢ / ٢٦٣ ومابعدها
(٣) طبقات المفسرين ١ / ١٥٩

حسين بن محمد : ص ٥ - ٧٣ - ٣٣٩

(بن الفضل ، أبو القاسم الاصفهاني ، المعروف بالراغب الاصفهاني ، أديب ، لغوى ، حكيم ، مفسر ، من تصانيفه الكثيرة (مفردات ألفاظ القرآن ، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء) مات سنة ٥٠٢ هـ (١)) .

حسين بن محمد : ص ٢٥٣

(بن عبدالله ، شرف الدين الطيبى ، من علماء الحديث ، والتفسير والبيان . كانت له ثروة طائلة ، فأنفقها في وجوه الخير حتى افتقر وكان شديد الرد على المبتدعة) (٢) كان يشتغل في التفسير من الشروق إلى الزوال ، ومن الزوال إلى العصر ، في البخارى ، مات سنة ٧٤٣ سنة . (٣)

حسين بن مسعود : ص ٣٤٠ - ٣٥٩

(بن محمد أبو محمد البغوى ، الفقيه الشافعى ، يعرف بابن الفراء ، ولقبه محي الدين ومحي السنة ، كان إماما في التفسير والحديث والفقه جليلا ، زاهدا ورعا ، لا يلقى الدرس إلا على طهارة ،

---

(١) معجم المؤلفين ٤ / ٥٩
(٢) الاعلام ٦ / ٣٠٦
(٣) طبقات المفسرين ١ / ١٤٧

قانعا ، يأكل الخبز وحده ، ومن تصانيفه (معالم التنزيل في التفسير ، مات سنة (٥١٦) [١] هـ .

حمزة : ص ٤٣٨

حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات ، أبو عمارة الكوفي ، أحد القـــراء السبعة ، كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان [٢] ويجلب الجــوز والجبن إلى الكوفة وكان عارفا بالفرائض والعربية ، حافظا للحديـــث ، واذا رآه شيخه الأعمش يقول : هذا حبر القرآن [٣] ، وقال أبو بكـــر بن منجوية ، كان من علماء زمانه بالقراءات ، ومن خيار عباد اللــــه وفضلا ، وورعا ونسكا ، وقال ابن سعد : كان رجلا صالحا صدوقـــا زاهدا [٤]

ولد سنة ٨٠ ، ومات سنة ١٥٦ ، أو ١٥٨هـ . [٥]

---

(١) انظر طبقات المفسرين ١/١٦١-١٦٢

(٢) حلوان : مدينة بالعراق ، وهي المقصودة هنا ، وليســـت المجاورة لمصر . معجم البلدان ٢/٢٩٠

(٣) انظر طبقات القراء ١/٢٦٣

(٤) انظر تهذيب التهذيب ٣/٢٧ ومابعدها .

(٥) انظر تقريب التهذيب ١/١٩٩

حرف الخـــاء

خباب بن الأرت : (ص ٤٢٦)

خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد التميمى ، كنيته ابو عبد اللـــه كان من المستضعفين الذين يعذبون بمكة ، ومن المهاجرين الأولين ، وشهد بدرا ، ونزل الكوفة ، ومات فيها سنة (١٣٧) هـ وهو ابن ٧٣ سنة ، وصلى عليه علي بن أبي طالب .(١)

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ١٣٣/٣ ، ١٣٤

حرف الـــدال

دحية الكلبـــى : ٣١٥

دحية بن خليفة بن فضالة بن زيد ، كان صحابيا جليلا ، ورجلا جميـلا ، يضرب به المثل في حسن الصورة ، فلهذا كان جبرائيل عليه الســـــلام ينزل كثيرا في صورته ، قال عوانة بن الحكم : دحية أجمل النــاس[1] (أسلم قديما ، ولكن لم يشهد بدرا ، وشهدها بعدها ، ثــــم شهد اليرموك وأقام غربى دمشق إلى أن مات في خلافة معاوية)[2]

---

(١) انظر الاصابة ٢/١٦٢، ١٦٣

(٢) البداية والنهاية ٨/٤٩

حرف الـــــراء

الربيع بن أنـــس : ٢٣٠ - ٤٨٣

الربيع بن أنس البكرى ، ويقال الحنفى البصرى ، ثم الخراسانـــي ، صدوق ، يتشيع ، مات في خلافة أبى جعفر المنصور ، قال الذهبـــي مات سنة (١٣٩) او سنة (١٤٠) [١] هـ .

رفيع بن مهران : ص ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٨٣

(أبو العالية ، بكسر الراء المشددة ، البصرى المقرئ ، الفقيه ، ثقة كثير الارسال) [٢] (أسلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم لسنتين قال ابن أبى داود : ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة مـــن أبى العالية وبعده سعيد بن جبير ، وبعده السدى وبعده الثـورى ، قال أبو خلدة : ماتسنة (٩٠) وقال غيره : سنة (٩٣هـ) .وقيـــل سنة (١١١) وقيل غير ذلك ، والصحيح الأول) [٣]

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ٣ / ٢٣٩
(٢) طبقات المفسرين ١ / ١٧٨
(٣) تهذيب التهذيب ٣ / ٢٨٤

حرف الزاى

زبان بن العلاء

ص ٤٣٣ - ٥٦٦

(أبو عمرو بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحسين من بنى تميم
واختلف في اسمه ، والأكثرون من الحفاظ ذهبوا إلى أنه زبان ،
بالزاى المفتوحة أحد القراء السبعة.
قال شعبة : قراءة أبى عمرو هي قراءة أهل الشام والحجاز واليمن
ومصر، وقال الصمعي : لم أر بعد أبى عمرو أعلم منه .
مات سنة ١٥٤ هـ بالكوفة ، وقيل ١٥٥ ، وقيل ١٥٧. (١)

---

(١) انظر طبقات القراء ص ٢٨٨ الى ٢٩٢ .

حرف السين

سعيد بن جبير : ص ٣٦٥ - ٤١٢

(بضم الميم وفتح الباء ، مصغرا ، الكوفي ، ثقة ، ثبت فقيه) (١)
(كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يرشدهم إليه ليسألوه) (٢)
وهو من كبار أئمة التابعين ، ومتقدميهم في التفسير والحديث
والفقه والورع ، قتله الحجاج بن يوسف ظلما سنة ٩٥هـ وكان عمره
حين قتل ٤٩ ، وهذا هو الأصح . (٣)

سفيان بن سعيد : ص ١٧٥

بن مسروق الثوري ، أبو عبدالله الكوفي ، من ثور همدان ،
طلب العلم وهو صغير ، كان أبوه من علماء الكوفة ، قال شعبة وابن
عيينة : سفيان أمير المؤمنين في الحديث ، وقال ابن حبان : كان
من سادات الناس فقها وورعا واتقانا ، ولد سنة (٩٧) ومات سنة
(١٦١)هـ . (٤)

---

(١) تقريب التهذيب ١ / ٢٩١

(٢) طبقات الحفاظ ص ٣٨

(٣) تهذيب الاسماء واللغات ١ / ٢١٦

(٤) انظر تهذيب التهذيب ٤ / ١١١ ، ١١٣ ومابعدها .

سالم بن عبدالله : ص ١٧٥

بن عبدالله بن الخطاب القرشي العدوى ، أحد فقهاء المدينة السبعة (١) ، ومن سادات التابعين ، وعلمائهم وثقتهم (٢) ، وكان ثبتا عابدا ، فاضلا ، قال أبو نعيم وغيره ، مات سنة ١٠٦ هـ ، ووقيل غير ذلك . (٣)

سليمان بن صرد : ص ٢٥٣

(بضم الصاد المهملة وفتح الراء ، ابن الجون (بفتح الجيم وسكون الواو) الخزاعي أبو مطرف الكوفي ، صحابى واسمه في الجاهلية يسار ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم سليمان ، وكان خيرا فاضلا ، له دين وعبادة ، وكان له قدر وشرف في قومه ، وقتل بعين الوردة (٤) ، سنة (٦٥) هـ وكان عمره حينئذ (٩٣) سنة . (٥)

---

(١) وفقهاء المدينة السبعة وهم :

١- سالم بن عبدالله
٢- سعيد بن المسيب
٣- القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق .
٤- عروة بن الزبير
٥- خارجة بن زيد
٦- سليمان بن يسار
٧- عبدالله بن عتبة بن مسعود

انظر شرح نخبة الفكر ص ١٧٣ .

(٢) الاعلام ٣ / ١١٤

(٣) تقريب التهذيب ١ / ٢٨٠

(٤) عين الوردة : مدينة بالجزيرة ، كانت فيها وقعة للعرب ، ويوم من أيامهم ، معجم البلدان ٤ / ١٨٠

(٥) تهذيب التهذيب ٤ / ٢٠٠ ، وتقريب التهذيب ١ / ١٠٢

سليمان بن عبدالرحمن ص ٤٢٧

الحافظ الكبير ، أبو سليمان الدمشقي ، ابن بنت شرحبيل، (بضم الشين وفتح الراء وسكون الخاء) بن مسلم الخولاني ، كان محدث دمشق ، وفقيها .

قال ابن معين : ليس به بأس ، له مناكير، وقال الدارقطني : ثقة عنده مناكير عن الضعفاء [1] . (وقال ابن حجر : هو أبو أيوب ، صدوق ، يخطىء) [2] مات سنة ٢٣٣ هـ) .

سليمان بن مهران ص ٣٢٦

(شيخ المقرئين والمحدثين ، أبو محمد الاسدى الكاهلى مولاهم الكوفي ، الحافظ) أصله من نواحي الرى) [3] ويقال أصله من طبرستان ، وولد بالكوفة .

قال ابن عيينة : سبق الأعمش أصحابه بأربع: كان أقرأهم للقرآن وأحفظهم للحديث ، وأعلمهم بالفرائض ، وذكر خصلة أخرى .

وقال العجلي : كان ثقة ثبتا في الحديث ، وكان محدث أهل الكوفة في زمانه [4] لكنه يدلس مات سنة (١٤٧ هـ أو ١٤٨ هـ) [5]

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢ / ٢٥ .
(٢) تقريب التهذيب ١ / ٣٢٧
(٣) سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٢٦
(٤) تهذيب التهذيب ٤ / ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
(٥) تقريب التهذيب ١ / ٣٣١ .

سواد بن غزية   ص ١٤٦

الأنصاري ، من بني عدي بن النجار، وقيل هو حليف لهم ، وغزية بفتح الغين وكسرا لزاي وتشديد الياء المفتوحة ، بوزن سنية .

وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر، فأتاه بتمر جنيب[1] ، قد أخذ منه صاعا بصاعين ، فرده النبي، لأن الاسلام يحرم مثل هذه المعاملات الربوية .

شهد بدرا وأحدا ، والخندق والغزوات كلها ، وهو الذي أسر خالد بن هشام المخزومي يوم بدر، وطعنه النبي صلى الله عليه وسلم بقضيب ، ثم أعطاه إياه فقال له : استقد[2]

سهل بن عبدالله   ص ١٤٣-١٦٧

أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبدالله التستري[3] (تستر) بوزن سكر، بضم التاء وسكون السين وفتح الثانية وكسر الراء ، بلدة من خورستان .

أحد العلماء ، ولد سنة (٢٠٠) ومات سنة ٢٨٣هـ)[4]

---

(١) الجنيب : نوع جيد من انواع التمر، النهاية في غريب الحديث ١/٣٠٤ .

(٢) انظر الاصابة في تمييز الصحابة ٢/١٢١ .

(٣) وفيات الاعيان ٢/٤٢٩ .

(٤) الأعلام ٣/٢١٠ .

حرف الشين

شعبة بن عياش ص ٤٢٣

بن سالم ، أبو بكر بن عياش، اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولا (أصحها شعبة) (١) والصحيح أن اسمه كنيته قال ابنه: لما نزل بأبي الموت قلت يا أبت ما اسمك؟ قال: يابني إن أباك لم يكن له اسم، وأنه لم يأت فاحشة قط ، ويختم القرآن من ثلاثين سنة كل يوم مرة .

كان من العباد الحفاظ المتقين ، ثقة صدوقا عارفا بالحديث ، وبأخبار الناس ، إلا أنه كثير الغلط .
قال أبو موسى : مات سنة ١٩٣ هـ وقيل غير ذلك .(٢)

.. ..

---

(١) طبقات المفسرين ١/٣٢٦
(٢) انظر تهذيب التهذيب ١٢/٣٢ وما بعدها .

حرف الصـــاد

صفوان بن أمية ص ٧٤

صفوان بن أمية بن خلف بن وهب القرشي ، هو الذى هرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، ثم جاء إلى مكة مشركا ، وعمير بن وهب الجمحى استأمن له وأتى به إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمنه رسول الله ، فأسلـم وحسن اسلامه ، فكان من سادات المسلمين ، كما كان من سادات الجاهلية[١] ، قال خليفة : مات سنة (٤٢)[٢] .

صديق خـــان ص ٣٢٣

(محمد صديق خان بن حسن بن على ابن لطف الله الحسينى ، البخارى ، الهندى (أبو الطيب) عالم ، أمير ، مشارك في أنواع من العلوم . ولد سنة ١٢٤٨ ومات سنة ١٣٠٧ هـ)[٣]

٠٠ ٠٠

---

(١) انظر البداية والنهاية ٧/ ٢٤

(٢) تهذيب التهذيب ٤/ ٤٢٥

(٣) معجم المؤلفين ١٠/ ٩٠

حرف الضـــــاد

الضحـــاك ص ٢٣٢ - ٣٢٨ - ٣٨٢

(الضحاك بن مزاحم (بضم الميم وفتح الزاى وكسر الحاء) الهلالي ، أبو القاسم ، ويقال أبو محمد ، الخرساني ، صدوق كثير الارسال)[1] (وكان إماما في التفسير ، قال الثوري: خذوا التفسير عن أربعة مجاهد ، وعكرمة وسعيد بن جبيـــر والضحاك)[2] وقيل : لم يثبت له سماع من أحد الصحابة حـتى من ابن عباس، وقال ابن حبان : لقي جماعة من التابعيـن ، ولم يشافه أحدا من الصحابة ، ومن زعم أنه لقي ابن عباس فقد وهم .

مات سنة (١٠٦) وقيل ١٠٥هـ [3]

. .   . .

---

(١) تقريب التهذيب ١/٣٧٣

(٢) البداية والنهاية ٩/٢٣١

(٣) انظر تهذيب التهذيب ٤/٤٥٣، ٤٥٤ .

حرف العين

عبدالرحمن بن أحمد ٤٣٤

(بن عطية ، العنسى ، المذحجى، زاهد ، مشهور)[1]

وأحد أئمة العلماء العاملين ، أصله من واسط، سكن قرية غربي دمشق ، يقال لها داريا، مات سنة ٢٠٥ وقيل ٢٣٥ هـ .[2]

عبدالرحمن بن زيد ٣١٩

بن أسلم العدوى ، مولاهم المدني .

قال ابن الجوزى : أجمع المحدثون على ضعفه ، وقال أبو داود وغيره : أولاده كلهم ضعفاء، وقال ابن سعد: يكثر رواية الأحاديث الضعيفة، وقال ابن خزيمة: لا يحتج بحديثه لسوء حفظه ، وصناعته العبادة والتقشف، وقال الحكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة . مات سنة (١٨٢)هـ[3]

.. ..

---

(١) الاعلام ٤ / ٦٥
(٢) انظر البداية والنهاية ١٠ / ٢٦٦، ٢٧٠
(٣) انظر تهذيب التهذيب ٦ / ١٧٧ وما بعدها .

عبدالرحمن بن عمر ص ٢٣١

بن أبي عمر الاوزاعي ، أصله من سبا السند ، وسمى الاوزاعي ، لأنه من أوزاع القبائل ، أو لأنه ينزل الاوزاع ، وهو اسم مكان مشهور بدمشق ، وقيل غير ذلك .

كان ثقة مأمونا صدوقا فاضلا خيرا كثيرا الحديث والعلم والفقه ، وإمام أهل الشام وفقيهم[1] ، وكان كثيرالعبادة ، حسن الصلاة ورعا ناسكا ، طويل الصمت ، كريما سخيا ، لم يترك سوى سبعة دنانير يوم وفاته ، وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته ، مات ببيروت مرابطا ، سنة (١٥٧) هـ وله (٦٧) سنة .[2]

عبدالرحمن بن محمد ص ٣٢٢ - ٤٦٩

أبي حاتم ، ابن ادريس بن المنذر ، التميمي ، الحنظلي الرازي ، أبو محمد ، له تصانيف عديدة في التفسير والفقه واختلاف الصحابة والتابعين ، وعلماء الأمصار ، وله كتاب (الجرح والتعديل) وكتاب التفسير في عدة مجلدات .

وكان إماما حافظا ، زاهدا ، ورعا ، متقنا[3] (ولد سنة ٢٤٠ ومات سنة ٣٢٧ هـ) .[4]

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ٢٣٨/٦ ، ٢٤٠ .
(٢) انظر البداية والنهاية ١١٩/١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٣ .
(٣) انظر فوات الوفيات ٥٤٢/١ (محمد بن شاكر بن احمد الكتبي) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر
(٤) الأعلام ٩٩/٤ .

عبدالحق بن غالب ص ٢٣٦ - ٤١٨

بن الرحمن ، ابن عبدالروءوف بن تمام بن عطية ، أبو محمد الغرناطي القاضي [١] ، كان فقيها عارفا بالأحكام والتفسير والحديث ، نحويا ، لغويا ، أديبا ، ضابطا من بيت علم ، ولد سنة ٤٨١هـ ومات سنة (٥٤٢) . وقيل (٥٤١) - وقيل (٥٤٦)هـ [٢]

عبدالرزاق الصنعاني ص ٨٨

بن همام بن نافع الحميرى ، مولاهم أبو بكر الصنعانى ، من أحفظ الناس ومن أعرف الناس بالرجال ، يحفظ نحو سبعة عشر ألف حديث ، وكان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر ، رحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم وكتبوا عنه ، إلا أنهم نسبوه إلى التشيع .

قال العجلي : ثقة ، يتشيع. قال أحمد وغيره: ولد سنة ١١٦ هـ وقال البخارى وغير واحد مات سنة (٢١١)هـ [٣]

---

(١) طبقات المفسرين ١/٢٦٥
(٢) بغية الوعاة ٢/٧٣
(٣) انظر تهذيب التهذيب ٦/٣١٠ وما بعدها .

عبدالعزيز بن جعفر ص ٢٣١

بن أحمد ، الحنبلي أبو بكر المعروف بغلام الخلال ، له مؤلفات في جميع العلوم المختلفة ، واختيارات مشهورة في المذهب الحنبلي ، منها : أن الصلاة في الثوب المغصوب باطلة ، وكان ديّنا أمينا ، عابدا ، وأحد أهل الفهم موثوقا به في العلم ، مات يوم الجمعة سنة ٣٦٣ ودفن بعد الصلاة .(١)

عبدالكريم بن محمد ص ٣١١

بن عبدالكريم بن الفضل ، الامام أبو القاسم ، إمام الدين الرافعي القزويني (بفتح القاف وسكون الزاى وكسر الواو والنون) نسبته إلى رافع بن خديج الصحابي ، رضي الله عنه، كان أوحد عصره في العلوم الدينية أصولا وفروعا ، ومجتهد زمانه في مذهب الشافعي ، وفريد وقته في التفسير كان له مجلس بقزوين للتفسير والحديث .

وكان شديد الاحتراز في النقل وفي مراتب الترجيح .

ولد سنة (٥٥٧) ومات سنة ٦٢٣ هـ (٢)

---

(١) انظر طبقات المفسرين ١/٣١٣ ، ٣١٤

(٢) انظر طبقات المفسرين ١/٣٤١ ، ٣٤٢ ، والاعلام ١٧٩/٤ .

عبدالكريم بن هـــوازن ص ٣٤٠ - ٣٤٤ - ٣٨٩

(بن عبدالملك بن طلحة بن محمد النيسابوري ،
القشيري ، الشافعي أبوالقاسم زين الاسلام ، مفسر، فقيه ،
أصولي ، محدث ، متكلم ، واعظ ،أديب ، ناثر) [١]

(ولد سنة ٤١٤ هـ ومات سنة ٤٧٧ هـ) [٢].

عبدالله بن جدعـــان ص ١٧١

يلتقى مع أبو بكر الصديق في عمرو بن كعب ، مـــات
قبل الاسلام، ورثاه أمية بن أبي الصلت. [٣]
(أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي
صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، وكانت له جفنة يأكل منهـــا
القائم والراكب ، قال أمية بن أبي الصلت عنه :

أأذكر حاجتى أم قد كفـــــاني
حياؤك ان شيمتك الحيــــاء) [٤]

---

(١) معجم المؤلفين ٦/٦
(٢) انظر البداية والنهاية ١١٤/١٢
(٣) انظر الاصابة ٤٧/٤
(٤) الأعـــلام ٧٦/٤ .

عبدالله بن سعد ص١٩٤

(بن سعيد بن أبي جمرة ، الازدى، الاندلسى ، أبو محمد ، المالكي ، من علماء الحديث ، أصله من الأندلس ، وتوفي في مصر سنتة ٦٩٥ هـ) (١)

عبدالله بن عامر ص ٤٢٣ - ٤٤٨

بن يزيد بن تميم بن ربيعة ، إمام أهل الشام في القراءة ، كنيته المشهورة أبو عمران ، قال أبو على الاهوازى : كان إماما حافظا ، ثقة ، متقنا ، صادقا ، من خيار التابعين ، أمينا فصيحا ، مات سنة ١١٨ هـ . (٢)

عبدالله بن عمر ص : ٤١٥

(بن محمد بن على الشيرازى ، أبو سعيد ، أوأبو الخير ، ناصر الدين البيضاوى ، قاضي ، مفسر ، علامة ، ولد فى المدينة البيضاء ، هكذا ، بفارس (قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة ، مات سنة ٦٨٥ هـ) . (٣)

---

(١) الاعلام ٤ / ٨٩

(٢) انظر طبقات القراء ١ / ٤٢٣ وما بعدها .

(٣) الاعلام ٤ / ٢٤٨ .

عبدالله بن كثير ص ٤٢٣

(بن المطلب القرشي ، أبو معبد المكي الدارى ،
إمام أهل مكة في القراءة ، وقيل له الدارى ، نسبة إلى موضـــع
بالبحرين ، يجلب منه الطيب ، وكان ابن كثير عطارا ، وهو من
الفرس ، مات سنة ١٢٠ هـ) (١)

عبدالله بن مسلـــم ص ١٧٥ - ٣٣٩ - ٣٥٩

بن قتيبة الدينورى (بكسر الدال وفتح النون والـــواو)
النحو اللغوى ، قال الخطيب : كان رأسا في العربية واللغـــة
والأخبار، ثقة دينا ، فاضلا ، قال الذهبي : ما علمت أحدا إتهم
القتيبى في نقله، مات سنة ٢٦٧هـ) (٢)

---

(١) طبقات القراء ١/٤٤٣ وما بعدها
(٢) طبقات المفسرين ١/٢٥١، ٢٥٣ .

عبدالملك بن عبدالعزيز ص ١٧٦

(بن جريج الاموى ، مولاهم، المكي ، ثقة ، فقيه ، فاضل ، كان يدلسي ويرسل)[1] ولد سنة نيف وسبعين ، وأدرك صغار الصحابة لكن لم يحفظ عنهم، وهو أول من صنف الكتب .

قال طلحة بن عمر لعطاء: من نسأل بعدك ؟ قال: هذا الفتى إن عاش يعني (ابن جريج) وقال سليمان بن النضر: ما رأيت أصدق لهجة من ابن جريج .

مات سنة (١٥٠) هـ وقيل غير ذلك ، وهو ابن (٧٠) سنة .[2]

عبدالملك بن مروان ص : ٥٤

بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموى ، أمير المؤمنين ، وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم ، وأول من سمى في الاسلام بعبد الملك ، لأن أباه قد سماه قاسما ، فغير اسمه كان عابدا زاهدا ، ملازما للمسجد ، قارئا القرآن قبل الخلافة ، وحازما وفهما فطنا ، وسائسا لأمور الدنيا[3] ، وجالس الفقهاء وحفظ عنهم ، وكان قليل الحديث .

قال خليفة: ولد سنة (٢٣) ومات سنة (٨٦)هـ .[4]

---

(١) تقريب التهذيب ١/٥٢٠
(٢) تهذيب التهذيب ٦/٤٠٢ وما بعدها .
(٣) انظر البداية والنهاية ٩/٦٦، ٦٧ .
(٤) انظر تهذيب التهذيب ٦/٤٢٢ .

عثمان بن جني ص ٣٦٠

(أبو الفتح ، أديب ، نحوى ، صرفي ، لغوى ، مشارك في بعض العلوم)[1] وقد أقام ببغداد ، ودرس بها العلم إلى أن توفى ليلة الجمعة سنة ٣٩٢ هـ)[2] .

عاصم بن بهدلة ص ٤٣٨ - ٤٤٨

أبي النجود ،(بفتح النون وضم الجيم) وقد غلط من ضم النون ، أبو بكر الاسدى أحد القراء السبعة ، وهو الامام الذى انتهت إليه رئاسة الاقراء بالكوفة بعد أبي عبدالرحمن السلمي .

قال أبو اسحاق السبيعى : مارأيت أحدا أقرأ للقرآن من عاصم بن أبي النجود ، وقال ابن عياش : قال لي عاصم مرضت سنتين فلما قمت قرأت القرآن ، فما أخطأت حرفا ، مات في آخر سنة ١٢٧ هـ . وقيل غير ذلك) .[3]

---

(١) معجم المؤلفين ٦/٢٥١

(٢) البداية والنهاية ٣٥٣/١١

(٣) انظر طبقات القراء ٣٤٦/١ وما بعدها .

عطية بن سعـــد ص : ٥١

بن جنادة العوفي (بفتح العين وسكون الواو وكسر الفاء) الكوفي ، كان متشيعا ، يقدم عليا على الكل ، قال أحمد : كان ضعيف الحديث ، يأتي إلى الكلبي ويسأله عن التفسير ، وكان يكنيه بأبي سعيد ، وإذا قيل له من حدثك بهذا فيقول : حدثني أبو سعيد ، فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدري ، وإنما أراد الكلبي ، مات سنة (١١١)هـ .(١)

عكرمة بن عبدالله ص : ٣٩٥

الحبر، العالم، أبو عبدالله المدني الهاشمي ، مولى ابن عباس، قال الشعبي : ما بقي أحدا علم بكتاب الله من عكرمة. قال قرة بن خالد : كان الحسن إذا قدم عكرمة البصرة ، أمسك عن التفسير والفتيا ، مادام عكرمة بالبصرة ، وهو ثقة ، ثبت ، عالم بالتفسير، مات سنة ١٠٤ هـ وقيل غير ذلك).(٢)

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ٧/٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
(٢) طبقات المفسرين ١/٣٨٠ ، ٣٨١ .

علقمة بن قيس ص : ١٧٣

(علقمة (بفتح العين وسكون اللام وفتح القاف والميم) بن قيس (بفتح القاف وسكون الياء) بن عبدالله بن مالك بن علقمة النخعي ،أبو شبل الكوفي ، أدرك الجاهلية والاسلام)[١] ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أشبه الناس بابن مسعود سمتا وهديا وعلما ، ومن أحسن الناس صوتا بالقرآن ، ويقول ابن مسعود : فداك أمي وأبي رتل ، فإنّه زين القرآن ، ولو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسّربك .[٢]

قال ابن معين وأحمد : ثقة من أهل الخير، مات سنة (١٦٢) هـ وقيل غير ذلك . وله تسعون سنة .[٣]

علي بن أبي طلحة ص : ٥١ - ٤٨٧

واسمه سالم بن المخارق الهاشمي ، يكن أبا الحسن، وقيل غير ذلك أصله من الجزيرة، وانتقل إلى حمص ، قال دحيم : لم يسمع التفسير، من ابن عباس[٤] (يرسل عنه ولم يره ، صدوق وقد يخطئ ، مات سنة ١٤٣ هـ)[٥]

---

(١) الاصابة ٥/١١٢
(٢) انظر طبقات القراء ١/٥١٦
(٣) انظر تهذيب التهذيب ٧/٢٧٧ ، ٢٧٨ .
(٤) انظر تهذيب التهذيب ٧/٣٤٠
(٥) انظر تقريب التهذيب ٢/٣٩ .

علي بن حمـــزة ص : ٤٣٨

بن عبدالله ، أبو الحسن الاسدى ، الكوفي المعـــروف بالكسائى ، (بكسر الكاف وفتح السين) سمى به لأنه أحرم في كساء ، وقيل : كان يحضر مجلس حمزة الزيات ملفغا في كسا) [1] وقيـــل غير ذلك ، وهو من أهل الكوفة ، واستوطن بغداد ، كما أنه أحـــد القراء السبعة المشهورين [2] ، انتهت إليه رئاسة الاقراء بالكوفـــة بعد حمزة الزيات ، وقال أبو بكر الأنبارى كان أعلم الناس بالنحـــو ، مات بالرى هو محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة سنة (١٨٩)هـ وقال هارون الرشيد : دفنا الفقه والنحو في يوم واحد [3] ، يعنـــى الكسائي ومحمد بن الحسن .

علي بن سليمان ص : ٣٣٠

(بن الفضل ، أبو المحاسن المعروف بالأخفش الأصغر ، نحوى ، من العلماء ، من أهل بغداد ، أقام بمصر سنة ٢٨٧- ٣٠٠هـ وخرج إلى حلب ، ثم عاد إلى بغداد ، وتوفى بها سنـــة ٣١٥ هـ وهو ابن (٨٠) سنة . [4]

---

(١) البداية والنهاية ٢٠٩/١٠

(٢) انظر طبقات المفسرين ٤٠٥/١

(٣) انظر طبقات القراء ٥٣٥/١ وما بعدهـــا .

(٤) الاعلام ٢٩١/٤

علي بن محمـــــد ص ١٧٥

(بن ابراهيم ، من حلب ، عالم بالتفسير والحديث ، من فقهاء الشافعية) (البغدادى ، علاء الدين ، خـــازن الكتب واشتهر بالخازن بسبب ذلك،) ولد سنة (٦٧٨) هـ - ومات سنة ٧٤١ هـ) . (١)

علي بن محمد

(بن حبيب ، أبو الحسن الماوردى (بفتح الـــواو وسكون الراء وكسر الدال) أقضى القضاة ، من العلماء الباحثيـــن وأصحاب التصانيف الكثيرة النافعة مثل الحاوى .

له المكانة الرفيعة عند الخلفاء) (٢) كان إماما في الفقه والاصول والتفسير، بصيرا بالعربية ، ولي القضاة في بلـــدان مختلفة .

قال الخطيب: كان ثقة، من وجوه الفقهاء الشافعيـن، مات سنة ٤٥٠ هـ . (٣)

---

(١) الاعلام ٥/١٥، وطبقات المفسرين ١/٤٢٦، ٤٢٧ .
(٢) الاعلام ٥/١٤٦ .
(٣) انظر شذرات الذهب ٣/٢٨٦ .

عمر بن رسلان ص ٣١١

بن نصير بن صالح ، سراج الدين ، أبو حفص ، الكناني ، الشافعي ، كان مفسرا حافظا فقيها لغويا ، قصده الناس من بلدان مختلفة ، لأخذ الفتاوى عنه ، ولي قضاء الشام سنة ٧٦٩ هـ ، عوضا عن تاج الدين السبكي ، ولد بقرية بلقينه بمصر سنة (٧٢٤) مات سنة (٨٠٥) هـ وهو ابن (٨١) سنة . (١)

عمرو بن أبي قرة ص : ٧٤

(سلمة بن معاوية بن وهب الكندي الكوفي ، ثقة) (٢)
ولم أجد تاريخ وفاته في التقريب والتهذيب . (٣)

---

(١) انظر طبقات المفسرين ٢ / ٦٠٥
(٢) تقريب التهذيب ٢ / ٧٦
(٣) انظر تهذيب التهذيب ٨ / ٩٠

عمرو بن دينار ص : ٤٤

الجمحي بالولاء، أبو محمد الاثرم، فقيه ، كان مفتي أهل مكه ، فارسي الاصل .

قال شعبة : مارأيت أثبت في الحديث منه ، وقال النسائي : ثقة ، ثبت، واتهمه أهل المدينة بالتشيع والتحامل على ابن الزبير، ونفى الذهبي ذلك، قال المديني : له خمسمائة حديث ، ولد سنة (٤٦) ومات سنة ١٣٦هـ) .(١)

.. ..

---

(١) الاعلام ٥/٢٤٥ .

حرف الفـــاء

فضيل بن عياض ، ص١٥١

أبو على التميمى أحد الأئمة العباد ، كان حسن التلاوة كثير الصلاة والصيام ، ثقة من أئمة الرواية(١) ، وكان يقطع الطريق ثم تاب وكان نبيلا فاضلا ، حجة لأهل زمانه ، مات سنة (١٨٧) هـ وقيل قبل ذلك . (٢)

.. ..

---

(١) انظر البداية والنهاية ٢٠٦/١٠

(٢) انظر تهذيب التهذيب ٢٩٤/٨ ، ٢٩٥ وما بعدها .

حرف القـــاف

قتـــادة ص ١٧٥ - ١٨٢ - ٢٣٠ - ٣٢٨ - ٣٦٤

قتادة بن دعامة (بكسر الدال) السدوسي ، بفتـــح السين المشددة (وضم الدال وكسر السين الثانية) الحافظ، العلامة ابو الخطاب البصري الضرير الأكمه المفسر، قال الامام أحمد : كان قتادة أحفظ أهل البصرة لا يسمع شيئا إلا حفظه ، قرئـــت عليه صحيفة مرة واحدة ، فحفظها ، وقال سفيان الثـــوري : هل يوجد أحد مثله في الدنيـــا . [١]

وهو (ثقة ثبت) [٢] (ويضرب به المثل في الحفظ [٣]) (ولد سنة (٦١) ومات سنة ١١٧ هـ ، وقال أبو حاتم توفـــى بواسط ، وهو ابن ٥٦ أو ٥٧ سنة) . [٤]

---

(١) انظر طبقات المفسرين ٢ / ٤٧

(٢) تقريب التهذيب ٢ / ١٢٣

(٣) طبقات القـــراء ٢ / ٢٦

(٤) تهذيب التهذيب ٨ / ٣٥٥ .

القاسم بن سلام ص ٢٣١

الخراساني الانصاري ، مولاهم البغدادي ، الامام الكبير الحافظ، أحد الاعلام المجتهدين ، له مؤلفات في القرات والحديث والفقه واللغة والشعر.

قال أحمد بن كامل القاضي : كان فاضلا في دينه وفي علمه ، مقدما في أصناف من علوم الاسلام، حسن الرواية، صحيح النقل ، لاأعلم أحدا من الناس طعن فيه ، وقال الحاكم : هو الإمام المقبول عند الكل .

مات سنة ٢٢٤ هـ . (١)

.. ..

(١) انظر طبقات القراء ٢ / ١٨ ، وانظر تهذيب التهذيب ٨/٣١٥، ٣١٦، ٣١٧ .

حرف الكــــاف

كعب الاحبـــــار ص ٢٥

كعب بن مانع الحميرى ، أبو اسحاق ، تابعى ، كان من كبار علماء اليهود في اليمن ، أسلم في زمن أبي بكر الصديـــــق ، وجاء الى المدينة في زمن عمر بن الخطاب ، وكان عالما بأخبار الأمم السابقة ، فأخذ عنه الصحـابة ذلك ، وأقام بحمـــــص حتى توفى فيها سنة (٣٢) هـ .(١)

.. ..

---

(١) انظر الاعلام ٦/٨٥

حرف الميم

مجاهد بن جبر ص ٢٦٨ - ٣١٩ - ٣٢٦ - ٣٦٤

(بفتح الجيم وسكون الباء) وفي بعض الكتب جبير[1]، مصغرا، أبو الحجاج المخزومي المقرئ، مولى السائب بن أبي السائب، أحد أئمة التابعين والمفسرين).[2]

ولد في خلافة عمر سنة (٢١)هـ، قال ابن سعد : كان ثقة، فقيها، عالما، كثير الحديث، وقال ابن حبان : كان ورعا عابدا متقنا، مات بمكه سنة (١٠٢) أو (١٠٣)هـ وهو ساجد.[3]

محمد بن أحمد ص ٢٣٦

(بن عبدالله بن خويز منداد، أبو عبدالله، الامام العالم المتكلم، الفقيه الاصولي، لم أقف على وفاته).[4]

---

(١) طبقات القراء ٢/٤١، ٤٢
(٢) البداية والنهاية ٩/٢٣٢.
(٣) انظر تهذيب التهذيب ١٠/٤٢، ٤٣.
(٤) شجرة النور الزكية ص ١٠٣. (محمد بن محمد مخلوف) الناشر - دار الكتاب العربي - بيروت.

محمد بن أحمد ص ٣٥٨

(بن ابراهيم بن كيسان ، أبو الحسن النحوى ، قال الخطيب : كان يحفظ المذهبين البصرى ، والكوفي في النحو ، لأنه أخذ عن المبرد وثعلب ، قال أبو حيان التوحيدى : ما رأيت مجلسا أكثر فائدة ولاأجمع لأصناف العلوم من مجلسه ، قال الخطيب مات سنة (٢٩٩) وقال ياقوت (٣٢٠)هـ . (١)

محمد بن اسحاق ص ٢٣٠ - ٣٠٦

بن يسار ، أبو بكر المطلبى مولاهم المدني ، من حفاظ الحديث ، ومن أقدم مؤرخي العرب ، قال ابن حبان : هو من أحسن الناس سياقا للأخبار ، ولاأحد يقاربه في العلم بالمدينة ولا يوازيه في جمعه ، ومن تصانيفه (السيرة النبوية) و (كتاب الخلفاء) (٢) (صدوق يدلس ، ورمى بالتشيع والقدر ، مات سنة (١٥٠) هـ ويقال بعدها) . (٣)

---

(١) طبقات القراء ٤٤٣/١ وما بعدها
(٢) انظر الاعلام ٢٥٢/٦
(٣) تقريب التهذيب ١٤٤/٢ .

محمد بن أبي بكر ص : ٤٧٩

بن أيوب بن سعيد الدمشقي ، شمس الدين ، أبو عبد الله بن قيم الجوزية ، كان مفسرا ، ومحدثا ، وفقيها ، وعالما بالعربية ، وأتقن وبرع في كل علم من هذه العلوم ، لازم ابن تيميه وتتلمذ على يديه ، وسجن معه في قلعة دمشق ، وعذب بسببه عذابا شديدا ، ثم أطلق سراحه بعد موت الشيخ .

له تصانيف كثيرة في أنواع العلوم منها (اعلام الموقعين) ، ولد سنة (٦٩١) ومات سنة (٧٥١) هـ [(١)]

محمد بن الحسن ص : ٤٣٠

بن علي بن أحمد بن علي النيسابوري الفارسي (أبو علي) مفسر واعظ) . [(٢)]

---

(١) انظر الاعلام ٦/٢٨٠

(٢) معجم المؤلفين ٩/٢٠٠

محمد بن حامد ص : ٤٣٥

(بن الحارث ، أبو الرجاء التميمي البغدادى ، نزيل مكه ، مقرئ ، ضابط قال الداني : مقرئ ، متصدر ثقة ، روى عنه غير واحد من شيوخنا ، مات سنة ٣٤٠ هـ وقيل ٣٤٣ هـ).(١)

محمد بن سيرين ص ٢٦٦

(الانصارى ، أبو بكر بن أبي عمرة البصرى ، مولى أنس بن مالك ، قال ابن حبان : ثقة ، متقن ، حافظ ، فاضل يعبر الرؤيا ، رأى ثلاثين من الصحابة ، قال ابن عون : لم أر في الدنيا مثل ثلاثة : ابن سيرين بالعراق ، والقاسم ابن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام ، ولم يكن في هؤلاء مثل محمد مات سنة ١١٠ هـ) .(٢)

---

(١) طبقات القراء ٢ / ١١٤

(٢) طبقات الحفاظ ص ٣٨

محمد بن السائب ص ١٨٣

بن بشر (بكسر الباء وسكون الشين) الكلبي ، عالم بالتفسير والأخبار، وأيام العرب ، من أهل الكوفة ، مولده و وفاته فيها ، وهو ضعيف الحديث ، قال النسائي : حدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير، وأما في الحديث ففيه مناكير، وقيل كان سبئيا من أصحاب عبدالله بن سبأ ، الذى كان يقول : إن علي بن أبي طالب لم يمت ، وسيرجع ويملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا) [1] متهم بالكذب ، ورمي بالرفض ، مات سنة ١٤٦ هـ) [2] .

محمد بن عبدالرحمن ص ٣٢٦

بن محيصن السهمي ، مولاهم ، المكي ، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة ، وقيل اسمه عمر، وقيل عبدالرحمن بن محمد وقيل محمد بن عبدالله .

قال ابن مجاهد : كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية ، فخرج به عن اجماع أهل بلده، فرغب الناس عن قراءاته ، مات سنة ١٢٣ هـ وقيل غير ذلك) . [3]

---

(١) الاعلام ٧ / ٢٩٠
(٢) طبقات المفسرين ٢ / ١٤٩
(٣) طبقات القراء ٢ / ١٦٧ .

محمد بن علي ص ٤٧٨

بن أبي طالب الهاشمي ، القرشي ، أبو القاسم ، المعروف بابن الحنفية ، وهي أمه خولة بنت جعفر الحنفية ، من بني حنيفة ، ينسب اليها تمييزا عن أخيه الحسن والحسين ، من الأبطال الأشداء في أوائل الإسلام ، ويقول : الحسن والحسين أفضل مني ، وأنا أعلم منهما ، ولد في سنة ٢١ هـ . (١)

قال العجلي : كان رجلا صالحا ، ثقة ، وقال ابن حبان : كان من أفضل أهل بيته ، أطلقت عليه الشيعة المهدى ، وتزعم أنه لم يمت ، مات سنة ٧٣ هـ وقيل ٨٠ ، وقيل ٩٣ و قيل غير ذلك . (٢)

محمد القاسم ص ١٢٦

بن محمد بن بشار (بفتح الباء وفتح الشين المشددة) أبو بكر ابن الانباري ، نسبة إلى أنبار ، بلدة قديمة على شاطئ الفرات ، على مسيرة يومين من بغداد ، وهو العلامة المحدث الحافظ اللغوي ، النحوي ، المفسر ، المقرئ البغدادي) (٣) كان صدوقا فاضلا خيرا من أهل السنة ، زاهدا متواضعا ، يحفظ (١٢٠) تفسيرا بأسانيدها ، وثلاثمائة ألف بيت شاهدا من القرآن .

ولد سنة ٢٧١ هـ ومات سنة ٣٢٨ هـ (٤)) وقيل (٣٢٧) هـ وله ٦٨ سنة) . (٥)

---

(١) انظر الاعلام ١٥٢/٧

(٢) انظر تهذيب التهذيب ٣٥٤/٩ ، ٣٥٥

(٣) طبقات النجاة واللغويين ص ٢٣٣ ومابعدها .

(٤) طبقات المفسرين ٢٨٨/٢ وما بعدها .

(٥) طبقات القراء ٢٣١/٢ .

محمد بن كعب ص ١٧٥ - ٣٩٥

أبو حمزة ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة ،
وكان عالما بتفسير القرآن صالحا عابدا) .

قال ابن حبان : كان من أفاضل أهل المدينة علما
وفقها ، وقال ابن سعد : كان ثقة ، عالما كثير الحديث ،
ورعا (1)) ولد سنة أربعين على الصحيح ، وهم من قال ولد في
عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما الذى ولد في عهده أبوه
مات سنة (١٢٠) هـ وقيل غير ذلك . (2)

محمد بن محمد ص ٤٨٥

(الكرخي ، بدر الدين ، فقيه ، عارف بالتفسير ، اشتهر
بمصر ، وتوفى فيها ، ولد سنة ٩١٠ هـ ومات في سنة ١٠٠٦ هـ) (3)
والكرخ بالفتح ثم السكون ، فخاء معجمة مدينة بالعراق . (4)

---

(١) تهذيب التهذيب ٩ / ٤٢١
(٢) انظر تقريب التهذيب ٢ / ٢٠٣
(٣) انظر الاعلام ٦ / ٨٥
(٤) معجم المؤلفين ٤ / ٤٤٧

محمد بن مسلـــم ص ٣٠٩

بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب ، أبو بكر الزهـــرى ، المدني أحد أئمة الاسلام ، وعالم الحجاز والشام والأمصار ، تابعـــي جليل ، كان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية ، فقيها جامعـــا[1]

قال الامام أحمد : أحسن الناس حديثا وأجودهـــم اسناد الزهرى ولد في آخر خلافة معاوية سنة (٥٨) ومات سنـــة (١٢٣)هـ .[2]

محمد بن المستنيـــر ص ٣٢١- ٤٤٠

(أبو على النحوى المعروف بقطرب[3] لازم سيبـــويه ولا يكاد يفارقه حتى إذا خرج رآه على بابه ، فقال : ما أنت إلا قطرب ليل ، فلقب به ، وهو غير ثقة ، ومعتزلي ، قال ابـن السكيـــت : كتبت عنه قمطرا ، ثم تبينت أنه يكذب في اللغة ، فلم أذكر عنـــه شيئا ، مات سنة (٢٠٦) هـ)[4]

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥ ، وما بعدها .

(٢) انظر البداية والنهاية ٩/٣٥٥ وما بعدها .

(٣) القطرب : بضم القاف وسكون الطاء وضم الراء وسكون البـــاء ، أى اللص والجبان والسفيه وطائر ولقب به محمد بن المستنيـــر ، لأنه يبكر الى سيبويه ، فكلما فتح بابه وجده لدى الباب ، فقال له يوما ما أنت الا قطرب ليل تشبيها بالقطرب الذى يحول كل ليلة ولا ينام ، قطر المحيط ٢/١٧٣٥ .

(٤) طبقات المفسرين ٢/٢٥٥ ، ٢٥٦ .

محمد بن يوسف : ص ١٧٤

بن علي بن سعيد الكرماني (بفتح الكاف وسكون الراء وفتح الميم) البغدادي ، شمس الدين الامام العلامة في التفسير والحديث والفقه وغير ذلك ، كما كان حسن الخلق ، يديم بشاشة الوجه ، قانعا ، متواضعا متكبرا على أهل الدنيا ، تفوق على أقرانه في العلم ، وصنف كتبا كثيرة في علوم شتى ، منها حاشية على تفسير البيضاوى ، مات سنة (٧٨٦) (١)

محمد بن يعقوب : ص ١٦٧

بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبدالله الأموى ، مولاهم ، أبو العباس الأصم ، أصابه الصمم ، وكان لا يسمى قط ، وذهب بصره قبل موته بشهر ، وكان ثقة صادقا ضابطا ، ومؤذنا في مسجده ثلاثين سنة ، ولد سنة (٢٤٧) هـ ومات سنة (٣٤٦)هـ. (٢)

محمد بن يزيد : ص ١٢٦

بن عبدالأكبر ، أبو العباس الأزدى ، المعروف بالمبرد ، كان إماما في اللغة والعربية (٣) ، وعالما فاضلا فصيحا بليغا ، له هيئة حسنة ، ولد سنة (٢١٠)هـ وقيل سنة (٢٠٧) ومات ببغداد سنة (٢٨٠هـ) (٤)

---

(١) انظر طبقات المفسرين ٢ / ٢٨٥ الى ٢٨٧
(٢) انظر البداية والنهاية ١١ / ٢٤٧
(٣) انظر البداية والنهاية ١١ / ٨٤
(٤) انظر طبقات المفسرين ٢ / ٢٧٠ ، ٢٧١

مصعب بن سعد ص ٢١٤

(بن أبي وقاص، الزهرى، أبو زرارة المدني ، ثقة أرسل عكرمة بن أبي جهل ، مات سنة ١٠٣) .(١)

مقاتل بن سليمان ص ١٨٣ - ٣٣٠ - ٣٣٣ - ٣٤٦ - ٣٥٣

بن بشير الازدى الخراسانى ، أبو الحسن البلخى ،(بفتح الباء وسكون اللام وكسر الخاء) المفسر، كذبوه وهجروه ، ولطخ بالتجسيم، مع أنه كان من أوعية العلم بحرا في التفسير، كما ذكره الذهبي في (طبقات الحفاظ) عقب ترجمة مقاتل بن حبان)(٢)

وقال أبو حاتم والعجلي : متروك الحديث ، وقال النسائي : كذاب ، وعده الدارقطني من المتروكين ، مات سنة ٥٠ هـ .(٣)

---

(١) تقريب التهذيب .
(٢) انظر طبقات المفسرين ٢/٣٣٠، ٣٣١
(٣) تهذيب التهذيب ١٠/٢٨٤ .

ميمون بن مهران ص ١٧٢

ميمون بن مهران (بكسر الميم وسكون الهاء وفتح الراء) أبو ايوب ، أصله كوفي ، نزل الرقة، ثقة ، فقيه ، قال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث . مات سنة (١١٧) هـ .[(١)]

مكحول ص ٧٤

مكحول بن أبي مسلم الشامي ، أبو عبدالله، أصله من فارس ومولده بكابل[(٢)]، سبي ، وصار مولى لامرأة بمصر، من هذيل ، وأعتق وسافر إلى البلدان لأخذ الحديث ، ينطق القاف كافا والحاء هاء[(٣)] ثقة ، كثير الارسال[(٤)]، وكان فقيها ، عالما ، وقدريا ، ثم رجع عنه وصار إمام عصره . مات سنة (١١٢) هـ .[(٥)]

---

(١) تهذيب التهذيب ١٠/٣٩١، ٣٩٢ .
(٢) كابل : بضم الباء الموحدة ، وهي ثغر بين الهند وسجستان غزاها المسلمون أيام بني مروان . وافتتحوها وينسب إليها عدد من المحدثين ، معجم البلدان ٤/ ٤٢٦ .
(٣) انظر الاعلام ٨/ ٢١٢
(٤) انظر تقريب التهذيب ٢/ ٢٧٣
(٥) انظر تهذيب التهذيب ٢/ ٢٧٣

مالك بن دينـــار ص ٤٨٢

(مالك بن دينار البصري الزاهد ،أبو يحيى ، صدوق عابد)[1] (قال النسائي : ثقة ، يكتب المصاحف بالاجرة ، مات سنة ١٢٧ وقيل ١٣٠ ، وقيل غير ذلك. [2]

.. ..

---

(١) تقريب التهذيب ٢/٢٢٤
(٢) تهذيب التهذيب ١٠/١٤

حرف النـــون

نافــــع ص ٤٢٣

(نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم ، أحد القـــراء السبعة الاعلام ، أصله من أصبهان ، كان الناس خلقـــا، وقراءة ، وكان زاهدا جوادا ،صلى في مسجــــد النبي صلى الله عليه وسلم ستين سنة ، وقال الليث بن سعـــد : حججت سنة ثلاث عشرة ومائة ، وإمام الناس في القراءة بالمدينـة نافع، وقال يحيي بن معين : ثقة، وقال النسائي : لابـــاس به ، مات سنة ١٦٩ هـ وقيل ١٧٠ هـ وقيل ١٦٧ هـ وقيـــل غير ذلك . (١)

..   ..

---

(١) انظر طبقات القراء ٢ / ٣٣٠ وما بعدها .

حـرف الـواو

الوليد بن المغيـرة ص : ٥٠

الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، والـد سيف الله خالد بن الوليد ، كان قاضيا من قضاة العرب ، وزعيما من زعماء قريش ، أمر قريشا أن يقولوا أن محمدا ساحر، أومجنون ، أو كاهن ، وحرم الخمر في الجاهلية ، حتى ضرب ابنه هشاما على شربها ، كس البيت وحده ، مع أن قريشا كلها كانت تكسو البيت .

مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون .(1)

وهب ابن منبـه ص ٣٣٤

وهب بن منبه (بضم الميم، وفتح النون وكسر البـاء) الصنعاني ، أبو عبدالله قال اسحاق بن ابراهيم : ولد في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٤ هـ أسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فحسن اسلامه ، وأصله من خراسان .

قال العجلي والنسائي : ثقة ، يقول بالقدر ثم تركه بعد معرفته أن من جعل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر.

وقال ابن سعد ، وجماعة : مات سنة ١١٠ هـ وقيل ١١٣ هـ وقيل غير ذلك .(2)

---

(١) انـظر الاعلام ٩/١٤٤، ١٤٥.
(٢) انظـر تهذيب التهذيب ١١/١٦٧، ١٦٨ .

حرف اليـــاء

يحيى بن زيـــاد ص٣٢١ - ٣٥٨ - ٣٨٠

(بن عبدالله بن مروان ، إمام العربية ، أبو زكريـــا المعروف بالفراء ، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي ، لما كان متدينا ورعا ، زائد العصبية على سيبويه ، ويحب الكلام ، ويسلك ألفاظ الفلاسفة ، ولا يأكل حتى يشعر بالجوع ، وله مال تركه لابنه [(١)] ، قال ابن حجر: صدوق ، مات سنة ٢٠٧ هـ) . [(٢)]

يحيى بن شـــرف ص ٢٦٩

محيى الدين ، أبو زكريا النووي الدمشقي الشافعي العلامة شيخ المذهب ، وكبير الفقهاء في عصره ، ولد في قرية نوى من قرى حوران ، حفظ القرآن ، ولزم المشايخ تصحيحا وشرحا ، وكـــان يقرأ كل يوم اثنى عشر درسا عليهم ، وألف مؤلفات كثيرة قيمة ، منها ما أتمه كشرح مسلم ، ومنها مالم يتمه كشرح المهذب . [(٣)]

---

(١) انظر طبقات المفسرين ٢/ ٣٦٧ ، ٣٦٨
(٢) تقريب التهذيب ٢/ ٢٤٨
(٣) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٢٩٤ .

وكان إماما بارعا حافظا متقنا ، أتقن علوما شتى ، كما كان زاهدا ورعا لم يتزوج ، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ، تهابه الملوك .

ولد سنة (٦٣١) هـ ومات سنة (٦٧٦) هـ .[١]

يحيى بن العلاء ص ٧٤

البجلي ، أبو سلمة ، ويقال أبو عمرو الرازي .

قال أحمد بن حنبل : كذاب يضع الحديث ، وقال النسائي والدارقطني : متروك الحديث ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به[٢] ، (مات ما بين الخمسين إلى الستين)[٣] .

يزيد بن القعقاع ص ٤٤٢

القارئ ، المدني المخزومي ، مولى عبدالله بن عياش ، مسحت أم سلمة رأسه وهو صغير ، وقال ابن معين والنسائي وابن سعد ثقة[٤] ، وكان إمام أهل المدينة في القراءة ، فسمي القارئ لذلك ، وأحد القراء العشرة وهو تابعي مشهور ، كبير القدر ، ويصوم صوم داود عليه السلام ، ويصلي في نصف الليل أربع تسليمات ، يقرأ في كل ركعة بالفاتحة وسورة طوال من المفصل مات سنة (١٣٠) وقيل (١٣٢) هـ وقيل غير ذلك[٥] .

---

(١) انظر طبقات الحفاظ ص ٥١٣

(٢) انظر تهذيب التهذيب ١١/٢٦١ ، ٢٦٣ .

(٣) تقريب التهذيب ٢/٣٥٥

(٤) انظر تهذيب التهذيب ١٢/٥٨

(٥) انظر طبقات القراء ٢/٣٨٢ وما بعدها .

يعقوب بن اسحاق ص٤٣٨

بن زيد بن عبدالله ابن ابي اسحاق ، أبو محمد الحضرمي مولاهم البصري ، أحد القراء العشرة وإمام أهل البصرة ومقرئيها .

قال أبو القاسم الهذلي : لم ير في زمن يعقوب مثله ، كان عالما بالعربية ووجوهها ، والقرآن واختلافه ، فاضلا ، تقيا ، ورعا زاهدا ، مات سنة ٢٠٥ وله (٨٨) سنة .(١)

يوسف بن ابراهيم ص ٤٦٥

بن عثمان ، أبو الحجاج الغرناطي ، المعروف بالثغرى كان مفسرا ، حافظا محدثا ، فقيها مقرئا ، رواية ، ضابطا ، مات سنة ٥٧٩ هـ .(٢)

---

(١) انظر طبقات القراء ١/٤٨٦ وما بعدها .
(٢) انظر طبقات المفسرين ٢/٣٧٨ .

يوسف بن الزكـــي ص ٣٢١

عبدالرحمن بن يوسف،أبو الحجاج ، الامام العالـــم الخير الحافظ ، محدث الشام ، الشافعي ، عالم في اللغـــة ومعرفة الرجال ، مات سنة ٧٤٢ هـ . (١)

يونس بن حبيـــب ص ٤٦٦

(أبو عبدالرحمن ، الضبي ، مولاهم البصرى ، بارع في النحو ، وكانت له حلقة بالبصرة ، يرتادها أهل العلـــم وطلاب الادب وفصحاء الاعراب والبادية ، ولد سنة ٩٠ ، مات سنة (١٨٢) هـ وقيل ١٨٥)هـ (٢) وله ٨٨ سنـــه . وقيل غير ذلك) . (٣)

.. ..

---

(١) انظر طبقات الحفاظ ص ٥٢١ .
(٢) طبقات المفسرين ٢/٣٨٥
(٣) طبقـــات القراء ٢/٤٠٦ .

الكني والالقاب والانساب على حسب حروف الهجاء
وبدون اعتبار (آل) التي للتعريف

الكنيه أو اللقب أو النسب	الاســـم	رقم الصفحـــة
٢٠- ابن الانبارى	محمد بن القاســم	٥٥٢-١٢٦
٢١- ابن ابي جمرة	عبدالله بن سعــد	
٢٢- ابن اسحــاق	محمد بن اسحــا ق	٥٣٤-٢٣٠
٢٣- ابن أبي حاتم	عبدالرحمن بن محمد	
٢٤- ابن جريج	عبدالملك بن عبدالعزيز	٥٣٤-١٧٦
٢٥- ابن جنى	عثمان بن جنى	٥٣٥-٣٦٠
٢٦- ابن خزيمة	محمد بن اسحاق	
٢٧- ابن خويز منداد	محمد ابن أحمــد	٥٤٦-٢٣٦
٢٨- ابن زيد	أحمد بن محمد	٥٠٤-٣٨٩
٢٩- ابن سيرين	محمد بن سيرين	٥٥٠-٢٦٦
٣٠- ابن عطية	عبدالحق بن غالب	٥٢٩-٢٣٦
٣١- ابن عامر	عبدالله بن عامر	٥٣٢-٤٢٣
٣٢- ابن قتيبة	عبدالله بن مسلم	٥٣٣-١٧٥
٣٣- ابن قيم الجوزية	محمد بن أبي بكر	٥٤٨-٤٧٩
٣٤- ابن كثير	عبدالله بن كثير	٥٣٣-٤٢٣
٣٥- ابن كيسان	محمد بن أحمد	٥٤٧-٣٥٨
٣٦- ابن محيصن	محمد بن عبدالرحمن	٥٥١-١٢٦
٣٧- ابن المنذر	ابراهيم بن المنذر	٥٠٠-٢٣١
٣٨- ابن المنير	أحمد بن محمد	

فهرس الآيات الكريمة

ملاحظة : ذكرت السورة والايات حسب ترتيبها في المصحف، مع بيان صفحاتها في الرسالة .

السورة والآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقــــرة		
آلم ، ذلك الكتٰب لا ريب فيه ، هدى للمتقيـــن	٢	٤٤٠
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار	٢٤	٢٨
وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحت أن لهم جنــت تجرى من تحتها الانهر	٢٥	٢٨٢-١٨٧
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء	٣٠	٣٣٥
ولا تلبسوا الحق بالبٰطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون	٤٢	١٨٠
كلوا من طيبٰت ما رزقنٰكم	٥٧	١١٩
فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به	٨٩	٣٧٨
فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره	١٠٩	٢٥٦
وأقيموا الصلوٰة وآتوا الزكوٰة	١١٠	١١٧
فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون	١١٣	٣٥٤
فان آمنوا بمثل ماءآمنتم به فقد اهتدوا	١٣٧	٣٦٠
قل ءأنتم أعلم أم الله ؟	١٤٠	٦٨
وكذلك جعلنٰكم أمة وسطا لتكونوا شهداء وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم مـــن يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه	١٤٣	٣٠٠-٢٩٨
أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا	١٤٨	٤٣٧
لئلا يكون للناس عليكم حجة	١٥٠	٣٠٠
وأن تقولوا على الله ما لا تعلمـــون	١٦٩	١٨٠
وءاتى المال على حبه ذوى القربى واليتمٰى والمسٰكين	١٧٧	٤١٤
أولئك الذين صدقوا	١٧٧	٤٧٣
فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم	١٧٨	٢٧٣

السورة والآية	رقم الآية	رقم الصفحة
ولايحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا لأنفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما	١٧٨	٤٣٦
لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور	١٨٦	٤٦٣
النســـــــاء		
فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة	٣	١٤٢
والتى يأتين الفحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت .. الآيــة .	١٥	٣٠١
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتـــــى إذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الئن ولا الذين يموتون وهم كفار ... الاية	١٨	١٩١
الرجال قوامون على النســـاء	٣٤	٤٧٩
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا	٣٨	٢٤٣
يأيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم	٥٩	٤٠
ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعـــم الله عليهم	٦٩	٤٦-٤٤٩
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كـــل من عند الله	٧٨	١١٢

السورة والآية	رقم الآيــة	رقم الصفحــة
ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليـــه لينصرنه الله ، ان الله لعفو غفور	٦٠	٢٦١ + ٢٦٦
ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ، ويولـج النهار في الليل ، وأن الله سميع بصير	٦١	٢١٩
المؤمنـــــون		
ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يقوم اعبـــدوا الله مالكم من اله غيره ، أفلا تتقون .	٢٣	١٢٩
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذيـــن هم بآيت ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون	٥٨-٥٩	١٦٠
ادفع بالتى هي أحسن السيئة نحن أعلـــم بما يصفون ، وقل رب اعوذ بك من همـزت الشيطين وأعوذ بك رب أن يحضرون	-٩٦-٩٧-٩٨	٢٥٧
أفحسبتم انما خلقنكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون	١١٥	٣٠٢-٣٠٤
النـــــور		
الزانية والزاني فأجلدوا كل واحد منهمـــا مائة جلدة	٢	٣٠١
وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكـم والله غفور رحيم	٢٢	٤٥٦
وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكـــم تفلحون	٣١	١٩٢ - ٠٩٩

السورة والآية	رقم الآيـة	رقم الصفحـة
رجال لا تلهيهم تجٰرة ولا بيع عن ذكر الله	٣٧	١٦٩
ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون	٥٢	١٥١
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا .... فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم	٦٣	٣٨ - ١١٨
الفرقـــان		
وما أرسلنك الا مبشرا ونذيـرا	٥٦	٢٩٠
الا من تاب وءآمن وعمل صالحا فأولئك يبـدل الله سيئاتهم حسنٰت	٧٠	٢٨٦
الشعـراء		
انى لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعـون	١٤٣-١٤٤	١١٨
" وانذر عشيرتك الأقربين	٢١٤	٣٤١
النمـل		
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عٰقبة المجرمين	٦٩	٢٠٦ - ٢٢١
انك على الحق المبيـن	٧٩	١٧٨
القصص		
فالتقطه ءآل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا	٨	٢٩٨

السورة والآية	رقم الآيـة	رقم الصفحـة
فوكزه موسى فقضى عليه ، قال هـذا من عمـل الشيطان انه عدو مضل مبين ، قال رب انـي ظلمت نفسي فاغفر لي ، فغفر له	١٥-١٦	٤٠
فخرج منها خائفا يترقب	٢١	١٥٣
انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى مـن يشاء	٥٦	٤٩٢
و ما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وماعند الله خير وابقى ، أفلا تعقلون ، ..... الى قوله .... هو يوم القيامة من المحضرين	٦٠-٦١	٤٤٤-٤٤٥
ان الله لا يحب الفرحيـن	٧٦	٤٧٣
ولا تنس نصيبك من الدنيا	٧٧	١٧٣
ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر	٨٢	٣٦٧
ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد	٨٥	١١٨
العنكبـوت		
" آلم ، أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا ءامنـا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهـم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكذبين	١-٢-٣	٢٠٨-٢١٠
وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السمـاء ، وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير	٢٢	
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر	٤٥	٢٩٩
الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له	٦٢	٣٦٧

السورة والآية	رقم الآيـة	رقم الصفحـة
السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنيـاء منكم وما ءاتكم الرسول فخذوه وما نهاكـم عنه فانتهوا	٧	٤٠-١٦٥-٢٩٩-٤١٤
الصـف		
واذ قال عيسى ابن مريم يبنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراه ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد .	٦	٢٥-٢٦
الجمعـة		
فاذا قضيت الصلوٰة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله	١٠	٧٧
المنافقـون		
ولله العزه ولرسوله وللمؤمنين	٨	٤٥٤
وانفقوا مما رزقنكم	١٠	٧٤
التحريم		
يأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ماكنتم تعملون	٧	١٢٢
ياايها الذين ءامنوا توبوا الى الله توبة نصوحا	٨	١٨٧
الملـك		
الذى خلق الموت والحيوٰة ليبلوكم أيكم احسن عملا	٢	١٧١ - ٢٠٨

فهرس الأحاديث النبوية والقدسية والآثار

فهرس الأحاديث النبوية

رتبت هذه الأحاديث حسب الحروف الهجائية ، مع عدم اعتبار (أل) التي للتعريف ، واكتفيت بذكر أول الحديث .

فهرس الاحاديث القدسية	رقم الصفحة

فهرس الآثار

رتبت هذه الاثار حسب الحروف الهجائية ، مع عدم اعتبار (أل) التي للتعريف

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

رتبتها حسب المادة العلمية وعلى الحروف الهجائية .

أولا : كتب التفاسير :

حرف الالف :

١- أحكام القرآن ، تأليف : أبي بكر أحمد بن علي الرازى الجصاص ، ت : سنة ٣٧٠ هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان .

٢- أضواء البيان ، تأليف : محمد الأمين محمد المختار الشنقيطى ، ت : ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م . مطبعة المدني - القاهره .

٣- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ، د . عبده محمود شحاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

حرف الباء :

٤- البحر المحيط، تأليف : الامام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ، الاندلس الغرناطى ، ت : ٧٥٤ هـ ، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، دارالفكر، بيروت الناشر: مكتبة ومطابع النصر الحديثه بالرياض .

حرف التـــاء :

٥- تفسير القرآن العظيم، تأليف : الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي، ت : ٧٧٤ هـ، المكتبة الشعبية .

٦- تفسير الخازن ، تأليف : الإمام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى المعروف بالخازن ، ت : ٧٤١ هـ - ١٣٤٠م، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

٧- تفسير أبي السعود ، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم تأليف : الامام أبي السعود محمد بن محمد العمارى، ت : ٩٥١ هـ الناشر : دار الصحف بالقاهره .

٨- التسهيل لعلوم التنزيل ، تأليف : محمد بن أحمد بن خرى الكلبى الغرناطي ، ت : ٧٤١ هـ ، دار الكتب الحديثة ، بالقاهره ، تحقيق : محمد عبدالمنعم يونس وابراهيم عطوة عوض .

٩- تفسير روح البيان ، تأليف : الشيخ إسماعيل حقى البروسوى ت : ١٣٧ هـ ، دار الفكر .

١٠- تفسير النسفي ، تأليف : الإمام أبي البركاتي عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي ، ت : ٤١٤ هـ - ١٠٢٣م، دار الكتاب .

١١- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، لمحمد جمال الدين القاسمي ، ت : ٣٣٢ هـ / ١٩١٤م ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ- ١٩٧٨ ، دار الفكر، بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .

١٢- تفسير الفخر الرازى ، للامام محمد فخر الدين الـــرازى ، ت : ٦٠٦ هـ ، الطبعة الاولى : ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م ، دار الفكــر، بيروت .

١٣- تفسير المنار، تأليف : محمد رشيد رضا ،ت : ، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م ، طبع بالاوفســت .

١٤- تفسير القرآن للقرآن ، تأليف: عبدالكريم الخطيـــــب ، دار الفكر العربي .

١٥- تفسير التحوير التنوير، تأليف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الدار التونســية للنشـــر.

١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تأليف : الشيـخ عبدالرحمن بن ناصر السعدى ، ت : ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م ، المطبعة السلفيــة .

١٧- تفسير اللطيف المنان ، تأليف الشيخ عبدالرحمن بن ناصـر السعدى ، مكتبة المعارف .

١٨- تفسير التبيان لشيخ الطائفة الطوسى قدس ، ت : ٤٦٠هـ، مطبعة النعمان ، النجف الاشـــرف .

١٩- تفسير السراج المنير في الاعانة على معرفة معاني كلام ربنـــا الحكيم الخبير، تأليف : الامام الخطيب الشربينى ، ت : ٩٧٧ هـ - ١٥٧٠م ، المطبعة الخيريـــة .

٢٠- التفسير الواضح ، لمحمد محمود حجازى ، ، الطبعة الثانية ١٩٦٣ هـ مطبعة الاستقلال الكبرى .

٢١- التفسير الحديث ، لمحمد عزت دروزه ، ، دار احياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

٢٢- تبصير الرحمن وتيسير المنان، للعلامة على المهلمى ،

٢٣- تلخيص البيان في مجازات القرآن ، لأبي الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين ، ت : ٤٠٦ هـ - مطبعة المعارف ، ببغداد .

٢٤- التفسير الكاشف ، لمحمد جواد مغنية ، دار العلم للملايين بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة - ١٩٨١ م .

٢٥- تفسير المراغي : تأليف : الاستاذ أحمد مصطفى المراغي ، الطبعة الثالثة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٢٦- تفسير البغوى ، المسمى معالم التنزيل ، للامام أبي محمد الحسين بن مسعود ت ٥١٦ هـ - دار المعرفة - بيروت .

حرف الجيم

٢٧ - جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ت : ٣١٠ هـ ، الطبعة الثانية : ١٣٧٣هـ -١٩٥٤م مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٢٨ - الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبي ، ت : ٦٧١ هـ ، الطبعة الثالثة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر .

حرف الحاء :

٢٩ - حاشية الشهاب ، على تفسير البيضاوى ، لأحمد بن محمد الشهاب ، ت : ١٠٠٣هـ - ١٥٩٥م ، دار صادر بيروت .

٣٠- حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوى ، المكتبة الاسلامية - تركيا .

٣١- حاشية الجمل على تفسير الجلالين ، لسليمان بن عمر العجيلي ، ت : ١٢٠٤ هـ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

٣٢- حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين ، لأحمد الصاوى المالكي ، ت: ١٢٤١هـ ، دارالفكر ، بيروت .

حرف الدال :

٣٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي ت : ٩١١٠ هـ، الطبعة الاولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ، دارالفكر ، بيروت .

٣٤- دقائق التفسير الجامع لتفسير الامام ابن تيمية ، ت : ٧٢٨هـ الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ، مطبعة التقدم دار الانصار، بالقاهرة ، تحقيق : د محمد السيد الجليد .

حرف الراء :

٣٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تأليف : الامام أبي الفضل شهاب الدين الألوس البغدادى ، ت : ١٢٧٠هـ، دارالفكر، بيروت .

حرف الزاى :

٣٦ - زاد المسير ، لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزى ، ت : ٥٩٧ هـ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر.

حرف الغين :

٣٧ - غرائب القرآن ، ورغائب الفرقان ، تأليف : الامام نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى ،النيسابورى ، ت: ٧٢٨هـ. مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، تحقيق : ابراهيم عطوة عوض .

حرف الفاء :

٣٨- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ، ت: ١٢٥٠هـ، دارالفكر مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٣٩ - فتح البيان ، لصديق حسن خان ، ت: ١٣٠٧هـ ، مطبعة العاصمة ، القاهره .

٤٠ - في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ، دارالشروق .

حرف الميم :

٤١ - المحرر الوجيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الغرناطي ، ت : ٥٤١هـ ، القاهرة .

٤٢ - مراح لبيد ، للعلامة الشيخ محمد نووى الجاوى ، ت : ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م، مطبعة احياء الكتب العربية لاصحابها عيسى البابي الحلبي .

٤٣ - الميزان في تفسير القرآن ، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان .

٤٤ - مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي على المفضل بن الحسن الطبرس، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، الطبعة الأولى .

حرف النون :

٤٥ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، ت : ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠هـ الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية .

ثانيا : كتب علوم القرآن :-

حرف الألـــف :

٤٦ - الاتقان في علوم القرآن ، لشيخ الاسلام جلال الديـــن عبدالرحمن السيوطي ، ت : ٩١١ هـ، المكتبة الثقافية.

٤٧ - أسرار التكرار في القرآن ، لمحمود بن حمزة بن نصرالكرماني ، ت : ٥٠٠ هـ ،١١٠٧م الطبعة الثا نية ١٣٩٦هـ — ١٩٧٦م ، دارالاعتصام . تحقيق عبدالقادر احمد عطا .

٤٨ - أسرار ترتيب القرآن ، للحافظ جلال الدين السيوطـــــي ، دراسة وتحقيق : عبدالقادر أحمد عطا ، الطبعة الاولى : ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، دارالاعتصام .

٤٩ - أسـباب النزول ، للامام أبي الحسن على بن أحمد الواحدى ، النيسابورى ، عالم الكتاب ، بيروت .

حرف البـــاء

٥٠ - بينات المعجزة الخالدة ، لحسن ضياء الدين عتر، الطبعـة الأولى ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م ، دارالنصر، سوريـــا .

حرف التـــاء :

٥١ - التبيان في أقسام القرآن ، لابن قيم الجوزية، ت : ٥٩٧هـ الناشر: دارالمعرفة ، تحقيق وتعليق محمد حامدالفقي.

حرف العيـــن :

٥٢ - علوم القرآن ، د. عدنان محمد زرزور، الطبعة الثانيـــة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م ، المكتب الاسلامي .

٥٣ - على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب ، لأحمد محمد جمال الطبعة الثانية ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ، دارالفكـــــر ، بيروت .

حرف الفـــاء :

٥٤ - فوائد في مشكل القرآن ، لعزالدين بن عبدالسلام ، ت : ٦٦٠ هـ ،الطبعة الثانية ،١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ هـ ، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة بجدة ، تحقيـــق ، د سيد رضوان على الندوى .

حرف الميـــم :

٥٥ - المنتقي في علوم القرآن ، لفاضل شاكرأحمد ، وفــــرج توفيق الوليد ، مطبعة جامعـــة بغداد .

٥٦ - معترك الاقران في اعجاز القرآن ، لجلال الدين عبدالرحمن أبـــي بكر السيوطي ، ت : ٩١١ هـ - ١٥٠٥م ، دارالفكـر العربي ، القاهرة . تحقيق : على محمد البجاوى .

٥٧ - معجزات قلب القرآن ، لهاشم محمد سعيد دفتردار ، الطبعة الثانية : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، دار الشروق .

٥٨ - ملاك التأويل ، القاطع بذوى الالحاد والتعطيل فى توجيه المتشابه اللفظ من أى التنزيل ، للامام الحافظ العلامة أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطى ، تحقيق ، سعيد الفلاح ، الطبعة الاولى ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت - لبنان .

حرف النون :

٥٩ - نواسخ القرآن ، لابن الجوزى ، ت : ٥٩٧ هـ ، الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، تحقيق ودراسة : محمد أشرف على الملبارى .

ثالثا : كتب القـــراءات :

حرف الألـــف :

٦٠ - الاقناع في القراءات السبع، ابن الباذش، تحقيـــــق: د/عبدالحميد قطاش ، ط دارالفكر بدمشق .

حرف التـــاء :

٦١ - تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة ، لعلي بن يوسف الجزرى ، ت : ٨٣٣ هـ - ١٤٢٩ م، الطبعة الاولى . تحقيق : عبدالفتاح القاضي ، محاونى ، ومحمـــد الصادق .

٦٢ - التبصرة في القراءات السبع ، للامام أبي محمد مكـــي بن أبي طالب القرطبي ، ت : ٤٣٧ هـ - ١٠٤٥ م ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، الدار السلفيـــة، تحقيق : محمد غوث الندوى .

٦٣ - التيسير في القراءات السبع، للامام أبي عمرو عثمان بـــن سعيد الداني ،ت: ٤٤٤ هـ - مطبعة استانبـــول .

حرف الحـــاء :

٦٤ - الحجة في القراءات السبع، للامام ابن خالويه ،ت: ٣٧٠هـ الطبعة الثانية : ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، دارالشروق ، تحقيق : د/عبدالعال سالم مكرم .

حرف السيـــن :

٦٥ - سراج القارئ المبتدى ، لأبي القاسم على بن عثمان بن محمد بن أحمد ابن القاصح ، ت : ٨٠١ هـ ، الطبعة الثالثة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م . مطبعة الحلبي .

٦٦ - السبعة في القراءات ، لابن مجاهد أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس، ت: ٣٢٤ هـ ، الطبعة الثانية، دار المعارف، تحقيق : د . شوقي ضيف .

حرف الفـــاء :

٦٧ - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، للامام أبي يحيـــى زكريا الانصارى ، ت : ٩٢٦ هـ - ١٥٢٠ م، دار القــرآ ن الكريم، تحقيق : محمد على الصابونى .

حرف الكـــاف:

٦٨- الكشف عن وجوه القراءات السبع ، لأبي محمد مكي بن أبـــي طالب القيسى ، ت: ٤٣٧هـ، مطبوعات مجمع اللغه المعربية بدمشق ، تحقيق : د / محيى الدين رمضـــان .

رابعا : كتب الأحاديث النبويـــة :

حرف الألـــف :

٦٩- الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية ، تأليف : زيـــن الدين عبدالروءوف ابن على بن زين العابدين الحـــدادى ، ت : ١٠٣١هـ . المكتبة الشعبية .

حرف الباء :

٧٠- بهجة قلوب الأبرار، وقرة عيون الأخيار، في شرح جوامـع الأخـــبار، تأليف : الشيخ عبدالرحمن بن ناصرالسعـــدى ت : ١٣٧٦هـ . طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البعوث العلمية والافتاءوالدعوة والارشاد ، بالرياض .

حرف السـين :

٧١- سنن الترمذى ، للامام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيســى ت : ٢٧٩ هـ ، دارالفكر العربي .

٧٢- سنن ابي داود ، للامام أبي داود سليمان بن الاشعـــث السجستاني الازدى ، ت: ٢٧٥ هـ، تعليق محمد محيـــى الدين عبدالحميد ، دارالفكر.

حرف الصـــاد :

٧٣ - صحيح البخاری أبوعبدالله محمد بن اسماعيل البخاری ، ت : ٢٥٦هـ مطبعة دار احياء التراث العربی ، بيروت ، لبنان .

٧٤ - صحيح البخاری بحاشية السندی ، مطبعة دار احياء الكتب العربيـة لعيسى البابی الحلبی .

٧٥ - صحيح مسلم للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلـم القشيری : ت : ٢٦١ هـ . الناشر : دار التراث العربي ، بيروت - لبنان .

٧٦ - صحيح مسلم بشرح النووی ، للامام العالم الزاهد محيـــی الدين بن شرف النووی ، ت : ٦٧٧ هـ - ١٢٧٨م الطبعـــة الثانية ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، الناشر : دار الفكر ، بيروت .

حرف العيـــن :

٧٧ - عمدة القارئ ، شرح صحيح البخاری ، تأليف : العلامـــة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد البدر العينـــــی ، ت : ، دار الفكر

٧٨ - عارضة الاحوذی ، بشرح صحيح الترمذی ، تأليف : الامـام الحافظ ابن العربي المالكي ، ت : ٥٤٣ هـ ، مكتبة المعاف بيروت .

حرف الفـــاء :

٧٩ - فيض القدير ، شرح الجامع الصغير ، تأليف : محمد عبد الروؤف المناوی ، ت : ١٠٣١هـ - ١٦٢١ م ، الطبعة الثانيــــة ، دار الفكر .

٨٠ - الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني ، تأليف: أحمد عبدالرحمن البنا ، ت: ١٣٧١هـ احياء التراث العربي ، بيروت .

٨١ - فتح البارى، شرح صحيح البخارى، لأحمد بن حجر العسقلاني ، ت: ٨٥٢ هـ ،ط دارالمعرفة ، بيروت .

حرف الكاف :

٨٢ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، العلامة ، علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندى ، ت : ٩٧٥ هـ، مكتبة التراث الاسلامي .

حرف الميم :

٨٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ نورالدين على بن أبي بكرالهيثمي ، ت : ٨٠٧ هـ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، دارالكتاب العربي .

٨٤ - مسند الامام أحمد بن حنبل ، الامام أحمد بن حنبل ، ت: ٢٤١هـ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ ،المكتب الاسلامي .

٨٥ - المعجم الكبير ، لابي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ،ت: ٣٦٠ هـ ،الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م الدار العربية للطباعة ، بغداد ، تحقيق : حمدى عبدالمجيد السلفي .

٨٦ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة ، للامام الحافظ شمس الدين ابي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوى ، ت: ٩٠٢ هـ ، الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م . دارالكتب العلمية ، تحقيق : عبدالله بن محمد الصديق الغمارى وعبدالوهاب عبداللطيف .

٨٧ - المستدرك على الصحيحين ، للحافظ الكبير أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابورى " ت : ٤٠٥ ، الناشر: دارالتراث العربي . بيروت - لبنان .

٨٨ - مختصر سنن أبي داود ، للحافظ المنذرى ، مكتبة السنة المحمدية .،

حرف النون :

٨٩ - نزهة المتقين ، شرح رياض الصالحين ، من كلام سيد المرسلين ، تأليف : مصطفى سعيد ، مؤسسة الرسالة بيروت .

خامساً : كتب العقيدة :

حرف الألف :

٩٠ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تأليف: أبي بكر بن الطيب الباقلاني، ت: ٤٠٣هـ، الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجي، دراسة محمد زاهد بن الحسن الكوثري.

٩١ - الاعتقاد والهداية الي سبيل الرشاد، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: ٤٥٨هـ، الطبعة الاولى: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م دراسة: كمال يوسف الحوت.

٩٢ - اقتضاء الصراط المستقيم، تأليف: شيخ الاسلام ابن تيمية ت: ٧٢٨ هـ، مطابع المجد التجارية.

٩٣ - أدب العبودية، تأليف: محمد مصطفى عبدالرحمن، مكتبة القاهرة، مطبعة الفجالة الجديدة.

٩٤ - الاسئلة والاجوبة، تأليف: الشيخ عبدالعزيز المحمد السلماني، الطبعة الثانية عشرة.

٩٥ - اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، تأليف: هارون الحسيني الزبيدى.

٩٦ - اعلام السنة المطهرة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، ت: ١٣٧٧هـ الطبعة الثالثة: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.

٩٧ - الامام ابن تيمية وقضية التأويل، تأليف: د/محمد السيد الجليند، الطبعة الثالثة: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، شركة مكتبات عكاظ.

٩٨ - اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تأليف: ابن قيم الجوزية ، ت: ٧٥١ هـ دار المعرفة، تحقيق: محمد حامد الفقي .

٩٩ - أصول الدين الاسلامي ، تأليف: د/رشدى عليان ، الطبعة الاولى .

١٠٠ - اظهار الحق ، تأليف: الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الهندى ، ت : ١٣٠٦هـ من منشورات المكتبة العصرية ، تحقيق : عمر الدسوقي .

١٠١ - الايمان بعوالم الآخرة، تأليف: عبدالله سراج ، الطبعة الاولى : ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

١٠٢- الاسلام يتحدى ، تأليف: وحيد الدين خان ، مراجعة وتقديم د/عبدالصبور شاهين . الطبعة السادسة ، المختار الاسلامي للطباعة والتشريع والتوزيع ، القاهره .

١٠٣- الاسلام والايمان، تأليف : د/عبدالحليم محمود الطبعة الاولى ، دار الحديثة ، دار النصر للطباعة .

١٠٤- الاسلام في عصر العلم، تأليف: محمد أحمد الغمراوى . ، الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م ، مطبعة السعادة ، القاهرة .

١٠٥- الايمان ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ، المكتب الاسلامى، الطبعة الثالثة : ١٤٠١هـ .

حرف الباء :

١٠٦- البيهقي وموقفه من الالهيات ، تأليف: د /أحمد بن عطية بن على الغامدى ، الطبعة الثانية : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

١٠٧- بهجة الانوار شرح أنوار العقول في التوحيد ، تأليف: العلامة أبي محمد عبدالله بن حميد السالمي ، ت: ١٣٣٢هـ الناشر: سلطنة عمان .

حرف التاء :

١٠٨- تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، تأليف : ابراهيم البيجورى ، الطبعة الآخيرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي

١٠٩- تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد ، تأليف : محمد بن اسماعيل الأمير اليمنى الصنعاني ، ت : ١١٨٢هـ .

حرف الجيم :

١١٠- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية ت : ٧٢٨ هـ مكتبة المدنى ومطبعتها تحقيق : على السيد صبح المدني .

حرف الحاء :

١١١- حواشي العقائد ، تأليف : مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازانى ، ت ٧٩٣ هـ .

حرف الـذال :

١١٢- الذريعة الى مكارم الشريعة ، تأليف : الامام أبى القاسم الحسين بن محمد ابن الفضل ، الراغب الأصفهاني ، ت : ٥٠٢ هـ . الطبعة الاولى ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، مكتبة الكليات الازهرية مطبعة حسان .

حرف الراء :

١١٣- رسالة التوحيد ، تأليف : الشيخ محمد عبده ت : ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م ، الطبعة الاولى ، المطبعة العامرين الخيرية الرسل والرسالات : تأليف : عمر سليمان الأشقر .

١١٤- الرسالة التدمرية والحموية الكبرى : تأليف : شيخ الاسلام ابن تيمية ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٢هـ ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، تحقيق محمد حامد الفقي .

١١٥- الروح لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية .

حرف الشين :

١١٦- شرح العقيدة الطحاوية : تأليف الامام أبى جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن جواب الازدى الطحاوية ، ت : ٣٢١هـ الطبعة الاولى ١٣٩٢هـ . المكتب الاسلامي .

١١٧- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر : تأليف ابن قيم الجوزية ت : ٧٥١ هـ عنى بتصحيحه : السيد محمد بدر الدين ابو فراس النعمان الحلبى . . الطبعة الاولى ١٣٢٣هـ الناشر : مكتبة الرياض الحديثة .

حرف الطــاء :

١١٨- طريق الهجرتين وباب السعادة ، تأليف الامام شمس الدين محمد بن أبى بكر ابن قيم الجوزى ت : ٧٥١هـ ، تحقيق عبدالله بن ابراهيم الانصارى .

حرف العين :

١١٩- العقيدة والأخلاق وأثرها في حياة الفرد والمجتمع ، تأليف : محمد بيصار الطبعة الرابعة ، ١٩٧٣م ، دار الكتاب - بيروت .

١٢٠- العقيدة الاسلامية سفينة النجاة ، تأليف : د . كمال عيسى الطبعة الاولى : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، دار الشروق .

١٢١- العقيدة الاسلامية وأسسها ، تأليف الشيخ عبدالرحمن حبنكه الميدانى الطبعة الاولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .

١٢٢- عقيدة المؤمن ، تأليف ، أبى بكر جابر لجزائرى . . الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٢م ، دار الشروق .

١٢٣- عقيدة المسلم ، تأليف الشيخ محمد الغزالي ، مطبعة حسان .

حرف الغين :

١٢٤- غذاء الألباب ، تأليف : الامام محمد السفارينى الحنبلى ، ت ١١٨٨هـ ، ١٧٧٤م ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة .

حرف الفاء :

١٢٥- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، تأليف : الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل شيخ ت : ١٢٥٨هـ ،الطبعة السابعة ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م ، مطبعة السنة المحمدية ،القاهرة ، تحقيق محمد حامد الفقي .

١٢٦- فرقان القرآن : ويليه الأسماء والصفات ، تأليف : البيهقي دار احياء التراث العربي ، بيروت .

١٢٧- الفرقان بين الحق والباطل ، تأليف : شيخ الاسلام ابن تيمية ت : ٧٢٨ هـ ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار احياء العلوم ، تحقيق الشيخ حسين يوسف غزال .

حرف القاف :

١٢٨- قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، تأليف : الشيخ نديم الجسر ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م ، المكتب الاسلامي .

حرف الكاف :

١٢٩- كتاب الاربعين في اصول الدين ، تأليف محمد بن محمد الغزالي ، ت ٥٠٥ هـ ، ت : ٥٠٥ هـ الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، من منشورات دار الافاق ، بيروت ، تحقيق لجنة احياء التراث العلمي .

١٣٠- كتاب الاربعين في اصول الدين ، تأليف : الامام فخر الدين محمد بن عمر الرازى ، ت : ٦٠٦هـ ، الطبعة الاولى ، ١٣٥٣هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ببلدة حيدر.

١٣١- الكواشف الجلية عن معانى الواسطية، تأليف : الشيخ عبدالعزيز المحمد السلمان، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١٣٢- كتاب الايمان، أركانه، حقيقته، نواقضه، تأليف د . محمد نعيم ياسين، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة .

حرف الميم :

١٣٣- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، تأليف الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ حمد بن ناصر آل معمر، ت ١٢٤٤هـ . الطبعة : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، من منشورات دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف، المملكة العربية السعودية .

١٣٤- المنتهى من منهاج الاعتدال تأليف : شيخ الاسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية، تحقيق محي الدين الخطيب .

١٣٥- معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول في التوحيد تأليف الشيخ حافظ بن احمد حكمي، مطبعة السلفية .

١٣٦- مدارج السالكين، تأليف : ابن قيم الجوزيه، ت : ٧٥١ طبع في : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، دار الكتاب العربي . تحقيق محمد حامد الفقي .

١٣٧- مفتاح دار السعادة، تأليف ابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة .

١٣٨- مختصر لوامع الانوار البهيه وسواطع الاسرار الاثرية، تأليف العلامة محمد بن علي سلوم، ت : ١٢٤٦هـ، الطبعة الاولى، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م . تحقيق : محمد زهري النجار

١٣٩- مع رسول الله وكتبه واليوم الاخر ، تأليف : حسن أيوب ،
١٤٠- مختصر شعب الايمان - تأليف أبي جعفر عمر القزويني ت : ٦٩٩هـ وعلق عليه : محمد منير الدمشقي للمرة الثانية ، ١٣٥٥هـ ، ادارة الطباعة المنيريه .
١٤١- المنحة الالهية في العقيدة الواسطية ، لابن تيمية ، تحقيق : على مصطفى الغرابي ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح .
١٤٢- المغنى في ابواب التوحيد والعدل - للقاضي ابو الحسن عبد الجبار الاسدى الآبادى .

حرف النون :

١٤٣- النبوات، لابن تيمية، ت ٧٢١ هـ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر .

حرف الواو :

١٤٤- الوحى المحمدى ، تأليف محمد رشيد رضا . الطبعة التاسعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، المكتب الاسلامى ، بيروت

سادسا : "كتب الفقه وأصوله" :

حرف الألف :

١٤٥- الأم ، لأبى عبدالله محمد بن ادريس الشافعي ، ت ٢٠٤ الطبعة الاولى ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، الناشر : دار الفكر بيروت .
١٤٦- الآداب الشرعية والمنح المرعية ، تأليف : شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن مفلح المقدسي الحنبلى ، ت : ٧٦٣ هـ - ١٣٦٢هـ الناشر ، مكتبة الرياض الحديثة ، بالرياض .

١٤٧- اعلام الموقعين عن رب العالمين ، تأليف : ابن قيم الجوزيه ، ت : ٧٥١ هـ طبعة جديدة ، مضبوطه منقحة ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد الناشر : مكتبة الكليات الازهرية .

١٤٨- الاحكام في اصول الاحكام ، تأليف الامام العلامة سيف الدين ابى الحسن علي بن ابى علي بن محمد الآمدى : ت : ٦٣١هـ - ١٢٣٣م . الناشر مكتبة ومطبعة محمد على صبيح .

١٤٩- الأصول والفروع : لابن حزم الاندلسى ، ت ٤٥٦ هـ تحقيق د . محمد عاطف العراقي ، ود . سهير فضل الله أبو وافيه ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٧م ، الناشر ، دار النهضة الحديثة ، القاهرة ، مطبعة حسان . .

١٥٠- الامر والنهى عند الاصوليين ، تأليف د . احمد يونس سكر الطبعة الاولى ، ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م ، الناشر دار الطباعة المحمدية .

حرف البـاء

١٥١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، تأليف : الامام علاء الدين ابى بكر ابن مسعود الكاساني الحنفي ، ت : ٥٨٧هـ الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت .

حرف الجيـم

١٥٢- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، تأليف : ابن قيم الجوزية ، الناشر : مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

حرف الزاى

١٥٣- زاد المعاد في هدى خير العباد ، لابى عبدالله ابن قيم الجوزية ،ت : ٧٥١ هـ ، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٣م الناشر ، دار الفكر ، بيروت .

حرف الشين

١٥٤- شرح آداب القاضى ، تأليف : حسام الدين عمر بن عبدالعزيز البخارى ،ت : ٥٣٦ هـ ، تحقيق : محى هلال سرحان . الناشر ، مطبعة الارشاد ، بغداد .

١٥٥- الشريعة الاسلامية وتاريخها ونظرية الملكية والعقود ،تأليف : بدران ابو العينين بدران ، الناشر : مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية .

١٥٦- شرح البدخش مناهج العقول ،تأليف : الامام محمد بن الحسن البدخش ت : ٥٦١هـ الطبعة الثالثة ، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م ، مطبعة مصطفي البابي الحلبى .

حرف الفاء

١٥٧- فتح العلام ، بشرح مرشد الانام في الفقه الشافعى ، تأليف العلامة السيد محمد بن عبدالله الجردانى ،ت ٣١٥ هـ ، مكتبة الشباب المسلم .

١٥٨- فتاوى الامام محمد رشيد رضا ، تحقيق ، د . صلاح الدين المنجد يوسف الطبعة الاولى ١٣٦٠هـ ١٩٧٠م ، الناشر : دار الكتاب الجديد .

١٦٠- الفتاوى الحديثية ، تأليف الشيخ احمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي المكي ت : ٩٧٤هـ ، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، مطبعة مصطفي البابي الحلبي .

حرف القـــاف

١٦١- قواعد الاحكام في مصالح الأنام ،تأليف : ابو محمد عز الديـن عبدالسلام السلمي ، ت ٦٦٠ هـ طبعة جديدة مضبوطـة ومنقحه .راجعه وعلق عليه ، طه عبدالرؤوف سعد ،النـاشـر : مكتبة الكليات الازهرية، دار الشرق للطباعة .

١٦٢- قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية ،تأليف : محمد ابن احمد بن جزى الغرناطي المالكي ت ١٣٩٤هـ ، ١٣٤٠م

حرف الميـــم

١٦٣- المغني والشرح الكبير ، تأليف : الامام شمس الدين ابن أبي عمر بن قدامة المقدسي ، ت ٦٨٣ هـ طبعة جديدة ،الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

١٦٤- منهاج الطالبين وبلاغ الراغبين ،تأليف ، خميس بن سعيـد بن مسعود الرستاني ، تحقيق : سالم بن حمد بن سليمـان الحارثي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي .

١٦٥- المنهاج في شعب الايمان ، تأليف ، الامام الحافظ أبـي عبدالله الحسين بن الحسن الحليمي ، ت ١٤٠٣هـ ، ١٩٧٩م تحقيق حليمي محمد فودة ، الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م دار الفكر .

١٦٦- مجموعة الفتاوى - لابن تيميه - جمعه ورتبه عبدالرحمن بـن محمد بن قاسم العاصمي النجدى الحنبلي وساعده ابنـه محمـد .

١٦٧- المحلي ، تأليف ابي محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم ، ت : ٤٥٦ هـ طبعة مصححة ومقابلة ، الناشر ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت .

١٦٨- المعاملات المادية والادبية تأليف : السيدعلى فكرى ، الطبعة الاولى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

سابعا : " كتب السير والتاريخ " :

حرف الباء :

١٦٩- البدء والتاريخ ، تأليف : زيد احمد بن سهل البخلى ، ت : ٣٢٢هـ - ٩٣٤ م ، ترجمة الى العربية ، ونشره كلمات هوار ، باريس .

١٧٠- البداية والنهاية ، لابن كثير الدمشقي ، ت ٧٧٤هـ ، دار الكتب العلمية ، ط الثالثة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

حرف الدال :

١٧١- دلائل النبوة ، تأليف : أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، ت ٤٥٨ هـ . تحقيق ، د . احمد صقر ، الناشر : المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، لجنة احياء امهات كتب السنة .

١٧٢- دلائل النبوة ، تأليف ابى نعيم الاصفهاني ، ت ٤٣٠ هـ . الناشر مكتبة المتنبى ، القاهرة ، ومكتبة سعد الدين ، دمشق .

حرف السين :

١٧٣- السيرة النبوية ، تأليف : الامام أبي الفداء اسماعيل بن كثير ت : ٧٧٤ هـ ، تحقيق د . مصطفى عبدالواحد .
١٧٤- السيرة النبوية ، تأليف : ابن هشام تعليق ، طه عبدالرؤوف سعد .
١٧٥- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تأليف : الامام محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، ت : ٩٤٢ هـ ، تحقيق د . مصطفي عبدالواحد .

حرف الميم :

١٧٦- المختصر في اخبار البشر ، تأليف : عماد الدين اسماعيل ابو الفداء ، ت : ٧٣٢ هـ الناشر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،
١٧٧- محمد رسول الله ، تأليف ، بشرى زخارى ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب القاهرة .

حرف الواو :

١٧٨- الوفا بأحوال المصطفى ، تأليف الامام ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى ت : ٥٩٧ ، تحقيق د . مصطفى عبدالواحد ، مطبعة البابى الحلبى وشركاوءه .

ثامنا : كتب التراجـــم :

حرف الألـــــف

١٧٩- الاعلام : لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثالثة .

١٨٠- الاعلام : لخير الدين الزركلي ،الطبعة الخامسة ،مايو ، ١٩٨٠م
بيروت .

١٨١- الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ،ت ٨٥٢ هـ .
الناشر : دار الكتاب العربي ،بيروت .

١٨٢- وط دار الكتب العلمية : اعداد : ابو هاجر محمد السعيد
بن بسيوني غلول .

١٨٣- الاستيعاب في معرفة الصحابة ، للفقيه الحافظ المحدث القرطبي
المالكي ، ت ٤٦٣ هـ ، الناشر : دار الكتاب العربـــــي ،
بيروت .

حرف البـــاء :

١٨٤- بغية الوعاة ، في طبقات اللغويين ، والنحاة ، للحافظ جـــلال
الدين عبدالرحمن السيوطي ، تحقيق : محمد ابو الفضـــــل
ابراهيم ، الطبعة الاولى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى .

حرف التـــاء :

١٨٥- تهذيب التهذيب ، للحافظ شهاب الدين احمد بن علـــي
بن محمد المعروف (ابن حجر العسقلاني) ت ٨٥٢هـ .
الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظاميـــــة
في الهند .

١٨٦- تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت .

١٨٧- تهذيب الاسماء واللغات ، للامام العلامة الفقيه الحافظ ابى زكريا محى الدين بن شرف النووى ، ت ٦٧٦ هـ ، ادارة الطباعة المنيرية بطنجة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٨٨- تذكرة الحفاظ ، للامام الهمام شمس الدين الذهبى ، مطبعة دائرة المعارف النظامية في حيدر آباد .

حرف الشين :

١٨٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للعلامة : عبدالحي ابن العماد الحنبلى ت ١٠٨٩ ، تحقيق : لجنة احياء التراث العربى في دار الافاق الجديدة * منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

١٩٠- شجرة النور الزكية ، في طبقات المالكية للعلامة محمد بن محمد مخلوف ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

حرف الطاء :

١٩١- طبقات المفسرين ، للحافظ : شمس الدين محمد بن على ابن احمد الداوودى ، ت : ٩٤٥ هـ ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

١٩٢- طبقات القراء ، للشمس الدين أبى الخير محمد بن محمد إبن الجزرى ، ت : ٨٣٣ هـ ، عنى بنشره : ج . برجستراسر ، ط الثانية : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٩٣- طبقات النحاة واللغويين ، للامام تقي الدين ابن قاضي شهبة الاسدي الشافعي ، ت ٨٥١ هـ ، تحقيق د . محسن عياض ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف .

١٩٤- طبقات الحفاظ ، للامام الحافظ : جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي ، ت ٩١١ هـ ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء ، باشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

حرف الفاء :

١٩٥- فوات الوفيات ، لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي ، ت ٧٦٤ هـ تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة بمصر .

حرف الكاف :

١٩٦- الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات ، لأبي البركات محمد بن أحمد المعروف بابن الكيال ، ت ٩٣٩هـ ، ط الاولى : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، تحقيق : عبدالقيوم عبد رب النبي .

حرف الميم :

١٩٧- معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، الناشر : مكتبة المثنى ، دار احياء التراث العلمي ، بيروت لبنان .

١٩٨- ميزان الاعتدال ، في نقد الرجال لابى عبدالله محمد بن احمد ابن عثمان الذهبى ، ت ٧٤٨ هـ ، تحقيق : على محمد البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

١٩٩- المغنى في ضبط الاسماء ، لمحمد بن طاهر الهندى ، ت ٩٨٦هـ

٢٠٠- معجم البلدان ، للشيخ الامام شهاب الدين ابى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومي ، ت ٦٢٦ هـ ، دار صادر بيروت .

حرف الواو :

٢٠١- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابى بكر بن خلكان ، ت : ٦٨١ هـ ، تحقيق د . احسان عباس ، دار صادر بيروت .

تاسعا : كتب المعاجم اللغوية :

حرف التاء :

٢٠٢- تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدى ت ١٢٠٥هـ ، ط الاولى ، بالمطبعة الخيرية ، بجمالية مصر ، من منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت - لبنان .

حرف القاف :

٢٠٣- قطر المحيط ، البطرس البستاني ، ت ١٣٨٩هـ ، مكتبة لبنان .

٢٠٤- القاموس المحيط ، للفيروز ابادى ، محمد بن يعقوب ت ٨١٧ ، دار الفكر ، بيروت .

حرف الكاف

٢٠٥- كتاب التعريفات - للعلامه علي بن محمد الشريف الجرجاني مكتبة لبنان - بيروت .

حرف اللام

٢٠٦- لسان العرب ، للامام العلامة ابى الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم بن منظور ، ت : ٧١١ هـ ، الناشر : دار صادر ، بيروت .

حرف الميم :

٢٠٧- المفردات في غريب القرآن ، لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ، ت : ٥٠٢ هـ تحقيق : محمد سيد كيلاني ، الناشر : دار المعرفة بيروت ، لبنان .

٢٠٨- المعجم الوسيط ، قام باخراج هذه الطبعة ، د . ابراهيم انيس د . عبدالحليم منتصر ، د . عطيه الصوالحى ، د . محمد خلف الله احمد ، عنى بطبعه ونشره : عبدالله بن ابراهيم الانصارى . طبع على نفقة ادارة احياء التراث الاسلامي ، بدولة قطر .

حرف النون :

٢٠٩ - النهاية في غريب الحديث والأثر ، للامام مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزرى ، ابن الاثير ، ت ٦٠٦ هـ تحقيق : طاهر احمد الزاوى ، ومحمود محمد الطناحى ، الناشر دار الباز ، للنشر والتوزيع .

عاشرا : معارف عامـــة :

حرف الالـف :

٢١٠- احياءعلوم الدين ، تأليف ، محمد بن محمد الغزالـــى ، ت : ٥٠٥ هـ ، الناشر : الحلبى وشركاؤه للنشـــر والتوزيع .

٢١١- اصلاح المجتمع ، تأليف : محمد بن سالم بن حسين الكـدادى ، البيحانى ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م ، دار مصـر للطباعة .

٢١٢- الانسان وسلالته ، تأليف د . يسرى الجوهرى ، الناشـــر : منشأة المعارف ، الاسكندريـة .

حرف البـــاء :

٢١٣- البركة في فضل السعى والحركة ، لابى عبدالله محمد بـــن عبدالرحمن بن عمر الوصابى الجبيشى ، ت : ٧٨٢ هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

حرف التـــاء :

٢١٤- التبصرة ، تأليف : العلامة ابى الفرج عبدالرحمن بـــن الجوزى ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، مطبعـــة البابى الحلبي ، القاهرة ، تحقيق ، د . مصطفى عبدالواحد

٢١٥- تربية الاولاد في الاسلام - للدكتور عبدالله ناصح علوان ، الطبعة الثالثة - ١٤٠١ هـ ١٩٨١م دار السلام للطباعـة والنشر والتوزيع .

٢١٦- التعاليم الدينية في اصلاح الهيئة الاجتماعية ، تأليف : عبدالفتاح عكاشة ، مطبعة السماح ، القاهرة .

٢١٧- تذكرة المسلم ، تأليف : الشيخ محمد الطيب بن محمد يوسف ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر .

حرف الحاء :

٢١٨- الحياة الاجتماعية في الاسلام ، تأليف : ابو زاهد الندوى

حرف الخاء :

٢١٩- الخطايا في نظر الاسلام ، تأليف ،عفيف عبدالفتاح طبارة الطبعة السادسة .

٢٢٠- خلق المسلم ، تأليف : محمد بن محمد الغزالى ،الطبعة الرابعة ، ١٩٧٩م ،

٢٢١- الخلق الكامل ، لمحمد احمد جاد المولى ، موسسة الرسالة .

حرف الدال :

٢٢٢- الدعوةالاسلامية دعوة عالمية ،تأليف : على بن عبدالحليم محمود ، يشرف على اصدارها : محمود توفيق عويضه .

٢٢٣- الدين والعلم الحديث ، تأليف : ابراهيم محمد عبدالباقى المكتبة التحترية الكبرى ، القاهرة .

٢٢٤- دراسات في الجغرافيا البشرية ،تأليف : فوءاد محمد الصقار ،الطبعة الثالثة ، ١٩٧٤م ،الناشر ،وكالة المطبوعات ، الكويت .

حرف الحاء :

٢٢٥- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ، تأليف : الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدى ، الطبعة الثالثة ، ١٣٤٠هـ - ١٩٨٠م ، مكتبة المعارف ، الرياض .
٢٢٦- روح الدين الاسلامي ، تأليف : عفيف عبدالفتاح طبارة ، الطبعة الخامسة عشرة ، دار العلم للملايين .
٢٢٧- رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء ، الناشر : دار صادر - بيروت .
٢٢٨- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تأليف : الحافظ ابى حاتم محمد بن حبان البستى ، ت ٣٥٤ هـ ، دار الكتب العلمية بيروت ، تحقيق : محمد محى الدين عبدالحميد .

حرف الصاد :

٢٢٩- صيد الخاطر : تأليف : ابن قيم الجوزيه ، الطبعة الاولى ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ، دار الفكر ، تحقيق : ناجي الطنطاوى .

حرف الفاء :

٢٣٠- الفضائل الخلقية في الاسلام ، تأليف د . احمد عبدالرحمن ابراهيم دار العلوم ، الرياض .
٢٣١- الفوائد ، لابن قيم الجوزى ، منشورات المؤسسة السعيدية بالرياض ، مطبعة الكيلاني .

حرف القاف :

٢٣٢- القرآن والمجتمع ، تأليف : محمد البهى ، الطبعة الاولى الاولى ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م ، مكتبة وهبه ، القاهرة .

حرف الكـــاف :

٢٣٣- كتاب في فصول الدين والأدب ، تأليف : ابراهيم السليمانـــى الطامى ، مكتبة التراث الاسلامي .

٢٣٤- كتاب مكارم الاخلاق ، تأليف ، ابى بكر عبدالله بن محمـــــد ابن عبيد المعروف بابن ابى الدنيا ، ت ٢٨١ هـ - ٨٩٤ م ، دار النشر فرانز ستاينز بفيساون ، تحقيق ، جيمز ابلمى .

حرف الميم :

٢٣٥- مختصر منهاج القاصدين ، للشيخ احمد بن عبدالرحمن بـــن قدامه المقدسي ، ت ٦٨٩ هـ ، علق عليه : شعيب الارنوءوط وعبدالقادر الارنوءوط الناشر : مكتبة دار البيان ، دمشـــق ، والتوزيع موءسسة علوم القرآن ، بيروت .

٢٣٦- مبادىء الاسلام ، لابى الاعلى المودودى ، موءسســـــــة الرسالة ،

٢٣٧- معالم الثقافة الاسلامية ، تأليف : د . عبدالكريم عثمــــان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠هـ ، ١٩٧١م ، موءســـــــــة الانوار ، الرياض .

٢٣٨- مبادىء نظام الحكم في الاسلام ، لعبدالحميد متولـــــى ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٧م ، منشأة المعارف ، الاسكندرية .

٢٣٩- منهج القرآن في تربية المجتمع تأليف : عبدالفتاح عاشور الطبعة الاولى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، مكتبة الخانجي ، مصر ،

٢٤٠- منهج القرآن والسنة في العلاقات الانسانية، تأليف : مجاهد محمد هريدى ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، مطبعة الامانة ، مصر .

٢٤١- محاولة في تفسير الشعور بالعداوة ، تأليف د . سيد عويس دار الكاتب العربي ، للطباعة والنشر .

٢٤٢- منهاج المسلم ، لابى بكر جابر الجزائرى ، الطبعة الرابعة : ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م ، دار الشروق .

٢٤٣- مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا ، الناشر : دار الشهاب القاهرة .

٢٤٤- محاضرة الادباء ، ومحاورة الشعراء ، لابى القاسم حسين بن محمد الراغب الاصفهاني ، ت ٥٠٢هـ .

٢٤٥- موسوعة اخلاق القرآن تأليف : د . احمد الشرباصي ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م ، دار الرائد العربى ، بيروت ،

٢٤٦- الموسوعة في سماحة الاسلام ، لمحمد الصادق عرجون ، مؤسسة سجل العرب .

٢٤٧- مكاشفة القلوب ، لمحمد بن محمد الغزالى ، ت ٥٠٥ ، تحقيق الاستاذ بهيج غزاوى ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، دار احياء العلوم .

.. ..

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	رقم الصفحة

فهرس الموضوعات	رقم الصفحة